الجزء الاول — المجلد الثاني والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق

١ كانون الثاني سنة ١٩٥٧ م

٢٩ جمادى الأولى سنة ١٣٧٦ هـ

مجلة
المجمع العلمي العربي
بدمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري }

تدفع مقدماً

مؤتمر المجامع اللغوية العلمية

أشرنا في العدد السابق من هذه المجلة (١) إلى انعقاد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية في دمشق ، في التاسع والعشرين من شهر ايلول سنة ١٩٥٦ ، وألممنا في كلمة مقتضبة ، بأسباب عقده وبموضوع أبحاثه . وقد انفض هذا المؤتمر في الخامس من شهر تشرين الأول سنة ١٩٥٦ بعد أن قام بدراسة وافية لأكثر ما جاء في جدول أعماله ، وأقر توصيات يُرجى أعظم الخير من تنفيذها .

وقد رغب إلينا كثير من القراء في إطلاعهم على ما ألقي في هذا المؤتمر من كلمات ، وما قدم إليه من مذكرات ، فأثبتنا في هذا العدد ما نرجو أن ينقع غلتهم .

المؤتمر الاول

للمجامع اللغوية العلمية العربية

الفكرة والهدف

مذكرة أعدتها الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية

حين عقد مؤتمر وزراء المعارف العرب بالقاهرة في ديسمبر ١٩٥٣ ، قُدم اليه اقتراح « بانشاء مجمع علمي عربي موحد يهتم بجميع العلوم على السواء ، ويحل محل المجامع الاقليمية في القاهرة ودمشق وبغداد ، ويكون من مهمته بعث التراث العربي وتوحيد المصطلحات العلمية » . وقد قرر مؤتمر وزراء المعارف في جلسته الثالثة في ١٠ / ١٢ سنة ١٩٥٣ إحالة هذا الاقتراح الى المكتب الدائم للجنة

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء ٤ المجلد ٣١ (سنة ١٩٥٦) ص ٦٨٧ وما يتلوها .

الثقافية لجامعة الدول العربية لدراسته ، والتقدم بنتيجة بحثه الى اللجنة الثقافية في دورتها التالية . ثم وافق مجلس الجامعة على هذا القرار في دورته العشرين بتاريخ ٢٦/١/١٩٥٤ .

وقد عرضت الادارة الثقافية هذا الاقتراح على المكتب الدائم للجنة الثقافية في جلسته المنعقدة بتاريخ ٢٠/٢/١٩٥٤ فقرر :

« صرف النظر عن هذا الاقتراح نظراً لأن المجامع العلمية الموجودة في القاهرة ودمشق وبغداد متعاونة مع بعضها ، ولأن بعض أعضائها يشترك في أكثر من مجمع واحد منها ، كما أن الجامعة العربية بصدد إنشاء اتحاد علمي عربي ، يهدف الى جمع شمل العلماء والهيئات العلمية في البلاد العربية بما يؤدي الى تنشيط الحركة العلمية فيها . »

وقد تداولت الإدارة الثقافية في الموضوع مع بعض ذوي الرأي من أعضاء المجامع العلمية العربية ، فكان الرأي المفضل هو تعدد هذه المجامع ، وتشجيع البلاد العربية ، التي لا يوجد فيها مجمع علمي ، على إنشائه في أقرب وقت مستطاع ، ويكون عمل هذه المجامع بحث ما يتصل باختصاصها من موضوعات محلية ، على أن تعقد مؤتمرات دورية للمجامع اللغوية العلمية العربية ، لتستطيع تنسيق أعمالها فيما بينها ، منعاً لازدواج العمل من غير طائل ، ولتنظر في الموضوعات العربية المشتركة وتتخذ فيها قرارات موحدة .

ثم عرض الأمر كله على اللجنة الثقافية الدائمة في دورتها التاسعة التي عقدت في جدة في يناير ١٩٥٥ ، فاتخذت التوصية التالية :

أ) نظراً لأن المجامع اللغوية والعلمية العربية منذ نشأتها قد أظهرت حرصاً محموداً على تمثيل الأكفياء من جميع البلاد العربية فيها ، فتوصي اللجنة بمزيد من العناية بهذا التمثيل بحيث يضم كل مجمع منها نخبة صالحة من هؤلاء الأكفياء في جميع البلاد العربية .

ب) ونظراً لأن من الخير أن تتعاون المجامع اللغوية والعلمية العربية تعاوناً منتظماً على ترقية اللغة والمحافظة على سلامتها مع مسايرتها للحياة ، فتوصي اللجنة بأن تعمل الجامعة العربية على عقد مؤتمرات دورية بين هذه المجامع للتداول وتبادل الرأي في نشاط كل واحد منها والتقريب بين نتائج هذا النشاط .

ج) ونظراً لأن المجامع اللغوية والعلمية القائمة الآن تختار من بين الأكفياء العرب أعضاء مراسلين ، وأن من الخير أن يشارك هؤلاء الأعضاء في أعمال تلك المجامع بقدر الامكان ، وفيما تعقده هذه المجامع من المؤتمرات ، كالمؤتمر السنوي للمجمع اللغوي المصري ، فتطلب اللجنة الى الجامعة العربية أن توصي الحكومات العربيه بمعاونة الأعضاء المراسلين ، وتيسير أسفارهم وإقامتهم ليشاركوا في هذه المؤتمرات .

وقد وافق على هذه التوصية مجلس جامعة الدول العربية في دورته العادية الثالثة والعشرين المنعقدة في مارس سنة ١٩٥٥ (قرار رقم ٩٥٩) .

وقامت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية – تنفيذاً لهذه التوصيات والقرارات ، وتحقيقاً للفكرة المنشودة – بدعوة المجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد الى إرسال ثلاثة أعضاء من كل مجمع ، وبدعوة الدول العربية – التي لا يوجد فيها مجمع – الى تأسيس مجمع في أقرب وقت مستطاع ، على أن توفد كل دولة منها مراقباً عنها لحضور هذا المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربية الذي يعقد في ٢٩ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٥٦ بمدينة دمشق .

مشروع جدول الاعمال

لمؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية

كانت الإدارة الثقافية قد أعدت المشروع التالي لجدول أعمال المؤتمر ، بعد أن استشارت المجامع الثلاثة . وقد أقره المؤتمر وفصّله ، في أول جلسة له ، واضطلعت لجانه بدراسة مواده مفصلة .

أما المشروع فهو :

١) النظر في تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع اللغوية العلمية العربية .

٢) بحث ما وصلت اليه المجامع الثلاثة من دراسة وسائل ترقية اللغة العربية ، وتبسيط قواعدها ، وتيسير كتابتها .

٣) الاتفاق على خطة موحدة لدراسة الموضوعات التالية والاشتراك في تنفيذها :

أ — الترجمة من العربية واليها .

ب — تشجيع التأليف والترجمة في الموضوعات العلمية .

ج — نشر ما يتقرر من المصطلحات العلمية .

د — تحقيق ونشر المخطوطات العربية .

هـ — تشجيع المؤلفين بمنح جوائز دورية .

و — الفصحى والعامية .

ز — الخط العربي .

٤) ما يجد من اقتراحات :

أ — دراسة وسائل إصلاح لغة الاذاعات ودواوين الحكومات في البلاد العربية .	اقتراح قدمه المجمع العلمي العراقي
ب — البحث في إمكانية إنشاء مجمع لغوي عربي واحد يلحق بالجامعة العربية . ج — البحث في وضع قاموس عربي واحد يكون مرجعاً لأبناء الضاد بغية توحيد الألفاظ واللهجات .	اقتراح قدمه معالي وزير المعارف في الجمهورية السورية

أعضاء المؤتمر ولجانه

إدارة المؤتمر :

أقيم مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية تحت رعاية صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية .

انتخب معالي وزير المعارف السورية الدكتور عبد الوهاب حومد رئيساً للمؤتمر ، كما انتخب نواباً للرئيس معالي الأستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي ، ومعالي الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية ، والدكتور منصور فهمي كاتب سر مجمع اللغة العربية في مصر ، والأستاذ محمد بهجة الأثرى نائب رئيس المجمع العلمي العراقي . ووافق أعضاء المؤتمر على اقتراح قدمه الدكتور طه حسين بأن يكون نائب الرئيس العامل ، في غياب الرئيس ، هو الأستاذ خليل مردم بك رعاية للجهد الكبير الذي قام به سيادته والمجمع العلمي العربي في خدمة اللغة العربية وفي الإعداد لهذا المؤتمر .

ألف مكتب المؤتمر من الأمير جعفر الحسني أمين سر المجمع العلمي العربي والأستاذ عبد الهادى هاشم مدير دار الكتب الوطنية (الظاهرية) بدمشق والدكتور ناصر الدين الأسد من الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية والأستاذ ياسين الخانجي رئيس ديوان المجمع العلمي العربي .

وفود المؤتمر :

وفد الأمانة العامة لجامعة الدول العربية :

الدكتور طه حسين — رئيس اللجنة الثقافية الدائمة بجامعة الدول العربية

الدكتور رئيف أبي اللمع — الأمين العام المساعد للشؤون الثقافية

الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهد المخطوطات
الدكتور ناصر الدين الأسد مندوب الإدارة الثقافية والسكرتير الفني للمؤتمر

وفد مجمع اللغة العربية في القاهرة :

الدكتور منصور فهمي كاتب سر المجمع
الأستاذ ابراهيم مصطفى
الأستاذ أحمد حسن الزيات

وفد المجمع العلمي العراقي :

الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع
الدكتور جواد علي أمين السر العام للمجمع
الدكتور مصطفى جواد

وفد المجمع العلمي العربي في دمشق :

الأستاذ خليل مردم بك رئيس المجمع
الأمير مصطفى الشهابي نائب رئيس المجمع
الأمير جعفر الحسني أمين سر المجمع
الأستاذ فارس الخوري
الدكتور مرشد خاطر
الدكتور منير العجلاني
الأستاذ شفيق جبري
الأستاذ عارف النكدي
الدكتور أسعد الحكيم
الأستاذ محمد بهجة البيطار
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

الدكتور حسني سبح
الدكتور جميل صليبا
الأستاذ عز الدين التنوخي
الدكتور حكمة هاشم
الدكتور سامي الدهان

مراقبو الدول العربية التي لم يؤسس فيها مجمع :

المملكة الأردنية الهاشمية	الأستاذ علي حسن عودة
	الأستاذ قدري حافظ طوقان
المملكة العربية السعودية	الأستاذ خير الدين الزركلي
الجمهورية اللبنانية	الشيخ عبد الله العلايلي
المملكة الليبية المتحدة	الأستاذ نور الدين الشلبي
المملكة التونسية	الأستاذ أحمد عبد السلام

هذا وقد أوفدت منظمة (اليونسكو) السيد شفيق الشماس لحضور هذا المؤتمر ممثلاً لها .

لجان المؤتمر

١) لجنة الصياغة :

١ — الأستاذ محمد بهجة الأثري — عن المجمع العلمي العراقي
٢ — الأستاذ أحمد حسن الزيات — عن مجمع اللغة العربية في مصر
٣ — الدكتور جميل صليبا — عن المجمع العلمي العربي
٤ — الدكتور صلاح الدين المنجد — عن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

٢) لجنة تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع العربية :

آ — موضوعاتها :

١ — ما هي الوسائل التي يجب الأخذ بها لتنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال .

٢ — تأسيس اتحاد للمجامع العلمية العربية تكون له اجتماعات دورية ·

٣ — علاقة المجامع العلمية بوزارات المعارف ·

٤ — علاقة المجامع العلمية بالإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ·

٥ — تخصص المجامع العلمية العربية في بعض الموضوعات دون بعض ·

ب — أعضاؤها :

١ — الأستاذ خليل مردم بك
٢ — الدكتور طه حسين
٣ — الدكتور رئيف أبي اللمع
٤ — الدكتور منصور فهمي
٥ — الأستاذ محمد بهجة الأثري

٣) لجنة دراسة الوسائل الرامية الى ترقية اللغة العربية :

آ — موضوعاتها :

١ — بحث ماوصلت اليه المجامع العلمية الثلاثة من دراسة وسائل ترقية اللغة العربية ·

٢ — تبسيط قواعد اللغة العربية ·

٣ — الخط العربي ·

٤ — تيسير كتابة اللغة العربية ·

٥ — الفصحى والعامية ·

٦ — ما هو عمل وزارات المعارف والمجامع العلمية في تحقيق ذلك ·

٧ — إصلاح لغة الدواوين والإذاعة (اقتراح العراق) ·

ب — أعضاؤها :

١ — الدكتور عبد الوهاب حومد
٢ — الدكتور طه حسين
٣ — الأستاذ ابراهيم مصطفى
٤ — الأستاذ أحمد حسن الزيات
٥ — الأستاذ محمد بهجة الأثري
٦ — الدكتور مصطفى جواد
٧ — الأستاذ عارف النكدي
٨ — الأستاذ محمد بهجة البيطار

٩ — الأستاذ عز الدين التنوخي
١٠ — الأستاذ علي حسن عودة
١١ — الشيخ عبد الله العلايلي
١٢ — الأستاذ نور الدين الشالي
١٣ — الأستاذ أحمد عبد السلام

٤) لجنة تشجيع الترجمة والتأليف :

آ — موضوعاتها :

١ — الترجمة من العربية واليها .
٢ — تشجيع التأليف والترجمة في الموضوعات العلمية .
٣ — تشجيع المؤلفين بمنح جوائز دورية .
٤ — حركة الترجمة في البلاد العربية والدوائر الحكومية والمؤسسات الخاصة المعنية بذلك .
٥ — تنسيق الأعمال بين البلاد العربية في ميدان الترجمة في سبيل التعاون المثمر واتقاء تعدد الترجمات للأصل الواحد .

ب — أعضاؤها :

١ — الدكتور طه حسين
٢ — الدكتور رئيف أبي اللمع
٣ — الدكتور جواد علي
٤ — الدكتور منير العجلاني
٥ — الدكتور جميل صليبا
٦ — الدكتور حكمة هاشم
٧ — الأستاذ خير الدين الزركلي
٨ — الأستاذ أحمد عبد السلام

٥) لجنة المصطلحات العلمية :

آ — موضوعاتها :

١ — طرائق وضع المصطلحات العلمية وضبطها وكيفية توحيدها .
٢ — وسائل نشر ما يتقرر من المصطلحات العلمية .
٣ — وضع معجم أعجمي — عربي للمصطلحات العلمية .

ب — أعضاؤها :

١ — الدكتور رئيف أبي اللمع
٢ — الدكتور جواد علي
٣ — الأمير مصطفى الشهابي
٤ — الدكتور مرشد خاطر
٥ — الدكتور أسعد الحكيم
٦ — الدكتور حسني سبح
٧ — الدكتور جميل صليبا
٨ — الأستاذ قدري حافظ طوقان
٩ — الشيخ عبد الله العلايلي
١٠ — السيد شفيق شماس

٦) لجنة تحقيق المخطوطات ونشرها :

آ — موضوعاتها :

١ — إحصاء عام بالمخطوطات العربية التي لم تنشر بعد .
٢ — وسائل نشر أفضل المخطوطات العربية .
٣ — طرائق تحقيق المخطوطات العربية .
٤ — معهد المخطوطات العربية .

ب — أعضاؤها :

١ — الأستاذ خليل مردم بك
٢ — الأستاذ محمد بهجة الأثري
٣ — الأستاذ ابراهيم مصطفى
٤ — الدكتور مصطفى جواد
٥ — الأستاذ خير الدين الزركلي
٦ — الأمير جعفر الحسني
٧ — الدكتور صلاح الدين المنجد

برنامج المؤتمر

يوم السبت في ٢٩ /٩ /١٩٥٦

الساعة	١٠	اجتماع تعارف في المجمع العلمي العربي بدمشق .
الساعه	١١	التسجيل في القصر الجمهوري .
الساعة	٣٠و١١	زيارة دولة رئيس المجلس النيابي .
الساعة	١٢	زيارة دولة رئيس مجلس الوزراء .
الساعة	٣٠و١٢	زيارة معالي وزير المعارف .
الساعة	١٨	حفلة افتتاح المؤتمر في مدرج الجامعة السورية .

برنامج حفلة الافتتاح :

١ — كلمة فخامة رئيس الجمهورية السورية .

٢ — كلمة معالي وزير المعارف السورية .

٣ — كلمة اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية : الدكتور طه حسين .

٤ — كلمة وفد مجمع اللغة العربية في مصر : الدكتور منصور فهمي .

٥ — كلمة وفد المجمع العلمي العراقي : الأستاذ محمد بهجة الأثري .

المعرف : الأستاذ عبد الهادي هاشم

يوم الأحد في ٣٠/٩/١٩٥٦

الساعة	٣٠و٩	جلسة عامة يحضرها جميع الأعضاء تليها ندوة عامة تلقى فيها بعض الأبحاث	في مقر المجمع العلمي العربي
الساعة	١٢	اجتماع اللجان (عدا لجنة تحقيق المخطوطات ونشرها)	
الساعة	١٦	اجتماع لجنة تحقيق المخطوطات ونشرها	

برنامج الجلسة العامة :

١ — انتخاب رئيس المؤتمر وأربعة نواب للرئيس .

٢ — انتخاب لجنة الصياغة .

٣ — إقرار جدول الأعمال .

٤ — تأليف اللجان .

ملاحظة :

يرأس الجلسة العامة الأولى أكبر الأعضاء سناً إلى أن يتم انتخاب رئيس المؤتمر . ويلقي الرئيس بعد انتخابه كلمة عامة يبين فيها ما يلي :

الغرض من المؤتمر ، تنظيم أعمال المؤتمر ، شرح جدول الأعمال .

أبحاث الندوة :

أ — مجمع اللغة العربية بمصر بين الفصحى والعامية : للأستاذ أحمد حسن الزيات .

ب — الفصحى والعامية : للأستاذ عارف النكدي .

يوم الاثنين في ١ / ١٠ / ١٩٦٦

الساعة	٩٫٣٠ — ١١٫٣٠	ندوة تلقى فيها بعض الأبحاث	في مقر المجمع العلمي العربي
الساعة	١٢ — ١٣٫٣٠	اجتماع اللجان الثلاث الأولى	
الساعة	١٦ — ١٨	اجتماع اللجنة الرابعة (تحقيق المخطوطات ونشرها)	
الساعة	١٩	محاضرة عامة في مدرج الجامعة السورية يلقيها الدكتور منير العجلاني وموضوعها: أثر اللغة العربية في وحدة الأمة .	

أبحاث الندوة :

أ — تصنيف معجم عربي ـ انجليزي ـ فرنسي في المصطلحات العلمية : للأمير مصطفى الشهابي .

ب — الكتابة العربية : للدكتور منصور فهمي .

جـ — وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها: للدكتور مصطفى جواد .

يوم الثلاثاء في ٢ / ١٠ / ١٩٥٦

الساعة	٩و٣٠ — ١١و٣٠	اجتماع اللجان الثلاث الأولى	في مقر المجمع العلمي العربي
الساعة	١٢ — ١٣و٣٠	اجتماع اللجان الثلاث الأولى	
الساعة	١٦ — ١٨	اجتماع اللجنة الرابعة (تحقيق المخطوطات ونشرها)	

الساعة ١٨و٣٠ محاضرة عامة في مدرج الجامعة السورية يلقيها الدكتور طه حسين ، وموضوعها : اللغة الفصحى وتعليم الشعب .

يوم الأربعاء في ٣ / ١٠ / ١٩٥٦

الساعة	٩و٣٠ — ١١و٣٠	اجتماع اللجان الثلاث الأولى	في مقر المجمع العلمي العربي
الساعة	١٢ — ١٣و٣٠	اجتماع اللجان الثلاث الأولى	
الساعة	١٦ — ١٧و٣٠	اجتماع اللجنة الرابعة (تحقيق المخطوطات ونشرها)	

الساعة ١٨و٣٠ محاضرة عامة في مدرج الجامعة السورية يلقيها الدكتور منصور فهمي ، وموضوعها : مجمع مصر واللغة العربية .

الساعة ١٩و٣٠ اجتماع لجنة الصياغة .

ملاحظة :

تنتهي اللجان في هذا اليوم من وضع توصياتها ومقترحاتها ، على أن تقدم الى مكتب المؤتمر قبل الساعة ١٨ .

يوم الخميس في ٤ /١٠ /١٩٥٦

الساعة ١٠و٣٠ جلسة عامة لإقرار التوصيات والمقترحات	}	في مقر
الساعة ١٨ الحفلة الختامية	}	المجمع العلمي العربي

برنامج الحفلة الختامية :

١ — كلمة رئيس المؤتمر .

٢ — كلمة المجمع العلمي العربي بدمشق .

٣ — كلمة مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٤ — كلمة المجمع العلمي العراقي ببغداد .

٥ — كلمة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

حفلة افتتاح المؤتمر الاول

للمجامع اللغوية العلمية العربية

افتتح مؤتمر المجامع اللغوية العلمية ، في الساعة السادسة من بعد ظهر السبت في ٢٩/٩/١٩٥٦ في مدرج الجامعة السورية ، بكلمة ألقاها صاحب الفخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، ثم وليه معالي وزير المعارف السورية الدكتور عبد الوهاب حومد ، فمعالي رئيس اللجنة الثقافية الدكتور طه حسين ، فكاتب سر مجمع اللغة العربية في مصر الدكتور منصور فهمي ، وكانت كلمة الختام لنائب رئيس المجمع العلمي العراقي الأستاذ محمد بهجة الأثري . ونثبت في هذه الصفحة وما يتلوها نص الكلمات الملقاة .

كلمة فخامة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي

أيها الأساتذة المحترمون

إنه لمن بواعث الاعتزاز والفخر ، لهذه العاصمة العربية ، أن تكون هذا الأسبوع مع علماء اللغة والبيان ، كما كانت في الأسبوع الفائت ، مع الأدباء ورجال الفكر ، ملتقى أبناء العروبة الأخيار ، يتوفرون على قضاياهم بالبحث والدرس والمعالجة السديدة ، وينتهون الى مقررات ونتائج مباركة يعم خيرها الأمة العربية ، واصلة تليدها بطريفها ، وحاملة للأجيال مشاعل النهوض والإشراق .

إن هذه الأمة العريقة بأمجادها ، الحافلة بمآثر الإبداع في تاريخها ، الطامحة الى مستقبل يحلها مكانتها المرموقة ، في هذا العالم الذي منحته حضارة من أبدع

الحضارات وأرفعها ، لتعوّل كل التعويل عليكم أنتم ، وعلى جميع المخلصين الصادقين في أي حقل عملوا ، وفي أي ميدان جالوا ، من ميادين العلم والعمل . فالنهضة الكبرى التي غدت تمخض حياتنا من شتى جوانبها ، ويقوم لها بين أيدينا ألف دليل ودليل ، إنما هي بناء مشترك تتضافر عليه القوى الروحيـة والفكرية والطاقات المادية على السواء ، فلا ينهض ركن إلا على قاعدة ، ولا يرتفع صرح إلا على أساس وفكرة وعقيدة . واللغة العربية كما تعلمون أيها الأساتذة الأجلاء ، يجب أن تكون روح هذه النهضة الشاملة وقاعدتها ، كما كانت بالأمس ، وكما أراد الله تعالى أن تكون ، لغة الوحي والتنزيل الحكيم ، ورسالة الهدى والحق والصلاح للناس أجمعين .

ولقد صانت هذه اللغة الخالدة عروبتنا ، وحفظت وحدتنا ، وقارعت الغاصبين والطغاة في كل حي من أحياء العرب ، قروناً وأجيالاً ، ومشت الى جانب نضالنا القومي خطوة خطوة ، وهدفاً هدفاً ؛ وناجزها الاستعمار العـداء ، يوم شعر بخطر سيادتها وسلطانها ، فحاول اقتحام معاقلها ، وإذلال مناعتها ، وتهوين شأنها ، وتغليب العجمة عليها ، فكانت تجد في كل زمان ومكان ، رجالها الذائدين عنها ، المنافحين عن صحتها وسلامتها . وإننا اليوم لعلى يقين من أننا واجدون في هذه المجامع العلمية العربية التي تتنادى الى مؤتمرها هذا ، خير من يستطيع أن يعمل في سبيل تعزيز شأن هذه اللغة ، ودفعها الى المجالات الفسيحة حيث يجب أن تلتقي مع حاجات العصر وتطور الزمان ، بما تميزت به من سعة ومرونة ، وطاقة وقوة وبيان .

إنه ليسعدني أيها الأساتذة الأفاضل أن يكون لي شرف الكلمة في افتتاح مؤتمركم هذا ، وإني لعلى ثقة من أن أعمالكم ، في كل ما من شأنه تعزيز مجامعكم وتعاونها ، ونشر إنتاجها وتعميم نفعه ، ستكون جديرة بشرف الغاية التي من أجلها تجتمعون ، فليبارك الله أعمالكم ، والسلام عليكم .

كلمة وزير المعارف السورية
معالي الدكتور عبد الوهاب حومد

سيدي فخامة الرئيس

حضرات المؤتمرين الأجلاء

بالأمس اختتم مؤتمر الأدباء العرب جلساته ، في بلودان ، واليوم نفتتح باسم الله ، أول مؤتمر للمجامع اللغوية العربية ، في العاصمة السورية . وإنها لمصادفة رائعة أن يبدأ رجال اللغة أعمالهم ، فور انتهاء رجال الخيال من أعمالهم ، ونشر مقرراتهم وتوصياتهم .

وفي يقيني ، أن المهمتين متكاملتان ، فليس أدباً ، المعنى الرقيقُ المشرق ، إذا كان ثوبه مهلهلاً وسبكه ضعيفاً ، وليس أسلوباً ، المباني اللفظيةُ الجامدة ، ولو حسن رصفها واستقامت جملها ... فمن الأسلوب والمعنى معاً ، تتكون قيمة الأديب أو الشاعر الفنية .

ولكن للغة دوراً غير دورها في الأدب . إنها أداة للتعبير عما يخالج العقل ، والعاطفة ، والحواس . ولذلك كانت أداةَ الحياة الفكرية واليومية بشتى أنواعها وصورها . وهذا الشمول ، في دورها الحيوي والاجتماعي ، يعتبر تعبيراً قوياً عن أهمية هذا المؤتمر وعن الرسالة العظيمة الملقاة على كواهل حضرات المؤتمرين .

ولقد أحسنت الإدارة الثقافية في الجامعة العربية ، بتوجيه الدعوة لعقد هذا المؤتمر ، فعملت على تسهيل الاتصال بين المجامع العربية ، ليعمل أعضاؤها على دراسة الوسائل الرامية الى ترقية اللغة العربية ، وتشجيع الترجمة والتأليف ،

وبحث المصطلحات العلمية ، وتحقيق المخطوطات ونشرها . وهذه مجموعة ضخمة من المهمات الشاقة ، لها أعظم الأثر في ماضي لغتنا وحاضرها ومستقبلها .

ولكني أحب أن ألح على أمر هام في نظري هو أمر اللغة بذاتها . فاللغة ، ككل كائن حي ، تتطور ، متأثرة بتطور أساليب الحياة ، وهي في هذا مدعوة الى أن تقبل التجديد والتهذيب لتظل أداة واعية ، واقعية ، كافية . وقد وجهت منذ شهرين ، رسالة الى وزراء المعارف في البلاد العربية ، طلبت فيها العمل على دراسة الوسائل المؤدية الى تحقيق الأغراض التالية :

أولاً — إيجاد طريقة للكتابة ترسم فيها الألفاظ بصورة صحيحة ، لأن على قارئ لغتنا أن يفهم ليقرأ ، مع أن الأصل أن يقرأ المرء لكي يفهم .

وهكذا تظل بعض كلمات ، نتعلمها في صغرنا ، مغلوطة ، وكثيراً ما يظل غلطها يلازمنا في كبرنا ، حتى ولو صححت لنا .

ثانياً — تبسيط قواعد الصرف والنحو ، لتخرج اللغة عن كونها علماً من العلوم الشاقة ، لا تتفتح مغاليقه ، إلا لنفر مصطفى ، من ذوي الصبر الطويل ، على ألا يعطل هذا التبسيط عبقرية العربية ، التي جمعت تاريخنا ، وحفظت أمجادنا وطبعتنا بطابعنا الخاص بنا ، بين الأمم الحية .

ثالثاً — إمكانية وضع معجم موحد ، يأخذ من القديم ، ما صقلته الأيام ، وما نحن في حاجة اليه ، كما يأخذ من الحياة ، ما فرضته علينا الضرورة ، بعد تعريبه وصقله ، ليكون مرجع المراجع ، وحجة المحتج .

وقد استجاب لهذه الرغبة وزراء معارف مصر والعراق واليمن ، كما رحبت بها الأمانة العامة للجامعة العربية .

وها أنا ذا أضع بين أيديكم مشاكلنا ، لتجدوا لها الحلول التي ترتؤونها . وليس من شك ، في أن اللغة عنصر أساسي في تكوين القومية ، ونحب أن

يمكّن هذا العنصر الأساسي ، من القيام بأداء عمله على وجه صحيح حاسم ، فعملكم إذن عمل قوميّ بنّاء .

ولا بد من الإشارة الى أننا ننظر نظرة فيها كل الحذر والجزع الى اللغة العامية ، ونعتبر تعهدها ورعايتها ، في أي قطر من الأقطار العربية ، خطراً يتهدد تراثنا وحاضرنا ، ونرى من واجب الحكومات أن تكافحها وهي في المهد ، قبل أن يستفحل شرها .

إن المهمة شاقة عسيرة ، ولكن لا بد من مواجهتها ، عاجلاً أو آجلاً ، واني ، وأنا أجيل الطرف بين المؤتمرين ، فأرى فيهم النخبة الممتازة من فحول اللغة ، وسادة البيان ، وجبابرة العقول ، لأشعر بثقة وارتياح ، حين أضع بين أيديكم مشكلة من أدق وأصعب مشكلاتنا ، لعلكم تجدون الحلول المعقولة ، وبذلك تقدمون لأمتكم العربية أجلّ خدمة ، وتنقذون الأجيال الصاعدة من أكبر الصعوبات ، وانكم لقادرون على حمل العبء ، وأكفاء لأداء الرسالة ، والله سبحانه أسأل ، أن يأخذ بيدكم ، ويجعل التوفيق حليفكم ، ومرحباً بكم في قومكم وبلادكم .

كلمة رئيس اللجنة الثقافية في الجامعة العربية

معالي الدكتور طه حسين

سيدي فخامة الرئيس

لفخامتكم وللحكومة السورية الرشيدة وللشعب السوري العظيم ، أقدم أصدق الشكر وأعمقه ، وأخلصه وأصفاه ، لهذه الضيافة الكريمة التي يلقاها كل عربي حين يصل الى هذه البلاد الكريمة . وأقدم هذا الشكر بنوع خاص لفخامتكم ، وأعتقد أن كل عربي إنما ينظر اليكم على أنكم الممثلون أروع تمثيل وأصدقه وأرقاه لشعب عظيم كهذا الشعب السوري ، الذي تحبه كل القلوب العربية وتهوي إليه . واني لأسعد الناس حين يتاح لي هـذا الشرف العظيم بأن أهدي إلى فخامتكم وإلى حكومتكم وإلى الشعب السوري كله ، تحية الجامعة العربية ، وتحية أمانتها العامة . وما أرى إلا أني أهدي تحية العرب إلى موطن العروبة ، وأهدي تحية العرب كما ينبغي أن يكونوا ، إلى الوطن العظيم الذي هو أجدر الأوطان العربية بأن يكون موئل العروبة وحاميها ، والذي يرْجَع إليه كلما اشتاقت نفوسنا وعقولنا إلى أنْ ترى العرب والعربية القديمة التي نحبها ونكلف بها ، كما أرادت أن تراها حية تملأ الأسماع وتملأ العقول والقلوب بهجةً وروعةً وجمالاً .

ولا بدّ من أن يُردّ الحق إلى أهله ، ولا بدّ من أن أستأذن فخامتكم في إشارة موجزة إلى تاريخ التفكير في عقد هذا المؤتمر ، وأول تفكير في عقد هذا المؤتمر إنما كان في اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية ، وكان الفضل فيه لممثل سورية العظيمة ، في ذلك الوقت كان الزميل عبد الهادي هاشم يمثل سورية في اللجنة الثقافية ، وكنا نجتمع في جدة ، فهو الذي أوحى إلينا بهذه الفكرة ،

ولا غرابة في هذا ، فما رأيتُ إلى اليوم على طول ما عاشرتُ السوريين ، وعلى كثرة من لقيتُ منهم في سورية وفي خارج سورية ، في البلاد العربية وفي خارج البلاد العربية ، ما رأيت أحداً كالسوريين لا ينسى العروبة ومجد العروبة ومستقبل العروبة . ما رأيت أحداً كالسوريين يذكر هـذا دائماً ويستصحبه في حله وترحاله ، يفكر فيه كما يفكر في نفسه ، فالعروبة جزء مقوّم لكل عقل سوري ، وجزء مقوّم لكل قلب سوري ، وجزء مقوّم لكل ذوق سوري أيضاً . كان الذي أوحى إلينا بالتفكير في هذا المؤتمر رجلاً من رجال سورية ، فكان من الطبيعي أن يكون عقد أول مؤتمر للمجامع العلمية في مصدر التفكير فيه ، في دمشق مهد العروبة وعاصمتها ، عاصمتها العظمى ، عاصمتها الصافية التي صفت فيها العروبة من كل شائبة ، وخلصت فيها العروبة للعرب ، لم يشاركهم فيها أجنبي ، ولم يزاحمهم عليها دخيل من أي مصدر من المصادر ، لم يكن بد من أن نؤدي الحق الى أهله ، ومن أن يكون تفكيرنا في عقد هذا المؤتمر متجهاً قبل كل شيء إلى مكان انعقاده ، وأن تكون دمشق الحبيبة إلى قلوبنا جميعاً هي أول موطن لهذا المؤتمر ، ومن يدري ، لعل الأيام ولعل التجربة التي سنمارسها في هذه الأيام القليلة أن تجعل مدينة دمشق خير مركز دائم لاجتماع هذه المؤتمرات التي ستكون بين المجامع العربية . وهناك مزية خاصة لدمشق ، فمجمعها العلمي الموقر هو أول المجامع العربية وجوداً ، وأشدها نشاطاً ، وأخصبها انتاجاً ، وأعظمها تأثيراً في حياة اللغة العربية الحبيبة ، وأقدرها على إحياء التراث العربي القديم ، نتخذه في كل هذه الأشياء مثلاً ونموذجاً ، ونطمع في أن نسير في إثره ، ونطمع في أن نصنع صنيعه ونقتدي برجالاته من زعماء العروبة وأعلام البيان . وفضل هذا المجمع ليس عظيماً على العالم العربي وحده ، ولكنه عظيم على كل الذين يُعْنَوْن باللغة العربية في بلاد العرب وخارج بلاد العرب ، في أوربا وفي أمريكا ، فليس هناك مستشرق يعنى باللغة العربية يستطيع أن يستغني عن هذه النتائج الخطيرة لهذه الجهود الخصبة التي يبذلها أعلام العربية

في مجمع دمشق العلمي . وله علينا نحن في مصر فضل عظيم ، مهما نقُل فلن نؤدي حقه من الشكر والاعتراف بالجميل ، فمنذ وجد مجمعنا اللغوي شارك فيه أعضاء من مجمع دمشق ، شارك فيه أساتذة كرام ، سبق بعضهم الى جوار الله عز وجل ، وبقي بعضهم ، وسيضاف إلى من بقي منهم سادة آخرون من هؤلاء العلماء أطال الله بقاءهم ، وأعانهم على ما يبذلون من الجهد . وإني لأنتهز هذه الفرصة فأذكر في كثير من الحب ، وفي كثير من الوفاء ، وفي كثير من الإخلاص والشكر ، أذكر زميلين عظيمين من مجمع دمشق ، أعانانا وشاركا في أعمالنا في المجمع اللغوى المصري ، وهما الأستاذان الجليلان رحمهما الله محمد كرد علي وعبد القادر المغربي ، إلى روحيهما الكريمين أهدي باسم المجمع اللغوي المصري ، وباسم العروبة كلها ، أصدق التحية ، وأسأل الله أن يشملها برحمته وروحه .

أما بعد ، فيا صاحب الفخامة ، عندما فكرت الجامعة العربية ولجنتها الثقافية وإدارة الثقافة فيها في عقد هذا المؤتمر ، فكّرت وهي تشعر بأنه سيجد من فخامتكم ومن الشعب السوري رعاية لا تعدلها رعاية ، فأنتم حماة العروبة ، وأنتم العاطفون عليها ، الناهضون بأثقالها ، المجاهدون في سبيلها ، وقد تفضل صاحب المعالي وزير المعارف ، وذكر بعض المشكلات التي تعرض في اللغة العربية الآن ، وأقول المشكلات ، ولا أقول الأخطار ، إيثاراً ، للقصد ، وإن كنت أومن في أعماق نفسي بأن اللغة العربية لم تتعرّض قط لخطر كهذا الخطر الذي تتعرض له الآن ، هي قد قهرت كثيراً من المشكلات التي عرضت لها ، وقهرت جهوداً ضخمة للمستعمرين في العصور القديمة وفي العصور الحديثة ، لم يستطع سلطان الفرس ولا سلطان الترك ولا سلطان الأوربيين أن يقضي عليها . وإنما خرجت من هذه الغمرات كلها ظافرة منتصرة ، وهي الآن تتعرض لخطر لا يأتيها من الأجنبي وحده ، وإنما يوشك أن يأتيها من بعض أبنائها الذين يقصّرون في درسها ،

ويقصرون في تقريبها إلى العقل الحديث ، ويقصرون في تمكينها من أن تكون لغة للتعليم العام الذي فرض على الشعب كله ، بعد أن كان التعليم لا يتاح إلا لقلة قليلة من الناس ، والذين يفرضون التعليم العام على الشعب كله ويرونه واجباً يعاقب من قصر فيه ، يجب أن يتخذوا إلى هذا التعليم العام وسائله ، وأول هذه الوسائل وأقواها وأبقاها وأقومها وأشدها خطراً إنما هي اللغة . فاذا لم نتح للغتنا العربية الفصحى أن تكون حقاً لغة التعليم ، ولغة التعليم الشعبي الذي يفرض على كل إنسان ، لم نقصر في ذات اللغة وحدها ، وإنما قصرنا في ذات الأمة العربية كلها ، وقصرنا في ذات الحياة المستقلة الكريمة التي نطمع فيها ، ونطمح إليها ، ونجاهد في سبيلها ، وقصرنا في شيء لا ينبغي لمسلم أن يقصر فيه ، وهو حماية القرآن الكريم ، من أن يأتي عليه يوم لا يستطيع أبناء العروبة من المسلمين أن يقرأوه ، وإنما يجب أن يترجم إليهم كما يترجم للأجانب ، هذه مشكلة في غاية الخطورة ، مشكلة حياة أو موت لهذه اللغة التي هي لغة القرآن ولغة أمة تريد أن تعيش كريمة ، فأول واجب على هذه الأمة وعلى حكوماتها خاصة ، هو أن تتيح لهذه اللغة ما يمكنها من أن تكون لغة الشعب حقاً ، ولغة التعليم في المدارس حقاً ، ولغة الذين ينشأون والذين يحاولون في هذه الأيام أن يتخذوا العامية لغة للكتابة ، ويحاولون أن يعرضوا اللغة العربية لما تعرضت له اللغة اللاتينية من قبل ، يريدون أن يجعلوا في العالم العربي بلاداً مختلفة تتكلم لغات مختلفة ، بحيث إذا كتب السوري ترجمت كتابته للعراقي والمصري والافريقي وعلى هذا النحو .

سيدي فخامة الرئيس .

أؤكد لفخامتكم أن هذا الخطر جدير أن تنظروا إليه نظرة من هذه النظرات التي عودتم العالم العربي أن تنظروها عندما يجد الجد ، فاذا الغمرات ينجلين ، وإذا المشكلات تنحل ، وإذا الصعب يهون ، إني عندما أتحدث إلى فخامتكم

في هذا ، أتحدث الى عربي صميم لا يؤثر شيئاً كما يؤثر العروبة ، وأتحدث إلى شعب عربي صميم مستعد للتضحية بالحياة ، وبكل شيء في الحياة ، لحماية هذه العروبة ، وقد بلغت فاشهدوا أني أقول : إن اللغة العربية في هذه الأيام معرضة لخطر عظيم يأتيها من أبنائها أحياناً ، ويأتيها كذلك من الأجنبي المغير ، المغير بعلومه ، المغير بلغاته ، المغير بحضارته ، وقد تلقينا فيما مضى من الزمان حضارات الفرس والهند واليونان ، فلم تُفْسِدْ لغتنا ، وإنما أسغنا هذه الحضارات وجملناها حضارتنا ونشرناها في أقطار الأرض ، وفرضناها فرضاً على الإنسانية ، فما بال الحضارات الحديثة توشك أن تفرقنا ، وتوشك أن تفسد لغتنا ، ونحن ننظر وكأننا لا نرى ، ونحس وكأننا لا نجد في قلوبنا أثراً لما نحس ، من أجل هذا كله فكر الزميل السوري في اجتماع مؤتمر للمجامع العلمية ، لأجل أن تتعاون هذه المجامع على تنسيق أعمالها ، وعلى الاتصال الدائم بينها فيما تبذل من جهد وما تبذل من نشاط ، وفي التعاون على تقوية اللغة العربية ، وصيانتها لا من أن يتسرب إليها الدخيل بين حين وحين ، بل من أن تتعرض لخطر الزوال ، ومن أن تصبح لغة ميتة ، كما قيل بالفعل على لسان كاتب من كتاب شمالي افريقية غلبته فرنسة وغلبه الاستعمار الفرنسي على لغته ، فأصبح لا يكتب إلا بالفرنسية ، وأعلن ذات يوم في بعض كتبه أنه لا يكتب باللغة العربية لأنها لغة ميتة .

سيدي فخامة الرئيس

إلى رؤساء الدول العربية ، وإلى حكومات البلاد العربية ، وإلى الشعوب العربية كلها ، وإلى الشعب السوري خاصة ، ألجأ باسم اللغة لتحمى من أن يقال عنها في يوم من الأيام إنها لغة ميتة ، من أجل هذا كله لم تتردد اللجنة الثقافية ، في قبول الاقتراح الذي تقدم به الزميل السوري ، ولم يتردد مجلس الجامعة العربية في إقرار هذا الاقتراح ، ولم تتردد الأمانة العامة في الدعوة إلى هذا المؤتمر وفي وضعه تحت رعاية فخامتكم ، وفي وضعه تحت رعاية الشعب السوري العظيم ، فباسم هؤلاء جميعاً أجدد لفخامتكم ، ولوزير المعارف ، وللشعب السوري أصدق الشكر وأخلصه وأصفاه .

كلمة كاتب سر مجمع اللغة العربية في مصر

الدكتور منصور فهمي

سيدي فخامة الرئيس

في الوقت الذي كنت أتهيأ فيه لمغادرة مصر بلدكم وبلدي ، إلى سورية الشقيقة بلدي وبلدكم ، كانت تحوك في نفسي رؤى كثيرة ومتنوعة ، منها ما يومض من خلال الماضي في أروع صوره وذكرياته ، ومنها ما يلوح من الحاضر في أشرف آماله وأشرق بسماته ، ولعل سائلاً يسأل عما كان يسيطر على نفسي من هذه الرؤى منذ أخذتُ في إعداد عدتي في الأسبوع الفائت ، لكي أشهد هذا المؤتمر ، وأحظى بشرف رؤيتكم ولقائكم في هذا الجمع الحافل الكريم . وإنه ليتعذّر عليّ ، في هذا الموقف المحدود الذي يخصّص لتقديم مظاهر الإجلال والتحية ، أن أحصر تلك الرؤى ، لما فيها من كثرة ، ولما فيها من تنوّع ، لكنها على الرغم من كثرتها وتنوّعها فانها تلتف وتتجمع حول معنى الكفاح الدائم والجهاد الموصول من أجل العروبة ، وما ينبغي أن يكون لها من عزة وكرامة - على أن تلك الرؤى جميعًا ، وإن تنوّعت وتعدّدت ، فإنها تستقرّ في إطار من الإيمان والمثالية والوطنية ، ومعها الأمل الذي يتلألأ دائمًا في حياة كل أمة ناهضة .

ولا إخالني أنظر في هذه اللوحة الجميلة يا فخامة الرئيس ، دون أن يتجلى لي وجهكم الكريم في إشراقه ، وحوله وجوه ناضرة من ممثلي أمتكم ورجال حكومتكم . وإذا كان نصيبي من العمر وحظي من السن أيها السادة ، قد

مكّنا لي من معرفة هذا الوجه النبيل في مطلع شبابه وفتوته ، فإن تلك السمات والصفات ما زالت نامية وموصولة بما يتحلّى به الرئيس العظيم من همة وعزيمة وحكمة . على أن هذه اللوحة التي قيدت خاطري بما فيهـا من ذكريات الماضي وجهود الحاضر ، وبما فيها من ضروب الجلال وألوان النضال ، تقترن بلوحة أخرى ، تقترن بلوحة حبيبة إلى قلوب العرب أجمعين ، تبدو فيها ثورة لمصر ، ويبرز من بين ألوانها وجوه ثوارنا ، ومن بينهم يتألق وجه زعيمهم وزعيمنـا ، ورئيسهم ورئيسنا عبد الناصر ، يتجلى وجه عبد الناصر الذي آخاكم في الله يا فخامة الرئيس ، آخاكم في الله من أجل العروبة وعزة العرب وحقهم جميعاً من الرفعة والمجد وعلو المكان . وما أكثر ما تراءت مع تلك اللوحتين المقدستين العظيمتين ، صور كريمة لمن اجتمعوا على أرض العروبة ولأغراضها السامية ، صور لأكرم ممثليها من رجال العرب وأولي الأمر منهم ، وما أكثر ما مر بالخاطر من صور الأصدقاء والزملاء والعلماء ، ممن عمرت حياتهم بالعمـل للعروبة ، وكلهم يستوجب عليّ إعجابي وصلواتي ودعواتي ، في كل شبر قطعتهُ من أرض مصر وسمائها ، وفي كل مسافة مررتُ بها ، من رُبى لبنان ، إلى أن تنسمتُ أريج الفيحاء من عاصمة الأمويين وعاصمتكم العامرة . وإذا كانت معاني العروبة قد غمرت نفوس العرب ، من قضاء الله ومبررات التاريخ والوشائج ، وما أودع في صدور أبنائها من الجاذبية التي تشد بعضهم لبعض ، وبما أودع في أرضها من الإمكانيات التي يتحقق بها التكامل والقوة ، فإن ما تفجّر من جهودكم يا فخامة الرئيس ، من الينابيع الفياضة لخدمة العروبة ولإروائها ، قد وصل منه الشيء الغزير إلى لغة الضاد ومجامعها ، فوجدت جامعة الدول العربية في عاصمتكم رحباً وسهلاً ليعقد فيها أول اجتماع لمؤتمر المجامع اللغوية ، لمؤتمر مجامع اللغة التي فيها غذاء للروح ، ومنها وفيها مرفقنا العظيم الذي يمدنا بمثله العليا ومشخصاتنا

النفسية والقومية الكريمة . ولقد وضع ذلك المؤتمر بين أيدي علمائكم الأعلام ، وهي أبدي تحرص كل الحرص على سلامة هذا المرفق ، وجديرة بوقايته من كل سوء يضعفه ، لأن في اللغة حبل العروبة المتين الذي لا يتراخى ، وفيها العروة الوثقى التي ليس لها انفصام . وإني باسم مجمع اللغة العربية في مصر ، وباسم المهتمين بها من عرب مصر ، وباسم زملائي الوافدين معي ، أتقدم بأطيب الأماني لنجاح هذا المؤتمر ، الذي شملتموه ، يا فخامة الرئيس ، بعنايتكم المباركة ، وأسأل الله أن يكتب لكم ولرابطة العروبة كل فوز وتوفيق ونجاح وسؤدد .

كلمة نائب رئيس المجمع العلمي العراقي
الأستاذ محمد بهجة الأثري

صاحب الفخامة رئيس الجمهورية

اني يا صاحب الفخامة ، وأنا أنوب عن وفد العراق في مؤتمر المجامع اللغوية العلمية ، لتحيتكم وتحية هذه الهالة المحيطة بكم من علية الشام وصيابة العرب ، لأجدني في قرارة نفسي سعيداً أي سعيد أن أمثل العراق في هذا المؤتمر العتيد ، وأن أمثل بين يديكم في مناسبتين قوميتين خطيرتين ، في طرفي أسبوع واحد ، لأشكر لكم رعايتكم البالغة لهذه المواسم القومية المتصلة ، الحالية بالجمال ، والحافلة بالجلال .. في هذه البلدة الطيبة المتوهجة الفاتنة الخلوب .. هذه البلدة العربية النجار ، الكريمة ، الحبيبة الى قلب كل عربي .. سليلة بردى وقاسيون ، وبنت النسبين السيف والقلم ، والمجدين الطارف والتالد .. دمشق .. دمشق التي أشبلت على العروبة منذ أزل الآباد ، وعلى الاسلام منذ تلقته في عنفوان شبابه بصدرها الرحب راضية به مطمئنة اليه . فكانت ثانية عواصم الدولة العربية في عصرها الزاهر الزاهي ، كما كانت اليوم قلب العروبة النابض بالحياة والفتوة والوثوب والطماح ، ومصدراً من مصادر عزتها في هذا العصر .

وهل من غرابة أن تحتشد في دمشق اليوم كل مظاهر هذه الحياة والفتوة والوثوب والطماح ، وأن تلتقي على صعيدها الطيب أعلام هذه الشعوب العربية ما بين ذراعي المشرق والمغرب ، في السياسة والجهاد ، وفي الأدب والحياة ، وفي اللغة والفكر ، ليدفعوا جميعاً هذه الفورات الجياشة من الرغبات القومية المتحفزة الى الذروات الى جبهة الفلك ، والى المربأ الأشم الذي يعده الله للمجاهدين الصابرين ، ويورثه عباده الصالحين !

لقد انتصرت العروبة الإيجابية البانية في مؤتمرها الشعبي السياسي في دمشق ، بما صدر عن المؤتمرين فيه من وحدة الشعور ووحدة الرأي ووحدة الدعوة ووحدة التصميم على المضيّ الى النهاية ، في النهج اللاحب من آمال الأمة العربية المنفسحة ما بين الأطلسي وتخوم فارس ، في إنشاء الدولة العربية الكبرى ، وهي كائنة لا ريب فيها ، لأننا نريدها ، والله من وراء إرادتنا .

وانتصرت العروبة الايجابية البانية ثانية في مؤتمر الأدباء العرب في بلودان ، بما ظهر واضحاً جلياً غير متكلف ولا مصنوع ، من اتفاق الأدباء العرب على وجوب تجنيد أقلامهم وأفكارهم في سبيل تحقيق هذا الطماح القومي الى تكوين الدولة العربية الكبري ، لتكون هذه الملايين التي تحيا تحت رايتها قوة إيجابية بانية ، مع القوى التي تعمل على تجديد شباب الحضارة المشتركة ما بين مطلع الشمس ومغيبها من آفاق الدنيا .

وستنتصر هذه العروبة ثالثة من غير شك ، في هذا المؤتمر : مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية .

وفي يقيني ان ستبلغ هذه المجامع غايتها مما تنادت اليه من أمر هذا الاجتماع ، لأن كل أسباب التوفيق موفورة في أنفسنا وعزائمنا ، وموفورة في وسائلنا وفي تأييد الدوله بما تسمح به من حرية العمل وبما توفره من وسائل الانتاج ، وان كنا نطمع منها في أكثر من هذا ، ونطمع أن تسير معنا قدماً الى غاية أبعد ومدى أنأى .

ولقد سعينا جاهدين لإدراك هذا كله ، فوجدنا الاستجابة اليه من حكوماتنا ومن جامعة الدول العربية فيما سعينا اليه وابتغيناه .

ولقد نسب الى هذه الحكومات التقصير في مؤازرة الأدب والعلم ، واللغة والفكر ، فاستطاعت ثلاث حكومات منها أن تنفي عن أنفسها التهمة حين استجابت الى حد ما لمطالب العلماء ، وهيأت لهم هذه المجامع اللغوية العلمية ، وانه ليرجى أن يتهيأ للحكومات الأخرى من أسباب الانشاء ما تستطيع به إقامة مجامع مماثلة في ديارها .

ثم نسب الى هذه المجامع شيء غير قليل من مزاعم التخلف والابطاء ، وما بها شيء من ذلك ، ولكنه الطموح ، طموح الأمة العربية وشبابها الى الذروة ، من طبيعته أن يطلب الكثير ولا يقنع بما يقدم اليه بالغاً ما بلغ من الكثرة والقوة ، وقد يطلب أن يعد له في اللحظات القصار ما لا يمكن أن يتكون ويتكامل إلا في السنين الطوال . وأنا أحب أن أسمع الكثير الكثير من هذا ، ليكون ذلك حافزاً في جملة الحوافز للانبعاث أكثر وأكثر . على أن ما يعتلج في نفوس العلماء القائمين على هذه المجامع من حب الارتقاء السريع وإراداته ، هو أكبر مما يعتلج من الرغبات الكريمة في نفوس البعيدين عن ممارسة مثل أعمالهم ، وعن معرفة طبيعة العلم وما يتطلبه الانتاج العلمي السليم من الأناة والتثبت والاطمئنان ، ومن هنا نشأت فكرة عقد هذا المؤتمر عندهم ، وأيدت الحكومات العربية ـ مشكورة ـ عقده في عاصمة الشام .

لا خلاف في أن التقاء رغبات علماء اللغة والحكومات العربية عند هذا المطلب القومي الخطير ، واشتراكها جميعاً في تقدير أثر اللغة وخطورتها في ازدهار النهضة ، مظهر عظيم لارتقاء الفكر العربي ، وتطور المفاهيم عنده في هذه الأيام ، يبشر بالخير الكثير والنفع العظيم من غير شك . لقد استجابت هذه اللغة العبقرية العلوية ابان نهضة العرب العظمى ، لمطالب الانسانية ومطالب الحضارة وغاياتها ، كما ينبغي لمثلها أن يستجيب ، فوسعت كتاب الله وهو المعجزة الخالدة لفظاً وغاية ، وأرضت الأحاسيس المرهفة عند الشعراء والأدباء ، كما أرضت مطالب العلم والفلسفة والفن والسياسة والاجتماع والعمران ، كما ارضت الشرائع والقوانين ، ونهضت بكل ما تطلبته مقومات الحضارة من النقل عن اليونان والفرس والهند وغيرهم من الأمم .

وستستجيب لهذه الحضارة العتيدة ، كما استجابت لأختها من قبل ، حين نصدق العزم في النهوض ، وإنا لصادقون من غير شك ، وإنا لجادون من غير شك ، في ضمائرنا الصدق والجد والإخلاص ، وفي نفوسنا القدرة والارادة والعزم ، ومن إرادتنا تجديد شباب هذه الأمة العظيمة ، ومن وراء إرادتنا إرادة الله وتأييده .

المحاضرات العامة

أثر اللغة العربية في وحدة الأمة

ألقى معالي الدكتور منير العجلاني عضو المجمع العلمي العربي، في مدرج الجامعة السورية في الساعة السابعة من بعد ظهر الاثنين ١/١٠/١٩٥٦، المحاضرة التالية في (أثر اللغة العربية في وحدة الأمة):

سادتي

قيل لديوجانس: متى تطيب الدنيا؟ قال: إذا تفلسف ملوكها وملك فلاسفتها.

ونترجم هذه الكلمات الى لغة عصرنا الديموقراطي فنقول: إنما تطيب الدنيا متى تأدب حكامها وحكم أدباؤها.

ونترجم هذه الكلمات مرة ثانية بلغة العقل، فنخرج بهذه النتيجة: الأدب الرفيع يصنع حكماً صالحاً، والحكم الصالح يصنع أدباً رفيعاً.

أفلم تروا الى هذا التعاون الجميل، بين أدب يهذب الحكم وبين حكم يبارك الأدب.

مضى زمان كان فيه الملوك أسياداً يسيطرون، والأدباء عبيداً يتمدحونهم ويتملقونهم ويستجدونهم. وليس شيء أضل اليوم من قول المتنبي:

وفؤادي من الملوك وإن كا ن لساني يرى من الشعراء

إن زماننا هذا زمن المساواة والأخوة والحرية، واليوم ندرك أن العالم والحاكم والأديب والعامل مواطنون متساوون في الكرامة، فان تفاضلوا فانما يتفاضلون بالفكر النير والعمل الخير، وكل سيد بمعنى وخادم بمعنى.

ولعل الذين يعرفون حقائق الديموقراطية ، وخوف النائب من الناخب ، يسلمون معي بأن الشاعر والكاتب ، أسود من الوزير والنائب ·

في ظل الأدب الكريم ، والحكم القويم ، اجتمعنا في دمشق ، نتدارس الوسائل التي تحفظ لغتنا ، وتقويها ، وتزيد في جمالها ونضرتها ، بقطرات نضعها في دمها ، وهزات نثيرها في أعصابها ، ليفيض جمالها من الداخل معبراً عن قوة الشباب فيها ، لا بأدهان وألوان نسكبها على بشرتها وكأنها تقول : هذه خطوة جديدة في طريق المرض والشيخوخة ·

سادتي

إن عملكم ليس عملاً أدبياً فنياً خالصاً ، ولكنه كذلك عمل قومي ، أو هو عمل قومي عظيم لأنه عمل أدبي عظيم ، إنكم اليوم مثل الحكام وأكثر ، تضعون أسس الدولة العربية الكبرى ، فليس أحد يستطيع التفريق بين حياة اللغة وبين حياة الأمة ، أو بين مستقبل اللغة وبين مستقبل الأمة ·

والآن أستأذنكم في كلمة ألقيها ، حول أثر اللغة التي تتعهدونها وتتوفرون عليها ، في وحدة الأمة ، وهو موضوع جليل ، فوق طاقتي أن أحيط به ، وفوق جراتي أن أعالجه أمامكم ، ولكني ذكرت كلمة للرئيس هريو ، ثبتتني في هذا الموقف الرهيب ·

قال هريو في بعض مجالسه : ما أجد في القوم أسعد مني حظاً ، فرجال السياسة يترفقون بي ، يزعمون أنني أديب ، ورجال الأدب يرفقون بي ، يقولون هذا سياسي ما استطاعت السياسة أن تميت قلبه ، ولا استطاع الحكم أن يسلبه أدبه ·

لقد شاء لي القدر أن أحب الأدب ، وأعمل في السياسة ، وأدرس القانون في الجامعة ، فان بدت لكم مقاتلي في الأدب التمستم لي عذراً في هذه المشاركة ، ولعل موضوعي الذي تخيرته لكم ، أكبر شفيع لي عندكم ، فهو مزيج من الأدب والقانون ·

أثر اللغة في وحدة الأمة

هذا هو الموضوع ، وسأحدد لكم قبل الدخول في الأساس ، كما يقول المحامون ، معنى الأمة .

الأمة ، في اللغة ، الجيل من كل حي وجنس ، وجماعة أرسل اليهم رسول ، فيقال مثلاً : أمة محمد ، والنسبة اليها – قومي – لا – أمي – ، حتى لا يقع الالتباس وينصرف الذهن الى الأمي بمعنى الجاهل .

أما الأمة في اصطلاح العلماء ، علماء الفقه الدستوري ، فان لها معنى مخصوصاً .

يقول العلامة ريدسلوب : ان تعريف الأمة عمل شاق عسر . وإن تسهل فهو ضار خطر ، لأنه انما يعني إفراغ حقيقة مركبة ، متموجة ، سيالة ، في قالب جامد ، ضيق .

لذلك رأى ريدسلوب ، وتابعه على رأيه كثيرون ، الاكتفاء بتعداد العناصر أو الأركان التي تتكون منها الأمم ، مع التنبيه على أن الأمة هي ، قبل كل شيء ، اعتقاد جماعة من الناس أنهم أسرة واحدة ، تلفهم عبقرية واحدة .

أما « مانتسيني » الايتالي فقد عرّف الأمة ، ولعله أول من عرفها ، بأنها جماعة من الرجال ، قادتها وحدة الأرض والأخلاق واللغة الى وحدة الحياة والوعي الاجتماعي .

كان هذا التعريف أساس كل التعاريف التي جاءت بعده ، ولكن الفيلسوف الافرنسي رينان صنع للأمة تعريفاً شعرياً سحرياً ، أنسى الناس مانتسيني تماماً ، فانطلقوا يتحدثون بتعريف رينان وحده .

يقول لنا رينان : إن الأمة روح أو عقيدة يصنعها عنصران : عنصر من الماضي هو تراث مشترك من الذكريات ، وعنصر من الحاضر هو الرغبة في الحياة المشتركة وفي حفظ الإرث المشاع وحياطته .

ليست الأمة عند رينان الجنس ولا الدين ولا الأرض ولا اللغة ، ولكن الأمة هي الأفراح المشتركة والآلام المشتركة والآمال المشتركة والأهداف المشتركة والرغبة في الحياة المشتركة ، انها أسرة كبيرة ، ولكنها ليست أسرة جمعتها المصاهرة ، إنما هي أسرة جمعتها قرابة الروح ، لم ترتجل ارتجالاً ولم تفرض فرضاً ، وإنما صنعها تاريخ طويل متصل استدامها ويستديمها ، إنها تريد أن تبقى هكذا لأنها لا تريد ولا تستطيع أن تريد لنفسها حياة مشتركة غير حياتها .

أحب علماء القانون أفكار رينان ، وأخذوا عنه فكرة الرغبة في الحياة المشتركة ، ولكنهم أبوا إلا أن يعدوا العناصر التي تتفاعل فيما بينها فتوجد هذه الرغبة في التعايش ، وإن كانوا يسلمون بأن هذه العناصر مجتمعة في كل أمة ، ولكن وجود طائفة منها في كل أمة أمر لا بد منه .

سأذكر لكم هذه العناصر لتعرفوا مكان اللغة بينها ، وهو عندي مكان الصدارة ، ولكنني أحب ، قبل ذلك ، أن أنثر بين أيديكم مصطلحات متقاربة أو متجاورة في ترتيبها المكاني يلتبس أمرها على الخاصة ، فضلاً عن العامة ، حتى تكون معالجتنا لموضوعنا معالجة المتثبت المطمئن .

الدولة ، الحكومة ، الأمة ، الشعب ، تعابير تتشابه على القوم ، فتسمع الرجل يقول : قررت الدولة اليوم كذا ... والأمة عندنا مجمعة على كذا . نسمع هذا فلا نستغربه ، ولكن رجل الفقه الدستوري ينكره كل الإنكار ، ولو عُرف المحتسب في الزمن الحاضر لسأله أن يعزر صاحبه ويشهره ، حتى يعتبر به الناس ، ويتناهوا عن خطأ وقع فيه .

الدولة ، في المذهب الافرنسي هي الأمة المنظمة ، وهي في كل مذهب ، حقيقة دائمة ، تتألف من الأرض والشعب والسلطة العامة ، فاذا قلنا الدولة الافرنسية ، فانما نريد فرنسة من حيث هي أمة منظمة ، وفي أضيق الحدود يشمل تعبيرنا رئاسة الدولة ، والحكومة ، والمجالس التمثيلية ، والمحكمة العليا ، وبالجملة

كل السلطات العليا ، لا السلطات القائمة ، ولكن السلطات القائمة والتي قد تحل محلها .

أما الحكومة فهي الوزارة ليس أكثر ، لذلك لا يقال قررت الدولة ، وإنما يقال قررت الحكومة .

ولا يوصف رئيس الحكومة بأنه رئيس الدولة ، لأن رئيس الدولة ، هو الملك أو رئيس الجمهورية ، ورئيس الحكومة إنما هو رئيس الوزراء .

الدولة والأمة ليستا مترادفتين . فقد كانت البلاد العثمانية تؤلف امبراطورية واحدة ولكنها لم تكن أمة واحدة ، أما فرنسة فهي أمة واحدة ، ودولة واحدة . الأمة والدولة في بلاد موحدة كفرنسة هما مظهران مختلفان ، لحقيقة واحدة ، فالأمة هي التعبير الاجتماعي ، والدولة هي التعبير السياسي ، وقد نضيف اليهما الوطن ، وهو التعبير العاطفي .

أما الامبراطورية العثمانية فلم يكن لها أبناء هي أمهم ، وإنما كان لها رعية يخافونها ، ولما رفع عنهم السيف ، تفرقوا وذهب كل واحد منهم مذهباً .

إن المثل الأعلى والمطلب الأسمى لكل أمة هو أن يجتمع أبناؤها في ظل علم واحد وسلطان واحد ، وأكثر الأمم في العالم تحقق لها هذا الرجاء ، أما الأمة التي تقاسمت أبناءها دولٌ مختلفة فانها تجاهد لتحقق وحدة مصيرها ، وأما الأمم المختلفة التي تعيش في ظل سلطة واحدة فلا بد أن ينتهي أمرها الى الانفصال والتفرقة كما تفرقت الأمم التي كانت تجمعها الامبراطورية العثمانية ، أو الخلافة الاسلامية ، وإما أن تتقارب شعوبها وتتعايش على ألفة ومودة فتنشأ منها أمة واحدة جديدة ، كما وقع في الولايات المتحدة الأمريكية .. ثم يجب علينا أن نفرق بين الأمة وبين الشعب ، فما ينبغي لنا مثلاً أن نقول : الأمة السورية ، لأن سورية جزء من أمة وليست أمة ، لا توجد أمة سورية وإنما توجد أمة عربية ، وسورية جزء منها . لنقل إذا شئنا الشعب السوري ، أو شعب سورية ، لأن الشعب هو مجموع سكان إقليم من الأقاليم .

ما هي العناصر البارزة في تكوين الأمم ؟

١ — العرق :

كان غلاة المذهب العرقي في ألمانية يقولون : الأمة الألمانية هي العرق الألماني بالمعنى المادي لا الروحي ، أي العرق الآري الشمالي ، الصافي الذي اصطفاه الله من دون الأعراق كلها ، وحباه بالمواهب النادرة والمزايا الباهرة ، واختصه وحده بالقدرة على الإبداع والاختراع ، وصنع الحضارات والعلوم ، والفنون والآداب !

ولكن هذا المذهب ، الذي أراد له هتلر أن يعيش بعده قد رافق هتلر الى قبره ، ولم يخلف وراءه من يتحسر عليه . فالعرق الألماني خرافة ، وليس في العالم كله عرق صاف ، والأمم كلها تمازجت دماؤها ، وحتى الأعراق القديمة ، كما يقول رينان ، ومنها العرق السامي ، والآري ، والطوراني ، ليست عروقاً صافية ، وإنما هي حالة من تمازج العروق واختلاطها في فترة من الزمن . ولذلك يحسن بنا أن نترك النظرية العرقية ، فلا خير فيها .

يقول الفيلسوف الألماني كايزرلنج : ما ينبغي لنا أن نتعب أنفسنا في تتبع أصول أمة من الأمم في التاريخ البعيد لنفسر وحدتها الحاضرة ، فوحدتها أفضل تفسير لتقارب أصولها في التاريخ !

أما رينان فانه يعد التعمق في الدراسة التاريخية للأعراق خطراً على القومية ، لأنها تزيد في شكوك الناس ، وقد تكشف عن كثير من مآسي العنف التي لولاها لم تتم الوحدات السياسية . وماذا يريد منك هذا المؤرخ البحاثة ؟ أيريد أن يقول لك : ان كثرة هذه الأمة من عرق ، وأنت من عرق آخر ، ويجب عليك أن تذهب الى أمة أخرى تهبها قلبك وتنذر لها فكرك ؟ هذه جريمة ، فان كانت الوحدة القومية تأسست على أخطاء تاريخية ، فان تصحيح هذه

الأخطاء ليس من شأنه أن يفسد الوحدة أو يهدمها ، لأن هذه الوحدة مطلوبة لذاتها ، ولما ترتب عليها آثار .

ليس العرق مرادفاً للأمة ، فالعرق تعبير مادي ، والأمة تعبير خلقي ، والعرق قد يدخل في تكوين الأمة ، ولكن في مرحلة من التاريخ ، وهناك أمم كثيرة تتألف من أعراق مختلفة جداً ، ولكننا نستطيع أن نقرر نظراً الى الحوادث التاريخية أن عرقاً من هذه العروق يفرض أكثر خصائصه على سائر العروق ، وبذلك يطبع الأمة بطابع عبقريته ، وقد تنسب الأمة من أجل ذلك اليه ولو كان في الأصل قلة .

لقد أدى العرق رسالته ، ومضى زمانه ، والأمم اليوم تمازجت أصولها القديمة وتشابكت ، ولم تعد تلتمس وحدتها في شكل الجماجم ، ولون البشرة ، ونقاء الدم ، وانما تلتمسها في وحدة تفكيرها وآمالها ورغبتها في الدفاع عن تراثها ، وتمهد حضارتها ، وبكلمة واحدة في إرادة الحياة المشتركة .

٢ — الأرض :

ليس أحد ينكر فضل الأرض في تكوين الأمم ، فوحدة الأرض تقوي روابط الفكر والقلب والمصلحة بين الأفراد ، والحواجز الطبيعية التي تفصلها عن بلاد أخرى تزيد في شعور أبنائها بأنهم وحدة مستقلة عن الوحدات القومية الأخرى .

لقد درس ابن خلدون ومونتسكيو وكثير غيرهما أثر البيئة في تكوين الأخلاق والطباع ، وبالغ بعضهم في قوة هذا الأثر ، حتى زعم أن الأرض هي الأمة ، وانها تملك أبناءها أكثر مما يملكونها ، وتصنعهم أكثر مما يصنعونها .

٣ — الدين :

كان الدين في العصور الوسطى يجمع الشعوب ويفرقها ، ولكن أثره في تكوين الأمم تضاءل في الزمن الحاضر ، وربما أسقطه غلاة القوميه من حسابهم . لقد كان من أسباب انفصال الباكستان عن الهند وانفصال ايرلندة عن بريطانية

العظمى الاختلاف في الدين ، ولكن الدين وحده لا يجمع الشعوب المختلفة في أمة واحدة ، والأدلة على ذلك كثيرة جداً ، فالمسلمون في العالم لا يؤلفون أمة واحدة ، مثلهم في ذلك كمثل المسيحيين ، واذا كانت القرون الوسطى شهدت الحروب الصليبية التي قسمت أوربة والشرق الى معسكرين دينيين مختلفين ، فان العصور الحديثة شهدت حروباً كثيرة تقاتل فيها أتباع ديانة واحدة . كل ما نستطيع أن تقوله في الدين انه عنصر من عناصر الوحدة في الأخلاق ، يعين على تكوين الأمة حيث تكون له كثرة من الأتباع .

ولكن اتخاذ الدين أداة لتمزيق القومية القائمة عمل خطر ، بل خيانة .

٤ — التاريخ والذكريات :

التراث القومي بأمجاده ونكباته ، عنصر عظيم الأثر كبير الخطر في تكوين القومية ، فالحاضر الذي نحياه إنما صنعه لنا أجدادنا ، ونحن حين نتعلق به ونمجده نحياه في نفوسنا حياة جديدة ، وبذلك نشعر أننا أسرة واحدة كبيرة تشترك في تقديس ماضيها المشترك ، الحاضر قطعة من الماضي ، والأمة ليست من صنعنا إلا بمقدار ، انها من صنع آبائنا ، وما نحن إلا حلقة صغيرة في سلسلة كبيرة ، فضل الموتى فيها أكثر من فضل الأحياء ، وزعامتهم أقوى ، وأثرهم أعمق ، ان الموتى يعيشون فينا ونحن نعيش فيهم .

٥ — الأخلاق والعادات :

الأخلاق والعادات ، والتقاليد وأساليب المعيشة ، والأغاني الشعبية ، والفنون ، كل أولئك متى تشابه ، عبر عن عبقرية واحدة ، وأشعر كل واحد من أبناء الوطن أنه مع إخوانه كأنه في بيته ومع أهله ، فاذا انتقل الى بلاد أخرى أدركه شعور آخر ، هو ما نسميه الغربة أو التغرب ، وليس التغرب مجرد الانتقال من أرض الى أرض ، ولكنه الانتقال من جو روحي الى جو آخر .

٦ — اللغة :

يقول الفيلسوف الألماني فيخته في كتابه : خطاب الى الأمة الألمانية : اللغة تصنع الرجال أكثر مما يصنعونها . ويستنتج من ذلك أن اللغة الواحدة تصنع أمة واحدة .

الواقع ان اللغة الواحدة الجميلة ، الغنية ، إنما هي نتيجة تمازج وتعايش طويلين ، نتيجة تجارة وأخذ وعطاء ، وبيع وشراء ، وخضوع واستعلاء ، وتبدل وانتقاء ، تجارة حياة فكرية ، وحياة وجدانية ، وحياة مادية ، متصلة ، ملحة ، جعلت من طوائف الناس المختلفة طائفة واحدة ، ومن لهجات الناس المختلفة لغة واحدة ، لغة قومتها وصقلتها وأسلمتها الى كل أفراد الأمة إرثاً مشاعاً مشتركاً .

فاذا قلنا ان اللغة الواحدة تصنع أمة واحدة ، كما قال فيخته ، لم نظلم الحقيقة . ولكن الحكم لا ينبغي له أن يكون مطلقاً لا يحتمل تحديداً .

في العالم شعوب تتكلم لغة واحدة ولا تؤلف أمة واحدة ، كبريطانيا العظمى والولايات المتحدة الأميركية ، ذلك ان بينهما بحراً واسعاً ، وبينهما بعد هذا اختلافات في الطبائع والمصالح غير يسيرة ، ولكننا مع هذا كله ، نجد بينهما كثيراً من التعاطف والتحاب بسبب وحدة اللغة .

وفي العالم شعوب مختلفة اللغات تؤلف أمة واحدة ، كسويسرة ، وبلجيكا ، وهذا يدلنا على أنه قد تنشأ بين الناس أسباب قوية للوحدة فوق سبب اللغة .

نحن لا نقول مع فيخته ان اللغة الواحدة ، معناها دائماً أمة واحدة ، ولكننا نقول ان اللغة الواحدة ، إن لم تكن هي الأمة ، فانها أعظم أركانها .

إن شعباً يحب لغته ، يتآخى أفراده في حب هذه اللغة ، وفي تقديسها ـ ان أجزتم هذا التعبير ـ . أما الشعب الذي يتكلم أفراده لغات مختلفات ، فقد يصعب على العقل أن يتصوره موحداً كما ينبغي أن تكون الوحدة .

ولعل أبلغ تعبير عن تعلق العرب بلغتهم ، وأثر لغتهم في تكوين قوميتهم ، وصف العرب أنفسهم بأنهم أبناء الضاد ، فهم ليسوا أبناء دين ولا أبناء جنس ، ولكنهم أبناء اللغة العربية ، هي أمهم وهم في ظل أمومتها أسرة واحدة ، يحبونها ويتحابون فيها .

كانت بلادنا تتكلم لغات سامية متعددة ، وكان إخواننا يخضعون الى سلطات أجنبية ، أو وطنية متعددة ، ولكن لغة من هذه اللغات السامية ـ اللغة العربية ـ مشت مع الفتح الاسلامي ، لترسم لنا حدود أمتنا . مشى الفتح الإسلامي أبعد منها ، ولكنها وقفت حيث ينبغي لها أن تقف ، لم تتجاوز دار إخوتها ، وفي كل مكان ، كانوا يحسنون استقبالها ، ويقيمون ألسنتهم على بيانها ، لم تفرضها القوة ، فالقوة تفرض الجزية ، ولكن فرضها جمالها ، وأنها قريبة وليست غريبة ، ووطأ لها الطريق أنها لغة الرسالة الجديدة التي حملها محمد .

كانت لغة قريش ، أصفى لغات العرب وأزهاها ، وما زلت أشبه عملها في لهجات العرب بعمل منجم كارلسباد . تأتي الفتيات الى هذا المنجم من كل فج عميق ، ويطوفن حوله ، ويغنين الأغاني ، وتلقي فيه كل واحدة عوداً أو غصناً عارياً من الورق ، ثم يعدن الى المنجم بعد أيام ، ويخرجن منه الأعواد ، فاذا هي مغطاة بالبلور والجواهر وموشاة بخيوط الذهب .

هكذا صنعت اللغة العربية ، أعطت كل شيء من جمالها ، وغيرت كل شيء وعمت بركتها كل شيء .

لقد ذهبت الخلافة الإسلامية وبقيت اللغة العربية ، تدعو العرب إلى الوحدة ، وتذكرهم بأنهم أبناء أمة واحدة .

يقول المعجم الفرنسي الكبير : ان اللغة تشارك الأمة أقدارها ، فاذا ضعفت الأمة وتهافتت ، ماتت اللغة ، ولا أمل في بعثها بعد أن تموت .

أما اللغة التي تبقى بعد تفرق أمتها ، فهي التي أودعتها السماء رسالة ، أو التي أودعها الشعراء والأدباء والعلماء أفكاراً سامية .

ولغتنا العربية ، أيها السادة ، تجمع بين رسالة السماء ورسالة الأرض ، فيها شعر خالد ، وفيها نثر خالد ، وفيها القرآن .

لذلك بقيت لغتنا بعد تفرق أمتنا ، إنها كالراية التي يمشي وراءها الجنود ، إنها الراية التي نلتف اليوم حولها .

لغتنا لغة جميلة ، ولكن عظمة جمالها أن جمالها يطلب المزيد ، فلا ننشد من بين يديها :

خلقت مبرءا من كل عيب … كأنك قد خلقت كما تشاء

أو قول الشاعر :

ليس منها ما يقال لها … كملت ، لو ان ذا كملا
لو تمنت في براعتها … لم تجد في حسنها بدلا

فليس شيء كالجمود يقتل الحياة ويشوه الجمال ، ان اللغة كالخميلة الجميلة التي اذا تركت وأهملت لم نأمن على أغصانها وأوراقها أن يصوحها العطش . لقد كانت اللغة العربية أجمل اللغات ، واستطاعت أن تضيف الى جمالها من جمال كل لغة وتطبعه بطابع عبقريتها .. فان أردنا أن يدوم تعلق الشعوب العربية بها وأن نستبقيها لغة واحدة ، فينبغي لنا أن نسقيها دائماً بعناصر الحياة ، وهذا هو عمل مجامعنا اللغوية ، وعمل أدبائنا وشعرائنا والمفكرين منا .

لقد أدت لغتنا العربية في التاريخ رسالتها القومية ، ووحدتنا ، وهي اليوم مدعوة الى صنع المعجزة مرة أخرى ، فتحقق لنا وحدة عربية ، مثل وحدتنا التاريخية – بل أسلم وأعظم – إن شاء الله .

اللغة الفصحى وتعليم الشعب

ألقى معالي الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية في جامعة الدول العربية ، في الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر الثلاثاء ٢/١٠/١٩٥٦ في مدرج الجامعة السورية ، المحاضرة التالية في (اللغة الفصحى وتعليم الشعب) :

سيداتي سادتي

أريد أن أتحدث اليكم الليلة في موضوع عسى أن يكون ثقيلاً ، وأعتذر اليكم من ثقله فالحق ثقيل دائماً ، لا يخف إلا على أولي العزم من الناس ، والعهد بكم أنكم من أولي العزم ، لأنكم من العرب الذين يؤثرون الجد على الهزل ، ويفضلون الصراحة على المداراة والمواربة ، وبيني وبين الذين سينكرون ما أقول ، كله أو بعضه ، ما قاله أبو العلاء :

خذي رأيي وحسبك ذاك مني   على ما فيَّ من عوج وأمت
وماذا يبتغي الجلساء مني   أرادوا منطقي وأردت صمتي
ويوجد بيننـا أمد قصي   فأموا سمتهم وأممت سمتي

والموضوع ثقيل لأنه يتصل باللغة العربية الفصحى ، وبتعليم الشعب . فما أكثر ما نتحدث عن هذه اللغة العربية الفصحى ، وما أكثر ما نعلن اعتزازنا بها ، واعتدادنا بتراثها ، وحرصنا عليها وعلى تراثها العظيم ، ويقيننا انها هي أساس وحدتنا ، وهي العروة التي تجمع الشعوب العربية على اختلافها ، وتباعد أوطانها ، والعروة التي لا انفصام لها . نتحدث عن هذا فنكثر الحديث ، ونقول في هذا فنطيل القول ، ونملأ به أفواهنا ، وتطمئن إليه قلوبنا ، وتثور له نفوسنا . واذا نحن نفيض إيماناً وثقة وأملاً ويقيناً . فاذا فرغنا من هذا كله ، وثبنا الى نفوسنا

أو ثابت نفوسنا الينا ، وهدأت عنا الحماسة ، اكتفينا بما قلنا ، وبما سمعنا ، وبما صفقنا ، وبما صحنا ، ثم لم نكد نصنع شيئاً .

ولست أنكر أن علماء اللغة في البلاد العربية على اختلافها ، يبذلون جهوداً عنيفة ، وينفقون من أوقاتهم ومن نشاطهم أكثر مما يطيقون ، لحماية اللغة وصيانتها ، وحراستها والمحافظة عليها من كل عبث أو كل شر ، يمكن أن يصيبها ، ولكن السؤال الخطير الذي ألقيه الآن ، وأريد أن يلقيه كل واحد من حضراتكم عن ثقة : لمن نحفظ هذه اللغة ، ولمن نصونها ، ولمن نريد أن نخلدها ؟ ولمن ننفق كل ما ننفق من جهد ووقت ومال في سبيل هذا كله ؟ أنفعل هذا كله لأنفسنا لنستأثر بالعلم ، وليقال اننا علماء ، حفاظ ، نتصرف في اللغة العربية بعد أن طوّعناها بقدرتنا ، ونستطيع أن نصرّفها كما نحب ونهوى ؟ أم نحن نفعل ذلك لتكون هذه اللغة ملكاً للشعوب العربية كلها ، لا لطبقة معينة منها هي طبقة العلماء الأئمة ، الحفّاظ ، ولكن لجميع طبقات الشعوب العربية ، الطبقات الممتازة أو الراقية ، والطبقات الوسطى ، والطبقات الفقيرة ؟

وهذا السؤال هو الذي أريد أن أدير الحديث حوله هذه الليلة .

أما ان فينا علماء ، فهذا ليس فيه شك . ويكفي أن أكون في دمشق ، وأن ألقى الأعلام من أعضاء المجمع العلمي في دمشق ، وأن ألقى هذه الطائفة الممتازة من المثقفين الشاميين لأقتنع بأن اللغة العربية حية قوية ، وان لها حفّاظاً ، وان لها أنصاراً يذودون عنها ويحمونها ، يذودون عنها الشر والعبث والفساد . وما أشك أن في البلاد العربية الأخرى شيئاً يشبه ما في الشام كثيراً أو قليلاً ، ولكن الشيء الذي لا شك فيه هو أن هذه اللغة العربية التي تبذل في سبيلها كل هذه الجهود ، وينفق في سبيلها كل هذا الوقت ، هذه اللغة لم تصل بعد الى الشعوب ، أو لا يكاد يصل منها الى الشعوب إلا أصداء لا تغني عنها شيئاً .

وليس أدل على هذا من أننا اذا استقصينا أمر اللغة العربية في الأقطار العربية ، فسنرى أن أكثر الذين يقرأون ويكتبون لا يستطيعون أن يقيموا ألسنتهم بهذه اللغة الفصحى . وسنرى شراً من هذا ، سنرى كثيراً من الشباب في غير قطر من الأقطار العربية يفكرون ويعلنون أن هذه اللغة أصبحت عاجزة عن أن تساير الحياة الحديثة ، ويفكرون ويعلنون أن هذه اللغة أصبحت عاجزة عن أن تعرب عن ذات النفوس في هذا العصر الحديث ، ويفكرون ويعلنون أن هذه اللغة أصبحت لا تصلح لتكون لغة الكتابة ، ولغة الأدب في بعض البيئات ، وما أكثر الذين أخذوا ينحرفون عن هذه اللغة الى اللغة العامية التي يتحدثها الناس في الشوارع ، وفي القرى ، وفي أعماق الريف ، يكتبون بهذه اللغة ، يرون الكتابة بها أيسر من الكتابة بهذه اللغة العربية الفصحى ، ويرون هذه اللغة العامية أطوع لهم ، وأقدر على تصوير عواطفهم ، وأهوائهم وميولهم وما يجول في رؤوسهم من الخواطر والمعاني من اللغة العربية الفصحى .

ويعللون ذلك بأسباب كثيرة أهمها انهم لا يستطيعون أن يتعلموا اللغة العربية لأنها عسيرة ، ولأنها مملة ، ولأن التلميذ إذا ذهب الى المدرسة واستمع إلى دروس الأستاذ في اللغة العربية ، في النحو أو في الصرف أو في البيان ، لم يستفد من أستاذه ولا من دروس أستاذه إلا شيئاً واحداً ، وهو النفور من الأستاذ والنفور من اللغة العربية ، والانصراف إلى أي شيء آخر يلهيه ويريحه من هذا العناء الثقيل . ولا تظنوا أنني أبالغ ، أو أتكثر ، فهذه حقيقة واقعة لا ينكرها ، إلا المكابرون . ولا تقولوا إن المدارس قد أخرجت طائفة من الكتّاب والأدباء الممتازين ، فهؤلاء هم الشذوذ الذي يثبت القاعدة ، أو الاستثناء الذي يحقق القاعدة كما يقال . ولكن التلاميذ في المدارس ، لا يبغضون شيئاً كما يبغضون دروس اللغة العربية ، وهم مع ذلك إذا استمعوا لمحاضرة عن اللغة العربية ومجدها القديم وتراثها الخالد العظيم ، ثاروا حماسة وامتلأوا نشاطاً ،

وإيماناً وإعجاباً بهذه اللغة . ولكنهم حين تسقط عنهم الحماسة يعودون إلى تذكر الأستاذ وكلامه الثقيل .. الذي كان يمليه عليهم ، أو يلقيه عليهم في المدرسة ، وهذه الأسئلة الشاقة التي كان يمتحنهم بها بين حين وحين .

والأمر أشد من هذا كله خطورة ، فنحن في هذا العصر الحديث الذي نعيش فيه قد آمنا بأن التعليم حق للشعب كله ، منذ السن المبكرة ، إلى أن يبلغ الفتى أو تبلغ الفتاة الرشد ، وإذن فنحن لا نبيح التعليم للقلة التي وقفت نفسها على أن تتعلم ، وأتاحت لها الحياة أن تفرغ للتعليم ، وأن تنفق فيه شيئاً من الجهد والوقت والمال ، وانما نفرض هذا التعليم على الأغنياء والفقراء ، وعلى الأقوياء والضعفاء ، وعلى القادرين والعاجزين . نفرض هذا التعليم على الشعب كله ، ونعاقب الذين يقصرون في أداء هذا الواجب ، وهو تعليم أنفسهم أولاً ، وتعليم أبنائهم وبناتهم بعد ذلك .

قوانيننا تعاقب الذين يقصرون في تعليم أبنائهم وبناتهم ، ومعنى هذا اننا نفرض التعليم على هذه الملايين الكثيرة التي تتألف منها الأجيال في هذه البلاد العربية . وإذا فرضنا التعليم على كل هذه الملايين فيجب أن نبتغي الى هذا التعليم وسائله الصحيحة التي تنتهي به الينا حقاً ، ويجب أن لا نكلف الكثرة الضخمة التي نعلمها الآن في مدارسنا ، يجب أن لا نكلف هذه الكثرة الضخمة من البنات والبنين ما نكلف به القلة التي يتاح لها الوقت ، والجهد ، والمال . وإذن فلا بد من أن يكون التعليم يسيراً ، ومن أن يكون قريباً ، ومن أن يكون سائغاً ، لا تجد فيه الكثرة مشقة ولا عنتاً ، ولا تحتاج فيه الى هذا العناء الثقيل الذي يفرض على أبنائنا فرضاً .

وأخرى ليست أقل من هذه خطورة ، وهي أننا نعيش الآن في القرن العشرين ، أي في العصر الذي تغير فيه التاريخ ، وتغيرت فيه الحضارة المادية تغيراً تاماً ، وتغيرت فيه الثقافة العقلية تغيراً يوشك أن يكون تاماً أيضاً ، وتغير فيه العقل

نفسه بحكم ما طرأ على الحضارة والثقافة من تغيير ، وما زلنا نعلم اللغة العربية في مدارسنا ومعاهدنا كما كان القدماء يعلمونها في معاهدهم ومدارسهم منذ أكثر من ألف عام ، وقد تستطيع أن تطالب الى القلة القليلة جداً أن تحتمل هذا العناء ، وأن تتكلف هذا الجهد ، وأن تخرج من القرن العشرين لتعيش في القرن الثامن أو التاسع للميلاد ، لتتعلم النحو ، والصرف ، واللغة ، كما كان القدماء يتعلمونها . ولكنك لا تستطيع بحال من الأحوال أن تطلب الى هذه الملايين الكثيرة أن تبذل هذا الجهد ، وتحتمل هذا العناء ، وتخرج من حياتها التي تحياها بالمشقة ، والكد ، والعناء ، لتعود الى حياة أخرى لعلها لا تعرف من أمرها شيئاً . فعندما تريدون أن تعلموا هؤلاء الأطفال في المدرسة الابتدائية أو هؤلاء الشباب في المدارس الثانوية ، عندما تريدون أن تعلموهم النحو ، تعلمونهم النحو كما كان المبرد وأستاذه المازني وتلاميذهما المختلفون يعلمون في مساجد البصرة ، وكما كان الكسائي والفراء يعلمان في مساجد الكوفة ، أو في مساجد بغداد ، والفرق بعيد بين المدرسة الابتدائية التي ننشئها في أعماق القرى ، وبين مسجد البصرة ، أو مسجد الكوفة ، أو مسجد بغداد ، والفرق هائل جداً بين القرن العشرين ، وبين القرن الثامن أو التاسع حين كان يعيش هؤلاء العلماء .

كان القدماء يعيشون عيشة خاصة ، ويتأثرون من ناحية بالبداوة العربية الأولى ، ومن ناحية أخرى بالفلسفة اليونانية الطارئة ، ومن ناحية ثالثة بالحضارة الفارسية المادية التي أحاطت بهم وشملتهم شمولاً . أما نحن فقد صرفنا عن البداوة العربية الأولى ، وأغرقتنا الحضارة الحديثة إلى آذاننا ، وقد أنسينا فلسفة أرسطاطاليس وغيره من قدماء اليونان ، وأصبحت هذه الفلسفة لا يعرفها إلا الأقلون من أمثال الصديق الدكتور منصور فهمي والدكتور جميل صليبا ، وأصبحت الحضارة الفارسية شيئاً يعني الفرس حين يدرسون تاريخهم ، أما حضارتنا الآن فهي الحضارة الحديثة . ونحن نعنى بحضارتنا القديمة لنستبقي منها ما يصلنا بالقديم حتى لا تفنى

شخصيتنا ، وحتى لا نفقد عروبتنا ، وحتى يظل الاتصال قوياً بيننا وبين ماضينا المجيد . فاذا أردتم أن تعلموا النحو هؤلاء التلاميذ المساكين فكيف تريدونهم على أن يفهموا أن قولك « قرئ الكتاب » فعل مبني للمجهول ، والكتاب نائب عن الفاعل ، لأن الفاعل قد حذف لغرض من الأغراض التي تذكر في علم المعاني وعلم النحو ، وأنيب عنه المفعول به . كيف تريد التلميذ المصري أو الشامي أو العراقي الذي لم تتجاوز سنه الثانية عشرة أن يفهم هذا الكلام ؟ ما هذا الفاعل الذي حذف ؟ ما هذا المفعول الذي أنيب عنه ؟ ما هذا المجهول الذي بُني له الفعل ؟ وعندما تريد أن تفهمه قول الله تعالى : « وإنْ أحد من المشركين استجارك ، فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه » قلت له : « إن أحد » في قوله « إن أحد من المشركين » فاعل لفعل محذوف تقديره استجارك ، وإن تقدير الآية « وإن استجارك أحد من المشركين استجارك » ، فيسألك التلميذ وأين توجد استجارك الأولى هذه ومن أين نأتي بها ؟ وما السبب في وجود هذا الفعل مرتين ؟ ولماذا لا نكتفي بهذا الفعل الذي اكتفى به القرآن الكريم ؟ فكيف تجيبون ؟ . أما أنا فقد سألت أحد الشيوخ عن إعراب هذه الآية ، فأعربها كما تسمعون ، فقلت له : يا سيدي أتزيد في كتاب الله ؟ . .

وعلة هذا أن النحاة القدماء قرروا في قواعدهم أن حرف (إنْ) لا يدخل إلا على فعل ، ولما جاء في القرآن وفي كلام العرب (إن) وبعدها اسم لم يخضعوا لما جاء في القرآن ولم يخضعوا لما جاء في كلام العرب نثراً وشعراً ، وإنما أرادوا أن يخضعوا القرآن للقاعدة التي قرروها ، وقد طوّعت لهم فلسفتهم هذا النحو من التصرف واستطاعوا أن يحتملوه ، واستطاعوا أن ينهضوا بأثقاله ، لأن عقولهم في تلك الأوقات ، في تلك السنين ، كانت عقولاً فلسفية متأثرة (بالميتافيزيك) أو بالميتافيزيقا كما يقولون ، التي تركها أرسطاطاليس ، وورثها

العرب ، فكانوا يستطيعون أن يفهموا مثل هذا الكلام ، ولكن شبابنا في هذه الأيام يعيش في عصر لا يكاد يحفل بالميتافيزيك وما بعد الطبيعة ، ويعيش في عصر لا يكاد يعرف أرسطاطاليس فيه إلا المختصون ، فاذا حدثتهم عن الفعل المحذوف الذي يفسره ما بعده ، وذكرت لهم هذا الفعل حاروا في أمره حيرة بعيدة . وإذا أردتم أن تعلموا التلميذ « فأما ثمودَ فهديناهم » فأفهمتوه أن ثمود ليست مفعولاً لهديناهم ، وإنما هي مفعول لفعل محذوف تقديره هدينا ، ثم قلتم : معنى الآية أو تقدير الآية « هدينا ثمود فهديناهم » لم يستطع التلميذ إلا أن يضحك أولاً ، ويسخر ثانياً ، وأن ينصرف عن الأستاذ ودرسه بعد ذلك ، والحمد لله على أنه لا ينصرف عن الإسلام ولا عن القرآن ، لأن الإسلام أقوى والقرآن أقوى من أن يؤثر فيهما مثل هذا العبث . أو اذا قلت للطالب نحن المصريين نفعل كذا ، أو نحن السوريين نفعل كذا ، وطلبت إليه أن يفسر هذا أو يعربه ، أفهمته أن هناك فعلاً محذوفاً تقديره أخص ، أي نحن أخص السوريين نفعل كذا . ما موقع أخص هذه ؟ لا معنى لها مطلقاً ، إلا أننا وجدنا هذه الكلمة منصوبة ووجدنا هذا التعبير يدل على التخصيص ، فقدرنا هذا الفعل ، وقدرنا هذا العقل ، ولنا أن نقدر ما نشاء ، ولكن التلاميذ لهم أيضاً عقول صغيرة ، ساذجة ، لا ينبغي أن نكلفها ما لا تطيق . واذا قلت للتلميذ « إياك والكسل » وطلبت اليه اعراب هذه الكلمة ، اخترعت له فعلاً مقدراً لا أدري ، ولا يدري هو أين يكون ومن أين جاء ، هو « احذرك » . ونظراً لأنك حذفت الفعل فقد اضطررت الى أن تستعمل الضمير المنفصل مكان الضمير المتصل ، فلم تقل « لك النار » ، وإنما قلت « إياك والنار » .

كل هذا كلام أنا شخصياً أحبه أشد الحب ، وأؤكد لكم أن النحو هو أحب علوم اللغة العربية إليّ ، وأؤكد لكم أنني أجد لذة لا تعدلها لذة حين أجلس الى الصديق ابراهيم مصطفى ونتذاكر باباً من أبواب النحو ، ونحاول إعراب آية

من آيات القرآن على قواعد النحويين ، أو إعراب بيت من أبيات الشعر على قواعد النحويين ، ولا أنسى أنني تذاكرت معه غير مرة في إعراب الآية الكريمة : « ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلتَ لا أجد ما أحملكم عليه ، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ان لا يجدوا ما ينفقون » . كيف يكون إعراب هذه الآية ؟ لأن هناك فعلين : « قلتَ » ، و« تولوا » ، و « اذا » محتاجة الى جواب .. أين يكون الجواب بين هذين الفعلين ، بين « قلت لا أجد » وبين « تولوا » ؟ ويكفي أن تنظروا الى اعراب القرآن لابن حيان لتروا ما يقال هناك ، ولكن كل هذا العمل ما يعمل به التلاميذ في المدارس صغارهم وكبارهم ؟

هذا فصل ، وفصل آخر ليس أهون منه . الأصل أن الناس يكتبون ليقرأوا ، ويقرأون ليفهموا ، ونحن نكتب لنقرأ ، ولكننا لا نقرأ لنفهم ، وإنما نفهم أولاً لنقرأ بعد ذلك . واذا كان هذا جائزاً بالقياس الى الممتازين النابهين النافذين ، فهذه الملايين ما الذي تطلبونه اليها ؟ كيف تطلبون من هذه الكثرة من الأطفال الصغار ، في هذه السن المبكرة ، ان يفهموا الكتب التي تعطى اليهم بالمدارس ليقرأوها كما ينبغي ان تقرأ ، ويجب عليهم أن يفهموها قبل أن يقرأوها ، أو أن يقرأوها خطأ فيلقون من أساتذتهم ومعلميهم سخطاً ، فلا بد إذن من أن نختار بين اثنتين : اما أن نريد المحافظة على اللغة العربية في مجامعنا العلمية على اختلافها فنذود عنها كل شر ، ونحميها من كل بأس ، ونحيي تراثها القديم ، ونجتهد في أن نضيف اليه كل جديد ممكن ، ينفع ولا يضر . أما أن نكون نفعل هذا كله لأنفسنا ولأشباهنا من المتخصصين ولا نحفل بالشعب ولا بتعليم الشعب ، وإذن فنحن لا نصنع أكثر مما يصنع المتخصصون في اللغة اليونانية القديمة ، وفي اللغة اللاتينية القديمة ، أي ما يصنعه المتخصصون في اللغات الميتة .

أتريدون أن تكون اللغة العربية إحدى هذه اللغات الميتة التي يفرغ لها المتخصصون ولا يحسنها غيرهم ؟

هذه واحدة ، والثانية أن نكون إنما نفعل هذا كله لتكون اللغة العربية لغة حية حقاً ، كما تحيا اللغة الألمانية والإيطالية والفرنسية والانكليزية والاسبانية وغيرها من اللغات الحية التي يتكلمها الناس ويكتبون بها ، ويفهمونها حين يقرأونها ، أو يقرأونها ليفهموها ، فاذا قرأوها فهموها في غير مشقة ولا عسر ، واذا تعلموها فلا يجدون فيها جهداً ، ولا مشقة ولا عناء الا ما يجده التلميذ في حياته العادية حين يتعلم أي شيء من هذه الأشياء التي يتعلمها في صباه .

ولمَ أذهبُ بعيداً ؟ .. انظروا الى تلاميذنا في المدارس الثانوية . اننا نعلمهم اللغة العربية ، ونعلمهم لغة أجنبية أو لغتين أجنبيتين .. في أي اللغتين يتثقف هؤلاء التلاميذ ، وفي أي اللغتين يسرع هؤلاء التلاميذ الى النطق والفهم والحديث .. ؟ أتظنون أنهم يتثقفون باللغة العربية .. ؟ أتظنون أنهم يسرعون الى التحدث بالعربية الفصحى ، ويسرعون الى قراءتها أو فهمها أم الواقع شيء آخر ؟ .. أما أنا فقد جربت كثيراً ، والذي أعرفه من التجربة أن تلاميذنا يتعلمون اللغة الانكليزية والفرنسية أسرع مما يتعلمون اللغة العربية ، لولا أن عواطفهم تفرض عليهم شيئاً من التحفظ وتفرض عليهم شيئاً من الجهد .

أؤكد لكم أيها السادة أن كل هذا الذي عرضته عليكم حتى الآن انما يصور خطراً محققاً أشرت اليه في افتتاح مؤتمر المجامع العلمية منذ يومين ، وأضيف اليه أن هناك كتّاباً كباراً يُقرأون في الشرق العربي كله ، ويطالب بعضهم الآن بالغاء الإعراب وإلغاء قواعد النحو .. أنا أطالب بتيسير قواعد النحو وتيسير الكتابة العربية لتشيع اللغة العربية ، وتصبح لغة الشعوب حقاً ولغة حية حقاً ، ولكن من الناس من كتبوا في هذه الأيام القريبة يطلبون إلغاء قواعد الاعراب وتسكين أواخر الكلام لا لشيء إلا لأنهم لم يتعلموا اللغة

العربية حين كانوا تلاميذ في المدارس ، لا لشيء إلا لأن النحو القديم والكتابة الموروثة والأساتذة الذين يعلمون النحو القديم والكتابة الموروثة ، كل أولئك عجزوا عن أن يحببوا هذه اللغة الى الكاتب الكبير ، وبغضوا اليه العربية الفصحى ، وغرسوا في نفسه هذا البغض ، وأصبح الآن لا يكره شيئاً كما يكره التكلم بهذه اللغة ، ولا يتحرج أن يطالب بإلغاء قواعد الإعراب وتسكين آخر الكلمات ، وجعل اللغة العربية الفصحى كأي لهجة من اللهجات العامية .

أنتم كذلك بين اثنتين : إما أن تريدوا وحدة الشعوب العربية حقاً ، وتكونوا مؤمنين بهذه الوحدة ، حراصاً عليها مستعدين للجهاد في سبيلها بالحياة والنفوس ، والأموال والمنافع ، مهما تكن ، وإذن فلا بد من أن تجعلوا لغتكم العربية التي تكوّن وحدتكم لغة الشعوب لا لغة الخاصة . وإما أن يكون حديثكم عن الوحدة كلاماً لا أكثر ، وأعوذ بالله وأعيذكم من ذلك ، وإذن فدعوا اللغة العربية تموت ، ودعوا اللغات العامية تصبح لغة الكتابة ، وانتظروا بعد ذلك إذا أراد السوري أن يقرأ الكاتب مصري أن يضطر الى ترجمته إلى لهجته السورية ، وأن يضطر العراقي اذا أراد أن يقرأ لسوري أن يترجمه للهجته العراقية .

اختاروا فليس لكم بد من الاختيار . إن نحن مضينا فيما نحن عليه وأبينا أن نيسر قواعد النحو والكتابة وأن نتيح للشباب والصبية أن يقرأوا ليفهموا لا أن يفهموا ليقرأوا ، فعندئذ لا بد أن تنشأ عن هذه اللغة العربية الفصحى القديمة لغات مختلفة ، كما نشأت الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية عن اللغة اللاتينية القديمة .

ماتت اللاتينية وخلفها أبناؤها وبناتها ، فهل تريدون أن تموت اللغة العربية وأن تخلفها بناتها التي نشأت بالفعل في الأقطار العربية المختلفة ؟ .. هذه هي المسألة ، اختيار ، وأنا أعلم أنه ليس أشق على الإنسان من الاختيار . فنحن

نحب القديم ولا نستطيع التفريط فيه إلا بعد مشقة وجهد وعناء ، وبعد أن تتمزق قلوبنا حسرة ، ولكن لا بد مما ليس منه بد .

وبعد فأنا لا أدعوكم إلى هجر القديم مطلقاً ، وعسى أن أكون من أشد الناس محافظة على قديمنا العربي ، ولا سيما في الأدب واللغة ، ولكن لِمَ لا يكون النحو القديم ، والكتابة القديمة ، والبلاغة القديمة ، وكل هذه العلوم العربية التي أنشئت في عصر غير هذا العصر الذي نعيش فيه .. لِمَ لا يكون هذا كله متطوراً كما تطورت اللغة ، نحفظ قديمه لدرس المتخصصين في الجامعات ، وفي المعاهد ، ونتيح للملايين البائسة من الصبية والشباب أن يتعلموا تعلماً قريباً سهلاً ، عسى أن يخرج من بينهم من يضيف إلى ثروة هذا القديم ، ويحسنه أكثر مما نحسنه نحن ، ويحيي هذا التراث القديم أكثر مما نحييه نحن .

أنا أعرف أن هذا كله لا يرضي كثيراً من الناس ، لا في دمشق وحدها بل في مصر وغيرها من البلاد العربية ، ولكني لا أحب أن أكذب العرب ، وقد قيل إن الرائد لا يكذب قومه ، ولا أحب أن أكون كهؤلاء الذين يقولون إن أمة محمد بخير ، ولا أريد أن أكون كهؤلاء الذين يطمئنون في المكان القلق ، إنما أحب وأحب للمواطنين من العرب أن يكونوا أيقاظاً لا نياماً وأن لا يؤخذوا على غرة ، وأن لا ينظروا ذات يوم فاذا هم يدرسون ويجتهدون ويجدون ويكدون لأنفسهم لا للشعوب . لا بد إذن من أن ننظر في هذا كله ، وأن ننظر فيه نظرة الشجعان الذين يواجهون الحقائق ولا يستخفون منها ، ونظرة الناصحين الذين لا يريدون أن يستأثروا بالعلم دون العامة ودون الشعب ، وحسب الدنيا شقاء أن يكون فيها المستأثرون بالمال ، والمستأثرون بالحياة المادية ، وشر الاستئثار هو الاستئثار بما خلقه الله ليكون شائعاً بين الناس جميعاً وهو العلم والمعرفة والثقافة . لا ينبغي لعلماء اللغة العربية أن يؤثروا أنفسهم بالعلم العربي ، بل يجب عليهم أن يشيعوه ، ولا ينبغي عليهم أن يظنوا أنهم حين ينشرون كتاباً

من كتب القدماء يشيعونه حقاً . فالكتاب لا يشاع إلا بين الذين يستطيعون أن يقرأوه ، ويفهموه ، ويتصرفوا به . سلوا أنفسكم كم عربياً قرأ هذا الكتاب أو ذاك من كتب الجاحظ ؟ سلوا أنفسكم كم عربياً قرأ كتاب البخلاء .. أو كتاب التربيع والتدوير ؟ وما شئتم من الكتب القديمة التي نقرأها فنجد فيها المتعة ، والتي يقرأها بعض المستشرقين فيجدون فيها المتعة .. سلو أنفسكم كم عربياً قرأ هذه الكتب ، قرأها العلماء وأشباه العلماء وطلاب العلوم العالية ، فأما ملايين العرب فلا يعرفون عنها شيئاً . وأعرف قوماً إذا ذُكرت لهم هذه الأشياء هزوا رؤوسهم ورفعوا أكتافهم ، واستهزأوا من ذا كريها ..

ليس من شك في أني حين أتحدث في هذا كله ، أتحدث الى فريقين من الناس ، أتحدث قبل كل شيء الى العلماء الذين يستطيعون الخير ولكنهم لا يقدمون عليه ، ثم أتحدث الى الشباب المتعلمين الذين من حقهم أن يطالبوا العلماء أن ييسروا لهم لغتهم ، وبأن لا يباعدوا بينهم وبين عروبتهم . ولا أشك ولا يجد الشك الى نفسي سبيلاً بأن الحكومات العربية إذا قال لها العلماء : هذا هو النحو الجديد الميسر ، الذي يلائم عقول الشباب في هذا العصر ، ولا يمس جوهر اللغة العربية من قريب ولا من بعيد ، ولا يغير من طبيعة اللغة العربية شيئاً ، ولكنه يتيح للشباب أن يتعلموا اللغة وأن يتقنوها ، وأن يتكلموها وأن يقرأوها وأن يفهموها ، لا أشك مطلقاً بأن الحكومات عندما يقدم اليها العلماء هذه الكتابة اليسيرة ، التي تتيح للشباب أن يقرأوا قراءة صحيحة ، ويفهموا فهماً صحيحاً ، ويجعلوا اللغة جزءاً من قلوبهم ، ويجعلوها جزءاً من حياتهم اليومية ، لا لغة متكلفة يتكلفونها — إن استطاعوا أن يتكلفوها — في أوقات الحاجة ... إذا قدم العلماء هذا كله الى الحكومات العربية فأنا مطمئن كل الاطمئنان الى أن جميع الحكومات العربية لن تتردد في إقرار هذا النحو ، وفي إقرار هذه الكتابة ، وفي إشاعة هذا النحو في المدارس ، وفي إشاعة هذه الكتابة أيضاً .

ولقد رأيت مرة كتاباً من كتب المطالعة في المدارس الابتدائية عندنا في مصر ، طغت عليه (البداغوجية) فويل لنا من (البداغوجية) . . طغت عليه (البداغوجية) فزعمت أن اللغة العامية قد تكون أيسر لإفهام الصبية ، فأدخلت بعض الجمل وبعض الألفاظ العامية في هذا الكتاب . فلما تحدثتُ في ذلك الى وزير التربية والتعليم لم يتردد في أن يعدني بالنظر في تلك الثورة . فقدّموا أيها السادة العلماء ، والحديث هنا موجه الى مجامعنا الثلاثة التي تأتمر الآن في هذه العاصمة العربية الخالصة ، قدموا أيها السادة العلماء الى الحكومات كتابات ميسرة ونحواً ميسراً ، وقربوا لغتكم من الشعوب ، وثقوا بأنكم ان فعلتم فستبلون بلاء خيراً من البلاء العظيم الخطير ، الذي أبلاه نحاة البصرة والكوفة وبغداد في العهد القديم .

مجمع مصر واللغة العربية

ألقى الأستاذ الدكتور منصور فهمي ، كاتب سر مجمع اللغة العربية في مصر ، في الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر الأربعاء ٣/١٠/١٩٥٦ في مدرج الجامعة السورية ، المحاضرة التالية في (مجمع مصر واللغة العربية)

سادتي

دعا معالي وزير المعارف حضراتكم الى سماع تلك المحاضرات العامة ، فأمس الأول ألقى الدكتور منير العجلاني محاضرة قيمة عن رابطة اللغة والأمة ، وبالأمس ألقى صديقي وزميلي الدكتور طه حسين محاضرة عن تيسير القواعد في اللغة ، وما ينبغي أن يتخذ ليتعلم المتعلم في سهولة ويسر من غير أن تضيع سلامة اللغة ، أو يضيع جوهر اللغة •

واليوم بما أني جئت الى مؤتمر الجامع هنا ، وجئت من قبل المجمع اللغوي المصري ، رأيت من الخير أن أتكلم بشيء من الإجمال عن أهداف مجمع مصر في خدمة اللغة العربية ، وعن نزعاته في هذه السبيل •

مهما يدأب العلم أيها السادة في معرفة نشأة اللغات وأطوارها وتوزيعها في الآفاق بين الأمم ، ومهما يكن من تحليقه في هذه الناحية ، فستظل ثمة حجب تحول دون إدراك الانسان للأسباب البعيدة الدقيقة التي حولت قوة التفكير ، وخلجات الوجدان ، وطاقات النفوس ، الى أصوات مسموعة ، ذات جرس ، تبدو عند الإنسان تارة مجلجلة ، أو هامسة ، وتارة تبدو عند غيره من أنواع الحيوان مهمهمة ، أو مغردة ، أو عاوية ، الى غير ذلك من أنواع الأصوات الدالة على شيء معين في عالم الظاهر ، أو في عالم الباطن • وقد تستدرجنا النظرة العابرة الى اللغات والأصوات من

هذه الناحية الى فروض والى نظريات . وتشعرنا بضرب من اللاورائية من تلك الماورائية المحيرة كثيراً ، ويؤدي هذا الضرب من الماورائية ، ومن عميق التأمل في ذلك ، الى الاقرار بعجز العقل عن ادراك كنه كل شيء ، ثم الى نوع من تسبيح الله يفرض على نفوس المتأملين من هذه الناحية .

نحن لا نعلم كيف كانت اللغات وكيف نشأت ، وكيف علِّم الانسان اللغات وكيف أُلهم الكلام .. لا ندري .. العلم عاجز عن إدراك ذلك ، وليس من شأني اليوم أن أتناول هذا اللون من التفكير الفلسفي ، وحسبي مانعاً أن اجتماعنا قد أقيم لدراسة محدودة للغتنا المبينة ، في موقفها المعين ، في مسيرها ، وتقدمها ، واتصالها بميدان الحياة العصرية العملية ، فلا ينبغي إذن أن ينأى حديثي عما كان لمجمع مصر من نشاط ، وأهداف ، لخدمة لغتنا العزيزة .

ومن المسلم به أن اللغة العربية لم تقف دون حراك ، حيال الحركة العلمية ، والحركة الحضارية الحديثة ، فلقد هيأت لها قابليتها ومرونتها ، أسباب البقاء الطويل ، فهي تكسب وتغنم من حرص أهلها على دعم نهضتهم بالعلم ، وبالثقافة الرفيعة ، وما لها من أطيب الأثر في تنشيط الأذهان وإصلاح البيان .

وبدت بوادر هذا النهوض في مصر وفي بلاد العروبة في شتى الصور ، فيما يبحث ويبعث من تراث تليد ، وفيما ينشر أو يستحدث من تفكير ، الى غير ذلك مما تتسامى به المدارك ، وتعلو به إنسانية الإنسان .

وترجع ملامح هذا النهوض العربي الى عهد تتراءى ذكرياته وعهوده عند قرن من الزمن ، فظهرت البشائر في مصر على يد من فقهوا لغة الضاد ، وحذقوا بعض اللغات الأجنبية ، فالتزمت من بينهم جماعة بنقل طائفة من كتب الغربيين في مختلف العلوم والفنون ، وأغرى ذلك بالتنقيب في المعاجم ، وفي كتب الأدب ، لانتقاء الألفاظ العربية ، أو لوضعها وتفصيلها ، حتى تصبح قالباً محكماً ولباساً وفاقاً ، لمختلف التصورات الذهنية التي جاءت بها الحضارة الراهنة . وكان

من أثر ذلك أن نهضت الفصحى . إلا أن التقدم من الناحية الأدبية كان أرحب خطى ، وأكمل مظهراً منه في لغة العلوم . وانها على أية حال في نهضتها العلمية قد تعالت على لغة الدواوين ، التي كانت في حالة يرثى لها وقتذاك . ولعل من دواعي تخلف اللغة العلمية عن اللحاق بلغة الأدب ، أن طائفة من العلوم والمعارف كانت تعالج في معاهد الدرس بلغات أجنبية ، إما لفقر في كفاية التدريس من أهل البلاد ، وإما عن هوى في نفوس المسيطرين الأجانب في نشر لغاتهم وثقافاتهم جميعاً بلغاتهم ، وكان للأمرين كليهما أثره السيء في تعويق المصطلحات العلمية عن اندماجها في لغة الضاد .

لكن سرعة التتابع لشتى المخترعات ، كان من شأن جريانه الشديد من بلاد الغرب صوب البلاد العربية ، أن يدفق في مختلف أسواقها طائفة من الألفاظ والتراكيب الأجنبية ، جرت في الكتابة وفي أحاديث الناس ، ومرافق الحياة . ورافق ذلك التدفق الغامر المخيف دعوة لنفر من المستعمرين أو من السطحيين ، أو ممن في قلوبهم مرض ، إذ كانوا جميعاً يتجاوبون لإضعاف لغة الضاد وتفتيتها ، لتحل محلها في بلاد العروبة لهجات دارجة ، لكي تصير بعد ذلك الى لغات متباينة .

ولقد ترتب على بشائر هذا الانبعاث القومي ، والفكري منذ قرن ، وعلى الخوف من سيل المصطلحات والتراكيب الأجنبية الجارفة ، وعلى دعوة الدعاة الى تفتيت اللغة ، أن تجاوبت همم ذوي الغيرة من العرب ليفكروا في اتخاذ الوسائل لرفعة لغتهم الى المكانة اللائقة برباط العروبة المتين ، ولغة البيان المكين . ومن ثم أسفر الأمر عن فكرة المجامع العربية في دمشق وغيرها ، الى أن أنشأت مصر مجمعها الرسمي الحالي ، فعقد أولى جلساته في آخر كانون الثاني سنة ١٩٣٤ ، وحدد أغراضه فيما يلي :

« أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون

في تقدمها ، وملاءمة على السموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة ، وأن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة . »

هذا هو النص الأساسي في تأليف المجمع المصري . وقطع المجمع حتى عامنا هذا اثنتين وعشرين دورة ، وقد عقد في كل دورة نحو أربعين جلسة ، الى جانب الجلسات العديدة للجان المتعددة فيه .

أخذ المجمع يعمل في تحقيق الأغراض التي أنشئ من أجلها ، فتصنفت جهوده أصنافاً يمكن تلخيصها في ستة أو سبعة هي :

أولاً — تطويع مادة اللغة العربية لمسايرة مستحدثات العلوم والفنون .

ثانياً — درس المصطلحات العلمية والفنية درساً دقيقاً مستأنياً .

ثالثاً — تيسير دراسة النحو والصرف والإملاء .

رابعاً — تشجيع الانتاج الأدبي .

خامساً — بحث النصوص القديمة على مختلف أنواعها .

سادساً — دراسة اللهجات العربية .

سابعاً — تيسير الكتابة (الخط) .

هذه هي أصناف جهود مجمع مصر ، ولعلي ، أيها السادة ، لا أستطيع أن أعرض عليكم منفصلات من هذه الأصناف التي تمثل محاولات المجمع وجهوده ، فذلك قريب ميسّر لمن يريد ، لكن أود أن أقف قليلاً عند اتجاه المجمع في تطويع مادة اللغة ، لأقرر أنه قد سار سيراً سليماً الى نزعة التيسير في متن اللغة وفي قواعدها ، فدعا الى قياسية التضمين ، وأجاز نوعاً من الألفاظ المولدة ، وأباح التوليد والنحت عند الضرورة القصوى ، وأخذ بالاشتقاق من أسماء الأعيان ، وجعل اسم الآلة قياسياً ، وكذلك المصدر الدال على الحرفة ، وأخذ بقياسية جموع التكسير ، وأجاز النسب الى الجمع ، وجعل المصدر الصناعي مقيساً ،

ودعا الى تكميل المادة اللغوية التي لم تستكمل في المأثور من اللغة ، وأيد حق المحدثين في الوضع اللغوي ، الى غير ذلك من الضوابط والأقيسة ، التي وردت موضحة في محاضر المجمع ونشراته ، وكان يعتمد في ذلك على أقوال أفاضل اللغويين المتقدمين المعلومين .

ولا يسعني في موقفي المحدود بسط المفصل ، أو تفصيل المجمل في هذه الدراسات اللغوية التي أثمرتها جهود المجمعيين في مصر . على أنني لمناسبة قولي المجمل في تطويع مادة اللغة ، أصارح برأي بينكم فيما أحرص أشد الحرص عليه في نهضتنا المشتركة المتوثبة ، ويبدو أن الإيمان بقيمة لغتنا ، والوثوق بخصبها هما أرسخ دعامة تقام عليها خدمتها ، والمحافظة على سلامتها . وما هذا الإيمان وهذا الوثوق إلا نتيجة ملزمة لما يلهمه الواقع . فمنذ عرف للغة العربية منظوم أو مأثور أو منثور من القول في خلال نحو ستة عشر قرناً ، يتبين للمتأمل أنها لم تعجز قط عن تحمل أدق المعاني النفسية ، وعن الإفصاح عن نقائضها في صورة تدعو الى الإعجاب ، ولم تعجز كذلك عن تحمل المعاني التي جلبتها حضارات قديمة ، كان لها أثرها في رقي البشر . وحسبنا نظرة الى ما نقل اليها من فكر أهل العلم والأدب والفن من الهند ، واليونان ، والفرس ، والروم ، والى ما أضافه من دونوا ونقلوا من مصطلحات ، حتى نقرر أنها لغة تدعو الى الثقة حقاً . وعلى ذلك فمهما تكاثرت المحدثات فان ثقتنا بلغتنا تهيب بنا ، أيها السادة ، الى أن نستقبل كل ما يجد ، بسلاح من صميم مادتها ، يكفل لها الفوز في مجاراة التقدم العصري .

وانه لا يضيرنا في سبيل ذلك أن نتوسع في مقاييس اللغة ، ونستزيد من صنعها ، لأن ذلك أفضل للغة ، وأبقى عليها من أن يقتحم سياجها ألفاظ غريبة لا تنسجم مع طبيعتها ، ولا تلبث أن تسري في جسدها ، وتتكثف حول مادتها ، سريان الداء المميت ، والتكثف المقيت القاتل .

إننا اذا استخدمنا الى جانب التوسع في الأقيسة والى جانب الثروة الضخمة ، والمادة الغزيرة ، ما توارثناه من ذوق عربي ، وسليقة مواتية ، يصح أن يمثلها صفوة من أهل التفكير واللغة في المجامع العربية ، فمن المؤكد ان ازدهار لغتنا من ذاتيتها ومن طبيعتها لموشك قريب . لا تحتاج لغتنا الى الأساليب أو الى العبارات الأجنبية ، إن بامكاننا دائماً أن نطورها من مادتها أو من أساليبها المختلفة .

على أنه مهما يكن من إيماننا بقدرة لغتنا على استيعاب المحدثات ، فان ضرورة التساند من أجل سلامتها قد تستوجب تعبئة جميع القوى الفعالة ، لكي تسخو الحكومات العربية بسلطاتها وامكانياتها ووسائلها ، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

إنني لا أجهل أيضاً أنه لا يروق بعض ذوي الرأي أن تتدخل السلطات في مدى حريات الناس عند استخدامهم ألفاظاً دون أخرى ، ويعتمدون في ذلك على كفالة الذوق العام في الجماعة بردع من ينحرف عن المألوف ، وعن السوية المتبعة .

ولهذا الرأي قيمة وقدر ، لولا أن الذوق العام قد يضل ويجحد وينحرف ، فيصبح بحاجة الى التقويم والهداية .

والناس وإن خلقوا أحراراً فان حرياتهم قد قيدتها مُثل وحدود ، ومن الخير أن ترد الأمور الى مستوياتها في المثل الرفيعة ، وفي الحدود السديدة المنيعة . ومهما يكن للأفراد من حق الدفاع عن حرياتهم ، فان للجماعات ومظاهر هذه الجماعات أن تحاسبهم لصالح المجموع .

ولعل أكثر الدساتير العصرية في زمن الناس الحاضر يقيد من حرية الأفراد لصالح الجماعات . واللغة ، وهي المرفق الأكبر الممثل للمجموع ، لها حق الحماية على الحكومات ، بردع الحريات التي لا ترعى للغة في بيئتها قدساً ولا كرامة

فتبدو مظاهر الاستخفاف في بعض ما ينشر أو يرسل ، في اللافتات أو المتاجر ، أو المصانع أو غيرها من حياة الأسواق العامة ، فاذا الألفاظ الأجنبية تستخدم وتشاع ، وكان من اليسير أن تستبدل بها ألفاظ عربية مألوفة سائغة ، بعد أن وجدت في البلاد مجامع لغوية تتأهب لتقديم خدماتها لكل من تعنيه سلامة لغة الضاد . ونحن إذا خشينا وفرة المصطلحات والتعبيرات الأجنبية فذلك لأن تكاثرها قد يجعل لها لوناً من السيادة ، فاذا سادت فان سيادة اللغة القومية بين أهلها تصبح وهماً من الأوهام أو أسطورة من الأساطير ، ويتحقق عندئذ نوع من الاحتلال والاستيلاء البغيض على الذهنية العربية نفسها .

ولعل من أوجب وأيسر ما تؤازر به الحكومات ، أيها السادة ، في خدمة اللغة ، أن تبدي وزارات التعليم ومعاهدها ، حرصاً على حسن استعمال اللغة العربية والترويج لألفاظها في مختلف المدارس ، وفي بواكير المراحل ، وأن تعنى في مختلف الوزارات والمصالح ، كلٌ ضمن اختصاصها ، بتحري خدمة اللغة . وإني لست في دعوتي هذه خيالياً أو نظرياً كما يلوّح البعض أحياناً ، ولست كذلك أول من دعا اليها ، فقد سبقني الى ذلك كثيرون من معاصرين وغير معاصرين ، أذكر منهم العلامة المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري ، حين ذهب الى بغداد لحضور المؤتمر الطبي سنة ١٩٣٨ ليمثل المجامع اللغوية أو المجمع اللغوي المصري والهيئات التي تعنى باللغة ، فدعا الى تخليص لغة التدريس والتأليف من كلمات أعجمية يمكن أن يقوم مقامها اللفظ العربي ، متوخياً رياضة السليقة العربية وتربية اللسان الفصيح عند النشء الجديد ، فقدم للمؤتمرين على سبيل المثال مشروعاً لمصطلحات الكيمياء .

ولا أبغي التفصيل في الدخول في مقترحات الشيخ فلذلك مقام غير هذا المقام . فاذا كان ما نزع اليه الشيخ وارتآه لم يصادف في حينه وظروفه ما هو خليق به من تحقيق وتنفيذ ، فان النهضة العربية الحاضرة والعزة القومية اليقظة ، تحفز المخلصين إلى اعادة النظر فيما استنه الشيخ الاسكندري ، وما عسى أن نراه من اتخاذ هذه الخطة إيثاراً في لغة العلم والمعرفة .

وربما كان بعض من اشتغلوا بالعلوم من واضعي المعجمات والمصطلحات ، مثل زميلنا الأستاذ العلامة الأمير مصطفى الشهابي ، يقدر هذه النزعات تقديراً تحيط به اللباقة والاعتدال المشكور ، فقد أشار في بعض أحاديثه إلى كامل الرضا عمّا قدمه مجمع مصر من قياسية بعض الأوزان ، والأخذ بالتوسع فيها ، مما أتاح للأمير الشهابي صوغ طائفة كبرى من المصطلحات الزراعية وآلاتها . وان المجمع إذ فتح الباب لمختلف النزعات كالاتجاهات لوضع مصطلحات العلم وضعاً عربياً سليماً فانما كان ذلك نزوعاً منه الى شحذ السليقة العربية ، وابتعاث قواها . وان نتائج سعيه في هذا السبيل لا تقف عند ذلك فحسب ، وإنما تتعداه الى خدمة الفكر ، والفهم ، والذهنية العلمية لتحديد الحقائق ، وتصويرها في قالب من اللفظ العربي المفهوم ، وذلك لأن حسن الفهم يتوقف على حسن التصور ، ولا يكون التصور الحسن إلا ثمرة الفهم من اللغة التي انطبعت في النفس ، وجرت على لسان القوم ، حين تؤدي الكلمة صورة الشيء على وجه يمثله من قريب جداً ، أو من بعيد . وجلي أن التوسع في الأقيسة وفي الاشتقاقات والسير في مسالكها لأدنى موجب يلهمه الذوق ، لا بد أن يزيد في ثراء اللغة ، ويمد رصيدها بكلمات عربية ، ويعين على تنميتها في التوالد والتكاثر ، حتى تحفل لغة الضاد بثروة واسعة تغبطها عليها اللغات .

ومع ما لنا من حرص في هذا التوسع ، فقد أجاز المجمع اللغوي المصري التعريب عند الضرورة القصوى ، على أن تكون رخصة التعريب بعد عناء واستقصاء واستنفاد لوسائل الاشتقاق والمجاز ، بل بعد الانتفاع بما يلازم الصور المعنوية القوية من نواح ، أو صفات ، أو قرائن أو ملابسات .

ومن أهم المبررات في نزعة التشدد عند رخصة التعريب ، اسراف المتساهلين وانطلاقهم في تبادل الكلمات والتراكيب والأوضاع اسرافاً لا يقف عند حد ، وكذلك إسرافهم في تجنب المشقة وبذل الجهد في التنقيب عن الكلمات العربية ، أو التقاطها من كنوز الماضي ، وملهمات الحاضر .

على أن حرص المجمع على تطويع اللغة ، لاستيعاب المصطلحات العلمية والحضارية ، لم يحل دون أن يرى البعض فتح الباب واسعاً على مصراعيه ، لكي تدخل منه مصطلحات العلوم والحياة الحضارية الجارية ، بصيغها الأعجمية ، محتجين في مذهبهم بما لتلك الكلمات من وفرة لا تقاوم ، وبما لها من تكاثر يتزايد بتتابع الكشف والاختراع ، كما احتجوا بما لها من شمول وعموم بين المثقفين وأهل العلم في كل مكان ، وبما لها من ترابط وما بينها من تناسق واتصال . وهؤلاء يتناسون أن إلف الألسن لهذه الكلمات والمصطلحات الأعجمية يرجع الى سياسة الاستسلام لها ، والتفريط في واجب الاستعاضة عنها ، وحين تتساند الجهود وتصلح العزائم ، وتتلاقى الكفايات للمقاومة ، فلن يتعاصى على الصفوة المثقفة أن تنمي لغة العلم في الكيان العربي ، وتزودها بما هي في حاجة اليه من رصيد ، مهما كبر هذا الرصيد . واذا كنت أبدو مع كثرة من زملائي ، بحذر من سيل الألفاظ الأجنبية ورغبة عنها ، فانما مرد ذلك الى الخشية من تهاون يجر الى تهاون ، واهمال يدعو الى إهمال ، فتتلاشى اللغة العربية نفساً في نفس ، وتهتز قواعدها بعد أن رست ورسخت ، وعلا بناؤها ترفرف عليه رايتها في رحيب الآفاق ، على مدى القرون . واني لا أعدو الصواب أيها السادة إذا قدرت أن مصير العروبة يتضامن مع مصير لغتها ، ففيها تتركز مواهب الأمة العربية وأحاسيسها ، ومفاهيمها وانتفاضاتها .

ولو خرجت هذه الأمة على لغتها فانها توهن بذلك معنى العروبة وتزحزحها عن طريقها المقدر لرسالتها في ضريبة التقدم الانساني ، وتنزلها عن مكانتها من العزة والكرامة . فالدعوة الى رفعة اللغة ، هي دعوة الى رفعة القومية العربية ، والانحراف عن ذلك هو انحراف عن مطالب الوطن العربي الأكبر ، على أن مقاومة المجمع المصري للصورة الأعجمية في المصطلحات ، لم تحل دون تقديره للتسامح المفيد ، فحرصه على انتفاع المثقفين العرب باللغة الشائعة بين أهل الاختصاص العلمي ، جعله يوصي بحصر اللفظ الأعجمي بين هلالين بجانب اللفظ العربي المقترح ،

فأرضى بذلك غرض اللغة من السلامة ، وحاجة من يقدرون مكانة الشيوع للفظ الأجنبي بين المختصين من أهله في العصر الحاضر .

على هذا النحو ، تناول المجمع قرابة ثلاثين ألفاً من المصطلحات العلمية والفنية والأدبية ، مما يستوعب حاجة التعليم الثانوي كله ، ويتجاوزها الى الدراسات في المعاهد العليا والجامعات .

أيها السادة ، أبحت لنفسي أن استأني قليلاً عند جهد المجمع في تطويع مادة اللغة ، في تطويع هذا الصنف من جهوده ، ولن أشير الى ضروب أخرى من جهوده إلا إشارات عابرة ، فأما جهده في توخي التمحيص لما يفد الينا من الكلمات العامة في المتجر ، والسوق ، والبيت فهو جهد يمثل التريث التقليدي للمجمعيين ، فرب كلمة تقتضي طويل التنقيب لمعرفة مأتاها ومنشأها وأطوار تقلبها ، وانبساطها أو انقباضها عن احتمال المعاني المختلفة ، ولا يعرف الصبر على ذلك إلا من كابد هذا الجهد المرير .

ولما أراد المجمع البحث في قواعد الصرف والنحو والإملاء ، رأى أن يلتزم مبدأ انتهى اليه في سنة ١٩٤٥ ونصه : « ان كل رأي يؤدي الى تغيير في جوهر اللغة وأوضاعها العامة لا ينظر اليه ، وان المهمة هي تيسير القواعد » هذا هو النص . فالأمر في ذلك لا يعدو إذن أن يكون محاولة لاختصار الطريق ، وترجيحاً لبعض الآراء التربوية على بعض ، وقد يروق لبعض الناس رأي منها فيخالفه ، أو ربما يخالف البعض هذا الرأي الى رأي آخر ، ولكل شيخ طريقته ، ومناهجه ، ولكل طالب قوته وطاقته فيما يتعلم ، وفي الطريقة التي يتعلم بها . المسألة إذن في تيسير القواعد التي أشار اليها صديقنا الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين لا تتعدى هذا النص المجمعي : « ان كل رأي يؤدي الى التغيير في الجوهر لا يؤبه له » ، إنما التيسير تيسير في الطرائق ، وتيسير في التعليم ، وهذا شيء مباح ، حصل منذ زمن ، وحصل من بعيد . جبر ضومط ، في بلادكم ، خليل السكاكيني

رحمة الله عليه في فلسطين وغيرهما أيضاً نظروا الى هذه الوجهة ، وأرادوا أن يحسنوا في المناهج ، وفي طرائق التدريس . وكان عندنا حفني ناصف من المحسنين في الطريقة أيضاً ، فقد حسّن الطريقة التي سارت عليها الكتب الأثرية المعلومة ، كالكفراوي والأشموني وغيرهما من الكتب ، حسّن حفني ناصف هذه الكتب وجعل القواعد مدارج مدارج . هذا الرأي في التحسين التربوي قيل وعمل به ، وما زال يقال ، وقد يقال في المستقبل . ان التحسين في الطريقة وفي الايضاح ، وفي الطرق التربوية أمر معقول ومقبول ، وهو ما أشار اليه بعض أصدقائنا في هذا العصر وفي هذه الأيام .

أما تشجيع الإنتاج الأدبي وهو جهد من جهود المجمع ففيه محاولة لالتماس الوسيلة للحض على التنافس في فنون القصة والشعر والنقد وتحقيق الكتب والتراجم وتشويق اللغة الفصحى السائغة والأدب السهل الرفيع . ولقد اتسع هذا التشجيع لأدباء العربية . ويقيم المجمع لهذه المناسبة حفلة سنوية تتهيأ لها دراسة نقدية ، لها أثرها في التوجيه والحث على الإجادة والتفوق باللغة العربية الميسرة السائغة .

أما ما يتعلق بعمل المجمع في المعجمات فهناك معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وهو يتجه إلى استيعاب كل لفظ في كل آية ، وتوزيع الألفاظ على معانيها المرادة بطريقة علمية ميسرة ، وبشروح تتجاوب مع البلاغة القرآنية والذوق العربي الأصيل .

ولقد جعل المجمع في تقديره ، حين عني بهذا المعجم ، ان هذا الكتاب السماوي منارة متلألئة ، يهتدي بها العاملون لإرساء قواعد اللغة وإبقائها في سلامة وصحة . وانا أعتقد أيها السادة أن كل تيسير وكل أمر ينزع بنا بعيداً عن هذه المنارة المتلألئة التي نقدر جميعاً بايمان أنها كانت سبباً في نشر اللغة وفي ربطها بشعوب كبيرة ، كل تيسير ينأى بنا عن قواعد وأصول هذه المنارة لا يؤبه له ، ولا يعمل به .

إنما نحن نستطيع أن نحوم ونحوط ، ولكن نرتكز وننظر دائماً الى هذه المنارة المتلألئة لكي نهتدي بها . نخرج منها قريباً من بلاغتها قريباً ، أو نبعد بعيداً ، ولكنها هي دائماً المثل ، المثال الرابض ، وهي المنبع الأم ، وهي القبلة الإمامية التي نأتم بها في كل شدة . هذا القرآن الذي ارتضينا أن يكون أماً للبلاغة ، أو أن يكون الأم البلاغية ، أو يكون الأم الحافظة للغة العربية ، ما دمنا نرتضي هذا ، فلا ضير علينا أن نحوم حول تيسير في الأسلوب ، تيسير في التعليم ، تيسير في البرامج ، في بعض الأبواب التي قيلت ، نسهل تفهيمها أو نحذفها عندما نرى أن الطالب الناشئ لا يفهمها مثلاً ، ولكن الإمام هو اللغة الفصحى التي تتمثل في القرآن الكريم .

بعد معجم القرآن هناك المعجم الوسيط للشادين والمبتدئين ، وهو من أعمال المجمع وعلى وشك النهاية لولا العزم على أن يزود بالصور والخرائط ، وبتاريخ بعض الأعلام . والمعجم بعد الآن للمطبعة . أما المعجم الكبير التاريخي فقد قدر المجمع ما يقتضيه وضعه من الجهد ، وطول الوقت ، فصدر منه جزء يبتدئ من حرف الألف الى حرف الألف مع الخاء وأخرج هذا الجزء على سبيل التجربة في أربعمائة صفحة ، وأرسل الى مختلف الهيئات العلمية لكي يسجلوا ما يبدو لهم من ملاحظات ، لينتفع بها العاملون بهذا المعجم لوجه الحق والصواب . وقد قام العمل بهذا المعجم على وجه دقيق يتلخص في جملة بنود لا حاجة إلى سردها الآن .

أما ما يتعلق بدراسة اللهجات فهذا جهد من جهود المجمع ، يهدف من ورائه الى تلقف الكثير من فصيح ما يجري في الهواء ، لكي يرد له اعتباره في التعامل اللغوي السليم .

أيها السادة ، إن مجمع مصر باتخاذ ما نوهت عنه من اتجاهات مختلفة ، يحفزه شعور بالواجب الشديد نحو لغة قوية طويلة العمر ، يكاد الذائق من حيويتها ، والمشاهد من طول عمرها ، أن يسمها بسمة الخلود .

ولقد اعترف النابهون في القديم والحديث بقيمة تلك اللغة ، فكان أبو الريحان البيروني الفارسي في القرن الحادي عشر يرى أن اللغة العربية أطوع للعلوم من الفارسية ، وكان يقول : لأن أُهجى باللغة العربية خير لي من أن أُمدح بالفارسية .

ولقد ذكر زميلنا المرحوم أنطون الجميّل ، في محاضرة له في المجمع ما يلي ، قال : كان كارلوس الخامس المسمى شارلكان ، يقول : إني اذا خاطبت الله ضارعاً خاطبته بالاسبانية ، واذا خاطبت النساء متحبباً خاطبتهن بالإيطاليـة ، واذا خاطبت جوادي زاجراً خاطبته بالألمانية ، واذا خاطبت الناس عامة خاطبتهم بالفرنسية . فهل نغالي اذا قلنا إن هذا العاهل لو كان يعرف اللغة العربية لغني بها عن غيرها في مواقفه الأربعة ؟ فقد جمعت فخامة اللفظ وجمال الأسلوب الى قوة الأداء وفصاحة التعبير .

ومع إقراري أيها السادة ، بصحة ما قيل في الإشادة بلغة الضاد ، فاني أرى لها مناعة كبرى تقيها من الفساد ، وطاقة قوية على تحمل ما يصدر عن الطبيعة البشرية وجبلة الانسان من معنوياته ، وتأملاته ، وخطراته ، وإشراقاته ، ولمحاته ، ولها طواعية فيما يتصل بعلاقة الانسان المادية ، واضطرابه بسعاه ، وفي معترك الحياة . هي لغة تحسن التعبير عن الخاطر والضمير ، وعن الظاهر والمحسوس ، وليست لغة الضاد في مختلف أطوارها تسير على نهج غيرها من اللغات . ليست لغة الضاد تسير على نهج غيرها من اللغات ، فلها قانون خاص بها . . .

ربما أرفع منصوباً أو أنصب مرفوعاً ، ربما كان هذا ، ولكن هل هذا يجعلني أضطرب في اصطلاح أو أضطرب في قياس ؟ ولكن هل هذا يبعدني بعداً كثيراً عن اللغة الأم الأصلية كما يبعد الفرنسية عن اللاتينية مثلاً ؟ . كلا أيها السادة ، ففي كل يوم يزداد التعليم ، وتزداد الثقافة ، وتزداد المجتمعات ، والاجتماعات التى تجمعها المجتمعات والندوات الأدبية ، وفي كل يوم تزداد الإذاعة التي تفتح في المتاجر والدكاكين والمقاهي وفي . . وفي . . الخ . .

وفي كل يوم تمتلئ آذاننا باللغة العربية القريبة من اللغة الإماميـة الفصحى . أنا أعرف منذ ستين عاماً الرجل العامي : البوّاب ، والسوّاق أو من ماثل السوّاق ، سائق العربة مثلاً ... السوّاق زميل في هذا الزمن .. في هذا الزمن أصبحت لهجته وتراكيبه في الحديث معي أقرب وأعلى من لهجة زميله منذ خمسين عاماً ، مما يدل على أن اللغة تسير على خلاف سير اللغات الأخرى . اللغات الأخرى كانت تتفكك من الأم لتسير بعيداً عنها . فلو بعث لاتيني اليوم لما فهم اللغة الفرنسية ، ولو أراد فرنسي أن يفهم كلام لاتيني بُعث لما استطاع . بخلافنا نحن : فلو بعث عنترة وأراد أن يتغزل بعبلة في أبياته ، إذن لفهمنا جميعاً شعره ، حتى هذا السوقي الذي في الشارع .

أيها السادة : أطلت وآن لي أن أختتم . يقتضيني حديثي عن مجمع مصر واللغة أن أختتمه بكلمتين صغيرتين ، أولاهما الى المجمعيين ، والأخرى الى جامعة الدول العربية . أما المجمعيون الذين أجتمع بهم كل يوم ، من أبناء العروبة ، فهم صفوة هيأتهم الظروف لعمل علمي مشترك ، ويتصفون بما وسعتهم به مبررات تعيينهم في المجامع ، من مقدرة على العمل للاحتفاظ بسلامة اللغة ، على أن المجمعي المثالي لا يقف همه عند التفقه في اللغة والدأب في خدمتهـا ، وهو فوق ذلك يتحلى بحس خاص ينتزع به وجهته في العمل ، ومقومات سعيه في الحياة ، من سليقة عربية مؤصلة ، ناصعة ، كرحمة الله تتسع لأطيب الآمال ، ونقيـة كالصحراء التي تدني بنقائها النجوم المتألقة في الليل البهيم حين يستشعر به صاحبه رسالة لترفيع قومه وانعاش ثقافتهم ، وإمداد حديثهم ولغتهم بالمعاني المشرقة من كريم اللفظ العربي ، حس يذكي في نفسي نزعات وأريحية الاعتزاز ، فينسمع بالطيب من جرس لسانه وبيانه ، رنيناً مطرباً يشجي ، فيروق لمسمعه من لغته كل صوت ، وتشدو في أذنه كل نبرة من نبراتها ، حس يتبين به شتى الذخائر

الغالية التي تضمنتها اللغة من طرائف الحكم والمعاني والمأثورات المشتتة في المنظوم وفي المنثور ، والمنطوية عليها المظان العامرة من تطاول الأعوام ، وتواصل القرون والأيام ، حس يتلمس به الكريم العاطر من المعاني البشرية العليا ، لينقلها في أجواء عروبته ، ويذيب في شخصيتها ، لتتكون منه ثقافة عربية تفرض نفسها على الناس ويفرضها الإنسان الراقي على نفسه ، وحينئذ يؤدي المجمع واجبه .

لقد أشرت فيما أسلفت من القول الى رغبتي في مساندة الحكومات العربية وعنايتها باللغة ومجامعها ، والى أملي في تآزر فعال بين مختلف السلطات والمصالح والهيئات الحكومية ، لاتخاذ أسباب التيسير حتى تنطلق اللغة النقية في ميادين أعمالها وتعاملها .

فاذا رأى جمع المجمعيين ذلك فيقيني أن خير موصل لهذه الرغبة الى حكوماتنا الرشيدة مسعى جامعة الدول العربية .

فليكن رجاؤنا اليها أن تنوب عنا في بسط ذلك التآزر الجدي ، والوسائل في ذلك متعددة ، وعسى أن تكون مجال بحث واستبصار فيما بعد .

أيها السادة ، إذا أدى المجمعيون رسالتهم على خير جهد ، وإذا استخدمت المجامع طاقتها من مذخور العلم والذوق والايمان والأريحية والمثالية ، وإذا توزعت الجهود وتناسقت ، واذا آزرت الحكومات والجماهير بالمزيد من التجاوب في خدمة لغة الضاد ، واذا تذكر كل من يتصدى لحركات النهوض أن عليه أن لا يفرط في معاني الهداية الأساسية من وصل الحاضر بالماضي ، ومن دعم القيم القديمة بالحديثة ، وبانتفاء كل حركة لا تشد إلى قطب ولا تنجذب إلى قرار ، إذا كان كل ذلك فاستبشروا وبشروا لغة العرب بالخلود ، وأيقنوا أن النصر من عند الله قريب .

نشاط المجامع

لبّت المجامع الثلاثة طلب الإدارة الثقافية ، فلخص كل منها أعماله ونشاطه في مذكرة وزعت على أعضاء المؤتمر . وهذه هي المذكرات .

نشاط المجمع العلمي العربي

كان المجمع العلمي العربي ، يعرف لأول أمره بالشعبة الأولى للترجمة والتأليف ، التي أسست في عهد الحكومة العربية سنة ١٩١٨ . ثم جعلت هذه الشعبة ديوان المعارف . ثم انقلب هذا الديوان نظراً لاتساع أعماله الى مجمع علمي ، واستقل في عام ١٩١٩ عن ديوان المعارف ، وحددت غاياته في أنظمة خاصة ، وهي :

١ — البحث في العلوم الحديثة والقديمة ، وخصوصاً إحياء تراث العرب في العلوم والآداب .

٢ — البحث في علوم اللغة العربية والحرص على سلامتها وجعلها تتسع للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة .

٣ — البحث في تاريخ العرب وآثارهم ومدنيتهم وصلات الأمم بالحضارة العربية . على أن يقوم المجمع لتحقيق هذه الغاية بالأعمال الآتية :

آ — الاتصال بالمجامع اللغوية والعلمية والعمل على توحيد المصطلحات العلمية في الأقطار العربية .

ب — إحياء الكتب الأدبية والعلمية التي خلفها أدباء العربية وعلماؤها ، وتحقيق المخطوطات القديمة ونشرها ، ومنح المؤلفين المجيدين في العلوم والآداب جوائز مالية ، والعمل على طبع مؤلفاتهم .

ج — إقامة المؤتمرات والمهرجانات العلمية والأدبية في سورية ، والاشتراك في المؤتمرات والمهرجانات التي تقوم في الأقطار العربية وفي البلدان الأخرى .

د — إصدار مجلة تعنى بنشر الأبحاث المتصلة بأغراض المجمع .

هـ — تنظيم إلقاء المحاضرات العامة في ردهة المجمع بدمشق أو في المدن السورية الأخرى .

أخذ المجمع على نفسه منذ تأسيسه العمل على تحقيق الأغراض التي أسس من أجلها . وكان أول أعماله إصدار مجلة المجمع العلمي العربي ، وقد ظهر منها حتى عام ١٩٥٦ واحد وثلاثون مجلداً ، تحوي دراسات لغوية وتاريخية وأدبية ، وتعرّف بنوادر المخطوطات العربية ، مع نقد أشهر المؤلفات العربية والأجنبية التي تفيد العالم العربي . وقد ساهم في تحرير المجلة أعضاء المجمع العاملون والمراسلون في الشام ومصر والعراق وتونس والجزائر ومراكش وأوربا وأمريكا ، وغيرهم من العلماء ، وأكثر هذه الأبحاث تمت بصلة وثيقة إلى بعض أغراض مؤتمر المجامع اللغوية العلمية للدول العربية وأبحاث جدول أعماله . من ذلك :

١ — تنظيم الاتصال وتنسيق الأعمال بين المجامع العلمية العربية :

كان الوضع السياسي في البلاد في عهد الانتداب لا يساعد على تنظيم الاتصال الذي تصبو اليه نفوسنا ، لأسباب سياسية ولعدم وجود مجامع لغوية وعلمية وقتئذ في بقية الأقطار العربية أو لحداثة عهد تأسيسها . وقد عمد مجمعنا الى تلافي هذا النقص ، بانتخاب أكبر عدد من الفئة المختارة العاملة في الحقل اللغوي والأدبي وبقية الفروع الثقافية في البلاد العربية والأجنبية أعضاء مراسلين ، ترسل اليهم مجلة المجمع ومطبوعاته ، ويساهم أكثرهم في أغراض المجمع العلمية مساهمة مشكورة . وأصبح مجمعنا بهذا الشكل همزة الوصل بين مختلف العناصر العاملة في حقل العلوم العربية وآدابها وتنشر لهم مجلته آراءهم وأبحاثهم . ولما أسس المجمع اللغوي والمجمع العلمي العراقي كان أكثر أعضائهما أعضاء في مجمعنا ، كما انضم اليها أعضاء

من مجمعنا، وتحقق بذلك نوع من الاتصال بين المجامع، يتبادلون الآراء والمطبوعات، ويطلع كل منهم على نشاط الآخر .

٢ — دراسة الوسائل الرامية الى ترقية اللغة العربية :

أحست دواوين الحكومة والمؤسسات بحاجة الى كلمات ومصطلحات عربية جديدة، تحل محل الألفاظ الأعجمية القديمة الشائعة، وقد استجاب المجمع العلمي العربي لهذه الرغبة فأذاع على الدوائر الرسمية والمعاهد العلمية نشرة، طلب فيها أن تنبئه بما تحتاج اليه من الألفاظ وضعاً وتعريباً، وأن ترسل اليه من جانبها ممثلاً اختصاصياً، يشترك في أبحاث المجمع، ويوضح لأعضائه مدلول الألفاظ الفني . وأخذت القوائم ترد اليه من مختلف الجهات، فعرضت على المجمع في جلساته، وبعد مناقشتها أبقى بعضها لصحة عروبتها، واستبدل ببعضها غيرها، وعدل القسم الآخر، ونشر مقترحاته في مجلته والصحف المحلية للمناقشة والمدارسة، واعتمدت الدوائر المذكورة هذه الألفاظ كما أقرها المجمع .

وعني المجمع أيضاً بلغة الصحافة والكتاب والمحادثة، ونشر في مجلته سلسلة مقالات في عثرات الأقلام وعثرات اللسان، ثم جردت وطبعت على حدة . وبحث في العربية العامية وعلاقتها بالعربية الفصحى، وتناول في أبحاثه التصحيف والتحريف . وكان المجمع منذ بدء عمله مرشداً للكتاب والمتأدبين، ينتقد من كتبهم ومقالاتهم كل ما يسيء الى اللغة ويرجع بها القهقرى ويسلب منها بهاءها ورواءها، لا يصانع في ذلك صديقاً ولا يجامل قريباً، كما انه وضع منذ عام ١٩٢٣ مشروع كلية الآداب، يتخرج منها نشء جديد يتفقه باللغة والأدب .

٣ — تشجيع الترجمة والتأليف بالجوائز المالية :

وبواسطة المجمع صحت نية بعض فضلاء الأعيان، على وضع جوائز مالية للمؤلفين، في موضوعات عينوها، والمجمع هو الحكم وواضع القيود والشروط . ومنح

أيضاً من موازنته الخاصة بعض المجيدين من الكتّاب والعلماء والمحققين جوائز مالية ، وشجع الآخرين بشراء كمية من مؤلفاتهم .

٤ — المصطلحات العلمية :

هذه المشكلة العويصة عانتها الشعوب الناشئة ، وهكذا كان شأن اللغة العربية ، اجتازت في نهضتها أدواراً ذهبية تغلبت فيها على محنة الترجمة أيام العباسيين ، فتمّ لعلمائها وضع كثير من الألفاظ بطريق الاشتقاق والمجاز ، وترجموا مفردات وتعابير دقيقة ، حتى أصبحت العربية في طليعة اللغات العلمية ، ثم جاءت عصور الانحطاط ، فتغيرت مقومات العربية كتابة وكلاماً ، وجمد نشاطها حتى أصبحت مفتقرة الى المصطلحات الفنية العصرية .

وقد حاول مجمعنا معالجة هذه المشكلة ، ولم يأل جهداً في الاتصال ببعض العلماء خارج سورية ، للتعاون معهم في البحث عن المصطلحات والاتفاق على شكلها ، واستقر رأيه على ضرورة وضع معجم لغوي جامع حديث في ترتيبه وسعة مادته واستجابته لمطالب العصر ، وقامت في ذلك مناقشات طويلة حول هذا الموضوع وصعوبة تحقيقه ، وانه لا يكون وافياً بنجاحه ما لم تتعاون في وضعه الأقطار العربية ، لاختلاف الكلمات المولدة باختلاف الأقطار ، وما لم يحشد العرب جميع امكانياتهم لتوحيد المصطلحات ، وإلا وقعت البلاد في بلبلة وشر مستطير . ومع ذلك فقد بذل بعض أعضاء مجمعنا بحكم طبيعة عملهم في مختلف فروع الجامعة جهوداً مشكورة ، فوضعوا مصطلحات حديثة كثيرة ، أودعوها مؤلفاتهم في الطب والصيدلة والعلوم والفلسفة والزراعة والفنون والتشريع والاقتصاد والاجتماع ، يصلح أكثرها أن يكون نواة لمعجم المستقبل .

٥ — تحقيق المخطوطات ونشرها :

عني مجمعنا بجمع المخطوطات العربية القديمة على اختلاف موضوعاتها ، فأودع آلافاً منها دار الكتب الظاهرية ، واستنسخ بالتصوير الشمسي من دور الكتب

الأجنبية كثيراً من المخطوطات النادرة التي يفتقر اليها مجمعنا ، ويحرص على بعثها ·
وعهد الى بعض أعضائه وغيرهم من العلماء بتحقيق طائفة من هذه المخطوطات القيمة ، منها :

١ — نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة : للتنوخي
٢ — بحر العوام فيما أصاب فيه العوام : لابن الحنبلي الحلبي
٣ — ديوان الوليد بن يزيد
٤ — رسالة الملائكة : للمعري
٥ — تاريخ حكماء الاسلام : للبيهقي
٦ — ديوان ابن عنين
٧ — المستجاد من فعلات الأجواد : لأبي علي التنوخي
٨ — كتاب الأشربة : لابن قتيبة
٩ — الدارس في تاريخ المدارس : للنعيمي
١٠ — ديوان علي بن الجهم
١١ — الرسالة الجامعة : المنسوبة للمجريطي
١٢ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب : للملك الأشرف
١٣ — تاريخ داريا : للخولاني
١٤ — فضائل الشام ودمشق : للربعي المالكي
١٥ — ديوان الوأواء الدمشقي
١٦ — الموفي في النحو الكوفي : لصدر الدين الكنغراوي
١٧ — ديوان ابن حيوس
١٨ — تاريخ مدينة دمشق : (الجلد الأول والثاني) لابن عساكر
١٩ — كتاب البيزرة : لأبي عبد الله الحسن بازيار العزيز بالله الفاطمي
٢٠ — أمراء دمشق في الإسلام : للصلاح الصفدي

٢١ — خريدة القصر وجريدة العصر : لعماد الدين الكاتب

٢٢ — ديوان ابن أبي حصينة

٢٣ — كتاب التبصر بالتجارة : للجاحظ

٢٤ — المنتقى من أخبار الأصمعي : للإمام الربعي

٢٥ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة : للجواليقي

٢٦ — صحيفة همام بن منبه

٢٧ — الزيارات بدمشق : للقاضي العدوي

٢٨ — قضاة دمشق : لابن طولون

وهنالك مخطوطات أخرى تحت الطبع ، وغيرها قيد التحقيق .

تقرير المجمع العلمي العراقي

إشارة الى مذكرتكم ذات الرقم ٦٧ / ١٤ عدد ٨٧ المؤرخة في ١٩ / ٨ / ١٩٥٦ نبين لكم ما يلي :

١ — نصت الفقرة (آ) من المادة الثانيــة من نظام المجمع العلمي ما يلي :

« العناية بسلامة اللغة العربية ، والعمل على جعلها وافية لمطاليب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة » . وقد أعار المجمع هذه المسألة عناية ملحوظة ، فألقى بعض أعضائه محاضرات في هذا الشأن ، وكتب آخرون بحوثاً في سلامة اللغة العربية ، وفي تيسير قواعد الإملاء العربي نشرت في مجلة المجمع .

٢ — الترجمة من العربية واليها : قام المجمع بترجمة كتب عدة من اللغة الانكليزية ومن اللغة التركية الى العربية ، في موضوعات علمية وفلسفية وتاريخية ، طبع بعضها ولا يزال بعضها قيد الترجمة والتحقيق ، كما ساعد بعض المترجمين على نشر ما ترجموه مساعدات مالية . وتجدون أسماء هذه الكتب مدونة في قائمـة مطبوعات المجمع المرفقة بهذا الكتاب .

٣ — تشجيع التأليف والترجمة بالموضوعات العلمية : يدرس المجمع كل طلب يقدم اليه دراسة وافية ، بأن يحيله على لجنة من أصحاب العلم والتخصص ، فاذا كان رأي اللجنة ايجابياً اتخذ ما يراه بشأنه ، وذلك بحسب أهميته وصلته بحاضر العالم العربي ، فيقبله بطبعه على نفقته وباسمه أو يمنح المعرب نفقات الطبع ، ولا يشترط عليه تقديم المبلغ نقداً أو عوضاً ، وانما يعتبر ذلك هبة له ومساعدة . وقد يطلب من المعرب تقديم عدد قليل من المطبوع ، لوضعه في خزانة كتبه للمراجعة . وليست للمساعدة حدود ، إنما تقدر بمقدار حجم المطبوع المقدر ومقدار ما يحتمل صرفه عليه ، والمجمع هو الذي يعينها بالاستناد الى آراء الخبراء في الطبع .

٤ — المصطلحات العلمية : أولى المجمع المصطلحات العلمية والفنية عناية خاصة ، وقصر منذ عدة سنين معظم جلساته على دراسة ما يرد عليه منها من دواوين الدولة ومن المؤسسات العلمية في الخارج وفي جملتها الادارة الثقافية بجامعة الدولة العربية . وقد نشر قسمان مما فرغ منه في أجزاء مجلته ، وفي كراسة خاصة وطبعت ووزعت أيام انعقاد المؤتمر الهندسي العربي في مدينة بغداد في سنة ١٩٥٥ . كما نشر في أجزاء مجلته القواعد التي يسير عليها في اختيار المصطلحات والطريقة التي يتبعها في وضع المصطلح .

٥ — تحقيق المخطوطات العربية : نشر المجمع جملة مخطوطات عربية ، دونت أسماؤها في قائمة مطبوعاته المرفقة ، ولديه في الوقت الحاضر جملة مخطوطات معدة للطبع قام بعض أعضائه بتحقيقها ودراستها ، كما نشر صورة الأرض للشريف الادريسي وخوارط لمدينة بغداد والموصل . أما طريقة الاختيار وكيفية التحقيق فقد وضع المجمع قواعدها وأصولها قبل سنوات عديدة . وقد أشار اليها المجمع في مجلته .

٦ — تشجيع التأليف : وضع المجمع له قواعد في تشجيع التأليف والتحقيق والترجمة ، وذلك بطريقة وضع جوائز سنوية للكتب المطبوعة وللكتب التي يقترح المجمع تأليفها واعلانها للكتابة فيها . وهي في موضوعات متعددة مختلفة ، تضعها لجنة خاصة تؤلف لهذه الغاية في كل سنة ، تضعها حسب رأيها في أهميتها وصلتها بالحياة العربية . وقد أشير اليها والى شروطها في أجزاء المجلة .

رئيس المجمع العلمي العراقي

منير القاضي

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول) .

مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثاني) .

مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الثالث) : جزءان .

مجلة المجمع العلمي العراقي (الجزء الأول من المجلد الرابع) .

كتاب النغم ليحيى بن علي بن يحيى المنجم : تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري .

تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الأول)
تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الثاني)
تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الثالث)
تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الرابع) القسم السياسي
تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الخامس) القسم الديني
} للدكتور جواد علي

صورة الأرض للشريف الإدريسي : تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي .

موجز الدورة الدموية في الكلية : للدكتور هاشم الوتري .

المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد : للحافظ ابن الدبيثي ، انتقاء الإمام الذهبي ، الجزء الأول ، تحقيق الدكتور مصطفى جواد .

مؤرخ العراق ابن الفوطي : للأستاذ محمد رضا الشبيبي .

مقدمة للرياضيات : تأليف وتمهيد ، وترجمة الأستاذ محيي الدين يوسف .

الدينار الإسلامي في المتحف العراقي : للسيد ناصر النقشبندي .

خارطة بغداد قديماً وحديثاً : وضع الدكتور أحمد سوسه والدكتور مصطفى جواد والسيد أحمد حامد الصراف .

الوقاية من السل الرئوي والـ بي ـ سي ـ جي : للمرحوم الدكتور شريف عسيران .

بلدان الخلافة الشرقية : تأليف ليسترنج وترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد .

خريدة القصر وجريدة أهل العصر : للعماد الاصبهاني ، القسم العراقي ، الجزء الأول : حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وأعد أصله وشارك في تحقيقه ومعارضته ووضع فهارسه الدكتور جميل سعيد .

منازع الفكر الحديث : تأليف سي . ام . جود ، ترجمة المرحوم الأستاذ عباس فضلي خماس ، ومراجعة الدكتور عبد العزيز البسام .

الخطاط البغدادي علي بن هلال (بن البواب) : تأليف الدكتور سهيل أنور ، وترجمة الأستاذين : محمد بهجة الأثري وعزيز سامي .

كتاب الجامع الكبير في صناعة المنثور من الكلام والمنظوم : تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سعيد .

مصطلحات المجمع في هندسة السكك والري والأشغال في الصناعة والملاحة والطيران .

كتب ساعد المجمع على طبعها

اليزيدية : تأليف السيد صديق الدملوجي .

أنت والوراثة : تأليف امرام شاينفيلد ، وترجمة السيد بشير اللوس .

العلوم الطبيعية : دراسة عامة للعلوم الفيزيائية والكيميائية والرياضية وأثرها في سير المدنية الحديثة ، للدكتور نوري جعفر .

المدخل الى الفلسفة الحديثة : تأليف سي . ام . جود وترجمة السيد كريم متي .

الديارات : للشابشتي ، تحقيق السيد كوركيس عواد .

الشرفنامة : تأليف الأمير البدليسي ، وترجمة السيد جميل بندى الروزبياني .

ديوان الشرر : للسيد أحمد الصافي النجفي .

الدستور وحقوق الانسان (جزءان) : للسيد عطا بكري .

لمحة من أعمال مجمع اللغة العربية في القاهرة

في تيسير قواعد اللغة وكتابتها ودراسة مصطلحاتها وتشجيع الانتاج الأدبي وتحقيق المخطوطات

كانت مهمة مجمع اللغة العربية منذ نشأته، المحافظة على اللغة العربية وصيانتها والنهوض بها، وجعلها مطابقة لمقتضيات العصر وحاجاته، وبذل الجهد لذيوعها وانتشارها.

وقد كان من وسائل المجمع الى غرضه هذا ما يأتي :

١ — توسيع أقيسة اللغة وتبسيط قواعدها وتيسير كتابتها وإملائها.

٢ — وضع المعاجم اللغوية.

٣ — العناية بالمصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة.

٤ — تحقيق المخطوطات العربية.

٥ — تشجيع الانتاج الأدبي.

فمن ناحية القواعد اللغوية والكتابة، اتخذ المجمع عدة قرارات لتبسيط القواعد النحوية والصرفية، كما درس الإملاء العربي واتخذ لتيسيره عدة قرارات. ودرس مشكلة الكتابة وخصها بجزء من نشاطه. ودعا الى التفكير في أحسن اقتراح لعلاجها، وأرصد لذلك جائزة مالية.

ومن جهة المعاجم اللغوية، قد أتم المجمع طبع الجزء الأول من معجمين هما :

١ — معجم ألفاظ القرآن الكريم، يتناول المواد من الهمزة الى التاء، وقد شرحت فيه معاني الكلمة اللغوية المتصلة بالمعنى القرآني في استعمالاته المختلفة، كما عددت المواضع التي ذكرت فيها هذه الكلمة.

٢ — كذلك طبع السفر الأول من القسم الأول من المعجم الكبير، ويبدأ بالهمزة وينتهي الى مادة أخرى. ويشمل هذا المعجم المواد التي جاءت في

أغلب المعاجم القديمة ، ويتجاوزها الى غيرها من الاستعمالات ، فلا يقف بها عند منتصف القرن الثاني كما فعلت تلك المعاجم في الغالب . وهو الى ذلك يذكر أصل الكلمات السامية وغيرها . ويستوفي المادة اللغوية استيفاء مشفوعاً بالأمثلة المختلفة لاستعمالات المادة في الشعر والنثر .

وقد فرغ المجمع أيضاً من جمع مواد معجم مبسط ، أسماه « المعجم الوسيط » ، تضمن كثيراً من مصطلحات الحضارة الحديثة ، وما جد على اللغة من ألفاظ في العصر الحديث ، ليسد حاجة الطلاب والمثقفين عامة . وتقوم الآن حالياً لجنة خاصة بمراجعته وإعداده للطبع .

ولدى المجمع أصول معجم تاريخي كان قد وضعه المرحوم الدكتور فيشر ، يعكف المجمع على مراجعته وتنظيم مواده تيسيراً للاستفادة منه .

ولما كانت المصطلحات العلمية هي الرافد الأساسي للمعاجم ، والنهوض باللغة على وجه عام ، فقد أولاها المجمع من نشاطه عناية مستمرة متزايدة . فعني بألفاظ الحضارة الحديثة في شتى فروعها ، في المعرفة النظرية أو في التطبيقات العلمية . وقد توسل المجمع في دراسة هذه الألفاظ وضبطها ، وتحديد المدلولات الجديدة ، بالرجوع الى المصادر العربية القديمة وإحياء ما فيها . كما لجأ الى الاشتقاق ، واستخدم مرونة اللغة في أقيستها وضوابطها ، وأجاز التعريب في الحدود الضيقة التي يرسمها صالح هذه اللغة ، ولا يتنافى مع روحها وطبيعتها . إذ قبل المجمع أحياناً كلمات معربة للمعاني الجديدة ، وتوخى أن يقترن اللفظ المعرب بلفظ عربي أصيل كلما أمكن ذلك . على أن يترك بعد ، للاستعمال العام ، تغليب أحد اللفظين على الآخر .

وقد أقر مجلس المجمع ومؤتمره طائفة كبيرة من هذه المصطلحات على اختلاف ضروبها ، وهي مجملة في البيان المرافق .

ولدى المجمع غير ما جاء في هذا البيان أضعاف هذا العدد من المصطلحات ،

تمكنت لجانه العلمية على إعدادها ، لتأخذ طريقها المتجدد المستمر الى مجلس المجمع ومؤتمره لإقرارها .

ولم يفت المجمع أن يؤثر المخطوطات العربية بالعناية ، لما لها من الأثر في ازدهار اللغة ، فأرصد لتحقيقها ونشرها الجوائز المختلفة ، وقد أجاز ثلاثة مخطوطات قديمة .

كذلك عمل المجمع على تشجيع الانتاج الأدبي والفني لإثراء اللغة العربية ، فنظم لذلك المسابقات السنوية ، ليتبارى فيها الأدباء والباحثون في مصر بخاصة ، والأقطار العربية بعامة . وقد منح المجمع حتى اليوم :

عدد	
١٥	جائزة للشعر
١٥	جائزة للبحوث والنقد والتراجم
١٥	جائزة للقصة

ويعنى المجمع أيضاً بنشر البحوث اللغوية والمقالات التي يقوم بها الأعضاء الباحثون ، وبنشرها مع غيرها من المصطلحات العلمية في مجلته الدورية التي صدر منها حتى اليوم ثمانية أجزاء . كما ينشر محاضر جلساته في مجلدات دورية تصدر تباعاً .

هذا ويصدر المجمع بين الفينة والفينة كراسات مستقلة، تحتوي كل منها مجموعة من المصطلحات التي أقرها المجمع في كل علم على حدة ، لتيسير عرضها على الهيئات العلمية والباحثين عامة وتسهيل ذيوعها ونشرها .

هذه لمحة من نشاط المجمع في خدمة اللغة . والمجمع يعمل على زيادة طاقته ويبذل كل جهد ، في سبيل تحقيق غايته السامية من إنهاض اللغة العربية وارتقائها مستعيناً في عمله ــ الى جانب أعضائه العاملين من المصريين والشرقيين والمستشرقين ــ بالأعضاء المراسلين من مختلف أنحاء الشرق والغرب ، وبالخبراء الفنيين من أساتذة الجامعات وغيرهم في شتى فروع العلوم والفنون .

بيان

عدد المصطلحات وأنواعها وفروعها منذ إنشاء المجمع

نوع المصطلحات	فروعها	عددها
القانون والاقتصاد والإحصاء	مقدمة القانون والقانون المدني	١٥٠٠
	القانون الدولي العام	١٠٠
	قانون المرافعات المدنية والتجارية	٢٠٠
	القانون التجاري	٥٠٠
	الاقتصاد السياسي	٥٠٠
	الاحصاء	١٥٠
العلوم الاجتماعية والفلسفية		٢٥٠
الجغرافيا والتاريخ	الجغرافيا	تحقيق الأعلام الجغرافية
	التاريخ	٢٥٠
الرياضة والهندسة	الرياضة والهندسة	١٥٠٠
	الهندسة الميكانيكية	٢٠٠
الكيمياء والطبيعة	الكيمياء	٥٠٠
	الطبيعة	٢٥٠
الطب	مصطلحات طبية	١٠٠
	الطب الباطني	١٠٠٠
	التشريح	٣٠٠
	علم الأمراض	٨٠٠
	علم الصحة	٣٠٠
	علم البكتريا	٢٠٠

نوع المصطلحات	فروعها	عددها
	علم الرمد	٧٠٠
علوم الأحياء والنبات	علوم الأحياء	٣٠٠
	علم الحيوان	٩٨
	النبات	٥٠٠
	النخيل	٧٩
الجيولوجيا		٥٠٠
ألفاظ الحضارة الحديثة		٥٠٠
	الرسم والتصوير	١٤٩
	الموسيقى	٣٨٨
	الطباعة	١٧

مذكرات الادارة الثقافية

قدمت الإدارة الثقافية أربع مذكرات تتعلق بموضوعات المؤتمر ، ندرجها فيما يلي :

١) تيسير الكتابة العربية

كانت الإدارة الثقافية قد دعت الدول العربية الى تعيين أسماء خبراء في شؤون الكتابة العربية وتيسيرها ، حتى يتيسر اجتماعهم في القاهرة للتداول في الموضوع ، وذلك تنفيذاً لقرار مجلس الجامعة في هذا الصدد (ق ٩٦٤/د ٢٣/ج ٢/ ٣١/٣/ ٩٥٥) . وقد تلقت الإدارة الثقافية أسماء مندوبي بعض الدول العربية ، فبعثت اليهم بمذكرة في هذا الشأن لدراستها ، تمهيداً لدعوتهم للاجتماع في القاهرة لبحث هذا الموضوع . وقد عقدت اللجنة عدة اجتماعات ، اشتركت في بعضها مع اللجنة المختصة بدراسة هذا الموضوع في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وانتهت الى التوصيات المبينة في المحضر التالي :

« بعد أن بحثت اللجنة في المبادئ العامة ، التي يرجى تيسير الكتابة على ضوئها ، رأت أن الحل لمشكلة التيسير يجب أن يقوم على أساس ابقاء صور الحروف العربية ، بحيث لا يباعد بين صور الأحرف العربية المقترحة وصور الأحرف العربية الحالية المألوفة .

ولما كانت لدى مجمع اللغة العربية في القاهرة مقترحات وتجارب في هذا الصدد ، رأت اللجنة أن تعقد جلساتها في مبنى المجمع ، مع لجنة المجمع الفرعية المشكلة لهذه الغاية .

وقد عقدت اللجنة في المجمع جلستين ، الأولى في الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين ٢/٤/١٩٥٦ ، والثانية في الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الأربعاء ٤/٤/١٩٥٦ ، جرى في أثنائها بحث الموضوع من جميع وجوهه ، وعرضت مختلف المقترحات والنماذج ، وانتهت اللجنة بالاتفاق مع ممثلي المجمع الى ما يأتي :

١) تبقى الكتابة اليدوية الآن كما هي ، لأنها موجزة مختزلة ، مع إجراء الشكل فيها عند الضرورة .

٢) الاقتصار الآن على تيسير حروف الطباعة والآلات الكاتبة ، وذلك باختصار أشكال الحروف وصورها ، والاستغناء عن الصور المتداخلة والمقنطرة ونحوها ، مع المحافظة على خصائص الخط العربي وجماله .

٣) لا بد من التزام الشكل في الطباعة لضبط النطق .

٤) يوضع للنقطة مكان ثابت من الحرف لا تعدوه ، نفياً للاشتباه .

٥) يوضع للشكل مكان ثابت لا يعدوه .

٦) يعرض ما ينتهي اليه بحث اللجنة الفنية ، حول الصور المقترحة للكتابة على مؤتمر المجامع اللغوية ، الذي تعقده جامعة الدول العربية في سبتمبر المقبل في دمشق .

٧) يطلب الى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أن تنظر فيما يقتضيه تطبيق الطريقة المقترحة من تكاليف لإجراء التجارب .

* * *

وقد تقدم الى الإدارة الثقافية بعد انتهاء أعمال اللجنة السادة نصري خطار ويونس عبد الرازق السامرائي وفيليب موراني وقروبت أرا كليان بأربعة مشروعات ، طلب عرضها على المؤتمر استكمالاً للبحث ، وستعرض على اللجنة الخاصة في المؤتمر .

٢) التأليف والترجمة والنشر

أ — التأليف :

من أهم الغايات التي تتوخى الإدارة الثقافية تحقيقها ، النهوض بمستوى التأليف في الأقطار العربية ، بوصفه في طليعة الوسائل التي تكفل التقدم الصحيح للأمة العربية ، خاصة التأليف في الحقل القومي العربي . وقد عمدت الإدارة الثقافية الى اتخاذ اتجاهات ثلاثة ، تكفل تحقيق غايتها في هذا المضمار :

١ — تأليف كتب في موضوعات تهم العالم العربي .

٢ — تشجيع الكتب المؤلفة التي تحاول تحقيق هدف من أهداف جامعة الدول العربية .

٣ — منح جوائز مالية للفائزين من الكتّاب والباحثين في المسابقات التي تعلن عنها الإدارة الثقافية كل سنة .

هذا وقد أتمت الإدارة الثقافية حتى اليوم طبع الكتب الآتية :

١) العالم العربي (الجزء الأول والثاني) : ويتضمنان بحوثاً ومقالات للفيف من كبار الكتاب والعلماء ، عن أحوال العالم العربي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والقانونية والأدبية ، الى غير ذلك من الموضوعات الحيوية .

٢) الحولية الثقافية (أربعة أجزاء) : وهي تحتوي على كثير من المعلومات والرسوم البيانية والإحصاءات الدقيقة ، عن التعليم في الأقطار العربية ومدى تطوره في الأعوام الأخيرة ، وتشكيلات المدارس والمعاهد والكليات ، ونظمها ومناهجها المختلفة ، وتضم المراسيم واللوائح التي تنظم الدراسة فيها ، ونسبة الطلاب في كل قطر الى عدد سكانه ، والهيئات المعنية بالشؤون الثقافية في هذه البلاد ونشاطها العلمي وإنتاجها الفكري ، حتى يتيسر لكل مطلع الحصول على صورة واضحة عن الحالة التعليمية والعلمية في مختلف الأقطار العربية .

كما أصدرت الإدارة الثقافية نشرات إحصائية عن التعليم في البلاد العربية في العام الدراسي ١٩٥٣ — ١٩٥٤، وهي بصدد إصدار نشرة أخرى عن عام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ .

٣) كتاب مؤتمر الآثار العربية، وهو يتناول الأبحاث والمداولات والقرارات التي اتخذت في مؤتمر الآثار العربية الذي عقد بدمشق في صيف عام ١٩٤٧ .

٤) كتاب المؤتمر الثقافي العربي الأول (جزءان)، يتناول أحدهما البحوث التمهيدية للمؤتمر الثقافي العربي الأول الذي عقد بلبنان عام ١٩٤٧، ويشتمل الجزء الثاني على الأبحاث والمحاضرات التي ألقيت فيه، وكذلك على القرارات التي اتخذها بشأن تحديد القدر المشترك في الموضوعات القومية، وهي : اللغة العربية، والتاريخ، والجغرافيا، والتربية الوطنية .

٥) كتاب المؤتمر الثقافي العربي الثاني : ويتناول المداولات والأبحاث والمحاضرات والقرارات التي اشتمل عليها المؤتمر الثقافي العربي الثاني الذي عقد بالاسكندرية صيف عام ١٩٥٠، وعالج موضوع تحديد أو إطلاق التعليم . وكذلك موضوع إعداد الطالب للحياة العملية .

٦) الكتاب الذهبي لمهرجان ابن سينا، وهو يتضمن كل ما ألقي من بحوث ومحاضرات في المهرجان الألفي للرئيس ابن سينا، الذي عقد ببغداد في عام ١٩٥٢ .

٧) كتاب مؤلفات ابن سينا، وهو ثبت دقيق ومرجع واف لكل مؤلفات الرئيس ابن سينا ومخطوطاته والمكتبات التي توجد فيها تلك المخطوطات في مختلف ربوع العالم .

٨) كتاب المؤتمر العلمي العربي الأول، وهو سجل دقيق لكل ما دار في المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد بالاسكندرية في عام ١٩٥٣ من نشاط ومناقشات وأبحاث . وقد طبع في جزئين : الأول يشمل البحوث التي ألقيت باللغة العربية، والثاني يشمل البحوث التي ألقيت باللغات الأجنبية .

وأما كتاب المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٥٥ فيوشك أن يتم طبعه .

ولا شك أن هذه الكتب تعد سجلاً وافياً لنشاط الإدارة الثقافية في المؤتمرات والمهرجانات التي قامت بها منذ إنشائها حتى الآن .

كما عهدت الإدارة الثقافية الى لفيف من الأساتذة المتخصصين أمر القيام بتأليف كتاب مفصل عن جغرافية البلاد العربية ، يكون مرجعاً علمياً دقيقاً لكل طالب ومحقق .

والإدارة الثقافية في سبيل إنجاز تأليف الكتب التالية مستعينة بذوي الاختصاص في البلدان العربية :

١) كتاب في (تاريخ النهضة العربية) : مشتملاً على أحوال البلاد العربية من سقوط بغداد الى أواخر القرن الثامن عشر ، ومحافظة العرب على تراثهم العربي والإسلامي ، ثم اتصالهم بالغرب واليقظة الفكرية والسياسية وكفاحهم ضد الاستعمار ودعوتهم الى الاتحاد وتأسيس الجامعة العربية .

٢) كتاب نموذجي في (التربية الوطنية للناشئة العربية) : ويشمل القدر المشترك بين البلاد العربية في هذه المادة ، ويعين على تربية الناشئة تربية وطنية تهدف الى إذكاء روح الوحدة القومية العربية ، ويخصص هذا الكتاب للدراسة في الفصول العليا من التعليم الثانوي ، كما يكون مرجعاً لمن يؤلفون في كتب التربية الوطنية للصفوف الأولى من التعليم العام .

٣) كتاب مدرسي نموذجي يتضمن (جغرافية البلاد العربية) : ليدرس في الصفوف النهائية من مرحلة التعليم الابتدائي في البلاد العربية ، على أن ينظر في وضع كتاب نموذجي لمرحلة التعليم الثانوي عندما ينتهي تأليف كتاب جغرافية العالم العربي .

٤) كتاب في (الأدب المعاصر) ، يشمل دراسة الأدباء المعاصرين في شتى أجزاء الوطن العربي وبعض النماذج المختارة لأدبهم .

٥) كتاب للمطالعة ، يدرّس في صفوف الشهادة المتوسطة وبعض صفوف المدارس الثانوية الى جانب كتب المطالعة المحلية . ويحتوي على نصوص مشروحة ، ترمي الى الاعتزاز القومي وتخليد مآثر العرب ، على غرار الكتاب الذي قامت بوضعه وزارة المعارف العراقية .

هذا فيما يتعلق بالقسم الأول من أهداف الإدارة الثقافية في مضمار التأليف ، وهو القسم الخاص بتأليف كتب في موضوعات تهم العالم العربي . أما فيما يتصل بالقسم الثاني من هذه الأهداف ، وهو القسم الخاص بتشجيع التأليف حول فكرة تحقق هدفاً من أهداف الجامعة العربية فقد دأبت الإدارة الثقافية على تخصيص جوائز مناسبة لأحسن كتاب عربي علمي أو أدبي يؤلف ويخدم فكرة تتصل بتحقيق أهداف الجامعة العربية ، وذلك إما بمنح مكافآت مالية للمؤلف أو بشراء عدد من النسخ وتوزيعها على المكتبات والهيئات الثقافية العامة .

وقد منحت الإدارة الثقافية في عام ١٩٥٣ مكافآت مالية لبعض المؤلفين الذين ألفوا كتباً تتفق وهذه الغاية . كما أعلنت هذا العام عن تخصيص جوائز مالية تشجيعاً للتأليف في الموضوعات التي تحقق أحد أهداف الجامعة .

وأما فيما يتصل بالقسم الثالث وهو الخاص بمنح جوائز مالية للفائزين في مسابقات الإدارة الثقافية ، فقد سبق أن أعلنت الإدارة الثقافية عام ١٩٥٢ عن مسابقة في التأليف ، موضوعها المشاكل التي تعوق العالم العربي عن التقدم في السياسة والاجتماع والاقتصاد والثقافة والأخلاق ، ومنحت مكافأة لمؤلفين اثنين كان بحثهما خير ما قدم الى الإدارة الثقافية في هذه المسابقة ، وقد تم طبع هذين البحثين .

كما أعلنت عام ١٩٥٤ عن مسابقة لتأليف كتاب حول الوحدة العربية وكيف تحقق .

* * *

ب — الترجمة :

ترمي المعاهدة الثقافية الى توحيد جهود الدول العربية ، في الاستفادة من نتائج الفكر العالمي ، حتى تواصل السير الحثيث في ركب الحضارة العالمية . وقد رأت الإدارة الثقافية توجيه أشد العناية الى هذه الناحية الثقافية الجليلة ، فبادرت بتنظيم الاستفادة من المؤلفات القيمة التي أنتجتها قرائح كبار الكتاب والعلماء والمفكرين العالميين ، ووضعت خطة لترجمة ما لم ينقل منها الى اللغة العربية كما يأتي :

١ — حصر مبدئي لأمهات الكتب العالمية من قديمة وحديثة في مختلف مواد العلوم والفنون والآداب .

٢ — انتخاب قسم من هذه الكتب الأمهات المحصورة ، وتوزيعها على الدول العربية وعلى الإدارة الثقافية .

٣ — قيام كل دولة عربية والى جانبها الإدارة الثقافية بتحقيق ما يقع عليه اختيارها في ترجمته من أمهات الكتب .

وقد شرعت الإدارة الثقافية في تنفيذ هذه الخطة ، وبدأت بالقسم الأول منها ، فوجدت بعد البحث والنظر والاستعانة بالاخصائيين أنه يجب أن يستوحى في حصر أمهات الكتب المبادئ التالية :

١ — العناية بالمؤلفات التي أحدثت اتجاهاً جديداً أو مدرسة جديدة في الثقافة الإنسانية من علم وأدب وفن ، أو بكلمة واحدة المؤلفات التي تعد من عيون الكتب العالمية .

٢ — العناية بأحسن الكتب الجامعة ، التي تستوفي البحث عن أعظم التيارات

الفكرية والأدبية والفنية والتطبيقية العامة التي وجهت البشرية أو لا تزال توجهها اليوم .

٣ — العناية بأهم الكتب التي تتناول بالبحث فروع العلم والأدب والفن بدرجة متوسطة من التفصيل والعمل ، توافق الثقافة العامة .

٤ — العناية بأهم الكتب التي كتبت عن البلاد العربية في شتى نواحيها ، من تاريخية وجغرافية وعلمية واقتصادية الى غير ذلك .

وعلى أثر وضع هذا البرنامج ، اتصلت الإدارة الثقافية ببعض الهيئات العالمية المختصة ، وحصلت منها على كشوف بأسماء الكتب التي تراها تلك الهيئات داخلة في اطار هذا البرنامج ، كذلك عهدت الإدارة الثقافية الى المختصين العرب بوضع كشوف بالكتب الهامة على هذا النحو ، كلٌّ في مادة اختصاصه . فلما اجتمعت هذه الكشوف كلها لدى الإدارة الثقافية ، شكلت لجاناً لدراستها وتنسيقها ، واختارت عدداً معيناً منها يصلح لتوزيعه على الأقطار العربية والإدارة الثقافية ، وأرسلت الكشوف الموزعة على مواد العلوم والفنون والآداب الى البلاد العربية ، لتنتخب منها ما ترى أن تضطلع بترجمته ، ولتحيط كل دولة عربيـة الإدارة الثقافية بنتيجة اختيارها منها أو عما لم يذكر في تلك القوائم ، عما ترى أنه يصلح للترجمة ، وتنسق الإدارة الثقافية بين رغبات الدول العربية في الاختيار وينتهي من كل ذلك الى توزيع نهائي يشرع في تنفيذ مضمونه . على إن الإدارة الثقافية لم تشأ أن تنتظر نتيجة هذا التوزيع ، فانتخبت من هذه الكشوف كتباً معينة هامة ، وعهدت الى مترجمين اختصاصيين من البلاد العربية بترجمتها :

١ — تطور الزراعة في الشرق الأوسط (The Agricultural Development of the Middle East) ، ألفه الكاتب الانكليزي (Keen) ونقله الى العربية الأستاذ مصطفى نظيف ، وتولى مراجعته الأمير مصطفى الشهابي .

٢ — المجلدات الأول والثاني والثالث ، من كتاب قصة الحضارة (في ١٠

أجزاء) (Story of Civilization) والمجلد الرابع معد للطبع ، ألفه الكاتب الأمريكي (Durant) ونقله الى العربية الأستاذ محمد بدران .

٣ — معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي (Manuel de Généalogie) تأليف (Zambaur) وترجمة الدكتور زكي محمد حسن وآخرين .

٤ — تاريخ حقوق الانسان (Histoire de la Déclaration des Droits de l'Homme) ، ترجمة الدكتور محمد مندور .

٥ — الوحدة الإيطالية : تأليف بولتن كنج وترجمة العميد طه الهاشمي .

٦ — الدراسة المثلى لنوع الإنسان ، تأليف ستيوات تشيس (The Proper Study of Mankind) ترجمة الأستاذ محمود الدسوقي .

٧ — السلطة والفرد (Authority & Individual) تأليف برتراند رسل ترجمة الأستاذ محمد بكير خليل .

٨ — تاريخ الفكر الأندلسي ، تأليف بالنثيا (Historia de la Literatura Arabigo Espanola) ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس .

٩ — قضية الأخلاق (Le Problème Moral) ترجمة الدكتور محمد غلاب .

١٠ — (The Scientific Outlook) تأليف برتراند رسل ، ترجمة الدكتور ابراهيم عثمان نويه .

١١ — وقد عهدت الى أحد العلماء المتخصصين بترجمة كتاب تاريخ الأدب العربي لبروكلمان .

وقد تبين للإدارة الثقافية أن خير سياسة يمكن اتباعها في اختيار الكتب للترجمة ، هي أن تحصر جهودها في ترجمة الكتب المهمة جداً ، والتي تعنى بالشؤون العربية ، أو التي تزيد ثروة المكتبة العربية ، ولا يقدم على ترجمتها الأفراد أو دور النشر ، لقلة رواجها .

وتقوم الادارة الثقافية بنقل آثار شكسبير جميعاً الى اللغة العربية ، وقد تم حتى الآن ترجمة ثماني مسرحيات هي :

هنري السادس ، حلم ليلة في منتصف الصيف ، الملك جون ، تاجر البندقية ، ضجة فارغة ، زوجات وندسور المرحات ، يوليوس قيصر ، على هواك .

وستتلاقى في فترة قريبة ثماني مسرحيات أخرى ، تليها في غضون عام على الأكثر باقي مسرحيات شكسبير .

وقد تألفت لجنة لمراجعة ترجمة هذه المسرحيات ، بدأت عملها تمهيداً لطبع هذه المسرحيات ونشرها ، في مختلف الأقطار العربية .

* * *

ج — النشر :

ترى الادارة الثقافية أن نشر الكتب العلمية القيمة ، من المهام الحيوية التي ينبغي أن تضطلع بها ويتجه اليها جهدها . وهي فضلاً عن توليها نشر الكتب المؤلفة والمترجمة بمعرفتها ، لا تتوانى عن مدّ يد المساعدة الى رجال الفكر والمؤلفين لنشر آرائهم وخلاصة أفكارهم .

ولقد نشرت الادارة الثقافية الطبعة الثانية لكتاب (تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك) لمؤلفه الأستاذ قدري حافظ طوقان ، وذلك بعد أن اطلعت عليه لجنة من ذوي الاختصاص ورأت مدى الفائدة التي يمكن تحقيقها من إعادة نشر هذا الكتاب .

كذلك اتفقت الادارة الثقافية بعد موافقة المكتب الدائم ، على أن تتولى نشر ترجمات بعض الكتب الهامة من التآليف الأمريكية . وقد تم طبع ثلاثة كتب منها هي :

كتاب يشتمل على مقالات للكاتب الأمريكي الكبير ايمرسون ، وكتاب الحرية والثقافة لديوي ، وكتاب انتصار الحضارة لبرستيد .

٣) تأليف الكتب العلمية وترجمتها ونشرها

عنيت الإدارة الثقافية بهذا الموضوع أيضاً عناية كبيرة ، فكان من المواد التي بحثها المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الاسكندرية في سبتمبر سنة ١٩٥٣ ، وتم الاتفاق في المؤتمر على تزويد المكتبة العربية بالمراجع الأساسية في شتى العلوم ، وهو عمل لا بد فيه من تنسيق وتنظيم ، لتجنب تشتت الجهود وتكرار العمل الواحد ، سواء أكان تأليفاً أم ترجمة ، وللحرص أيضاً على حسن الاختيار . كما بدا في هذا المؤتمر اتجاه إلى أن تكون العربية هي لغة تدريس العلوم في الجامعات .

ولما تكوّن الاتحاد العلمي العربي ، تضمن قانونه « العمل على نشر البحوث العلمية المبتكرة باللغات الأجنبية » . كما تضمن هذا القانون أن تقوم شعب الاتحاد العلمي العربي في كل قطر عربي ، بتنشيط الحركة العلمية بالتأليف والترجمة والنشر .

ونشرت الادارة الثقافية كتاب « تراث العرب العلمي » للأستاذ قدري حافظ طوقان ، وأنفقت على ترجمة كتابي « النظرة العلمية » لبرتراند رسل ، و « تطور الزراعة في الشرق الأوسط » للدكتور كين ، وساهمت في ترجمة ونشر « كتاب تاريخ العلوم » للأستاذ سارتون .

وقررت اللجنة الثقافية الدائمة في دورتها الحادية عشرة ، التي عقدت في مايو سنة ١٩٥٦ بالقاهرة أن تعلن الادارة الثقافية عن مسابقة لتأليف كتابين باللغة العربية ، أحدهما عن تاريخ الطب عند العرب ، والثاني عن تاريخ الرياضيات عند العرب ، ووضعت لذلك شروطاً معينة .

وكلفت الادارة الثقافية أحد العلماء المتخصصين ترجمة كتاب « أصول الرياضيات » تأليف برتراند رسل .

وهي في سبيل من يترجم كتاب « العلوم الرياضية والفلكية عند العرب » تأليف العالم الألماني سوتر .

كما كلفت الادارة الثقافية لفيفاً من العلماء المتخصصين بالجغرافيا تأليف كتاب يتناول جميع النواحي الجغرافية للوطن العربي ، ويكون مرجعاً علمياً قيماً في موضوعه ، ووضعت خطة التأليف مفصلة ، على أن ينتهي الكتاب بجميع أجزائه على مراحل في مدة أقصاها نهاية عام ١٩٥٧ ·

٤) المصطلحات العلمية

عنيت الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بموضوع المصطلحات العلمية منذ مدة طويلة ، فقد بحث هذا الموضوع في المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الاسكندرية في صيف عام ١٩٥٣ ، وأدلى كثير من أعضاء هذا المؤتمر بآرائهم فيه · وعلى الرغم من كثرة الآراء والاقتراحات واختلاف وجهات النظر في هذه المشكلة ، فقد تبين بوضوح اتجاه الرأي بصفة عامة فيها · إذ استقر على ضرورة توحيد المصطلحات في البلاد العربية جميعاً ، وأبديت آراء واقتراحات كثيرة عن تعريب المصطلحات وترجمتها وبحثها واستقامتها وما الى ذلك ·

كما تطرق المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة في صيف عام ١٩٥٥ ، الى بحث هذا الموضوع أيضاً ، وتألفت فيه شعبة "المصطلحات" درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح في أربع حلقات هي :

١ — حلقة العلوم الرياضية والطبيعية والفلك ·

٢ — حلقة علوم النبات والحيوان والصحة العامة ·

٣ — حلقة علوم الكيمياء والبيولوجيا ·

٤ — حلقة علوم المواد الاجتماعية ·

وقد استجابت هيئة اليونسكو لرغبة لجنة إعداد المؤتمر الثاني ، فدعت أحد الخبراء الأجانب في موضوع المصطلحات ، وهو العالم الألماني جمبلت ، الذي حاضر المؤتمرين في هذا الموضوع ·

ولما عقد مجلس الاتحاد العلمي العربي دور انعقاده الأول ، في المدة من ٢٩ مارس إلى ٣ ابريل سنة ١٩٥٦ بالقاهرة ، وافق على الخطة الآتية بشأن المصطلحات:

أ — الاهتداء بالمعاجم والقوائم المعبرة في اللغات الأجنبية ، التي حصرت المصطلحات الدالة على المعاني الكلية في كل فرع ، وتشتمل المصطلح الأجنبي الدال على المعنى ، وتعريفاً علمياً دقيقاً للمصطلح ، بحيث يكون من الميسور وضع اللفظ العربي وترجمة التعريف الى اللغة العربية .

ب — توزع هذه المصطلحات على مترجمين إخصائيين في مصر ، ثم توزع على المهتمين لمراجعتها ، ثم تطبع بعد ذلك في قوائم .

ج — ترسل هذه القوائم الى شعب الاتحاد ، ليبدي الاخصائيون من العلماء رأيهم فيها .

د — توافي الشعب مكتب الاتحاد برأيها الموحد في كل مصطلح .

هـ — تؤلف لجنة مشتركة لكل مادة تمثل فيها كل شعبة باخصائي لتوحيد المصطلح وتوحيد ترجمة التعريف .

و — تطبع مصطلحات كل مادة في معجم خاص ، ويرسل المعجم الى وزارات المعارف والهيئات العلمية والمجامع اللغوية ويلتزم استعمالها .

ز — يرحب المكتب التنفيذي باقتراحات العلماء العرب في وضع وترجمة المصطلحات العلمية الحديثة .

هذا وتهتم الادارة الثقافية بوجه خاص في توحيد المصطلحات العلمية المستعملة في مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي . أما المصطلحات العلمية العامة والمستعمل منها في التعليم الجامعي فالادارة الثقافية ترى أن المجامع العلمية والجامعات أولى بتعهدها والعناية ببحث توحيدها .

مذكرة

معهد احياء المخطوطات العربية

قدم معهد إحياء المخطوطات العربية المذكرة التالية المتعلقة بإنشائه وأعماله :

للتراث العربي القديم قيمة كبيرة في الحضارة العالمية ، وأثر كبير في التطور الفكري للبلاد العربية ، ولا ريب أن كثيراً من الآثار العلمية للأمة العربية قد أصبحت تعد مرحلة من مراحل تاريخ العلم في العالم ، وكثيراً من الآثار الفكرية والقانونية والأدبية لا يزال يساير العصر الذي نحن فيه ، ولا يقل عنه في حسن الاتجاه . وأياً كان فهو مادة خصبة يستطيع الفكر العربي الحديث أن يستمد منها ، ونبع فياض يستقى منه الى زمان بعيد ، فيفيد الفكر العالمي .

هذه الآثار طبع قسم صغير منها طبعاً يتفاوت في الجودة ، وأصوله الأولى المخطوطة مبعثرة في أنحاء العالم العربي والغربي والشرقي ، وقد يوجد من الكتاب الواحد مثلاً ثلاث نسخ موزعة على ثلاثة بلاد من بلاد العالم ، إحداها في الشرق ، والأخرى في الغرب ، والثالثة في الشمال ، وقد يذهب عمر الباحث في الوصول الى بغيته ، من أصول عدد محدود من الكتب يرغب فيها ، ناهيك عن بلوغه غايته في أبحاثه كلها ، يضاف الى كل هذا أن الحروب وياللأسف مخربة مهدمة ، فما هو موجود اليوم من مخطوطات فريدة ، قد تتلفه الحرب كما أتلفت مثله في القديم .

لذلك كله رأت جامعة الدول العربية ، أن تجعل من باكورة أعمالها الثقافية جمع صور لما تبعثر من المخطوطات العربية في أنحاء العالم ، ووضعها في متناول أيدي الباحثين .

فأنشأت لهذا الغرض معهداً أسمته (معهد إحياء المخطوطات العربية) ، وذلك بناء على القرار الصادر من مجلس جامعة الدول العربية بتاريخ ٤/٤/١٩٤٦ ، وجعلت مهمته ما يلي :

أ) جمع فهارس المخطوطات العربية الموجودة في دور الكتب العامة والخاصة ، وفهارس المخطوطات التي يتملكها الأفراد لتوحيدها في فهرس عام .

ب) تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية القديمة .

ج) وضع صور هذه المخطوطات تحت تصرف العلماء والباحثين والناشرين .

د) طبع صور المخطوطات الصحيحة النص ، الواضحة الخط ، ونشر نصوص المخطوطات ذات الأهمية الكبرى .

هـ) تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية في سبيل نشر المخطوطات ، وتزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات التي يعنون بها .

و) إصدار نشرة دورية عما طبع أو يطبع من المخطوطات العربية ، والإشارة إلى ما هو معد منها للطبع .

ز) إصدار فهرس عام للمحفوظات التي يجمعها المعهد بطريقة التصوير ، ومتابعة إصدار ملاحق لهذا الفهرس ، كلما تجمعت لديه المادة لذلك .

وقد تم تحقيق الآتي منذ بدء العمل في هذا السبيل :

أ) تجهيز المعهد بالآلات والمعدات اللازمة لتصوير المخطوطات على أشرطة صغيرة (الميكروفيلم) ، وطبع هذه الأفلام مكبرة على الورق ، أو استنساخ صور منها على الأفلام الايجابية التي من نفس المقاس لعرضها على أنظار الباحثين .

ب – درس قوائم المخطوطات الموجودة في دور الكتب ، في معظم مكتبات العالم ، لانتخاب الأهم منها .

ج) درس المخطوطات المنتخبة ، وتسجيل أوصافها على جزازات خاصة .

د) تصوير المخطوطات المنتخبة ، بطريقة الميكروفيلم .

وقد أوفد المعهد بعثات لتصوير المخطوطات ، الى كل من مصر وسورية وتركيا والهند والقدس ولبنان والمملكة السعودية وتونس وايطاليا وألمانيا ، فصورت هذه البعثات عدداً كبيراً من المخطوطات ، كما حصل المعهد من جهة أخرى على صور لبعض مخطوطات لندن وإيران والاسكوريال وتوبنجن وباريز وكمبردج وليدن .

وقد بلغ مجموع مالدى المعهد من أفلام (١٥) خمسة عشر ألفاً .

هـ) أصدر المعهد في اكتوبر ١٩٤٨ فهرساً بالمخطوطات التي صورها الى ذلك التاريخ ، وفيه مايقرب من ثلاثة آلاف مخطوط .

و) ثم أصدر المعهد في عام ١٩٥٤ ، الجزء الأول من فهرس مطبوع وضعه الأستاذ فؤاد سيد ، فيه وصف ما يقرب من ٥٦٠٠ مخطوط ، يتعلق بالفنون التالية :

الكتب السماوية ، القراءات والتجويد ، التفسير وعلوم القرآن ، الحديث والمصطلح ، التوحيد والملل والنحل ، التصوف والآداب الشرعية ، الفلسفة والمنطق ، أصول الفقه ، الفقه الحنفي ، المالكي ، الشافعي ، الحنبلي ، اختلاف الفقهاء ، علم الفرائض ، فقه المذاهب الأخرى ، اللغة ، النحو ، الصرف ، البلاغة ، العروض والقوافي ، الأدب ، السياسة والاجتماع ، الجغرافيا والبلدان .

ز) أصدر المعهد في عام ١٩٥٥ مجلة تبحث في المخطوطات العربية والوثائق ، وتدور أبحاثها حول المخطوطات العربية في العالم والتعريف بالمخطوطات . وقد صدر منها المجلد الأول لعام ١٩٥٥ ، والجزء الأول من المجلد الثاني لعام ١٩٥٦ .

ح) عني المعهد منذ عام ١٩٥٥ بنشر بعض المخطوطات القيمة الكبيرة التي لا يستطيع الأفراد والناشرون القيام بنشرها ، فبدأ بتحقيق سير النبلاء للحافظ الذهبي ، وأنساب الأشراف للبلاذري ، والسير الكبير للشيباني ، والمحكم لابن سيده ، ويقوم على تحقيق هذه الكتب طائفة من العلماء المحققين في البلاد العربية ، ويشرف عليها الأستاذ الدكتور طه حسين رئيس اللجنة الثقافية .

وقد صدر الجزء الأول من سير النبلاء في عام ١٩٥٦ .

ط) أجرى المعهد اتفاقاً في عام ١٩٥٥ مع مكتبة ليدن بتبادل الأفلام بدلاً من شرائها ، ويعمل المعهد على إجراء اتفاقات مماثلة مع سائر المكتبات التي تتضمن مخطوطات عربية نادرة .

ي) بدأ المعهد منذ عام ١٩٥٥ يعطي من يشاء من الباحثين أفلاماً ايجابية بدلاً من تكبيرها اقتصاداً في النفقات .

ك) ألف في عام ١٩٥٦ مجلس أعلى للمعهد وضع نظامه الداخلي ونظامه المالي ، وقد اعتمدهما الأمين العام في ٤/٤/١٩٥٦ .

ل) يعنى المعهد بطبع الجزء الثاني من فهرس المخطوطات المتعلق بالتاريخ .

م) يعمل المعهد على إنشاء مكتبة مصورة على ورق مكبر ، تضم أهم الموضوعات في التاريخ والتراجم .

ن) يعمل المعهد على استنساخ أفلام إيجابية لجميع الأفلام السلبية الموجودة لديه ، لاستعمالها في المطالعة والقراءة عند الحاجة .

س) سيولي المعهد المكتبات الخاصة في البلاد العربية عناية خاصة ، فيعنى بوضع فهارس لها ، ثم يصور منها ما يستحق التصوير ليضمه الى مجموعاته .

ع) سيوالي المعهد إرسال البعوث لتصوير المخطوطات ، حسب المنهج الذي اختطه المجلس الأعلى .

أبحاث المؤتمر

قدّم بعض أعضاء المؤتمر أبحاثاً قرئت في ندوته العامة أو في لجانه الفرعية ، ننشرها فيما يلي[1] :

الكتابة العربية

للدكتور منصور فهمي

أيها السادة :

يرجع اليونان الى آلهتهم أو على لسان حكمائهم قولاً مأثوراً فحواه :

اعرف نفسك أو تبين حقيقتك . ومهما تعظم المشقة لاستجلاء الحقائق وتبنيها في النفوس أو في مختلف الظواهر والأحداث ، فالغبطة تقارن دائماً محاولة البحث عن معالم الحقيقة . ولقد جاء في مأثورات العرب : إن رحمة الله قريبة لمن يعرف قدر نفسه ،ولقد تكون مسرة النفوس وانتعاشها من نصيب المتحري لأقدار الأمور .

وحين استبان العرب لأنفسهم اليوم نهضة شاملة، وتوضحوا لبلادهم صحوة باسمة آملة ، كان لزاماً عليهم أن يتذاكروا في تأريخ أفكارهم ولغتهم وكتابتهم ، ليبرزوا صورة لنهوضهم ، ويقدروا قيمة أنفسهم ومدى تقدمهم في مختلف الأطوار . لذلك بدا لي أن نتحدث في تاريخ الكتابة العربية ، بحافز من وحي تلك النهضة التي تستدرجنا لمعرفة جزئياتها ، بل بحافز من الرغبة في الحقيقة التي تقتضي ربط الأسباب بالمسببات ، وتقليب مالدى التاريخ من الصفحات ، ومناجاة الماضي

---

(١) قدم الأستاذ عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي رسالة حول « إصلاح الإملاء » ، وقد سبق نشر هذه الرسالة في ملحق العدد السادس من مجلة « المجمع العلمي العربي » الصادرة في دمشق في نيسان ١٩٥٠ ، فاجتزأنا بذلك عن إعادة نشرها هنا .

ليدلي بما عنده من أثر أو خبر ، بل بدافع مما تراءى للبعض ، حين كان فيهم من دعا الى تغيير كتابتنا وخطنا ، والاستبدال بما كان بيننا منه مألوفاً ومعروفاً ، وبتأثير مثل هذه الحوافز والدوافع ، تلهفت في جمع المظان والمراجع ، وتوافدت معها الى خاطري شتى الظنون والفروض ، بلغت بي الحيرة مبلغها البعيد عندما حومت لإدراك ما صدر من أوائل الإشارات الخطية عند الغابرين الأقدمين ، لأن ما توغل منها في القدم ، لا يشير إلا إلى حدود قريبة نسبياً من تاريخ الإنسان على ظهر هذه الأرض ، ولا يتجاوز العهود القريبة لحياة تلك الانسانية التي مازلنا نتخبط في فهم كنهها عندما نسائل أنفسنا : متى كانت ؟ وكيف كانت ؟ ولمَ كانت ؟ وإلى أي مصير ؟ .

ولم يصل بنا البحث في العلم بتاريخ الكتابة والخط وسريانه بين البشر وكيفية استنباطه ، الى ما يصح أن يعتبر اليقين . فقد اختلف العلماء في الأصول التي ترجع اليها الكتابة العربية ، فيهم من رأى لها نشأة في وادي النيل ، فوصلوا بين المصرية القديمة وبين عدة من الكتابات ، وقدروا أن الفينيقيين حولوا كتابة المصريين ، التي قامت على أساس الأشكال والصور الى حروف هجائية سميت بالخط الآرامي . وعلمها الفينيقيون لليونان قبل المسيحية بنحو ستة عشر قرناً ، وللآشوريين بعد ذلك . واشتق منها اليونانيون خطهم الذي تولدت منه الخطوط في بلاد أوروبا وأمريكا وما إليهما . ومن الفينيقي أو الآرامي الأصيل تولدت أكثر الخطوط التي تكتب بها اللغات الشرقية في آسيا وأفريقيا وما اليهما ، وذهب بعض الباحثين الى أن الكتابة العربية والآرامية والنبطية بنات أمّ لم يعثر على تاريخها بعد . وقد اكتشف الأثريون بعد الحرب العالمية الأولى معالم حضارات كانت في الهند وفارس ، وعاصرت حضارة وادي النيل ، وكل ذلك من شأنه أن يدعو الى الأناة قبل البت في أصل الكتابة .

وعندما تشتت فكري بين مختلف مذاهب المستشرقين والأثريين ، ولست

من هؤلاء ولا هؤلاء ، رأيت أن أخلد قليلاً الى الراحة من أقوال العلماء واضطرابهم ، وألوذ بما يريح الحائرين مثلي ، فأفر الى أجواء الأخيلة التي تأخذ صور الأساطير . ولو جاز لي الأنس بواحدة منها ، لأنست بما يروى في بعض كتب العرب ، وما يومض من تصوراتهم ، حين ذكروا أن أبانا آدم كتب الخط في الطين ، ثم طبخه وحمله آجراً . فلما أصاب الأرضَ الطوفانُ ، وجد كل قوم حروفاً لكتابة لغتهم ، وجاء اسماعيل فوجد الحروف العربية .

وعلى كل حال ، مهما تبلبل فكري بين نظريات العلماء ، أو انبسطت نفسي لتخيلات المتخيلين ، فاني أنزع من البحث عن المنبع الغابر للكتابة العربية ، فراراً الى منبعها الداني القريب .

واني أقصد بالكتابة العربية ما يطلق عليه عرفاً من أعمال القلم لتصوير اللفظ برسم حروف هجائية ، أو هي بعبارة أخرى نقوش معينة تدل على الكلام ، أو هي بلغة أهل الفن قدرة موصولة بحركات القلم بين الأنامل ، وفقاً لمذاهب أو لقواعد ، وصناعة يبدو من ناحيتها صورة الناقد الأخاذ .

وبما أن لمؤرخي العرب أقوالاً معقدة ومتضاربة ، في نشأة الكتابة العربية ، فلا ضير من الإلمام الى طرف منها . فمن ابن عباس في «كشف الظنون» أن أول من كتب بالعربية ووضعها اسماعيل بن ابراهيم ، وروي عن مكحول أن أول من وضع الخط نفيس ونصر وتيماء ودومة ، من أبناء اسماعيل ، وأنهم وضعوها متصلة الحروف ، ففرقها هميسع وقيدار . وفي سيرة الحلبي أن أول من كتب بالعربية من ولد اسماعيل نزار بن معد بن عدنان . وقال المسعودي ان أول من وضع الخط ، بنو المحصن من أهل مدين ، وأسماؤهم أبجد هوز الى آخر هذه الكلمات ، وقيل انهم ملوك مدين ، وقيل أول من وضع الخط ثلاثة من طيئ سكنت الأنبار ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريان ، وأسموا خطهم بخط الجزم ، أي القطع ، لاقتطاعه من الخط الحميري ، وقيل ان أهل الأنبار

تعلموا الخط من أهل الحيرة ، وقيل العكس ، وقيل انتقل الخط الحميري الى الحيرة في عهد المناذرة ، الذين بني ملكهم من نحو قرنين قبل الميلاد ، والحميرية هي خط قوم هود ، وهم عاد إرم ، أي عاد الأولى ، وقال المقريزي في الخطط : القلم المسند ، هو القلم الأول من أقلام حمير وملوك عاد . وجاء في ملحق الجزء الأول ، من تاريخ ابن خلدون للمرحوم شكيب أرسلان ما ملخصه : ان المستشرق الألماني مورتس يرى أن أصل الكتابة بالحروف كان في اليمن ، فاليمنيون هم الذين اخترعوا الكتابة ، وليس الفينيقيون كما هو مشهور ، وإنما أخذها الفينيقيون عن العربية اليمنية ، فكان العرب هم الذين اخترعوا الكتابة في العالم كله ، وذكر ابن خلدون في مقدمته ، مبلغ الخط العربي من الإجادة والإحكام في دولة التبابعة ، وانتقل منها الى الحيرة ، حيث كان بها من دولة آل المنذر أنسباء التبابعة في العصبية ، والمجددون لملك العرب بأرض العراق . ومن الحيرة لقن الكتابة أهل الطائف وقريش ، ومن أوائلهم سفيان بن أمية ، أو حرب بن أمية .

ولا أريد أن أسترسل مع هذه البلبلة ، وحسبي عبارة المرحوم عبد الفتاح عبادة في كتابه المسمى : انتشار الخط العربي ، إذ قال : من المحقق أن أقدم أشكال الخط العربي : الشكل النسخي ، والشكل الكوفي ، وأولهما يتخلف عن الخط النبطي ، وقد تعلمه العرب من الأنباط في حوران أثناء رحلاتهم الى الشام ، وثانيهما متخلف عن الخط السطرنجلي السرياني ، تعلمه العرب من العراق قبل الهجرة بقليل ، وكان يعرف الخط الكوفي قبل الإسلام بالحيري ، نسبة الى الحيرة ، وهي مدينة عرب العراق التي ابتنى المسلمون الكوفة بجوارها ، والكوفة كما هو معلوم اختطت في زمن عمر ، ونزلت فيها قبائل من اليمن نشروا فيها كتابة المسند ، وكانت أوفر حظاً من غيرها من الكتاب ، فسميت الكتابة بالكوفي من باب التغليب ، في حين كان يوجد خط بصري ومكي ومدني ، على نحو هذه القاعدة . ودخل الخط في الحجاز ، حين نزل مكة رجل من كندة ، هو بشر بن عبد الملك ،

وكان قد تعلم الكتابة من الأنبار ، فتزوج الصهباء بنت حرب أخت أبي سفيان ، فتعلم أبوها حرب بن أمية الخط من بشر ، وكذلك تعلم منه جماعة من قريش ، وفي هذا قال شاعر من أهل دومة الجندل ، يذكر قريشاً بفضل كندة عليها :

فلا تجحدوا نعماء بشر عليكم فقد كان ميمون النقيبة أزهرا
أتاكم بخط الجزم حتى حفظتم من المال ما قد كان شتى مبعثرا

ويروى عن ابن عباس أنه سئل : من أين أخذتم معاشر قريش هذا الكتاب العربي ، قبل أن يبعث محمد ؟ فقال : عن حرب بن أمية ، فسئل : عمن أخذه حرب ؟ فقال : من عبد الله بن جدعان ، الذي أخذه عن أهل الأنبار . وهؤلاء أخذوه عن الحيرة ، وأهل الحيرة أخذوه عن طارئ ، طرأ عليهم من اليمن .

ويلوح من هذه الروايات ، أن أوائل من كتبوا من قريش في مكة ، كان حرباً ، ومعاوية ويزيد ابني أبي سفيان بن حرب ، وعلم الكتابة عمر وعثمان وعلي وطلحة وأبوعبيدة ، وعلمها من النساء الشفاء بنت عبد الله العدوية التي علمت حفصة زوج النبي بأمر منه . أما المدينة فجاء في السير ما يفيد أن النبي حين دخلها مهاجراً ، وجد فيها يهودياً يعلم الصبيان ، وكان فيها جماعة من الرجال يكتبون ، منهم سعيد بن زرارة ، والمنذر بن عمرو ، وأبي بن كعب ، وزيد ابن ثابت وغيرهم ، ومن هذا يبدو أن المدينة تقدمت على مكة في الكتابة . وعني الرسول بنشر الخط عناية بالغة ، فحين أسر المسلمون في وقعة بدر جماعة من قريش ، وكان فيهم كاتبون ، جعل النبي فدية من يكتب منهم تعليم عشرة من مسلمي المدينة . وبذلك انتشرت الكتابة فيها ، وفيما دخل في حوزة الإسلام من الأمصار ، وتنافس القوم في تجويدها لاختيار الرسول مجوديها لكتابة رسائله التي كان يبعث بها الى الملوك . ومن كتابه المجودين شرحبيل ابن حسنة ، وعلي وعمر وزيد بن ثابت ومعاوية وغيرهم . وفي أواخر العصر

الأموي وأثناء حكم العباسيين ، دخلت أسباب التحسين في الخط على نحو من التدرج والتوسع ، فأدخل قطبة المحرر أحد الموالي في العهد الأخير لبني أمية قواعد الخط الجليل ، والخط الطوماري ، واشتهر بعد قطبة من أهل الشام ، الضحاك بن عجلان ، واسحاق بن حماد في خلافة السفاح والمهدي . وفي نحو القرن الحادي عشر ، تحسن الخط النسخي على يد الوزير أبي علي محمد بن مقلة . وظهر بعده جماعة من الخطاطين هذبوا طريقته ، أشهرهم علي بن هلال المعروف بابن البواب ، في القرن الحادي عشر ، وياقوت الرومي المستعصمي ، في القرن الرابع عشر ، وتفرعت عدة فروع من الخط الكوفي والنسخي ، اشتهر منها الثلث والتعليق والريحاني ، وسار التفرع الى الديواني والفارسي ، وكان عدد الأقلام في أوائل الدولة العباسية نحو اثني عشر قلماً ، لكل منها موضع خاص ، في المحاريب ، وأبواب المساجد ، وجدران القصور ، ومخاطبة الحرم والأمراء ، وكتابة البيعات والعهود والسجلات وهلم جرا .

وفي عصر المأمون تنافس الكتاب في تجويد الخط ، ووجدت خطوط أخرى ، أهمها : القلم الرياسي ، نسبة الى واضعه ذي الرياستين الفضل بن سهل ، وبلغ عدد الخطوط نحو العشرين .

وقد اشتق من الخط الكوفي الخط المغربي ، وهو من أكثر الخطوط انتشاراً واستعمالاً ، اتخذه الأندلسيون في القرون الوسطى ، وكان يسمى خط القيروان ، نسبة الى عاصمة المغرب المؤسسة في القرن السابع الميلادي ، وله سمة الاستطالة ، ولما انتقلت العاصمة من القيروان الى الأندلس ، ظهر فيها الخط الأندلسي أو القرطبي ، وهو يميل الى الاستدارة ، وتولد من الخط المغربي في القرن الثالث عشر الخط السوداني في تمبكتو ، إذ كانت مركزاً إسلامياً تجارياً هاماً .

ولما تضعضعت خلافة بغداد ، انتقل الخط والكتابة والعلم إلى مصر وما يتصل بها ،

وانتظمت أشكال الحروف ، وفقاً لقوانين معلومة بين الخطاطين ، حفظ لنا القلقشندي بيانات قيمة عنها وعن أواسط عصر المماليك ، في القرن الخامس عشر ٠

ولما آلت الخلافة الى الترك بعد زوال دولة المماليك ، ورثوا بقايا التمدن العربي الاسلامي وكان لهم اعتناء خاص بالخط ، فتناولوه عن يد الأساتذة الفرس وأنعشوه ، وأحدثوا فيه خط الرقعة والهمايوني وغيره ، واليهم انتهت الرياسة فيه ، إلى أن ضيعوه في الوقت الحاضر ، بعد أن خدمه الكثيرون من سلاطينهم وذوي المقامات فيهم ٠ ونذكر منهم السلطان بايزيد ، وسليمان القانوني ، ومراد خان ، ومصطفى خان الثاني ، وأحمد الثالث ، الذي دخلت المطبعة العربية في عهده في القرن الثامن عشر ٠ وليس من شك في أن الخط العربي وجد عناية منذ بدايته ونشأته ، وجدها من العلماء كالبخاري ، ومن الخلفاء كالمستظهر بالله والمسترشد ، ومن الوزراء كهبة الله بن حسن صاحب الديوان ، والقاضي نجم الدين أحمد بن الريس الدمشقي ، والبوصيري صاحب البردة ، ومن النساء زينب الملقبة بشهدة الدينورية ، وقبلها لبنى كاتبة الخليفة المستنصر ، وقبلها حفصة بنت عمر أم المؤمنين ، مما يدل على أن العناية بالخط كان لها تاريخ في القديم ، الى أن وصلت الى الزمن الحديث فوجدت من كبار الخطاطين ، مثل عبد الله زهدي الذي علم في المدرسة الخديوية زمن اسماعيل ، والمهندس علي لطفي في الزمن الأخير ، ومصطفى السباعي الدمشقي ، ومحمد مؤنس ، وغزلان ، والرفاعي ، وبدوي ، ويوسف أحمد ، وسيد ابراهيم ، والمكاوي ، ونجيب هواويني ، ومحمد مرتضى ، وحسني ، وممدوح الخطاط الدمشقي ، ومحمد طاهر المكي الكردي ، الذي أرخ للكثيرين من الخطاطين ، وغيرهم وغيرهم ممن يذكرون على سبيل المثال ٠ ولا أريد أن أفصل تاريخ الخطوط العربية وتطوراتها ومن خدموها ، منذ بدء الإسلام حتى الآن ، لكنى أريد أن أشير الى أن الخط الكوفي هو الحد القريب للخطوط العربية ، وان تعددت صورها الى نحو ثلاثين صورة في عهود الأتراك ، وهذا

الحد المبارك أعيد إنعاشه في زمننا الحديث ، نظراً لحاجات الفن الزخرفي ووسائل التجميل ، لأنه قابل للمطاوعة الزخرفية ، ومرجع الفضل في بعثه وإحيائه الى لجنة الآثار العربية المشكلة في مصر في أواخر القرن التاسع عشر ، حين بدأت في دفع عاديات الأيام وما أفسده الزمن من خطوط المساجد وزخارفها ، وكان أحد موظفيها من الرسامين والخطاطين هو المرحوم يوسف أحمد ، فكان في مواهبه وفي تعيينه في لجنة الآثار إحياء لهذا الخط الزخرفي العظيم ، الذي تعلم قواعده ومرن عليها من جدران المساجد وشرفات نوافذها ، في مساجد ابن طولون ، والأزهر ، والحاكم ، والسلطان حسن ، والغوري ، وفي شواهد القبور . حتى إذا مكنته عبقريته من فك رموزها ، ومن استلهامها في التحسين ، أرادته الدولة على أن يكتب الأوسمة والروامم والخواتيم ، كما أرادته على تدريس الخط الكوفي بمدرسة تحسين الخطوط منذ أكثر من ثلاثين عاماً . ودعت حاجات العصر الحديث والاضاءات الكهربائية الى استلهام الابتكارات والتجويد ، نظهر الى جانب يوسف أحمد في مصر أمثال محمود خاطر ، ممن نزعوا الى إتقان الخط الكوفي وتزويده بألوان التحاسين ، ومن أراد المزيد في تاريخ الخطاطين فعليه بكتاب محمد طاهر ابن عبد القادر المكي الكردي الخطاط ، وهو مطبوع في مصر .

والخلاصة مما تقدم أن الخطوط العربية الكثيرة ، وإن لم تكن معروفة قبل الإسلام ، وكانت غير مضبوطة عندهم بالنقط والشكل ، فان الإسلام زاد في الخط وحسن ونشر ، فتفرعت منه الفروع وضبطت ، وانتشرت في البلدان المعروفة بالعالم العربي ، ويعد سكانها بأكثر من سبعين مليوناً ، وفي البلاد الإسلامية التي لأهلها لغات غير العربية ، وهي بلاد تمتد من تركستان الصينية الى غربي الآستانة والبحر الأسود ، وفي البلاد التي تمتد ما بين شرقي الهند الى غربي السند ، ومن أعالي جبال هملايا الى جنوب شبه جزيرة الدكن ، وفي البلاد التي تشمل هضبة إيران ، وفي بلاد افريقية من شمالها وغربها وشرقها وأواسطها . وبالجملة

تصل اللغات التي تكتب بالخط العربي الى نحو ثلاثين لغة ، وباضافة اللغة العربية الى هذه اللغات ، يقدر عدد الكاتبين بالخط العربي بـ ٢٤٠ مليوناً . فهي كتابة كل بلد انتشر فيه دين الإسلام ، تخلع على هذا الخط قداسة الدين ، وقداسة الانتشار ، مما يجعله متميزاً عن الخط اللاتيني الذي ليست له قداسة دينية .

وعلى رغم ذلك كله ، وعلى رغم ما استعمل في تحسينه وتطويره وتزيينه من الجهود في مختلف الأجناس والعبقريات والعصور ، جاء من دعا الى تغييره ، فمنهم من قالها مهموسة ، ومنهم من قالها معلنة جهيرة ، وكان المرحوم عبد العزيز فهمي أظهر من دعا الى تغيير الخط بالكتابة اللاتينية ، وهو رجل ضليع في قوة الحجة ، شجاع في إبداء الرأي ، صادق في حسن النية ، وله مكانته بين ذوي العلم والحجى ، ومن ذلك فان دعوته ، على روعة بيانها ، وقوة سلطانها ، لم تلق من قبول .

ولم تحل سنة ١٩٤٤ ، حتى رأى المجمع ، لإمكان المناقشة في اقتراح الداعين الى تغيير صورة الخط العربي المألوفة ، ان يطبع كل ما قيل حول هذا الموضوع من مناقشات الأعضاء ومقترحاتهم ، وأن يضع جائزة مقدارها ألف جنيه لأحسن اقتراح يقدم لتيسير الكتابة العربية ، وكان آخر موعد للاستباق سنة ١٩٤٧ ، فتلقى المجمع من المقترحات ما يربى على المائتين ، وفي سنة ١٩٥١ ألفت لجان فنية من المختصين في الخط والطباعة ، من غير أعضاء المجمع ، لتتولى تهيئة المقترحات التي صنفتها اللجان الى أصناف ، فكان منها ما يقوم على أساس الحروف اللاتينية ، ومنها ما يقوم على أساس الحروف العربية ، مع إضافة زوائد للضبط زيادة على الحركات ، ومنها ما يتخذ حروفاً رقوماً ، تبدو كأنها جديدة ومبتكرة ، ولا أريد أن أزيد في التفصيل ، فتلخيص قرارات اللجان عن المقترحات ينتهي الى أنها جميعها لم تحقق التيسير المنشود ، واتفق على إلغاء الجائزة ، ولولا انفساح صدر المجمع المصري ، وتقديره للتوسع في حرية الرأي والسخاوة

بالإمهال والأناة ، لكان لزاماً عليه أن يطرح هذا الموضوع ، وكان لزاماً على اللجنة أن تلغي نفسها .

وأخيراً في سنة ١٩٥٥ ، بعد أن تلقت اللجنة طائفة من مقترحات أخرى ، مشابهة لما سبق تقديمه من مقترحات ، لاحظت أن أقوم المقترحات بين أقدمها وأحدثها يلتف حول الاكتفاء بصورة واحدة للحرف ، مع إدخال تحسينات شكلية ، فوكل الى الأستاذين محمد علي المكاوي الخطاط ، وشفيق متري الخبير بالطباعة ، أن يقوما بتجربة تلك الصورة الحسنة ، فقدم خبير الطباعة نموذجاً من الكتابة العربية ، على جهاز الصف الآلي ، اختصرت فيها صور الحروف الى نحو ١٩٠ حرفاً بالشكل التام ، بعد أن كانت تربو على ضعف ذلك . وقدم خبير الخط نموذجاً لطريقة الاكتفاء بصورة واحدة للحروف ، مع وضع مدات صغيرة لوصلها ، وعلامة تدل على انتهاء الكلمة .

ومع ما لهذه الطريقة من محاسن كدستور يجب مراعاته ، فان الكتابة بين مختلف أنامل الناس ، لا بد أن تتسم بخصوصيات تند بها عن الدساتير المثالية ، وكل ما ينشد ألا تنأى الخصوصيات عن دستورها شوطاً بعيداً .

وأحدث ما كان في هذا الموضوع ، أن المجمع تلقى من الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية نبأ بتأليف لجنة لتيسير الكتابة ، قد حدد لها شهر مارس الماضي موعداً لاجتماعها ، وقد جمعت بين ممثلين للبلاد العربية والمجمع ، واشترك فيها خبراء الخط والطباعة ، وانتهت هذه اللجنة المشتركة الأخيرة الى ما يلي من قرارات :

١ — يترك الآن موضوع البحث في الكتابة اليدوية ، لتبقى على ما هي عليه ، فهي موجزة مختزلة ، ويمكن تشكيلها عند الضرورة .

٢ — الاقتصار الآن على تيسير حروف المطبعة والآلة الكاتبة ، باختصار صور الحروف ، والاستغناء عن المتداخل منها والمقنطر .

٣ — يلتزم الشكل في الطباعة ، وتشير اللجنة بالبدء بالتزام ذلك في كتب التعليم في مراحل التعليم العام .

٤ — يوضع النقط في موضع ثابت نفياً للاشتباه .

٥ — يوضع الشكل في موضع ثابت ، وأيضاً يراعى فيه الفن الخطي ، بحيث لا يكون السطر أفقياً ، ولا بأس بأن يمتد في الطول قليلاً .

٦ — توضع علامات للدلالة على أصوات الحروف التي لا مقابل لها في العربية ، ويطلب الى لجنة اللهجات بالمجمع ، دراسة الموضوع وتقديم مقترحات فيه .

٧ — اقترح أن يطلب الى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، أن تدبر ما يلزم من التكاليف لتطبيق الطريقة المقترحة لتيسير الكتابة ، وإجراء تجاربها الفنية ، لإدخال التعديلات عليها ، تمهيداً لوضعها في الصيغة المقبولة .

٨ — إبلاغ قرارات اللجنة الى الإدارة الثقافية ، حتى تكون هذه القرارات موضع النظر في مؤتمر المجامع (المنعقد الآن بدمشق) . وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً .

أيها السادة :

بعد بحوث طويلة ومضنية ، كانت بدايتها منذ ستين عاماً أو أكثر ، حين أنفق سفير إيران في لندن مالاً طائلاً ، لتركيب حروف عربية منفصلة ، وطبع بها بعض النصوص من أقوال الإمام علي وكلوستان ، وبعد دعاية ملحة لها ، فانها باءت بالفشل ، وفي سنة ١٩٣٦ وجد من أراد ادخال حروف منفصلة ، ودعا لها على صفحات المقطم ، ولم يكتب لدعوته النجاح . وفي مجمع مصر توافدت المقترحات التي تزيد على المائتين ، ودرستها لجان فنية وغير فنية ، وبعد ذلك كله ، لم يفضل شيء على ما جرى العرف به ، إلا في أمور ثانوية تنفيذية ، هي كل ما انتهت اليه المحاولات من النتائج المعقولة المقبولة .

ان في تقدم الطباعة ، منذ دخلت المطبعة قبل أكثر من قرن ، أيام السلطان أحمد الثالث ، وفي تحسين شكل الحروف ، وفي ذوق الخطاطين القائم على سنة مستقرة ، وفي دقة الألوان ووضع الشكلات ، وتنسيق النقط ، ما يغني في تعطيل كل اقتراح لتغيير الحروف ، وصد ذلك التيار . ولعل في سريان التعليم ، ورسوخه بوسائل الايضاح المستحدثة ، ومختلف وسائل النشر والإذاعة ، ورفع مستويات المطابع الكبرى في البلاد العربية وتنمية إمكانياتها ، لعل في كل ذلك ما يجعل القول في مشكلة الكتابة أو الحروف ، ضرباً من اللغو والسرف .

أيها السادة :

إن للكتابة العربية ماضياً حافلاً طويلاً ، يرجع عهده البعيد الى نحو ثلاثين قرناً ، وعهده القريب الى نحو النصف من هذا المدى ، فضلاً عما للخط العربي من مزايا الاختزال ، وحسن التشكل الهندسي دون فقدان لجوهره ، وفي الجاذبية الرائعة الأخاذة عند تجويده بوحي الفن الجميل ، بل في ما ابتدع من علاماته ورقومه لتجويد النطق من تفخيم وترقيق ، بل بما تأسس على أوضاع الحروف العربية وعلى صورها ، من معارف وفنون ، تدخل في تاريخ الكد الذهني البشري ولو لم يعمل بها الآن ، بل بوفرة عدد الحروف العربية التي توسع المجال لوضع الكلمات ، ونفي ما يقع بينها من اشتباه ، ولقد صدق الكندي أحد مفكري العرب في القرن التاسع حين قال : « لا أعلم كتابة تحتمل من تجليل حروفها وتدقيقها ، ما تحتمل الكتابة العربية ، ويمكن فيها من السرعة ما لا يمكن في غيرها من الكتابات » .

أبعد ذلك التاريخ الطويل ، وبعد تلك المزايا للكتابة العربية ، يهون على عربي أن يستبدل بها غيرها ؟

إني لا أحب أن أستبيح لنفسي تقدير سوء القصد ، ولا أرمي به أحداً من

نزعوا الى تغيير الخط العربي أو ينزعون ، بعد أن مر بأطوار عديدة ، حتى بلغ الأوج منها .

لكني أستبيح لنفسي ادعاء مجانبة التوفيق ، لمن دعوا تلك الدعوة .

بقي عليّ بعد ما تقدم ذكره ، أن أقترح على المؤتمر والمهتمين باللغة العربية ، أن يبعثوا الى جامعة دولها برجاء استنهاض همم حكوماتها ، للمزيد من العناية بالخط العربي في مختلف مدارسها .

إن المستقبل المرموق يربطنا بما لنا من ماض عزيز كريم ، والأمم التي لا تحتفظ بطيب ماضيها تنساق الى مستقبل مضطرب لا يشد الى قرار ، فمصيره الى خواء .

أيها السادة :

لعل في الخوض فيما لا جدوى فيه ، فتنة وبلاء ، وتعكيراً للصفاء ، اللهم قنا شرور الفتن ، إنك أرحم الراحمين .

اقتراح بشأن كتابة الهمزة والألف اللينة

للأستاذ ابراهيم مصطفى

رسم الهمزة والألف اللينة :

كل صوت من أصوات الهجاء العربي يمثله في الكتابة حرف ، إلا الهمزة والألف اللينة فإنهما يمثلان بحرفين أو بحروف متعددة ، فالهمزة ترسم ألفاً وياءً وواواً ، وترسم قطعة أيضاً . والألف ترسم في بعض المواضع ألفاً ، وفي الأخرى ياءً .

نعم ان الحرف الواحد ، ربما أخذ صوراً مختلفة بحسب موقعه من الكلمة ، كما ترى في الياء ، إذ تكون لها صورة في أول الكلمة ، وصورة في الوسط وصورة في الآخر . ولكن هذه الصور ، ترجع الى حرف واحد بخلاف الهمزة ، على أن هذا الاختلاف الجزئي قد أحدث في الكتابة مشقة ، يعانيها المتعلم والمعلم والطابع ، فكيف بالهمزة التي ترسم بحروف متعددة ، وقد يختلف العلماء والكتاب فيما ينبغي أن ترسم به في كل موضع .

انها لصعوبة مجهدة ، تعددت المحاولات لتذليلها . ولعله مما يساعد على تذليلها ، أن نستعرض السبب الذي من أجله تميزت الهمزة ورسمت بحروف متعددة .

والسبب غير مجهول ، فان قريشاً وأهل الحجاز عامة ، لم يكونوا ينطقون بالهمزة إلا أن تكون في أول الكلمة . وقال أبو زيد الأنصاري من أئمة اللغة المتوفى سنة ٢١٥ : (وأهل الحجاز وهذيل وأهل مكة لا ينبرون ، أي لا يهمزون) . وقال عيسى بن عمر الثقفي ، من أئمة النحاة وواضعي النحو (سنة ١٤٠) : (ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النبر ، وأهل الحجاز

إذا اضطروا نبروا) . وقال أبو عمر الهذلي : توضيت، فلم يهمز وحوّلها ياء، وكذلك ما أشبه هذه الهمزة . وبعض العرب ممن لا يهمزون، كان إذا أراد أن ينطق الهمزة المتوسطة، تكلف لها فسكت قبلها سكتة صغيرة، يحاول أن يجعل الهمزة بمثابة البدء بها، ومن هذا أصل السكتة التي نسمعها في القراءات، فيقرأ حمزة أحد القراء السبعة الأرض، بسكتة لطيفة بعد اللام قبل النطق بالهمزة، وكذلك شيء، ومن آمن .

والحقيقة ان الهمزة صوت مجهور شديد، يتكلف الناطق له إلا أن يعتاده، وفي اللغات الهندروبية لا يجيء هذا الصوت إلا في أول الكلمة، وقد لاحظ لغويو العرب ذلك . قال أحمد بن فارس (٣٩٥ هـ) : انفردت العرب بالهمز في عرض الكلام، مثل قرأ، ولا يكون في غيرها إلا ابتداء .

فأراه نظر في ذلك الى اللغة الفارسية، وهي من اللغات الهندروبية، أما اللغات السامية فان أكثرها تهمز، وشدة الهمز وصعوبة النطق بيّنها ابن سينا في كتابه «أسباب حدوث الحروف» فقال :

أما الهمزة فانها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهاري الحاصر (لسان المزمار) زماناً قليلاً لحصر الهواء، ثم اندفاعه الى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معاً .

والمقاييس اللغوية الحديثة تؤيد كلام ابن سينا وتوضحه .

واختلاف العرب في نطق الهمزة المتوسطة، هو الذي أحدث الاختلاف في رسمها، فان القرآن لما جُمع دُون بلهجة قريش، وحديث عثمان مشهور : «لا يملين في مصاحفنا إلا فتيان قريش وثقيف» .

فكتب الهمزة في وسط الكلمة ياء، في مثل يستهزيون، وواواً في مثل يومنون ومومن، وألفاً في مثل باس، وكانت تنطق كما كتبت، فلم يكونوا ينطقون الهمزة، ولا يحسون هذا الصوت وسط الكلمة، وانما صوروا ما نطقوا به

أما في أول الكلمة ، فانهم رسموها ألفاً دائماً مهما كانت حركتها ، ويلاحظ أن كلمة (ألف) من كلمات الهجاء ، إنما وضعت اسماً لهذا الصوت المجهور الذي نرسمه همزة . ولم توضع أولا للدلالة على الألف اللينة الممدودة ، وترى أن جميع أسماء الهجاء قد وضعت لتدل على الصوت الأول منها ، مثل باء اسم ب ، وجيم اسم ج ، وكذلك سائر حروف الهجاء ، فألف اسم للصوت ، ولم يكونوا يكتبون الألف اللينة في مثل كتاب ، فهو في المصحف « كتب » ، وظالمين فهو مرسوم « ظلمين » وهكذا ، وانما أثبتت الألف اللينة في الهجاء متأخرة ، وألحقت باللام في أواخر حروف الهجاء فقيل « لام الألف » .

ومن المعلوم أن اللغة العربية كانت لهجات مختلفة ، وان لهجة قريش وأهل الحجاز ، قد غلبت وهزمت اللهجات المتعددة وأزالت خصائصها ، ولكن ذلك لم يكن شاملاً ، بل كان غالباً ، والنحاة يذكرون « ما » الحجازية التي بنصب بعدها الخبر ، في مثل « ما هذا بشراً » ، وبها قرئ القرآن ، ويذكرون « ما » التميمية التي لا ينصب الخبر بعدها ، وقد غلبت « ما » التميمية على ألسن الكتاب والقراء ، ولا نكاد نرى من القراء والكتاب من يستعملها استعمال أهل الحجاز .

وكذلك الهمزة هزمت فيها اللهجة الحجازية ، وشاعت التميمية وتحققت في وسط الكلمة وآخرها ، وأراد القراء أن يقرأوا المصحف بلهجاتهم ، وأن يمثلوا الهمزة ، فاتخذ كتاب المصاحف في ذلك طرقاً متعددة ، ورسموها نقطة ونقطتين إذا كانت منونة ، مثل : والسما • بنا : ، ورسموها كالرقم ٧ سبعة في مثل يستهزيون ، ونجد ذلك مدوناً مفصلاً في كتب القراءات ، ككتاب المصاحف للسجستاني ، والمقنع في رسم المصاحف للداني ، كما نجده مرسوماً في بعض المصاحف القديمة الباقية .

واستمر هذا الى أن جاء الخليل بن أحمد (١٧٠) ، وهو رجل العرب والعربية ، فأصلح الخط ، وكان مما ابتدعه رسم الهمزة قطعة ، وقد كان من أسلوبه في

التفكير ، أن يرجع بالأشياء الى طبائعها ، ويأبى اتباع المألوف والمضي فيه ، فلما رتب حروف الهجاء رتبها على مخارجها ، لا على ما ألف الناس من ترتيب لا يعرف أصله ولا طبيعة تفكيره ، ذاق الهمزة فوجدها أقرب صوت الى العين ، ووجد من الناس من يبالغ في تحقيقها فينطقها عيناً ، فاقتطع من العين رأسها وجعلها رسماً للهمزة وكتبها قطعة ، وشاع رسم الهمزة كما شاع اسمها أيضاً . وكانت من قبل تسمى نبرة ، وأبى الناس أن يدخلوا رسم الخليل على المصحف زمناً ورأوه بدعة ، على أنه لم يلبث أن شاع وكتبته المصاحف ، ولكن الهمزة أثبتت مع بقاء الكتابة الأولى ، فكتبت يستهزئون بياء وهمزة معاً ، ويؤمنون بواو وهمزة أيضاً ، ليقرأ بالهمزة من حققها ، وبالياء أو الواو من سهلها ، وكان هذا أصل الازدواج في كتابة الهمزة .

فلو انها كتبت حرف لين لمن يسهلها كما ينطقها ، وهمزة لمن يحققها كما ينطقها أيضاً ، لما كان اضطراب ، ولا كان في كتابة الهمزة صعوبة ، ولكن الأمر مضى على هذا الازدواج ، وتبعه اختلاف العلماء واضطرابهم فيما ترسم به الهمزة في بعض المواضع .

قال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، إمام الكوفيين في عصره (٢٩٠) : واختلف العلماء بأي صورة تكتب الهمزة ، فقالت طائفة تكتب بحركة ما قبلها ، وهم الجماعة (يعني جماعة أهل الكوفة) ، وقال أصحاب القياس (يعني أهل البصرة) ، تكتب بحركة نفسها ، واحتجت الجماعة بأن الخط ينوب عن اللسان ، وانما يلزم أن تترجم بالخط ما نطق به اللسان . قال أبو العباس : وهذا هو الكلام .

وبقي الاختلاف في رسم الهمزة في بعض مواضعها قائماً بين العلماء الى الآن . ونخلص من ذلك كله إلى ما يأتي :

١ — ان الذين مارسوا الكتابة العربية أول أمرها ، لم يكونوا ينطقون

الهمزة إلا في أول الكلمة ، وانهم رسموها في هذا الموضع ألفاً لم يزيدوا عليها شيئاً ، وإن كلمة « ألف » إنما وضعت حين وضعت ، للدلالة على الصوت الأول من هذه الكلمة .

٢ — وحينما أريد رسم الهمزة في أواسط الكلمة لمن يحققها ، اختلفوا في تصويرها نقطة أو نقطاً ، أو غير ذلك ، الى أن ابتدع الخليل صورة الهمزة مقتطعة من العين ، فشاعت وتغلبت على كل رسم ، حتى على الألف التي وضعت لهذا الصوت ، مع أن بعض النحاة ومعهم الإمام أبو علي الفارسي ، كان يرى كتابة الهمزة ألفاً حيثما كانت .

٣ — إن الهمزة قد استعملت مزدوجة ، لإمكان الدلالة على اللهجتين : المحققة للهمزة ، والمبدلة لها حرفاً آخر . وانتهى هذا الازدواج وتُرك التسهيل ، ولم يبق من داع للنطق به ، ولا للإشارة اليه .

فاذا أردنا أن نخلص من هذا الازدواج الذي أوقع العلماء في الاختلاف ، والكتاب في الاضطراب ، فان أمامنا إحدى طريقتين :

الأولى — أن تكتب الهمزة ألفاً في كل موضع ، كما رأى الإمام الفارسي ومن وافقه .

الثانية — أن تكتب الهمزة همزة ، أي قطعة كما رسمها الخليل ، وهو رأي واضح اليسر والاستقامة .

وقد قيل ان هذا يسهل الكتابة ، ويقرب قواعدها ، ولكن يوقع في اللبس عند النطق ، إذ لا تعرف سأل من سئل مثلاً ، وهذا الاعتراض يرد على حروف الهجاء كلها ، وتلافيه يكون بشكل كل ما يشكل النطق به ، والهمزة والحروف الأخرى في ذلك سواء .

* * *

الألف اللينة :

أما الألف اللينة ، فان كثيراً من أئمة النحاة قالوا بكتابتهـا ألفاً مطلقاً ، وكثيراً من المخطوطات القديمة التي بأيدينا التزمت كتابتها ألفاً ، وان ما توارثناه من كتابتها بالياء في بعض المواضع ، إنما كان لنطقها ممالة إلى الياء في تلك الاماكن .

ويسرني أن أقتبس هنا كلمة للأستاذ « محمد بهجة الأثري » في بحث قيم قدمه الى مجمع اللغة العربية بالقاهرة برأيه في تيسير الإملاء [1] فقال :

والطريقة المثلى للكتابة كما أراها ، تتلخص في أصل عام يسير كل اليسر ، قريب التناول ، ذلك هو أن نقطع صلة الكتابة بالأقيسة النحوية ، والأصول الصرفية ، ولهجات القبائل ، وأن نقيمها على أساس التطابق بين الصوت ورسم صورته أو رمزه المخصوص ، ويستعان بالشكل أحياناً حين لا تستبين القرينة .

(١) نشرت مجلة المجمع العلمي العراقي في المجلد الرابع ، الجزء الأول (سنة ١٩٥٦) في الصفحة ٣٢٠ وما يتلوها ، البحث الذي كتبه الأستاذ الأثري في (إصلاح قواعد الإملاء العربي) ، استجابة لرغبة مجمع اللغة العربية إليه في إبداء رأيه في هذا الموضوع .

تيسير قواعد اللغة العربيـــة

للأستاذ ابراهيم مصطفى

قواعد اللغة هي نظامها الذي يتبع في تأليفها لتبين عن المعاني ، وقوانينها التي ينبغي أن تلتزم في تركيب الكلام ليكون القول دالاً مفهماً . وبغير هذه القوانين يكون الكلام ألفاظاً لا عقل فيها ، ولا صورة لشيء مما يراد من المعاني .

ولا بد لكل لغة من قواعد تلتزم ، ولغاتنا العامية لها قواعدها في الاخبار وفي الطلب ، وفي النفي والإثبات ، وفي الاستفهام والجواب .

واطراد قواعد اللغة واتساق أحكامها ، يدل على رقيها وعلى تقدمها خطوات واسعة . وكلما كانت قواعدها أشمل ، واطرادها أمضى ، كانت اللغة أفضل وأرقى . فقد يقال في اللغات البادئة : الأب والأم والرجل والمرأة والغلام والجارية والعبد والأمة . فاذا اطرد فيها القياس قيل : الوالد والوالدة ، والمرء والمرأة ، والغلام والغلامة ، وربما قيل الرجل والرجلة ، والعبد والعبدة ، وكان ذلك أدل على اطراد القياس وتقدم اللغة خطوة .

ولغتنا العربية من أوسع اللغات اطراد قاعدة ، واتساق حكم ، وتلك آية سائدة لتقدمها وسبقها وتعميرها ، وميزة سهلت انتشارها وقربت تعليمها .

وقد توالت الشكوى من صعوبة القواعد العربية وعسر تعليمها ، ودرجت على الألسن درج ما يسلم به ، فلا يسأل بصوابه أو خطئه ، وهي شكوى مخطئة مسرفة ، وأول شاهد ببطلانها انتشار اللغة العربية ، وانسيابها في الأقطار ، وهزمها الكثير من اللغات من غير جهد لنشرها ، ولا إنفاق على تعليمها ، وها نحن أولاء

نرى الآن الدول الأوربية ، وما تجاهد به في نشر لغتها ، وما تنفق من المال على تعليمها ، ونرى اللغة العربية قد انساقت في يسر ، وتوسعت في غير جهد ، وتركت أمم لها لسانها من غير عنف ، فكيف يتسق هذا مع ما يدعى من صعوبة اللغة العربية ، وعسر تعليمها ، وكثرة قواعدها . أغلب الظن أن مثار هذه الشكوى من بعض المستشرقين ، الذين حاولوا تعلم اللغة العربية ، وهي شديدة البعد عن لغتهم الأوروبية ، في بناء الكلمات ونظام التأليف وعادات النطق .

ومقارنة اللغات تشهد بيسر قواعد اللغة العربية ، ونذكر مثلاً التذكير والتأنيث في اللغة الألمانية ، وتشتته وعدم جريه على قاعدة ، والأزمان مثلاً في الفرنسية وصيغها ، وتعددها واختلافها ، حتى علامات الإعراب ، وهي مصدر أكثر الشكوى ، إذا قيست بلغة أخرى كاللغة التركية مثلاً ، فإن علامات الإعراب فيها ضعف ما هي في العربية ، وإن اختلف منهج كل لغة في طريقة الإعراب .

فليس لمنصف إذا تأمل وتروى ، إلا أن يشهد للعربية باطراد قواعدها ، ويسر أحكامها ، وقلة تعقيدها ، ونحن لم نرد تيسير هذه القواعد في ذاتها ، ولا قصدنا التخفيف من درسها ، بل نحن نريد أن نستزيد من درس قواعد العربية وفقهها ، والتدقيق في فهم خصائصها ، لما جاءت كلماتها على صيغ وأوزان محدودة فجعلت لألفاظها موسيقى ليست لغيرها من اللغات ، ولما كثرت المشتقات فيها وتعددت صيغها ، ولما تعددت أساليب النفي والتوكيد ، والاستفهام والشرط وكثرت أدواتها .

والإمام عبد القاهر الجرجاني يشير الى نفس ما بأيدينا من قواعد النحو ، إذ يقول في «دلائل الإعجاز» : وهل النحو إلا أن نفهم فرق ما بين قولك : إن قام قام ، وإن قام يقوم ، وإن يقم فهو قائم .. الخ .. وفرق ما بين هذه الأساليب ، لا نكاد نجده في كتب النحو ، على كثرتها وتوسعها وتوفرها على الجدل .

فنحن ندعو الى المزيد من دراسة النحو ، وخصائص اللغة ، وفقه أبنيتها وتراكيبها ، وندعو إلى إرهاف الحس في تذوق اللغة ، والى اصطناع الأساليب اللغوية العامة في درسها . أما الذي نريد تهوينه وتقريبه ، فهو تعليم الناشئين ما ينبغي أن يأخذوا منه من هذه القواعد ، ليصلوا من قريب الى تقويم ألسنتهم ، وتصحيح لغتهم ، والمدرسون جميعاً يرون هذه الصعوبة ، ويجاهدون في تذليلها . ونفور المتعلمين مما يتعلمون من القواعد ، يشهد أنها لم تسلك سبيلها ، أو لم تسلك أقرب سبلها ، وليس من شك في أن النحو العربي قد اختلط بالفلسفة ، وبأنواع من التعليم قد لا يقرها العلم الآن ، وإذا أقرها فليس للمتعلمين من حاجة اليها ، وخاصة أولئك المتعلمون الذين يقصدون الى اللغة ليتكلموا بها ، ثم يتوجهون الى ما شاءوا من علوم ، فلهؤلاء نريد أن نقلل من القواعد ، ونهون من تعليمها من غير أن نبدل قاعدة عربية ، أو نمس أصلاً من أصولها .

وانتشار التعليم الآن ، ورغبة الناس جميعاً في أن يتعلموا ، يوجب علينا أن لا ندخر جهداً في تيسير التعليم وتقريبه ، مهما يكن قدر ما نهدى اليه من التقريب ، فان ساعة واحدة ندخرها من وقت التعلم ، تحفظ لنا ملايين الساعات من أعمارهم وأعمار معلميهم .

وارتفع الصوت بالدعوة الى هذا التقريب من ناحية الجامعة المصرية بالقاهرة ، ثم ألفت وزارة التربية والتعليم المصرية ، في زمن وزيرها السيد بهي الدين بركات سنة ١٩٣٨ ، لجنة للنظر في التيسير ، شكلتها برئاسة الأستاذ الدكتور طه حسين ، وأعدت اللجنة مقترحات قدمتها الى مجمع اللغة العربية بمصر ، والى المجامع العربية الأخرى ، والى كثير من الجهات العلمية المشتغلة بالعربية ، ودرست في المؤتمر الثقافي العربي الأول ، الذي اجتمع في بيروت سنة ١٩٤٧ .

ويمكن أن نلخص نتائج ذلك فيما يأتي :

١ — الاستغناء عن الإعراب التقديري والإعراب المحلي ، إذ لا أثر لهما في اللفظ ،

ولا يستفيد المتعلم منها في إصلاح عبارة . وقد قيل انه يحتاج اليها لمعرفة حكم الكلمة التابعة ووجه إعرابها ، ولكنا نرى أن إعراب التابع لا يجيء اليه من المتبوع ، بل بما أثر في المتبوع ، فنعت المسند اليه مثلاً أو المعطوف عليه هو مسند اليه أيضاً ، ويجيء حكم إعرابه من هذه الناحية ، لا من إعراب متبوعه .

٣ — الاختصار في الأقسام وتعدد الأبواب ، وقد يغني عن تقسيم المرفوعات الى مبتدأ وفاعل ونائب فاعل ، ويجعل الجميع مسنداً اليه أو متحدثاً عنه ، وحكمها جميعاً في الإعراب حكم واحد ، وقد تبين بتتبع الأحكام في الأبواب المختلفة ألا ضرورة الى هذا التشقيق في الأقسام .

وتقرر أن الجملة تتركب من جزأين أساسيين ، هما المسند اليه والمسند ، أو المتحدث عنه والحديث ، وحكمها الرفع ، إلا في مواضع مخصوصة بينت .

٣ — وكل ما عدا المسند اليه والمسند في الجملة تكملة ، وحكمها أنها منصوبة إلا إذا كانت مضافاً اليها ، أو مسبوقة بحرف من حروف الإضافة فهي مجرورة ، وبهذا يختصر كثيراً في حكم الإعراب ، ثم تبين أغراض التكملة المختلفة ليحسن استخدامها في موضع الحاجة اليها .

٤ — الأساليب ، وبقيت أنواع من التعبير ، تعب النحاة وأتعبوا في تخريجها ، بما لها من الخصائص ، وهذه ينبغي أن تدرس على أنها أساليب لها صورتها الخاصة المحددة ، وذلك كالتعجب والتفضيل والإغراء والتحذير .

وهذا الموجز كاد يشمل كل ما يحتاج اليه المتعلم من الإعراب ، وقد أرسل موجزاً لمناقشته ، وقوبل بتأييد ونقد كثير مفصل معظمه في محاضر مجمع اللغة العربية وفي أعماله .

وأقول بالرغم مما لقي من تأييد أو من نقد ، فانه قد سرى الى المدارس وآثره المعلمون ، فهو يعلم الآن في كثير من المدارس إيثاراً للتخفيف ، ولكن المعلمين يختلفون ، والمتعلمين قد يضطربون ، وأرى أنه قد آن الوقت لأن

تُفصَّل هذه الأصول ، وتشرح في كتاب واسع يكون مرجعاً للمعلمين ، وفي كتب ميسرة مقربة تكون بأيدي المتعلمين .

ومها يكن الرأي في الاعتماد على القواعد ميسرة أو غير ميسرة ، فانه يجب أن نذكر حقيقة واضحة مؤيدة ، لا يماري فيها ممارٍ ، وهي أن تعلم لغة إنما يكون باستخدامها ، وتطويعها إنما يجيء باستعمالها ، واللغة ملكة بابها الأذن ، فلا بد أن تسمع الأذن قولاً مستقيماً صحيحاً لتصح الملكة ، وكل ما تلقفته الأذن وتكرر عليها سرى الى اللسان فطبعه ، وقوّمه أو عوّجه .

وقد شاركت الأذنَ الآن في هذا السبيل العينُ ، فما نقرأ ويتردد أمام أعيننا من الأساليب ، يطبع أيضاً لساننا ويحكم ملكتنا .

فالسبيل القوية في تعليم اللغة ، هي أن نمكن للمتعلم من أن يسمع معرباً صحيحاً ، وأن يقرأ معرباً صحيحاً أيضاً ، فهذا هو الصواب واضحاً ، والحق مقبولا مقرراً ، ولكن ما سبيله ؟

يجب ألا نستكثر الجهد ، ولا نستبعد الغاية ، وأن نعمل على أن نهيء للغة الصحيحة بيئة تحيا فيها ، جارية على الألسن ، وماضية الى الآذان ، ولا يمكن أن يبدأ بهذه البيئة في الأسواق ، ولا في البيوت ، ولكن في المدارس ، وفي المدارس سوف لا نجد الأمر قريباً ولا يسيراً ، وسنحتاج الى جهد والى خطوات من التدبير والتأني . يجب أن نبدأ بمدارس المعلمين وحدها ، فلا يدرس فيها إلا أستاذ يحسن العربية وينطلق لسانه بها سليمة معربة ، ولا نستعمل في معاهد المعلمين إلا اللغة الصحيحة ، أيّاً كان المدرس ، وأية كانت المادة التي تدرس ، ويروض المتعلم لسانه على أن ينطق صحيحاً ، وسيجد الأمر غير يسير ، وسننشئ جيلاً من المعلمين يستخف العربية بأقصر مما يستخف معلمونا الآن العامية ، ويضيق بالعامية بمثل ما يضيق معلمونا الآن بالعربية ، بهذا المعلم سنغرس الحبة التي تنبت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، لأنه سيسلك باللغة

طريقها الطبيعي ، الذي مهدته يد القدرة من الأذن الى اللسان ، ويسكب العربية في نفوس تلاميذه بغير عناء ، بل بغير تكلف ولا جهد ، بل ولا وعي أيضاً .

لقد شهدنا أن الأجنبي الذي نكبنا بحكمه ، يحاول أن ينشر لغته تمكيناً لسلطانه ، فكان يفرض أن تعلم العلوم بلسانه ، ولكن العربية نفرت وأبت ، وجاهدت وتغلبت ، وكان يجب أن يكون الربح لها ، فتدرس العلوم بها ، ولكن الربح كان للعامية ، تعلمنا بها لأنا لم نكن نستطيع أن نتعلم بالعربية ، لطول ما باعدوا بيننا وبينها ، أما الآن فيجب أن لا نضيع لحظة من غير أن نعمل ، لنمكن لسلطان العربية الصحيحة السليمة ، في دور العلم ، وفي مدارس المعلمين ، والمعلمون هم حملة المشاعل ، ومرسلو النور ، وباعثو الظلمة إذا شاؤوا بل إذا ساؤوا .

يجب أن لا نستصعب شيئاً ، ولا نستكثر جهداً ، في سبيل تغليب العربية الصحيحة ، فهي التي جمعتنا بعد تشتت ، ووحدتنا بعد تفرق ، وقاربت عقولنا ووثقت بين قلوبنا ، برباطها المتين المقدس ، وليس بكثير علينا أن نجاهد ، حتى نخلق لها بيئة تحيا بها في مدارس المعلمين أولاً ، ثم في المدارس عامة ثانياً ، ثم — كما أرجو — على لسان كل قائل ، وحديث كل متكلم .

وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها

للدكتور مصطفى جواد

وسائل إنهاض اللغة العربية ، هي معرفة الطرائق اللاحبة الى حل مشكلاتها التي لا تزال عسيرة الحل ، صعبة العلاج ، وتمهيد طرائق جديدة أخرى لتقويتها وتنميتها وتطويرها ، على حسب طور هذا العصر ، من جميع الوجوه الحيوية والتمدنية .

فأولى تلك المشكلات مشكلة المصطلحات ، والثانية مشكلة النحو والصرف ، والثالثة مشكلة المعجمات ، والرابعة مشكلة التعبير ، والخامسة مشكلة رسمها ، أي إملائها كما يقول أهل هذا العصر .

أما مشكلة المصطلحات وهي الكبرى ، فسببها أن ألوف كلم افرنجية أو أعجمية ، قد اصطلح عليها في عدة علوم وفنون عند الافرنج والأعاجم ، وما زالت محتاجة الى ما يقابلها من العربية من كلمات قديمة غير مستعملة ، وقديمة منقولة بطريق المجاز ، وحديثة مشتقة على حسب طرائق الاشتقاق في العربية . وأكثر هذه الوسائل فائدةً الاشتقاق ، إلا أن المجامع اللغوية لم تستطع أن تستفيد منه استفادة تامة ، فاقتصرت على إقرر قواعد اشتقاقية أكثرها بديهية ، فتركت مثلاً قياسية (فِعال) وصيغة (فِعالة) ، كالإطار والعمامة والنظام والحمالة ، ومئات غيرها من أسماء الآلات والأدوات ، مع ان (فِعالاً) ومؤنثه (فعالة) للآلة والأداة أقدم في العربية زماناً من صيغة (مِفعَل) ومؤنثه (مِفعَلَة) ومشبِهه (مِفعال) ، وأكثر استعمالاً وأخف لفظاً وأرشق صيغة . والدليل على ذلك القرآن الكريم ، فقد استعمل (الفِعال) اسمَ أداة وهو (الخِياط) بمعنى (الابرة) في قوله تعالى : «حتى يلج الجمل في سم الخياط» ولم يستعمل (المِخيَط) مع

وجوده في اللغة ، فهو إذن يفضل (الفِعال) على (المفعل) وغيره ، إذا وجدا .

ولقد كان في استعمال (الفِعال) ومؤنثه ، مندوحة من استعمال اسم فاعل الفعل الثلاثي ، و (فَعّال) المعروف عندهم أنه من صيغ المبالغة ، في المصطلحات العلمية والفنية ، وذلك كالحامل والرافدة والرافعة والقارنة والخَلّاطة والمسّاكة والكَدّاحة والعَوّافة من المصطلحات . إن العرب لم تضع صيغة (فاعِل) ومؤنثه للآلة والأداة ، بل للنسبة ، كالآبِل والآهِل والدارع والرابح والفارس ، ثم نقلت الصيغة من أسماء الذات ، التي هي عندي وفي رأيي أصل الاشتقاق ، نقلتها الى المعنويات والعلاجيات كالحائر والماشي ، ولكنها لما أرادت الاستفادة من وزن (فاعِل) في الآلات والأدوات حولت الى (فاعَل) كالخاتَم والطابع والقالب والطابق والمالج ، فهل استفاد المجمعيون من صيغة (فاعَل) ؟

الجواب (لا) . ثم إنّ العرب وضعت صيغة (فَعّال) وصيغة مؤنثه (فَعّالة) للنسبة الكثيرة ، كالعطار والحداد والبقال ، ثم نقلته من المادية الى المعنوية والعلاجية كالعَزّام والوقّاف ، ولما أرادت الاستفادة منه في الآلات والأدوات حولته الى (فُعّال) ومؤنثه (فُعّالة) كالخطاف للحديدة ذات الشكل المعلوم ، والنشاب للسهام ، والدوامة لعبة من الخشب للصبيان ، والدراعة لنوع من الملابس ، فهل استفاد المجمعيون من الفُعّال والفُعّالة ؟ الجواب (لا) ، فالعلم بالاشتقاق والاستفادة منه أمران ضروريان في التحقيق الاصطلاحي ، والسرعة والتخفف لا يؤديان الى غاية محمودة . وعلينا أن نستفيد من اسم الآلة والأداة من وزن (فاعول) كراقود وطاحون وراووق ، وجاء (فاروق) للانسان مستعاراً من الآلة والأداة .

ومن الصيغ الاشتقاقية اللاحبة الطريقة التي ينبغي للمجامع أن تستفيد منها في ميدان المصطلحات على اختلاف أنواعها (فَيعِل) و (فَيعَل) المأخوذين من (فاعَلَ يفاعِلُ) ، فهما من أقدم صيغ اسم الفاعل المكتسب للوصفية ، المجرد من الحدث ، وهما أقدم أيضاً من قرينهما (مُفاعِل) خاصة ، فهما إذن أقدم

وأرشق وأخف منه ، تقول : ماثله فهو مثيله ، وقارنه فهو قرينه ، وشابهه فهو شبيهه ، وما لا يحصى كثرة . هذا في (فعيل) وأما (فيعَل) فمثل (بايَعَهُ فهو بَيِّعه) و (شايَعَهُ فهو شَيْعه) ، ولما احتاج بعض الجامع الى وضع كلمة عربية مقابلة للكلمة الافرنسية (Copropriètaire) اختار ثلاثة مصطلحات ، هي : المالك على الشيوع ، المشاع ، الشريك في الملك [1] ، مع أن العلم بالاشتقاق في العربية يوجب أن تكون الكلمة الشيع ، من الفعل : شايَعَهُ أي شاركه ، قال الفيروزأبادي في قاموسه : (هم شُيَعاء فيها كفُقَهاء : أي كل واحد منهم شَيِّع لصاحبه ككيِّس ، وكذا الدار شَيْعَة بينهم أي مشاعة ، فالشيّع إذن شريك قبل أن يكون قسيماً أي مقاسما ، فاذا سميناه بما يؤول اليه قلنا : (قسيم) لأنه مقاسم آجلاً أو عاجلاً . فهذه فائدة من فوائد التدقيق في علم الاشتقاق والاستفادة من صيغه المختلفة . ولِفَعيل بمعنى (مُفاعل) قرين آخر هو (فِعْلٌ) وهو أخف منه ، تقول (قارَنَهُ) فهو قَرينه وقِرْنُهُ ، وشابَهَهُ فهو شَبيهه وشِبْهُهُ ، وماثلهُ فهو مثيلهُ ومِثْلهُ ، وفي قياسيّة هذا المشتق فائدة جليلة في وضع المصطلحات .

وأين نحن من الاستفادة من صيغة (فُعْلَة) اسم مفعول من الثلاثي ، وهي من أقدم صيغ اسم المفعول في اللغة العربية كالنُّقطة بمعنى المنقوطة ، والحُضرة بمعنى المحضورة ، واللُقمة بمعنى الملقومة ، والطُعمة بمعنى المطعومة ، والكُسوة بمعنى المكسو بها ، والحُزمة أي المحزومة ، والفُرصة بمعنى المفروصة ، والنُهْزة أي المنهوزة ، والضُحكة أي المضحوك منه . ولطالما سمعت في دروس الهندسة وأخبار السدود والجدران والأسوار كلمة (الفَتْحَة) ، فلما اهتديت الى هذه القاعدة الصرفية قلت في نفسي : ينبغي أن تكون تلك (الفَتْحَة) ، (الفُتْحَة) على حسب القياس ، ففحصت عن صورتها في المعجمات فاذا هي فيها (الفُتْحَة)

(١) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ٦ ص ٥٠

كما استرجحتُ وقست ، فهل استفدنا نحن المجمعيين من صيغة فَعْلَلَة ، فما قيس على كلام العرب فحكمه حكم كلامهم ؟ الجواب : لا .

وكذلك القول في الاستفادة من (الفعل) غير الثلاثي في ميدان الاشتقاق ، لأن أكثر مشتقات العلوم والفنون الحديثة تؤخذ من الأسماء الذاتية ، تقول : نفّطه تنفيطاً من النفط ، وكبرته كبرتة من الكبريت ، وأقلمه أقلمة من الاقليم ، وزعفره زعفرة من الزعفران ، وبلوره بلورة ، وأقلها تؤخذ من الأمور مثل (انفعل انفعالاً) ، وأمّم تأميماً من الأمة ، ودوّل تدويلاً من الدّولة ، أقول هذا على اعتبار المعنى المراد اليوم بالتأميم والتدويل ، وإلا فهما مباينان للمراد أصلاً ، فالتدويل مشتق لمعنى عام يخالف التأميم . فالتأميم يراد به وقف الشيء على الأمة ، والتدويل يجب أن يكون عند مشتقه وقفَ الشيء على الدولة ، وكلتا الكلمتين مفردة ، فلماذا يراد بالأولى المفرد وبالثانية الجمع ؟ هذا هو الاضطراب بعينه . وقد قرر في بعض المجامع العربية نقل المجرد الثلاثي الى صيغة (فعّل) للتعدية أو التكثير أو النسبة أو السلب ، أو اتخاذ الفعل من الاسم ، فوافق مؤتمر المجمع المشار اليه ، تطبيقاً لهذا القرار ، على صحة الألفاظ المستعملة الآتية : خدّر ، حضّر ، ورّد ، شخّص ، جسّم ، حلّل [1] . وفي هذا القرار ما يستوجب الحساب ، فنقل المجرد الثلاثي الى صيغة (فعّل) يجعله متعدياً تعدياً مطلقاً ، فيجب أن تقسم التعدية الى أصلية وفرعية ، ولا يستثنى من ذلك إلا قليل من الأفعال ، كطوّف وجوّل ووقّف بمعنى وقف ، فالتعدية الأصلية يراد بها إكساب المفعول فعل الفاعل ، على أن (ورّد وجسّم وشخّص) مأخوذات من الورد والجسم والشخص ، لا من ثلاثي مجرد . وأما نقله للسلب أي لأداء عكس معناه مثل (مرّضه) تمريضاً ، فهو عبث باللغة العربية ، لأن النقل للسلب مخالف لطبيعة اللغات أصلاً ، ومباين لقواعد اللغة العربية ،

(١) مجلة المجمع اللغوي المصري ، ج ٦ ص ١٧٢

وفي كل الأمثال التي ورد فيها شاذ، كما جاء في الفرنسية Plumer un oiseau اي نتف ريش طائر، وكان القياس أن يقال Déplumer .

وكان من المستحسن الاستفادة من معانيه الأخرى، كصيرورة فاعله إلى أصله المشتق هو منه، مثل: روّض المكانُ أي صار روضاً، وعَجّزت المرأةُ وثيّبت وعوّنت، أي صارت عجوزاً وثيباً وعَواناً، وكمجيئه بمعنى تصيير مفعوله الى ما هو عليه، كقولنا: سبحان الذي ضوّأ الأضواء، أي صيّرها أضواء، وحزّب فلان الأحزاب وجيّش الجيوش. وبمعنى عَمَل شيء في الوقت المشتق هو منه مثل: هجّر، أي سار في الهاجرة، وصبّح أتى صباحاً، وغلّس أي سار في الغلس، وبمعنى المشي الى موضع المشتق هو منه مثل (فوّز أي أوغل في المفازة وغوّر أي دخل الغَوْر)⁽¹⁾. وبمعنى صيرورة الفاعل مشبهاً لأصل الفعل من أسماء الذوات، وذلك نحو: فلّك ثدي الجارية أو فلّكت هي: أي صار ثديها كالفلكة وهي فلكة المغزل وهي مستديرة، ودنّر الوجهُ صار فيه مثلُ الدنانير بسبب المرض، وقعّب الحافر: صار مقبياً كالقَعْب وهو القَدَحُ الضخم.

وفي اللغة الفرنسية واللغة الانكليزية ألوف كلمات مكسوعة أي مختومة بكاسعة (able أو ible) مثل Convenable أي لائق وملائم وموائم ومناسب وموافق، وأصل معناه قابل للملاءمة وما في معناها. ومثل Corrigible أي قابل للاصلاح، فالكسعة (able أو ible) تفيد القبول والقدرة والاستطاعة. وهذا المشتق الافرنجي كثير الاستعمال في لغة العلم والفن والأدب عند الافرنج، ولم نجتهد نحن في وجدان أو إيجاد اصطلاح يقابله لتسهل علينا الترجمة، مع أن صيغة استفعل فهو مستفعل في العربية تقابله حق المقابلة، فقد قالت العرب: استرمّ الحائط صار قابلاً للرمّ والمرمّة، واستحصد الزرع أي صار قابلاً

(١) شرح الشافية للرضي الاسترابادي، ١ : ٩٥

للحَصْد ، واستهدَم البناء : صار قابلاً للهَدْم ، واستأبَرَ واستلقحَ النخل : صار قابلاً للأبْر والتلقيح ، واسترقعَ الثوبُ صار قابلاً للترقيع ، وهو منقول من استفعل للطلب على حسب التطور اللغوي ، وإذ كانت الأشياء الجامدة واللاإرادية ليس لها طلب دلّ ذلك الوزن (على القبول والقابلية) ، فصيغة مُسْتَفْعِل إذن تقابل في ميدان المصطلحات ، الكلمات الفرنسية والانكليزية المختومة بـ able ، ible ، واذا دخل الفاعل في حال الصفة الفعلية ، ينقل من مستفعل الى (مُفْعِل) : اسم (فاعل) من أَفْعَلَ يُفْعِل وهي همزة الدخول والوُغول ، فتكون صيغة (مُفعل) للصفة المتطورة مثل أثمر الشجر وأورق ، وأنجبت المرأة ، وأخصب القوم وأقحطوا ، وأقشع الغيم ، وأنسَلَ ريش الطائر ، وأمرت الناقة : دَرّ لبنها ، وأظأرت الناقة : عطفت على بَوّها . وبهذا يعلم أن إطلاق بعضهم كلمة مُكْمِل على الطالب الذي لم يُكمل النجاح في دروسه غلط مبين ، فهو مستكمل لا مكمل ، فاذا نجح في امتحان الاستكمال فهو مكمل .

وينبغي إجراء قياسية (فَعِيل) بمعنى (مفعول) للاستفادة منه في المصطلحات ، وهو لا يكاد يحصى كثرة ووفارة ، كالكسير والأسير والأخيذ والجريح ، ولذلك سمى المجمع العلمي العراقي كلمة (Bed load حَمِيلَ القعر) يريد به حميل المجرى ، أي ما يحمله المجرى ، والحميل أخف من (المحمول) وأرشق وأدل على المعنى وأقدم زمناً . ومن الغريب أن كتاب العصر والمتأدبين استعملوا (المليء) مكان المملوء ، ظناً منهم أنه اسم مفعول من (ملأ) ، والصحيح أنه صفة مشبهة من ملؤ يملؤ ، أي صار قادراً وكافياً وما إليهما من المعاني ، يقال (هو مليء بالدفع وبالشعر وبغيرهما) ، والظاهر أنهم التبس عليهم الأمر ، وما أقربه من الالتباس في قول عجلان بن لأي الغنوي :

على أن كرزاً من أناة وجراءة مليء ولكنْ سطوة الليث أوّلُ

أراد (مليء بالأناة والجرأة) أي كاف فيهما واف بما يوجبان ، لا انه (مملوء) .
ودونه التباساً قول بعض الشعراء :

مليء ببهـر والتفات وسُعْلَةٍ وَمَسْحِةِ عثنون وفَتْل الأصابع

وقول آخر :

تَجمَعتَ صنوف العيِّ من كل وجهة وكنتَ مليئاً بالبلاغة من كثب

ولا نطيل في ذكر ألوان الاشتقاق المساعدة على حل مشكلة المصطلحات في العربية ، كالمَفْعَلَة بمعنى السبب الذي يحمل على أصل فعلها ، كالمَجهلة والمَبْخلة والمجبنة ، وهي مقيسة على غرار (مَفْعَلَة) الذاتية للدلالة على موضع كثرة الشيء كالمسبعة والمأسدة . وكالفُعالة لبقية الأشياء ، كالنُخالة والحُثالة والنُشارة والخُلاصة ، وأظن أن المجمع اللغوي المصري قد أقرَّ الأولى .

وخلاصة القول أن الاشتقاق هو العون الأكبر ، والملاذ الأخفر للغة العربية اليوم ، في إعداد المصطلحات العلمية والفنية والأدبية ، فينبغي الاستفادة من جميع ألوانه الواضحة وأبوابه الواسعة .

واذا ذكرت المساعي اللغوية المجامعية ، أعني مساعي المجامع الثلاثة بأعيانها ، ولا أقصد المساعاة الفردية ومساعاة العالم أمين المعلوف ، ومساعاة الأمير الشهابي العليم وغيرهما ، كان للمجمع اللغوي المصري فيها الفضل الأكبر والذكر الأزهر ، خصوصاً في المصطلحات ، فما فتئ يسعى نحواً من اثنين وعشرين سنة في وجدان المصطلحات وإيجادها بالاشتقاق ، وتمحيص القواعد واقتراحها ، وإصلاح العبارة العصرية . تقويمها ، بطرائق علمية وبحوث موزونة ، وما انفك يسجل ذلك في محاضر موضونة ، وينشر خلاصه في مجلته المنعوتة أجمل النعت ، ولم يفته في ذلك إلا القليل ، ففي مصطلحات البناء مثلاً لا نجد مقابلاً لما سمي بالفرنسية (ماتيريو Matériaux) وهو في العربية (الحضرة) . قال الزمخشري في أساس البلاغة (وجمع فلان الحضرةَ يريد بناء الدار وهي عدَّةُ البناء من الآجر

والجص وغيرهما) ، ولم نر في مصطلحات البناء (الكرياس) ، قال الفيومي المصري في باب الكاف : (الكرياس) فِعْيال بكسر الكاف : الكنيف في أعلى السطح .

ورأينا المجمع أيضاً يستعمل (السائل) (مكان المائع) ، والسوائل مكان المائعات ، مع أن العرب استعملت (المائع) وجمعه السالم ، وهو أدل على المسمى ، قال الشريف الرضي في «المجازات النبوية» في شرح الحديث النبوي : (ويل لأقماع القول ، ويل للمُصرّين) ، شبه عليه السلام آذانهم بالأقماع التي تفرغ فيها ضروب القول إفراغ المائعات [1] ، وقال في شرح الحديث (أنجشة) : القارور : فاعول من استقرار الشيء فيه ، فكأنه قرار للشراب وغيره من المائعات [2] ، وقال أبو منصور الثعالبي في فقه اللغة الفصل الحادي والأربعون : في تقسيم أوعية المائعات [3] ، وقال عبد الوهاب الشعراني في ترجمة عبد القادر السبكي : «وكان له في خرجه وعاء يشتري فيه جميع ما يطلبه الناس من المائعات ، فكان يضع الشيرج والعسل والزيت الحار وغير ذلك ، ثم يرجع فيعصر من الإناء لكل أحد حاجته من غير اختلاط» [4] ، وألف الإمام ابن تيمية في ما ألف : قواعد في المائعات والمياه وأحكامها [5] . فهل يقول مترجم Liquide الأول إن العرب لم تستعمل له كلمة خاصة ، فاختار هو «السائل» ؟ لا ، لا يحق له ذلك القول ، وإنما ذلك تقصير في التنقير والتنقيب عن المصطلحات في كتب العرب .

وفي مشكلة المصطلحات لا يزال الجدال قائماً في قضية التعريب ، وقد أقر

---

(١) المجازات النبوية ص ٣٩ طبعة مصر
(٢) الكتاب المذكور ص ٣٣
(٣) فقه اللغة ٣٦٢ طبعة اليسوعيين
(٤) طبقات الشعراني ج ٢ ص ١٥٩ طبعة المطبعة الشرقية بالقاهرة
(٥) العقود الدرية ص ٤٥

المجمع اللغوي المصري التعريب في قراراته الأولى بقوله : «يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم» [١].

وفي الحق أن هذه الضرورة هي موضع الخلاف ، وقد نشر في جزء القرارات عينه مقالاً في بيان الغرض من قرارات المجمع ، وفي الاحتجاج لها ، فاحتج كاتبه بأن العلماء أجمعوا على أن التعريب سماعي لا يقاس على ما ورد منه عن العرب ، وبأنه يخشى من فتح باب التعريب تفشي الأعجمية في الكلام وغلبتها على العربية ، فتتحرف على توالي الجهود ، بل تنقرض فتنقرض معها القومية العربية ويستغلق القرآن ، ويبيد كل ما دُوِّن باللسان العربي من العلوم والآداب والشرائع [٢] . وفي ذلك شيء من المبالغة ، فالكاتب نفسه استعمل الفعل « دوّن » وهو مشتق من الديوان الكلمة الفارسية ، وقد استعملت كلمة « الديوان » في اللغة العربية حقيقةً ومجازاً ، كديوان الدولة ودواوين الشعراء والنثّار ، واشتُق منه فعل ، هو « دَوَّنَ يُدَوِّنُ تدويناً » ، وصار الاسم والفعل من كلام العرب . والصواب ان أسماء الأمراض الجديدة وأدويتها ، والأدوية الجديدة ، وأسماء الحيوانات التي لم تعرفها العرب ، وأسماء كل ما لم تعرفه العرب من الماديّات الساذجة أي الخام كما تقول العامة ، والأسماء الخفيفة أصلاً كالترام ، (أي الترام Tram) والخفيفة اختصاراً كالسينما ينبغي تعريبها واستعمالها ، أو يجوزان في الأقل ، ففي أحوال الالتزام من مصطلحات القانون المدني نرى في مجلة المجمع اللغوي المصري كلمة Terme الفرنسية ويقابلها في العربية (الأجل) [٣] وهي كلمة حسنة ، وقد استعملت في القرآن الكريم بمعنى مدة العمر ومدة الشيء ، غير أن الترم عُرِّب في عصر الحروب الصليبية الثانية في المائة السادسة من الهجرة ،

(١) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ٣٣

(٢) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ٢٠٠

(٣) المجلة المذكورة ج ٩ ص ٣٤

قال أبو شامة في أخبار سنة ٥٨٧ الخاصة بالحرب بين صلاح الدين الأيوبي والملوك الصليبيين ، أيام محاصرتهم مدينة (عكا) : وذكروا أن الملوك قد أجابوا السلطان الى أن يكون ما وقع عليه القرار يدفع في تَرُوم ثلاثة ، أي نجوم ، كل ترم شهر ، حتى حصل لهم ما التمسوه من الأسارى والمال المختص بذلك الترم ... ولم يزالوا يطاولون ويقضون الزمان حتى انقضى الترم الأول في ثامن عشر رجب ، ثم أنفذوا في ذلك اليوم يطلبون ذلك ، فقال لهم السلطان : إما أن تنفذوا إلينا أصحابنا وتتسلموا الذي عُيّن لكم في هذا الترم ونعطيكم رهائن على الباقي يصل اليكم في ترومكم الباقية ، وإما أن تعطونا رهائن على ما نسلمه اليكم حتى تخرجوا الينا أصحابنا ، فقالوا : لا نفعل شيئاً من ذلك ، بل تسلمون ما نقبضه لهذا الترم ، وتقنعون بأمانتنا حتى نسلم اليكم أصحابكم [1] . ففي الخبر استعمال الترم والنجم دون الأجل ، وأغرب من ذلك ما تقرؤه في المنجد في إحدى طبعاته : تَرَّمَ له تِرماً : عين له وقتاً ، وقد حذفت هذه المادة منه في الطبعات المتأخرة .

والذي قدمناه يدل على تساهلهم في التعبير لما يخف على اللسان كالترم .

وأما مشكلة الصرف في العربية ، فهي صغرى مشكلاتها ، وقد أدمجنا حلّ معظمها في الكلام على المصطلحات ، فكلما كثر القياس في الصرف زادت ثروة اللغة العربية ، واتسعت آفاقها وتبرأت من القصور المنسوب اليها بهتاناً وعدواناً . على أنه ينبغي أن لا يلتفت الى الشاذ عن القياس مما نبه عليه الصرفيون ، كقولهم : أورَسَ الشجر فهو وارس ، اذا اخضر ورقه ، وأمحَلَ البلد فهو ماحل ، وأملح الماء فهو مالح أو مِلح ، وأغضى الليل فهو غاض ، وأقرب القوم إذا كانت إبلهم قوارب فهم قاربون ، وأينع الغلام فهو يافع . فقد ورد أيضاً (مُورس) وليس ذلك من الشذوذ ، بل من أداء معنى الثقيل بالخفيف على الاستعارة . قال الفيومي

(١) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ١٨٩

في المصباح المنير : «أشار بعضهم الى أن ذلك ليس باسم فاعل للفعل المذكور معه ، بل هو نسبة إضافية بمعنى « ذو الشيء » فقولهم : « أمحل البلد فهو ماحل » أي ذو محل ، وأعشب فهو عاشب أي ذو عشب ، كما يقال : رجل لابن وتامر ، أي ذو لبن وتمر .

وعلى رأي تغليب القياس في الصرف ينبغي التساهل في جموع التكسير التي هي من خصائص اللغة العربية ، وقد أحسن المجمع اللغوي المصري بإقراره قياسية الغالب من جموع التكسير ، وقياسية جمع الكلمات التي لم تسمع جموعها ، وجموع التكسير للثلاثي المجرد من تاء التأنيث ، كجمع « فَعْل » المعتل العين على فعول وأفعال[1] كسيف وسيوف وأسياف ، والصواب أن هذا الوزن يشمل المعتل الفاء أيضاً كوسق وأوساق ، ووغد وأوغاد ، ووضع وأوضاع ، ووقف وأوقاف ، والمعتلّ اللام كنَحْو وأنحاء ، ويشمل المضعّف ، قال الشريف هبة الله ابن الشجري ، في أماليه ، في الكلام على جمع (فَعْل على أفعال) من الصحيح : واتسع في المضاعف فقيس في رَبّ وجَدّ وعَمّ ومَنّ : أرباب وأجداد وأعمام وأمنان[2] . وقد جاء من الصحيح مما لم يذكره الصرفيون مثل (لَحن وألحان ، وبعض وأبعاض ، ولفظ وألفاظ ، ولحظ وألحاظ ، ونجد وأنجاد ، وسطر وأسطار ، وأنف وآناف ، ووهم وأوهام ، وكبش وأكباش ، ووزن وأوزان ، ونهر وأنهار ، ورمس وأرماس . هذا مما ألفته الأسماعُ ، ولم أذكر ما لم تألفه ولم تعرفه ، فهو أكثر منه عدداً ، وقد استعمل المجمع المصري كلمة (أبحاث) جمع (بحث)[3] ، فاقتصاره في قرار قياسيته (فَعْل) على أفعال في المعتلّ العين يجعله مخطئاً في هذا الجمع ، فالصواب إذن إقرار (فَعْل) على أفعال مطلقاً ، ما لم يحدث ذلك

(١) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ٤ ص ١

(٢) أمالي ابن الشجري ج ١ ص ٣٢٩

(٣) مجلة المجمع المصري ج ١ ص ٧ و ج ٦ ص ٧٣

التباساً ، كجمعهم اليوم مَجْداً على أمجاد ، مع أن القدماء جمعوا (المجيد) على أمجاد كيتيم وأيتام ، وشريف وأشراف . وهذا غير جمعهم المكسّر الأصلي (مُجَداء) والمصحّح (مَجيدون) ومنصوبه ومجروره .

وأختتم الكلام على مشكلة الصرف بقولي : إنه يجب علينا أن لا نجعل القواعد الصرفية غاية وهي وسيلة ، ولا نبقى متمسكين بمذهب البصريين فيه ، فالقول مثلاً بأن (المصدر) أصل المشتقات قد أصبح خرافة صرفية ورأياً قائلاً ، فالمصدر اسم للفعل وتجريد منه ، ولا يوجد الاسم قبل وجود المسمى ، واللغة سارت في أطوارها من الإشارة الى العبارة ، ومن التجسيد الى التجريد ، والفعلُ تجسيد والمصدر تجريد ، ولفرعية المصدر من الفعل قال النحويون : إن المصدر يعمل عمل فعله ، ولم يقولوا إن الفعل يعمل عَمَلَ مصدره[1] ، فيجب اطراح رأي البصريين ، والأخذ بمذهب الكوفيين في ذلك ، فهو المذهب الحق الذي يفيدنا في هذا العصر ، كما قدمنا في الكلام على (فَعَّلَ) في أنه يؤخذ في جملة من استعماله من الأسماء الذاتية .

وكذلك ينبغي الأخذ بمذهبهم في النسبة الى الجمع المكسّر كالدُّوَلي ، وقد أجاز ذلك المجمع اللغوي المصري في قراراته وقال : « المذهب البصري في النسب الى جمع التكسير أن يرد الى واحده ، ثم ينسب الى هذا الواحد ، ويرى المجمع أن ينسب الى لفظ الجمع عند الحاجة لإرادة التمييز أو نحو ذلك »[2] ، وقد أوضح سبب هذا القرار الدكتور محمد توفيق رفعة بعد ذلك بقوله : « رأى المجمع في هذا أن النسبة الى الجمع قد تكون في بعض الأحيان أبين وأدق في التعبير عن المراد من النسبة الى المفرد ، وبهذا عدل عن مذهب البصريين

(١) تراجع (المباحث اللغوية في العراق) ص ١٣ – ١٤ ، محاضرات لكاتب البحث وقائل المقال

(٢) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ٢ ص ٣٥

القائلين بقصر النسبة على المفرد ، الى مذهب الكوفيين المترخصين في إباحة النسبة الى الجمع توضيحاً وتبييناً »[1] .

وفي الحق أن النسبة لا ينظر فيها الى كون المنسوب اليه جمعاً أو مفرداً ، لأنها نسبة اسم الى اسم آخر، لاتصاله به نسباً أو مكاناً أو مادة أو لوناً أو حزباً أو حرفة أو شيئاً آخر ، كالعربي والتيمي والمكي والحَجَري والدُرّي والافغاني والشُعوبي ، فالنسبة وسيلة إلى الايضاح ، ولا يتم الإيضاح إلا بالمحافظة على صورة الاسم المنسوب اليه ، فكمال صورته هو الكفيل بفائدة الإيضاح ، والتغيير فيه يؤدي الى ضياع الفائدة المرادة بالنسبة[2] . ومع هذا البيان وإقرار المجمع اللغوي المصري للنسبة إلى جمع التكسير عند الحاجة اليها ، لا نزال نقرأ قول المعاصرين (الحكم المملوكي بمصر) بدلاً من الحكم المماليكي ، ولا نزال أيضاً نسمع مذيعي محطات الراديو العربية يقولون (الدَوْلي) للانترناسيونال International وهو لا يؤدي المراد أبداً ، لأن الدَوْلي منسوب الى جنس الدولة ، فهو يميز المنسوب عن اللادَوْلي ، إن صح قولي ، كالشيء الخاص بالأمة أو الأسرة أو الشعب أو غير ذلك ، ومع إصرار هؤلاء المذيعين على (الدَوْلي) تجدهم يقولون (الحركة العُمّالية والقانون العمّالي) في النسبة الى العمّال ، جمع العامل ، فلماذا لا يقولون : الحركة العاملية والقانون العاملي ؟ !

ومشكلة أخرى من المشكلات الصرفية أصاب أذاها لغة العصر ، وهي النسبة الى (فَعِيلة) غير مضعفة ولا معتلة العين والواو ، كالطبيعة والبديهة والغريزة ، فقد ظن فريق من النحويين والصرفيين أنّ الياء تحذف منها في النسبة حذفاً عاماً لا خاصاً بكلمات معينة ، وذلك الظن صار قاعدة صرفية لسوء الاستقراء ، والصواب أنه خاص بالأسماء المشهورة أي الأعلام الشهيرة ، ولا سيما القبائل والبلدان ، كما يدل عليه تمثيل ابن قتيبة في أدب الكاتب حيث قال : « إذا نسبتَ

(١) المجلة المذكورة ج ٣ ص ٤

(٢) المباحث اللغوية في العراق ، ص ٢٥ و ٢٦

الى اسم مصغر كانت فيه الياء أو لم تكن وكان مشهوراً ألقيت الياء منها ، تقول في جُهينة ومُزينة : جُهَني ومُزَني ، وفي قريش : قرشي ، وفي هذيل : هذلي ، وفي سُليم : سُلَمي ، هذا هو القياس إلا ما أشذوا ، وكذلك الحال إذا نسبت الى فَعِيلة أو فَعِيلة من أسماء القبائل والبلدان ، وكان مشهوراً ألقيت منه الياء ، مثل ربيعة وبجيلة تقول : رَبَعي وبَجَلي ، وحنيفة : حنفي ، وثقيف : ثقفي ، وعتيك : عتكي . وان لم يكن اسماً مشهوراً ، لم تحذف الياء في الأول ولا الثاني »[1] .

فابن قتيبة لم يشترط العَلَمية وحدها ، بل أضاف اليها الشهرة ، وأيد قوله بالشواهد القوية من لغة العرب ، فالقاعدة كما قلت آنفاً ، خاصة لا عامة ، وكيف يظن أن العرب تسيء الى لغتها وتهدم جانباً منها ، بحذف ياء (فَعيلة أو فُعَيْلة) للجنس بحصول الشرط ، مع أنها تبلغ مئات فتختلط اللغة وتلتبس ، وتصبح تخاليط وأغاليط ومجموعة من التصاحيف .

وآخر ما أريد به إصلاح الصرف طرح (باب المطاوعة) وتسميته باب (الفعل الذاتي) ، وقد ثبت أن المطاوعة خرافة صرفية لا يلتفت الى القائل بها ، فقد قالت العرب مثلاً : (هُزِم وانهزم) فالثاني للهرب الاختياري .

أجتزىء بهذا القول في مشكلة الصرف ، وأنصرف الى مشكلة النحو فهي مشكلة عويصة جداً ، وهي مبعث الشكوى وسبب البلوى ، فالجمود وعدم التطور وانقطاع الإبداع ، والغموضُ والاستبهامُ من صفات النحو العربي ، إلا ما شذ أو ما ندر . وإذا درس الإنسان تاريخ قسم من اللغات الحية الواسعة كالفرنسية وجد أن نحوها كان متغيراً متطوراً بعيداً عن الجمود ، ومظنَّةَ للإبداع وطلب الكمال ، ونعني بالجمود اتباعَ قدماء النحويين في سرد القواعد ، وإيرادَها من غير عرضها على القرآن الكريم وكلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة

(١) أدب الكاتب ص ٢٠٩ - ٢١٠ طبعة السلطنة بمصر سنة ١٣٤٦

والتزامَ أقوالهم واعتناقها اعتناق العقائد ، مما يحرم فيه الاجتهاد . وتعني بانقطاع الإبداع عدمَ نسخ قاعدة أو الاستبدال بها أو عدمَ إدماجها في قاعدة أخرى ، أو خلوَّ النحو من قواعد عامة تعين على الاستعمال المقيد بالمراجعة لكتب النحو وكتب اللغة .

والمذهب العام إلى إصلاح النحو في رأيي ، هو تقليل القواعد وانتقاء الشواهد من القرآن الكريم أولاً ، ثم من الحديث النبوي المروي لفظاً ثانياً ، ثم من نثر العرب الوارد في الأمثال والأيام والمقامات الصحيحة ، ثم من الشعر العربي الجاهلي الصحيح صحةً نسبية ، الخالي من الضرائر كائناً ما كان نوعها ، ومقياس الضرائر الأظهر هو مباينتها للنثر العربي على اختلاف ألوانه ، ثم من شعر ما بعد الجاهلية .

إن القرآن الكريم هو أعلى نثر عربي وأفصحه وأنصعه ، واستخراج الشواهد النحوية منه بادئ الرأي أقوى برهان على صحة القواعد وقدمها ووثاقتها . ولطالما رأينا تجافياً من جماعة من النحويين عن أخذ الشواهد منه ، بَلْهَ جماعةً من المبشرين المتعصبين البُلْه الذين يرتكبون أشنع الافك وأفظع الجهل بدعواهم أن في القرآن غلطاً نحوياً ، يستدلون على إثباته بالشعر الجاهلي الظنين . ومن الذين يدعون العلم بالعربية ونحوها ، من لا يعوجون على القرآن يتأملون شواهده وينتقون فرائده ، ويظنون أنْ دعواهم حقة ، قال الكاتب أسعد داغر في كتيّبه (تذكرة الكاتب) ص ١٤٣ في تخطئة الكتّاب وإصلاح خطئهم على زعمه : « وكثيراً ما يستعملون الحرف (لو) مكان (إنْ) فيقولون : وليعلموا أني لا أرهب جانبهم ولو كنت وحدي ، وسيبقى بخيلاً ولو صار غنياً . والصواب : وإنْ كنتُ .. وإن صارَ .. »

وهذا القول يدل على أن الرجل لم يقرأ القرآن قراءة نحوية ، ولا قرأ شعر الأخطل النصراني القائل في مدح بني أميّة :

قوم اذا حاربوا شدّوا مآزرهم   عن النساء ولو باتت بأطهار

فقد وضع (لو) مكان (إن) مختاراً غير مضطر ، لأنه كان في قدرته أن يقول (وإن باتت بأطهار) ، وقد استشهد أبو العباس المبرد على صحة قول الأخطل المنظوم نثرَ القرآن الكريم ، قال : قوله : ولو باتت بأطهار ، فلو أصلها في الكلام أن تدلّ على عدم وقوع الشيء لعدم وقوع غيره تقول : لو جئتني لأعطيتك ، ولو كان زيد هناك لضربته ، ثم تتسع فتصير بمعنى (إن) الواقعة للجزاء تقول : أنت لا تكرمني ولو أكرمتك ، تريد وإن أكرمتك . قال الله عزّ وجل : « وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين » ، فأما قوله ـ عز وجل ـ « فلن يُقبل من أحد ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به » ، فلو بمعنى (إنْ) [1] . فتأمل بفكرك واحكم في تلك الدعاوى .

ومن أبواب النحو التي نستطيع أيصادها باب « أسماء الأفعال المرتجلة وأسماء الأفعال المنقولة » ، فالمرتجلة ما هي إلا أفعال جامدة قديمة ، ومنها ما هو في طور الانتقال من الجمود الى التصرف الساذج مثل : (هلم يا رجل) أي تعال يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع والمؤنث والمذكر في لغة أهل الحجاز ، وبها جاءت لغة القرآن الكريم في هذا الحرف : « والقائلين لإخوانهم هلم الينا » ، وأهل نجد كانوا يصرّفونه ويقولون : هلمّ وهلمّي وهلمّا وهلموا وهلممن . وأما المنقولة فدعوى نقلها واضحة البطلان ، ولا يصدّق الفكر الثاقب بنقلها لاستحالته ، فليس في النحو مختبر كيميائي نحوي يحيل العبارة الى غير أعيان كلماتها ، وليس فيه مذهب تناسخ ، فقولهم : « عليك حقك أي الزمه » ، واليك عني أي ابعد ، ودونك الكتاب أي خذه ، إنما هو مختصر جُمَلٍ ذاتِ أفعال محذوفة لكثرة الاستعمال ، وهذه الجمل المنطوق بها إنما هي بقاياها ، والمحذوفات في اللغة العربية كثيرة جداً ، والحذف مع تمام الدلالة من عناصر البلاغة ، إنك إنْ تحلّل قول القائل : « من لي بفلان ، وكيف لي بذاك » تجده عجباً من القول ، ولولا أن الأفهام

---

(١) الكامل في الأدب ج ١ ص ١٩٣ – ١٩٥ طبعة الدجوني الأزهري

العربية تدرك المفقود بالموجود ، لكان ذلك لغزاً من ألغاز التركيب ، فالأصل في العبارة الأولى : (من مظفر لي بفلان) ، أو ما جرى مجراه ، وفي العبارة الثانية : كيف الظفر لي بفلان ، وما نحا منحاه ، وعلى هذا يكون أصل : عليك حقك : (أمسكْ عليك حقك) ، كقوله تعالى في سورة الأحزاب : « وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه : أمسكْ عليك زوجك واتق الله » فحذف العرب الفعل في مثل هذه الآية تخفيفاً ، فقالت العرب (عليك نفسك) اختصاراً ، والأصل في (اليك عني) هو (ابتعد إليك عني) أي ابتعد من الجهة التي أنت فيها ، و (دونك الكتاب) واضح تقدير أصله ، فهو (خذ الكتاب دونك) أي خذه وهو دونك ، وفي ذلك إشارة الى قرب موضعه من المأمور بالأخذ .

ومن المعلوم أن العرب حذفت الأفعال في الإغراء والتحذير والخصوص المعروف بالاختصاص ، وفي قولهم : (الناس مجزيون بأعمالهم ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر) ، وقول النعمان بن المنذر للربيع بن زياد العبسي :

قد قيل ذلك إن حقاً وإن كذبا فما اعتذارك من شيء إذا قيلا ؟!

وحُذِفَ الفعل في (قل حقاً وإلا فاسكت) . وهو كقول الأحوص بن محمد الأنصاري :

فطلقْها فلست لها بكفءٍ وإلا يَعْلُ مفرقَك الحسامُ

ومن الحذف قولهم (خيرَ مقدم) أي قدمت خير مقدم ، و (هنيئاً لك) أي ثبتَ هنيئاً لك . وهكذا يسد باب من أبواب النحو بفضل القرآن الكريم ، وهو باب أسماء الأفعال .

ومما غفل عنه النحويون أنّ التعدي في الفعل هو الأصل ، لأن الحياة على اختلاف أنواعها ، وتباين طرائقها تعتمد على التعدي ، فاللزوم في الفعل أمر طارئ إذن .

وعلى هذا القياس تكون الأفعال التي أصلها اللزوم ، كفرح يفرح ، وسهل

يسهل . حديثةَ الوجود في ، اللغة بالنسبة الى غيرها من ضروب الفعل الثلاثي المجرد ، لأن التمدن وفهم الأسباب بعثا العرب على اشتقاقها .

ذكرت هذه الأمثلة للبيان عن إمكان الاختصار والإبداع والاستبدال في النحو .

ومشكلة المعجمات تظهر في جمودها أيضاً ، وسوء ترتيبها والتقصير في شرحها ، فالجمود يمكن أن يُزال بمطالعة كتب الأدب والتاريخ ودواوين الشعراء والنثر والسياحات والرّحَل والمعجمات بأعيانها لتسجيل ما ورد فيها ، مما ليس في المعجمات ، أو ليس في بابه منها ، كما فعل (رينهارد دوزي) في كتابه « تكملة المعجمات العربية » و (لين) المستشرق الانكليزي في معجمه العربي الانكليزي ، وقد جمعتُ معجماً للمولد من الكلم ، وللتعابير المولدة بشواهدها المفصلة ، وهو لا يزال في تسويده ، ولم ألق ما يشجعني على إخراجه ، لأننا نقول ولا نعمل ، ولأن من سوانا من الأمم المتمدنة يفعلون ثم يقولون .

وأما سوء الترتيب ، فمعلوم عند الذين يراجعون المعجمات العربية ، ولا حاجة الى الكلام فيه ، فالاسم تجده أحياناً قبل الفعل ، والسداسيّ قبل الثلاثي ، والخماسي قبل الرباعي ، والتكرارُ شائع وخصوصاً في لسان العرب ، لأنه مجموعة معجمات يحرص مؤلفه على أن يورد أصولها وفصولها بهيأتها الأصلية .

وأما شرحها فمضطرب أو مقصّر فيه أو مختصر ، ويغلب عليها إيراد المفردات مفردة على الشرح اللفظي ، ويقل فيها إيراد الجمل ، وإذا أوردت جملاً أوردتها على النحو القديم غالباً . والتحقيق أن للكلمة العربية قيمتين دائماً : قيمة معجمية وهي قيمة جامدة لا حياة فيها ، ربما تؤدي الى سوء فهمها ، وقيمةَ استعمالية وهي القيمة القابلة للتطور ، لأنها تؤخذ لها من صميم كلام العرب أو كتبهم على تعاقب الأزمان واختلاف البلدان ، ألا ترى مثلاً اننا نستعمل اليوم (تنازل عن العرش وتنازل عن حقه) ، والذي في المعجمات : تنازل القوم : نزلوا عن إبلهم

إلى خيلهم فتضاربوا ، أو نزلوا الى ساحة القتال فاضطربوا ، أو تنازلوا في السفر أي أكلوا عند هذا نزلة أى مرة ، وعند ذاك أخرى ، فتنازل في كل هذه العبارات يدل على الاشتراك بين اثنين فأكثر منهما ، ولم يرد للواحد ، ولكننا نجد في شرح قصيدة ابن عبدون تأليف عبد الملك بن بدرون قوله ، وهو يقص تاريخ الفرس :

ثم ملكت بعد أردشير جمانة أو خمانى ابنته .. ولم يلبث ملكها إلا ثلاث سنين ، فانه لما بلغ أخوها أشده وهو دارا الأول (تنازلت عن الملك) وسلمته اليه ، فلما استلم زمام السلطة ضبطها بشجاعة[1] .

وقد استعمل (تنازل) بمعنى تخلى وترك وخلع نفسه ، وقد كنت أظن قولهم تنازل عن الملك غلطاً ، ثم بان لي أنه مولد مستعمل في لغة أدباء من الأندلس لا يستهان بهم ، وانظر رعاك الله الى قوله (استلم زمام السلطة) ، بدلاً من قوله (تسلمه) ثم اقرأ ما كتبه في هذه العبارة أسعد خليل داغر في « تذكرة الكاتب » قال : (ويقولون استلم فلان الشيء أو أمضى وصول الاستلام ، وهو شائع مستفيض بين كثير من الكتاب . فيستعملون هذا الفعل ومشتقاته بمعنى الأخذ والتناول ، على خلاف المعنى الموضوع له وهو اللمس بالتقبيل أو باليد أو المسح بالكف ، ومنه تبين الحجاج في مكة المكرمة باستلام الحجر الأسود ، الذي قيل له ذلك لأنه أسود من لمسهم له عند استلامه ، أما الفعل الذي يفيد معنى الأخذ والتناول فهو تسلم ، يقال : سلمه وسلم اليه الشيء فتسلمه وأمضى وصول التسلم)[2] . فلا شك عندي في أن الذي استعمل (استلم) بمعنى تسلم كان قد وجده في شرح قصيدة ابن عبدون ، فهو مستعمل عند أدباء الأندلس منذ المئة السادسة

(١) شرح قصيدة ابن عبدون ص ٢٠ طبعة مطبعة السعادة
(٢) تذكرة الكاتب ص ٣٠

من الهجرة في أول اعتبار ، أفيجوز أن نخطئ قائله وهو محمول على المجاز المفتوح الباب في لغة العرب ، ولولا هو لكانت اللغة مع اتساعها أضيقَ من الميدان على الجبان ، فالملامسة مثلاً معروفة ولكنها نقلت الى المباضعة والمضاجعة ، والتسلم والاستلام يجمع بينهما اللمس ، فيستعار الاستلام للتسلم ، وقد استعير واستعمل قبل مئات السنين كما نقلت آنفاً ، واستعمل الأندلسيون (صلح تصليحاً) ولم تعرفه المشارقة ، وهو مشهور اليوم .

وأمثلة ما ليس في مادته ، منها ما جاء في المصباح المنير من ذكر (الكجاوة) في تفسير العَمّارية ، وذكر (البركصطوان) في التجفاف ، وقد أحصيت على الفيومي في مصباحه المنير ستاً وعشرين وثلاثمائة كلمة لم يذكرها في موادها ، واستعملها في غيرها . أحصيتها لإثبات أن اللغويين يستعملون في الأحيان من الكلم ما لا يثبتونه في معجماتهم العامة .

ومشكلة التعبير متصلة بمشكلة المعجمات ، ولأن الكتابة العربية صناعة لا سليقة ، وقد طورتها الصحافة العربية من جرائد ومجلات في النهضة العربية الأخيرة تطويراً بالغاً ، بحيث إذا قرأ الانسان اليوم مجلة عربية يجد فيها طائفة من الكلمات المولدة والكلمات المعربة حديثاً والعبارات الغربية المترجمة ، حتى ليصعب على العربي غير المعاصر لنا فهم أشياء فيها ، ومما يبعث السرورَ والابتهاجَ الاجتهادُ في نشر اللغة العربية الصحيحة وإزالة الأمية ، والتربيةُ والتعليمُ النسويان ، فالعامة اليوم في الأقطار العربية والأقطار التي استروحت رائحة العروبة ، يميلون كل الميل إلى تقليد الكتّاب والخطباء والاقتباس من أقوالهم ، في محاوراتهم حتى ارتقت لغتهم . والتعليم النسوي في بلاد العرب اليوم لم يبلغ ما هو عليه اليوم في عصر من عصور الاسلام السالفة ، مع أنه في أول نهضته المباركة .

ومن البيّن للمتأمل أن أكثر الألفاظ السياسية ، وكثيراً من المصطلحات المالية والمصطلحات العسكرية والعلمية والفنية ، قد استعارها العرب في العصر الحاضر

لاحتياجهم اليها في مباشرة شؤون الحياة ، وقد ترجموا منها ما ترجموا ، وعرّبوا ماعربوا ، وقد أشرت الى مساعي المجمع اللغوي المصري في ذلك خاصة ، لأنها لم يكن لها مثيل ، ولأنها على العمل المثمر أدل دليل ، ولم يكن بد من هذا التصاهر اللغوي لانبتات السلسلة عندهم ، وانقطاع المجرى الفني فيهم .

وقد كثر المترجمون في أول هذه النهضة ، وقصَّر أكثرهم في النقل ، لضعف في لغتهم العربية ، وقد ذكرنا أنها صناعة ، والمترجم إذا ضعُفت عنده احدى اللغتين كثرت إساءته للترجمة ، وزادت الإساءة الى اللغة الضعيفة عنده ، فنحن لا نزال نقاسي أذى تينكم الإساءتين بما خلَّفتاه من أخطاء ، أقول هذا ، مع اعترافنا بفضلهم وسبقهم إلى استفادة أنفسهم وإفادة العرب .

وتعابير لغتنا العصرية الخالية من صبغة الترجمة والاقتباس لا تزال ضعيفة ، بالنسبة الى أسلوب فصحاء العرب ، لانقطاع الصلة بين هذا الأسلوب وذلك ، إلا في النادر ، ولغلبة الأسلوب الأعجمي المترجَم المعبِّر عن المراد في هذا العصر ، وهذا الأسلوب يكون بنجوة من التتبع والمؤاخذة في الأمور العلمية والمباحث الفنية ، إلا أنه في الكتابة الأدبية معيب منتقد على صاحبه ، وقد استنفد جماعة من الفضلاء مجهودهم في إصلاح تأليف الكلام وتقويم اللسان والقلم في المفردات وفي الجمل ، فمنهم من مضى ، ومنهم من هو غابر غير عابر ، وألفت في ذلك كتب صغار ونُشرت مقالات ، غير أنه قد دخل في طائفة المصلحين من لم يسمُ الى مقام الإمامة في الإصلاح ، وتزبب وهو لا يزال حصرماً ، حتى أنكر ما ورد في القرآن الكريم وهو لا يدري بما فيه ، وبما ورد في الحديث المنسوب الى النبي (ﷺ) قبل أكثر من ألف سنة كالسكة الحديد ، قال المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري في وصف المتزببين : «حتى أصبح النقد اللغوي وحده ديدن النقاد كافة ، وحتى تدخل في أهله كل قليل البصر بالنحو والصرف والبيان ، إذا رأى أن نحو خمسين أو ستين كلمة يزعم أن الناس يحرفونها عن

مواضعها كافية للتشهير [١] بكبار المؤلفين والكتاب والشعراء ، فوقع الناس من هذا وأضرابه في بلاء عريض وعنت مقيت ، ولكن الله أرحم من أن يترك حماة اللغة هدفاً لعُبّاد المعجمات ، فألهم أعضاء مجمع اللغة العربية في أثناء بحثهم عن وسائل سلامة اللغة والتوسع في أقيستها ، لجعلها أداة صالحة لنشر العلوم والفنون ، أن يبدؤوا بوضع حدود للاستفادة من المعجمات وكتب القواعد معاً ، فوجدوا أن معظم نقد هؤلاء المعجميين يرجع إلى مسائل لزوم الفعل ، أو تعديه بنفسه ، أو بحرف خاص دون حرف [٢] .

ثم ذكر الاسكندري رحمه الله الوجوه التي أخطؤوا فيها من تخطئتهم للكتاب والمؤلفين ، وأكثر كلامه في هذا الأمر الحيوي من أمور اللغة العربية معقول مقبول ، لأن باب المجاز مفتوح ، والاستعارة الجميلة مباحة والاشتقاق لاحب ، ولأن ترجمة المجاز جائزة وسائغة ، لأن طرائق التعبير بين اللغات الراقية متشابهة ، فقلما تجد في إحداها استعارة أو كناية أو حقيقة ، لا تجد مثلها أو ما يقاربها في أخرى ، فالفرنسيون يقولون في بعض كناياتهم Jeter des perles aux pourceaux أي ألق بلآلئ الى الخنازير ، كناية عن عرض الإنسان على آخر ما لا يدرك قيمته ولا فضله ، وقريب منه في العربية ما ورد في أخبار شعبة المحدث قال : رآني الأعمش وأنا أحدث قوماً ، فقال : (ويحك يا شعبة تعلق اللؤلؤ بأعناق الخنازير) [٣] :

وقد عالج موضوعَ الأساليب هذه ـ أي العبارات المترجمة ـ المجمع العلمي العربي بدمشق قديماً ، وكذلك فعل بالكلمات التي سماها بعض الفضلاء (غيرَ القاموسية) ، مما هو مثبت في بعض مجلدات مجلة المجمع المذكور ، ثم نشر المرحوم الشيخ

(١) الصواب : في التشهير

(٢) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ١٧٨

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، لبدر الدين بن جماعة الكناني ص ٥١ في الحاشية

عبد القادر المغربي مقالة في مجلة المجمع اللغوي المصري عنونها بـ (تعريب الأساليب) ، وقال في أولها : « نريد بتعريب الأساليب ما أراده مجمع اللغة العربية بتعريب الكلمات مذ قال في القرار السادس من قراراته : التعريب هو إدخال العرب في كلامها كلمة أعجمية ، ونحن نقول في تعريب الأساليب : هو إدخال العرب في أساليبها أسلوباً أعجمياً [1] . وليس بين أدبائنا كبير نزاع في أمر قبول الأساليب الأعجمية وعدم قبولها ، وجل ما اشترطوه في قبول هذه الأساليب أن لا تكون مخالفة في تراكيبها لقواعد اللغة العربية ، وأن لا تكون نابية عن الذوق السليم ، ولم يشترطوا قط في إدخالها الى أساليبنا الضرورة كما اشترطه المجمع في تعريب الكلمات » . « فالباب مفتوح للأساليب الأعجمية تدخله بسلام ، إذ ليس في هذه الأساليب كلمة أعجمية ولا تركيب أعجمي ، وإنما هي كلمات عربية محضة ، رُكبت تركيباً عربياً خالصاً ، لكنها تفيد معنى لم يسبق لأهل اللسان أن أفادوه بتلك الكلمات [2] » .

وكلام الشيخ المغربي ـ رحمه الله ـ يشعر بأنه أراد نقل الأساليب وترجمتها لا تعريبها ، لأن لكلمة التعريب معنى علمياً معيناً لا تنقضه إرادتي ولا إرادة غيري به (الترجمةَ والنقلَ) . وقد ذكر من الأساليب الأعجمية (طلب فلان يد فلانة) كناية عن خطبته إياها على نفسه ، و (ألقيت حبل القلم على عنقه) كناية عن تسييبه ، و (رمى بآخر خرطوشة لديه) كناية عن استنفاد ما عنده من الوسائل ، و (المرء يعود أبداً الى حبه الأول) ، و (افتح أذنيك) أي أحسن الإصغاء والاستماع ، و (خانته قواه) ، و (مزق بأسنان جميلة ، وضرب ضربات أسنان) كلاهما كناية عن الغيبة ، و (شرب الكأس حتى الثمالة) و (فلان ما عاد يقدر أن يسافر) ، و (فلان ما عدت رأيته أو لم أعد أراه) ، و (تبادلا

(١) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ٣٣٢

(٢) المرجع المذكور في الصفحة عينها

التحيات والشتائم) و (بكى بدموع حارة) و (قبل قبلة حارة) و (سأسافر غداً برغم المطر) ، و (أثر على فلان) و (قرأ لامارتين ودرس هوكو) و (ألقى المسألة على بساط البحث) و (هذه مسألة جوهرية) و (أعطى رأيه في القضية) و (سهر عليه) و (قتل الوقت) و (عمل ضد فلان) و (لقحه ضد الكوليرا) و (بالنظر الى كذا جرى الأمر) و (في الوقت نفسه جاء فلان) و (هو يمثل المجمع في الحفلات الرسمية) و (هم عشرة على الأقل أو على الأكثر) و (المسألة تحت الدرس) و (الأمر كذا وكذا ، وبعبارة أوضح أو أصح هو كيت وكيت) و (جو السياسة مكهرب) .

ثم قال ـ رحمه الله ـ : أما الأساليب التي لا نزاع في عجمتها فكثيرة جداً ، منها قولهم : ذرّ الرماد في العيون ، وفلان يكسب خبزه بعرق جبينه ، وفلان لا يرى أبعد من أرنبة أنفه ، وهو يلعب بالنار ، ولا جديد تحت الشمس ، وأعطاه فرماناً على بياض أي أعطاه ملء السلطة وأعطاه صوته في الانتخاب ، وقبض على دفة الحكومة ، وأزهر العمران والمعارف ، وازدهرت التجارة ، وساد الجهل ، ولعب دوراً أو مثل دوراً في هذه القضية ، وفلان يؤيده الرأي العام ، وفلان رجل الساعة وهو الذي ينقذ الموقف ، وكَلَّمَه بطرف شفتيه أي باحتقار ، وأقول أنا في دوري ، وتوترت العلائق بين الحكومتين ، وتلبد جو السياسة بالغيوم ، وهذا حجر عثرة في سبيل كذا ، والى الملتقى والى الغد ، وفلان يصطاد في الماء العكر ، وشرب على صحة فلان أو شرف فلان ، وضحك ضحكة صفراء ، وتأثير الوسط أو الأوساط السياسية ، وفعله بصفته حاكماً للبلاد ، وفعل كرجل عاقل ، وقال كمؤرخ أو شاعر ، ومسألة بسيطة ورجل بسيط ، وقاله ببساطة ، وترجمه ترجمة سطحية ، ومعرفته سطحية ، ودسائسه تغذي الفتنة ، الصحافة تغذي الرأي العام ، وتصفية المحل التجاري ، والتصفية القضائية ، وكانت الحفلة تحت اشراف فلان ، وتأثر الى حد كذا أو درجة كذا ، وحتى

نطلع الرأسين سواء ، وهو عظيم بكل معنى الكلمة ، وضميري يعذبني ، وتوبيخ الضمير ، وكلمة شكر بريئة ، ونقد بريء ، وفصل كذا على ضوء الشيء ، وكان القوم متحمسين ، وخصص عمره بالأدب أو بالأدب وحده ، ولكل جريدة خطتها ، وعناصر القصة في الأدب ، وتحليلها الى عناصرها ، والمدرسة الأفلاطونية ، وتأثر بالمدرسة الفلانية ، وهو صاحب كرسي في الجامعة ، وعلى قدم المساواة ، وبشر بالدين أو المذهب ، ومبارك هو الرب ، وشريرة هي المرأة التي تفعل كذا وكذا ، وصبّ عليه جام غضبه ، وعمل في حقل الوطنية ، وأنفذ عصارة دماغه ، وهو دودة كتب ، وان كتبه كلها آذان كلاب ، كناية عن طيه أطرافها ليرجع اليها ، ومات ولم يعرف امرأة أي لم يتزوج ، وأحرق البخور أو بخور الثناء بحضرة فلان ، واعتنق فلان الدين الاسلامي ، وضحاه على مذبح أغراضه ، وذهبَ ضحية مبدئه ، وعاش ستة عشر ربيعاً [1] . هذا ما ذكره المرحوم الشيخ المغربي . ونزيد عليه قولهم : أوصل سفينة الدولة الى شاطئ السلامة ، وقولهم هضم فلان هذه المعلومات ، وجمّده وعزله عن النشاط التجاري ، وهذه النصائح تنعكس على الشباب أي تشعّ عليهم ، وغيرها كثير يطول تقصّيه ، وأنا أرى أن من هذه العبارات التي جزم المغربي بأعجميتها ما له وجود في اللغة العربية ، فقولهم مثلاً : (اعتنق المذهب الفلاني) استعارة معروفة فيها ، قال الفيومي في المصباح المنير : (واعتنقت الأمر أخذته بجد) ، وقال الزمخشري قبله في أساس البلاغة : (واعتنق الأمر لزمه) . ونعود الى شرح قصيدة ابن عبدون ليتأكد لنا أنه قد أثر تأثيراً واضحاً في لغة العصر ، قال ابن عبدون في سرد تاريخ الفرس المعروف في زمانه : (لبث ملك لهراسف مائة وعشرين سنة ، ثم ملك بعده ابنه كي بشتاسف ، وهو الذي بنى مدينة فسا ، وظهر في عهده زرادشت

(١) مجلة المجمع اللغوي المصري ج ١ ص ٣٣٦ - ٣٤٧

واعتنق دينه [١] . فهذا نص على أن العبارة العربية قديمة وافقتها العبارة الفرنجية في وجه استعارتها ، وانها أقدم من الفرنجية ببضع مئات سنين .

وكذلك القول في (ضحى به على مذبح أغراضه) ، قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : كان يقال (ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء ، وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر . فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي بن أبي طالب وأصحابه ، ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه [٢] . وذكر القول أبو الفرج الاصفهاني في ترجمة كثير عزة قال : قال حفص الأموي : كنت أختلف الى كثير أروي شعره ، فوالله اني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال : قتل آل المهلب بالعقر فقال : ما أجل الخطب ، ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف ، وضحى بنو مروان بالكرم يوم العقر ، ثم انتضحت عيناه باكياً [٣] . وذكر الخبر بصورة أخرى ابن خلكان قال : (ولما قتل يزيد بن المهلب ابن أبي صفرة وجماعة من أهله بعقر بابل وكانوا يكثرون الاحسان الى كثيّر ، فلما بلغه ذلك قال ضحى بنو حرب ... [٤] الى آخر الخبر وفيه «وأسبلت عيناه بالدموع») .

ونسي ابن خلكان هذا القول فقال في ترجمة يزيد بن المهلب : (قال الكلبي : نشأت والناس يقولون : ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء وبالكرم يوم العقر) [٥] . فالعربية قد سبقت اللغات الافرنجية الى استعمال (ضحى) استعمالاً مجازياً على طريق الاستعارة كما نقلتُ في الخبر .

وأما قولهم (عاش ستة عشر ربيعاً) فعربي أيضاً ، والعرب عرفت فضل الربيع وجماله كما عرفته الأمم ، قال ياقوت الحموي في ترجمة أبي القاسم الحسين بن

---

(١) شرح قصيدة ابن عبدون ص ١٩
(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٤٨ طبعة الدلجموني بمصر
(٣) الأغاني ٩ - ٢٢ طبعة دار الكتب المصرية
(٤) الوفيات ج ٢ ص ٤ من طبعة بلاد العجم
(٥) الوفيات ج ٢ ص ٤٢٩ من الطبعة المذكورة

علي المغربي الأديب الشاعر الوزير : وحفظ القرآن وعدة كتب في النحو واللغة وكثيراً من الشعر ، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة ، ولم يبلغ من العمر أربعة عشر ربيعاً [١] . فتأريخ العرب بالربيع بمعنى السنة سابق لتأريخ الفرنج به ، لأننا نستطيع أن نثبت تاريخ عبارتنا ولأنهم لا يستطيعون ، وها هنا أعود الى قولي مكرراً : (ان التشابه في طرائق التعبير بين اللغات الراقية كثير) ، فمن العسر بمكان أن يجزم الباحث أن هذه العبارة المجازية استعملتها لغة دون أخرى ، وعلى هذا تكون الاستعارات في لغة ما صالحة للنقل الى لغة أخرى ، سواء أعرف لها مثيل أم لم يعرف ، إلا أن الكنايات ليست صالحة دائماً ، لأنها متعلقة بالمكني عنه بغير علاقة التشبيه ، كما يقال بالفرنسية Payer rubis sur l'ongle دفع ياقوتاً أحمر على الظفر ، يريدون وفى دينه كاملاً ، وهو كناية لا يمكن فهمها إلا بمعرفة قائلها ، وسبب قوله إياها ، وتاريخ القول كالأمثال .

ومشكلة رسم اللغة أي إملائها من أعوص المشكلات أيضاً ، فالحروف العربية ناقصة بكون الحركات هي التي تعين صورة لفظها في الكلم والجمل ، واذا كتبت بغير حركات زالت منها البركات ، إلا عند ذوي الثروة اللغوية السليمة والنحو المبين ، فالكلمات غير المشكولة مظنة للالتباس والاشتباه دائماً وأبداً ، واستنان المطابع المصرية — كثرها الله — إخلاء الياء الآخرة من التنقيط ربك رسم العربية ربكاً ظاهراً أثره فيما يقرأ طلاب العربيه من الكتب المصرية الطبع والتأليف ، ولرسم الهمزة في العربية حديث طويل وبلاء عريض ، وفيه تناقض بين ، وأعجب من كل ذلك أنك إذا كتبت كلمة ذات وجهين في الرسم واخترت أحدهما ظهر لك من يعيب عليك ، ذلك لأنه اختار الوجه الآخر ، وهكذا دأبت جماعة على المؤاخذة في قشور اللغة وغلفها ، مع أن الخلاف لا يزال قائماً على أشده في الرسم ، ولم تصب اللغة بضرر من ذلك ، فالضرر مستقر في لفظ

---

(١) معجم الأدباء ٤ — ٦ طبعة مرغليوث

الكلم لا في رسمه ، كما في (اخشوشن) في الحديث العمري : أهو اخشوشنوا أم اخشوشبوا أم اجشوشبوا ؟ . وهي الدينُور التي نسب اليها ابن قتيبة أم الدِّينَوَر ؟ وهو المَقَّري أم المُقري ؟ ويقولون اليوم (الأكفاء) جمع الكفيف مكان الأكفاء جمع الكفء ، والاخصَّائي مكان الاخصائي ، والقهقري بدلاً من القهقرى ، وحصُل مكان حصَل ، وأمِل مكان أمَل ، وقد يقع الدِّين مكان الدَّين أو العكس ، والفَخار مكان الفِخار ، والأُرَّم مكان الأَرَّم ، والأَرَبُ أو الإِرَبُ مكان الإِرْب أو العكس ، وما لا يحصى من المتشابه الخط ، المختلط اللفظ كالدولة الحِمْيَرية بدلاً من الحِمْيَرية .

أما التصحيف في كتب العرب فحدث عنه ولا حرج عليك ، فهو أكبر الداء والبلاء ولا يزول هذا الالتباس إلا بالشكل ، أي وضع الحركات مع الحروف ، وهو عمل عسير على الذي يكتب ويقتضي منه زماناً طويلاً بالنسبة الى زمان الكتابة الغفل ، أي الخالية من الحركات ، والظاهر أن منشأ ذلك كله هو أشكال الحروف .

وقد جرت محاولات كثيرة لإصلاح الحروف العربية ، ولكنها أخفقت ، لأن هذه الحروف معيبة موءوفة في أصلها ، فلا يفيدها الإصلاح الفرعي ، ولأن قسماً منها دقيق الصورة الخطية فلا يحتمل إضافة رسمية موضحة ، أما الحركات الموضحة التي نستعملها ، فهي كما هو معلوم ، رموز أصوات صغيرة مستقلة ، فالفتحة مختصرة من (آ) ، والكسرة من (إي) ، والضمة من (أو) ، فمشابهتها للألف اليابسة والياء والواو هي موضع الصعوبة من محاولة إلحاقها بالحروف ، وعلى هذا أرى أن كل محاولة لإصلاح الخط حابطة .

إلا أننا نستطيع أن نحاول إصلاح الرسم أي الإملاء بأن نكتب الكلمات كما نلفظها ، وأن نعد مقياس تلفظها اعتبارَ أنها واردة في أول الكلام . فالاختبار والاستعلام نثبت الهمزة في كتابتها لأنها تثبت فيها في أول الكلام ، وعلى هذا يكون اللفظ العارض الطارئ والاختصار العارض الطارئ كالأمر العارض ، فلا يكتب التنوين

نوناً لأنه ليس في أصل الكلمة ، ولا يلتفت الى تأثير الإدغام في الحروف الشمسية لأنه عارض لا أصلي . وقد رأيت كثيراً من المخطوطات العتيقة تكتب هاؤلاء وأولائك ولاكن وهاذا ، على اللفظ أي بالألف لا على الرواية . وأما الهمزة ففيما عدا أول الكلمة تكتب على الحرف المجانس لحركتها مثل : (يقرؤون) على الواو ، (تقرئين) على الياء ، ويقرؤ هو على الواو ، ولن يقرأ على الألف ، واذا سكنت في آخر الكلمة مثل (لم يقرأ) فتعد كأنها في أول الكلمة إلحاقاً للآخر بالأول ، هذا رأيي ، ورأي آخر هو كتابة الهمزة بالحرف الذي تخفف اليه ، مثل : (أومأ) أوما ، ينبئنا : ينبينا ، مسؤولنا : مسوولنا ، ثم تحذف الواو الثانية .

وكذلك القول في وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها ، هي توسيع الاشتقاق فيها ، والاتساع في النقل على سبيل المجاز ، والأخذ بالتعريب عند الضرورة ، وذلك لتفي بحاجتنا في المصطلحات العلمية والمصطلحات الفنية وغيرها . أما نحوها فيجب اختصاره ، أو إدماج مواده الواحدة في الأخرى ، فقد اقترحت حذف باب (أسماء الأفعال) مثلاً وإدخال المرتجلة في الأفعال الجامدة ، والمنقولة في باب المحذوف منه من كلام العرب ، وكذلك يجب إدخال صيغتي التعجب في أبوابها الأصلية ، فما أفعَلَه داخل في جمل الاستفهام ، لأن أصل التعجب الاستفهامُ التعجبي ، وأفعِل به داخل في باب الأمر ، ويحسن إدماج باب الفاعل ونائبه في باب المبتدأ أو الخبر ، وتسمية الاسم المرفوع المتحدثِ عنه في الجملة (المخبَّر عنه) وتسميةُ التحدثِ عنه (الخبر) ، فكلمة (الشمس) في قولنا : طلعت الشمس و (الشمسُ طلعت) ، وكلمة (المجرم) في قولنا (عوقب المجرم) و (المجرم عوقب) ، كل منها مخبر عنه ، والفعلان (طلعت) و (عوقب) كل منهما خبَر ، فيكون الخبرُ تارة مقدماً على المخبر عنه ، وتارةً أخرى مؤخراً عنه ، على حسب إرادة المتكلم أو الكاتب .

ويحسن إلحاق المنادى العلم والنكرة المقصودة بالأسماء المرفوعة ، كما فعل الكوفيون ، مثل (ياعلي) و (يارجلان) ، فان بقاءهما مرفوعين ومعدودين في المنصوبات غلط ظاهر ، ويحسن جوز مجيء الحال جامدة باطراد لتكون أخبار كان واخواتها أحوالاً ، وتدخل مرفوعاتها في باب الفاعل أي (المخبر عنه) في الاقتراح الجديد .

ويستحسن حذف باب الممنوع من الصرف ، لأن منعه متعلق بموسيقية اللفظ ، لا بأثر إعرابي ، ولأن صرفه الحاق له بالباب ، وإظهار لأثر الإعراب على حقيقته ، وهو الأصل .

ويحسن إلحاق افعال المقاربة بالافعال الطبيعية ، ما دام خبرها غير متأثر تأثراً ظاهراً ، وكذلك أفعال الشروع والرجاء . ويجب حسبان المفعول الثاني لظنّ واخواتها أحوالاً كأخبار كان وأخواتها ، وتسمية كل من المفعولات الخمسة (المنصوب الفعلي) ، لأنها ليست مفعولات ، فمعنى المفعول المصنوع والمعمول ، وهي ليست مصنوعة ولا معمولة .

ويحسن جمع الاختصاص والتحذير والإغراء في باب المحذوف فعله في العربية ، وكذلك النصب على المدح أو الذم . وأخيراً يجب وضع قواعد عامة لتسهيل إتقان اللغة العربية ، وقد ذكرت ست عشرة قاعدة عامة في كتيّبي للمباحث اللغوية في العراق [1] ، منها أن (على) تفيد التسلط والتعدي والأذى ، فضلاً عن الاستعلاء المألوف ، فلذلك تصحب كل فعل أريد به العدوان والأذى والتسلط ، مثل : (نمّ عليه ، وحكم عليه ، وتطرّق عليه ، ووجب عليه ، وعاب عليه ، وانتقد عليه قوله) ، ومنها أن الفعل إذا وقع على المفعول بتسلط أو علو ، جاز تعديه بنفسه أو بعلى ، مثل : (قبضه وقبض عليه ، وعضه وعضّ عليه ، وركبه وركب عليه ، واحتذاه واحتذى عليه) . وبهذه القاعدة التي استدركتها

(١) المباحث اللغوية في العراق ص ٤١ - ٤٩

علمت أن (على) هي ظرف مكان غير متصرف لا حرفُ جر ، فهي مثل (لدى) ، ولولا ذلك ما جاز أحد التعبيرين .

ومنها أن الأفعال الدالة على دفع وحركة في التعدي ، يجوز إدخال حرف على مفعولها ، نحو : دفعه ودفع به ، وحذفه وحذف به ، وألقاه وألقى به ، ورماه ورمى به ، وأدّاه وأدى به ، ومن المعروف أن أكثر الكتاب اليوم يستعملون (أدّى به) مكان أدّاه ، مع أن المعجمات لا تذكر (أدى به) بل (أداه) ، فهل نعد استعمال الكتّاب غلطاً ؟ إن هذه القاعدة التي أستدركها تدل على جواز (أدّى به) ، فهل ورد استعمالها على هذه الصورة في كلام العرب ؟ نعم ، قال أبو بكر الرازي في بعض رسائله (وأدّى به الأمر الى الهلاك) [1] ، وقال ياقوت الحموي : (كان إذا تنفس خاف أن يكون على نفسه رقيب يؤدي به الى العطب) [2] ، وقال عبد الحميد بن أبي الحديد : (وأيضاً فان المرأة قد تؤدي بها الغيرة الى ما يكون كفراً على الحقيقة كالسحر) [3] ، وقال مسلم بن معبد الوالبي :

وإيام جزى عني وأدى إلى كل بما بلغ الأداء [4]

ومنه ما نقلنا في خبر كثير عزة آنفاً (وأسبلت عيناه بالدموع) والأصل أسبلت عيناه الدموعَ . ومنها جواز تعدية (فَعِلَ يفعَلُ) لغير العيوب والعاهات الظاهرة ، بحرف الجر وبنفسه نحو : (أنف منه وأنفه ، وأمن منه وأمنه ، وخشي منه وخشيه ، وسئم منه وسئمه ، وفَرِق به وفرقه ، ولحق به ولحقه ، وعلم به وعلمه ، وظفر به وظفره ، وضجِرَ منه وضجره) وهذه القاعدة تكشف لنا عن تطور (فَعِل) الموضوع في الأصل للزوم ، من حالة اللزوم إلى حالة التعدي .

(١) رسائل الرازي ص ٤ طبعة بول كراوس
(٢) معجم الأدباء ٣ — ٢١ طبعة مرغليوث
(٣) شرح نهج البلاغة ٤ : ٣٠٢
(٤) خزانة الأدب ج ٢ ص ١١٣ طبعة دار العصور

هذا وينبغي الاستعانة بعلم المعاني أيضاً على حل مشكلات النحو وإزالة الشذوذ ، وذلك للتفادي من التمحلات والتأويلات الباردة ، كما فعلوا في (سلام عليكم) و (ويل له) وأمثالها ، فمقتضى الحال هو الذي أجاز الإخلال بالقاعدة النحوية التي قرروها ، وما استطاعوا الحفاظ عليها ، وهذا يعني تحكم المعنى في النحو ، والرجوعَ عن النظرية اللفظيةِ الصرف ، فكل ما خالف المعنى من التراكيب النحوية إنما هو من الخطأ ، فاذا أردنا بيان الاهتمام بالخبر عنه قلنا مثلاً : (حرب نشبت بين دولتين) ولو خالفنا القاعدة المقررة ، وذلك لأن هذا التركيب هو قاعدة أسّسها مقتضى الحال .

وبهذا الأسلوب نستطيع إدخال علم المعاني في النحو ، ذلك الذي يستند الى القرآن قبل كل شيء ، كما هو الحال في النحو تقريباً ، ويبقى علم البلاغة فيجتزئ منه بالحقيقة والمجاز (ومنه الاستعارة) والتشبيه ذي الأداة اللفظية والأداة المعنوية ، وباسم عام من علم البديع هو (المحسنات فقط) ، ويكتفى من المجاز بالكناية وتسمى (المجاز الكنائي) وبالمجاز المرسل والمجاز العقلي دون المجاز المركب ، وعلى هذا نأمل أن نرى باب القصر من علم المعاني في باب الاستثناء وغيره من أبواب النحو ، ونرى أكثر أبواب البلاغة راجعة إلى ما يشبه كلام الشريف الرضي في كتابيه «« المجازات القرآنية والمجازات النبوية »» ، وإنما طرحنا المجاز المركب مثلاً لأنه متطفل على أبواب البلاغة ، فبابه عندي (المجاز الكنائي) أو الارداف عند من يميز بينهما ، فالاستعارة التمثيلية هي المجاز المركب ، والأمثال السائرة كلها من الاستعارة التمثيلية كما هو معلوم ، والتحقيق يوجب أن تكون الأمثال من المجاز الكنائي .

هذا ما سمح الوقت القصير بقوله وكتابته ، والله الموفق للصواب .

تعاون المجامع على عمل المعاجم اللغوية

للأستاذ ابراهيم مصطفى

عمل المعاجم اللغوية من أول واجبات المجامع ·

واللغة العربية الآن في أشد الحاجة الى معاجم متعددة مختلفة : الواسع المحيط الذي يفي برغبة الباحثين ، والمتوسط الواضح الذي يسد حاجات المثقفين ، وما قد يختص بمصطلحات مادة أو استعمال عصر ، ليتوفر للغة العربية ما توفر لأخواتها من اللغات القوية الحية ·

والمتقدمون من علماء اللغة ، قد تركوا لنا تراثاً يمثل قوة لغوية عبقرية جديرة بالتخليد ، ولكنها ثروة تحتاج الى تنظيم والى عرض جديد ، والى استكمال ما أهمل وتوضيح ما أبهم ، والى أن يضم الى عملهم ما استحدثت اللغة في حياتها من بعدهم ، وتحتاج أشد الحاجة الى منهج علمي عصري في تدوين المادة وسبيل تقديمها · ولا بد لذلك من أن نرجع الى النصوص الوثيقة ، ونجمع منها الكلمات ، ونتتبع استعمال كل كلمة في مواضعها المختلفة ، لنوضح المعنى ، ولنحدد طريق الاستعمال ، وليكون مع كل قرار حجته وبينته ·

وقد بذل في هذا السبيل بعض الجهد ، فجمعت ألفاظ القرآن الكريم ، وكان أتم عمل في ذلك ما قام به الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي في (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن) المطبوع في مصر · وألفاظ الحديث النبوي تصدى لجمعها المستشرقون والاكاديميات الغربية ، واستعانوا ببعض أبناء العربية ، وأخرجوا أجزاء من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث وقاربوا ثلث العمل ، وبقي شيء كثير جداً : دواوين الشعراء ، وآثار الكتاب ، وكتب المؤلفين الذين يمثلون لغة عصرهم كالجاحظ ،

وابن حيان ، والطبري ، وكتاب السيرة . وهذا جهد كبير يحتاج الى وقت طويل وعمل متواصل، قد تتعاقب عليه الأجيال ، ولكنه السبيل الصحيح لإخراج معاجم واضحة وثيقة مؤبدة ، واللغة العربية في نهضتها تستحق هذا الجهد ، بل توجب على العاملين من أبنائها ألا يتوانوا عنه ، ولا يتريثوا فيه .

ولهذا أقترح على المؤتمر أن يشكل لجنة :

١ — تنظر في تنظيم هذا العمل ، وترسم طريق التعاون بين المجامع عليه ،

٢ — وتختار من النصوص ما يجب أن يدرس ، وتستخرج ألفاظه وتبين استعمالها فيه ، وتضع كل استعمال في جزازة .

٣ — وترسم مثالاً موحداً لهذه الجزازات ، وطريقة التكوين فيها ، وتجعل لكل جزازة رقماً .

٤ — وتتبادل المجامع هذه الجزازات ، لتكون في كل مجمع مجموعة منها تحفظ في مراجعه العلمية ، وستكون هذه الجزازات على الزمن مكتبة لغوية منظمة شاملة قريبة التناول ، وتكون الوسيلة لتوضيح الكلمات ، وتحديد استعمالها ، والأصل لكل معجم .

ومؤتمر المجامع حري أن يجعل من ثمرات اجتماعه هذا ، توثيق الصلة بين المجامع ، ورسم الطريقة القويمة ، لنمضي جميعاً متعاونين على هذا العمل المعظيم النافع .

تصنيف معجم انكليزي افرنسي عربي في المصطلحات العلمية

للأمير مصطفى الشهابي

إذا ألقينا نظرة على المعجمات الأعجمية العربية المشتملة على مصطلحات علمية ، نجد أنها جميعاً أعمال أفراد ، لا أعمال جماعات ولا أعمال حكومات . والفرد مهما تسمُ منزلته في معرفة لغتنا الضادية ومفرداتها ، ومعرفة العلوم الحديثة وألفاظها ، لا يستطيع أن يؤلف معجماً أعجمياً عربياً في ألفاظ جميع تلك العلوم . وهو إن حاول ذلك زلت قدمه لا محالة ، وأتى بالغث والسمين من المصطلحات العربية . ومتى شاعت الأغلاط التي تكون مبثوثة في مثل هذا المعجم تصبح أضراره متفوقة على منافعه .

والعالم في ديار الغرب لا يضع اسماً جديداً من أسماء الأعيان وأسماء المعاني إلا في العلم الذي اختص به ، واشتهر بالتبحر في موضوع أو أكثر من مواضيعه . ولا يصبح هذا الاسم الجديد ثابتاً ما لم يقبله ويستعمله العلماء الآخرون في بلاد ذلك العالم ، وما لم يقره المجمع اللغوي في تلك البلاد .

وكذلك الأسماء العلمية ، ولا سيما أسماء المواليد العلمية من نبات وحيوان وجماد ، فهي لا تصير ثابتة إلا بعد إقرارها في مؤتمرات دولية . والمؤتمرات الدولية تعقد في الديار الغربية للبحث في مواضيع كثير من العلوم ، ومنها موضوع الأسماء العلمية فهي متى أقرت ، أصبحت مشتركة بين الأمم ، واستعملت في جميع اللغات الحية ، وخصوصاً في التعليم العالي .

ولقد ثبتت مصطلحات العلوم منذ سنين عديدة ، في لغات الغرب الكبيرة . وكلما وضعت أو شاعت فيها ألفاظ علمية جديدة ، نظرت فيها مجامعها اللغوية ،

فأقرت ما هو صالح منها ، فالتزمه العلماء وكفوا عن استعمال غيره . ولذلك لا يجد المؤلفون والكتاب في تلك البلاد صعوبة لغوية أو أقل صعوبة اصطلاحية في تأليف الكتب أو كتابة المقالات العلمية ، ويقتصر عملهم في ذلك على معالجة الناحية العلمية وحدها .

أما في بلادنا العربية فأكبر هم المؤلفين والكتاب تحري المصطلحات العربية التي يجوز أو لا يجوز استعمالها ، وهو عمل شاق يقض مضاجع الحرصاء على سلامة لغتنا من العجمة . فهم لا يجدون معجماً عربياً شاملاً للمهم من الألفاظ العلمية . وإذا أرادوا مراجعة المصطلحات العربية المنشورة في مجلات مجامعنا وفي المجلات العربية السائرة أضاعوا في بلوغ هذه الطلبة وقتاً طويلا . فليس من السهل على كل كاتب أو مؤلف الحصول على مجلدات مجمع اللغة العربية في القاهرة ، أو مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، أو مجلة المجمع العلمي العراقي ، أو مجلة المعهد الطبي بدمشق ، أو مجلة المقتطف ، أو مجلة لسان العرب ، أو فهارس المصطلحات الملحقة ببعض الكتب العلمية العربية ، أو غير ذلك من المراجع المتفرقة التي فيها شيء من المصطلحات .

وكذلك ليس من السهل تدارك نسخ من المعجمات التي وضعها أفراد في ألفاظ علم أو أكثر من العلوم الحديثة ، إما لوفاة مصنفيها ، أو لنفاد نسخها ، أو للسببين جميعاً ، مثل معجم الحيوان ، ومعجم أسماء النبات ، ومعجم الألفاظ الزراعية ، والمعجم العسكري وغيرها .

ومن العبث ذكر أسماء المعجمات الأعجمية العربية الحديثة التي يشتمل واحدها على ألفاظ علوم كثيرة مختلفة . فأغلاط المصطلحات فيها لا تعد ولا تحصى .

ثم ان هنالك علوماً كثيرة ، فيها الآلاف المؤلفة من الألفاظ العلمية ، لم يتناولها مجمع ولا فرد بالبحث والتحقيق ، بغية إيجاد ألفاظ عربية أو معربة صالحة لأن توضع أمام الألفاظ العلمية الأعجمية المذكورة .

وقد نتج عن كل ذلك وضع عجيب مؤلم تعرفونه حق المعرفة ، وهو ان بعض المؤلفين الذين لم يهتدوا في عملهم الى ألفاظ عربية أو معربة ، صحيحة أو راجحة ، راحوا يستعملون ألفاظاً عامية ، كثير منها لا وجه له بتاتاً ، أو راحوا يضعون المصطلحات العربية جزافاً ، على الرغم من جهلهم بأسرار لغتنا العربية ، وبما حوته من ألفاظ علمية ، وعلى الرغم من عدم تحليهم بكثير من الصفات ، التي يجب على واضعي المصطلحات العلمية أن يكونوا متحلين بها .

وكانت مغبة هذا الوضع الشاذ أننا صرنا نرى كتباً علمية فيها من الألفاظ العامية ما يأباه كل عربي حريص على سلامة لسانه المبين ، وصرنا نرى للمعنى العلمي الواحد مصطلحات مختلفة ، وضعها أو استعملها مؤلفون في أقطار عربية شتى ، بل في قطر عربي واحد أحياناً . وأنكى من وضع المصطلحات السقيمة تشبث واضعيها بها ، حتى لو كان سقمها واضحاً كالشمس . فالأثرة في بعض البشر كثيراً ما تكون داءً ليس من الميسور البرء منه ، ولا يستطيع أن يثني أمثال هؤلاء الناس عن غيهم ، إلا مجمع لغوي قادر على فرض إرادته على المؤلفين والكتّاب .

ويتضح من كلماتي هذه أننا نشكو اليوم علتين : الأولى نقص المصطلحات العلمية في لغتنا العربية ، والثانية تعدد المصطلحات العربية للمعنى العلمي الواحد .

فأما العلة الأولى فسببها الأول عدم تمكن الكثرة من علمائنا الأثبات من الانقطاع الى وضع المصطلحات العربية أو تحقيقها ، لما يلزم لهذا الانقطاع من وقت ومن مال . فمعظم علمائنا القادرين على هذا العمل ليسوا من أرباب اليسار ، وأعمالهم المعاشية تستنفد معظم أوقاتهم . وليس من المعقول أن ينصرفوا عن موارد رزقهم ، ليأتوا بالمجان أعمالاً ، قلما يصيبهم منها غير النصب ، مضافاً اليه نكران الفضل في كثير من الأحيان .

فتلافي النقص في المصطلحات العلمية إذن إنما يكون في حسن انتقاء الأثبات من علمائنا ، وفي تهيئة الوسائل الناجعة لهم ، لكي يضطلع كل واحد منهم

بتصنيف معجم صغير أعجمي عربي لألفاظ العلم أو فرع العلم الذي اختص به ، على أن يضع أو يحقق أصح الألفاظ العربية أو المعربة ، وعلى أن يعرّف ألفاظ المعجم بالعربية تعريفاً علمياً دقيقاً موجزاً .

وأما العلة الثانية أي تعدد المصطلحات العربية للمعنى الواحد ، فدواؤها جمع تلك المعاجم الصغيرة في معجم كبير واحد ، بعد إقرار ألفاظه العربية من قبل مرجع علمي لغوي موثوق به .

ومن الواضح أن المال هو أهم الوسائل التي يجب أن تيسر للعلماء وللمرجع العلمي اللغوي على السواء ، لكي ينهضوا بهذا الحمل الثقيل وهو تصنيف المعجم الشامل الملح اليه . والمال لا يهبط على العلماء بقفة من السماء . وكل محب للغتنا حريص على جعلها صالحة للتدريس العالي وللتعبير عن حاجات المدنية الحاضرة يرى من أهم واجبات الحكومات العربية تقديم المال اللازم لهذا العمل ، وكل مسؤول عن العلم واللغة والثقافة في تلك الحكومات يدرك الفوائد الجليلة التي نحصل عليها من تحقيقه ، بل يدرك حاجتنا القصوى الى تحقيقه .

فكل كتاب مدرسي أو غير مدرسي يؤلف أو يترجم بالعربية يجب أن تكون ألفاظه العلمية صحيحة وموحدة . وكذلك ألفاظ الموسوعة العربية التي طالما سمعنا عن ضرورة تصنيفها . فما الفائدة من موسوعة عربية تكثر في مصطلحاتها المغالط والمزالق ؟ إن المعجم الذي نتكلم عليه هو في الحقيقة حاجة ملحة ، وهو لا غنى عنه للعلماء والأدباء فيما يؤلفون أو يترجمون . ولذلك ما برحنا نقول بضرورة المبادرة الى تصنيفه ، ترجيحاً له على غيره من مشاريعنا العلمية والثقافية .

كيف يتحقق هذا المشروع ؟

ذكرتُ في آخر كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » السبيل الذى أرى سلوكه تحقيقاً لهذا المشروع ، وأسهبت في ذكره أيضاً في بحث ألقيته على

زملائي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة . فاسمحوا لي بأن ألخص رأيي هذا في أسطر قليلة .

فمشروع معجم المصطلحات العلمية يحتاج في تحقيقه الى أدوات ثلاث :

الأولى — علماء يضعون أو يحققون المصطلحات العربية لقاء تعويض مجز وعادل .

والثانية — مجمع لغوي ينظر في تلك المصطلحات ، ويقر الصالح منها ، ويجمعها في معجم أعجمي عربي شامل .

والثالثة — جهاز قادر على تدارك المال لهذا الفرض ، وعلى تعاهد المشروع ، تحقيقاً لطبع المعجم ، ونشره في الأقطار العربية .

فأما العلماء القادرون على وضع المصطلحات العربية أو تحقيقها فهم منبثون في البلاد العربية ، وليس من الصعب الاهتداء اليهم ، على قلتهم .

وأما المجمع اللغوي الذي يجمع عمل العلماء وينسقه ويقره ، فهو في نظري مجمع اللغة العربية في القاهرة . فهو المجمع الوحيد الذي يستطيع أن يؤلف من أعضائه وخبرائه لجاناً محترمة قادرة على تمييز الغث من السمين في المعاجم الصغيرة التي يضعها العلماء . ومتى كوفئ الجميع على أعمالهم بتعويضات مجزية وعادلة سارت تلك الأعمال في دقة وعجلة .

وأما الجهاز القادر على تدارك المال من الحكومات العربية فهو الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، فعليها المعوّل في هذا الموضوع .

وأنا واثق من أن جميع دول الجامعة العربية تشارك عن رضى في نفقات هذا المشروع ، اذا تبناه ودعا اليه رئيس مجمع اللغة العربية والأمين العام للجامعة العربية ورئيس لجنتها الثقافية ، وقد دلتني أحاديثي الخاصة فيه مع رؤساء الوزارات والوزراء ، الذين كنت أجتمع بهم في مجلس جامعة الدول العربية ، أنهم جميعاً يحبذون تحقيقه ، وان حكوماتهم لا تعارض في إضافة ما يلزم لهذا الغرض من مال على موازنة الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

والمال اللازم لتصنيف هذا المعجم ، لا يتجاوز في نظري ستين ألف جنيه مصري في الفرط ، وهو مبلغ صغير ، لأن المعجم إذا احتاج إلى اتمامه إلى أربع سنوات من الزمن ، يكون المبلغ السنوي الذي يضاف على موازنة الأمانة العامة للجامعة العربية خمسة عشر ألف جنيه ليس غير . وما قيمة هذا المبلغ يوزع على الدول العربية كافة ، إذا قيست بفائدة المعجم الكبيرة ؟

وبعد أرجو أن يتذاكر أعضاء المؤتمر في هذا الموضوع ، حتى إذا وجدوا مثلي أن ثمة ضرورة للاسراع الى تحقيقه ، خرجوا بتوصية مؤداها أن تتخذ الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بالاشتراك مع مجمع اللغة العربية في القاهرة ، الوسائل الآيلة الى تصنيف معجم انكليزي ـ افرنسي ـ عربي ، للمصطلحات العلمية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة ، تعرّف فيه الألفاظ بالعربية تعريفاً علمياً موجزاً ، على أن يتم تأليفه وطبعه ونشره على الأقطار العربية في أقصر مدة ، وعلى أن يباع بثمن بخس تعميماً لفائدته .

المصطلحات العلمية

للأستاذ قدري حافظ طوقان

لقد عُني المجمع اللغوي بأمر المصطلحات العلمية ، وكذلك عني بأمرها المؤتمر العلمي العربي الأول ، والمؤتمر العلمي العربي الثاني ، والاتحاد العلمي العربي . واشترك في هذه العناية جماعات من المختصين من الجامعات المصرية وغير المصرية ، وجرت محاولات لتنسيق هذه الجهود وتوحيدها ، ولكن هذه المحاولات لم تصل بعد الى عمل إيجابي .

وخصص المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٥٥ عدة جلسات لدراسة مشكلة المصطلحات ، وكانت اللجنة الإعدادية للمؤتمر قد أعدت قوائم ضمنتها نحو عشرة آلاف مصطلح ، وأمام كل مصطلح الترجمة العربية المستعملة في الأقطار العربية ، وقد عرضت على المؤتمر بغية توحيدها .

وحضر الى المؤتمر أحد خبراء (اليونسكو) في موضوع المصطلحات ، وكان قد استدعي لهذا الغرض ، فقدم بعض التواصي والمقترحات .

وكان من جملة الاقتراحات إنشاء مكتب دائم للمصطلحات ، ورأى بعض الأعضاء أن إنشاء الاتحاد العلمي العربي ، سيساعد في دراسة هذه المشكلة ، والعمل على توحيدها وإذاعتها .

وتبنى الاتحاد العلمي العربي مشكلة المصطلحات ، واستبقى خبير اليونسكو بضعة أشهر ليعاون في جمع مصطلحات علم الطبيعة من القوائم العالمية المعيّرة ، وترتيبها ونقلها بتعريفاتها الأجنبية من المراجع الى بطاقات خاصة تحمل أرقاماً معينة . وجرى توزيع هذه البطاقات على المختصين لترجمتها الى العربية . وبعد أن روجعت

هذه وتلك نقلت ثانية في مجموعتين ، تمهيداً لعرضها مرة أخرى على المختصين في علم الطبيعة في البلاد العربية ، لإبداء ملاحظاتهم بشأنها ، ثم عرضها أخيراً على لجنة مشتركة في البلاد العربية ، للاتفاق على ترجمة موحدة ، وذلك وفقاً للخطة التي أوصى بها مجلس الاتحاد العلمي العربي الذي عقد في نيسان (ابريل) سنة ١٩٥٦ .

هذه لمحة موجزة عن جهود الاتحاد العلمي العربي في قضية المصطلحات .

وفي رأيي أنه يمكن للإدارة الثقافية ، بالتعاون مع المجمع اللغوي والاتحاد العلمي ، أن تقوم بجهود عملي تمهيدي ، وهو إنجاز المصطلحات العلمية الواردة في الدراسة الثانوية ، وهذا لا يتعارض مع جهود المجمع اللغوي ، أو جهود الاتحاد العلمي العربي . فهناك جهود في هذا السبيل للمجمع اللغوي يمكن الاستعانة بها والاعتماد عليها ، وهناك مصطلحات علم الطبيعة التي أنجزها الاتحاد العلمي العربي ، وفيها كثير من المصطلحات الواردة في الدراسة الثانوية ، ومن هذه الجهود جميعها يمكن للإدارة الثقافية أن تخرج بمصطلحات الدراسة الثانوية ، ونشرها وإذاعتها وإلزام المؤلفين بها .

الاصطلاحات الفلسفية

للدكتور جميل صليبا

اللغة العربية من أغنى اللغات ، وأوسعها اشتقاقاً ، وأدقها تعبيراً ، صقلتها القرائح والعقول في الماضي بضعة عشر قرناً حتى جعلتها لغة الشعر والخطابة ، واصطنعها العلماء في مفردات الطب والكيمياء والرياضيات والفلسفة حتى جعلوها لغة العلم والثقافة .

والسبب في اتساع اللغة العربية لجميع الاصطلاحات العلمية أنها لغة غنية كثيرة المرونة ، لطيفة المخارج ، فيها ألفاظ متباينة ، ومتفقة ، ومترادفة ، ومشتقة [1] . وربما وجدت فيها أيضاً ألفاظ مختلفة دالة على معان متقاربة ، وان كانت أشخاص تلك المعاني مختلفة ، وربما دلت على أحوال مختلفة ولكنها مع اختلافها هي لشخص واحد .

ولكن هذه المرونة في دلالة الألفاظ على فائدتها لا تخلو في بعض الأحيان من الالتباس والإشكال ، ولا من الغلط والخطأ في التعبير . لأن الأصل في الكلام اختلاف الألفاظ باختلاف المعاني . ومن حق المعنى كما قال الجاحظ أن يكون الاسم له طبقاً ، وأن لا يكون له فاضلاً ولا مفضولاً ، ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضمناً [2] .

ولكن العلماء الذين أخذوا في عشرات السنين الأخيرة يدونون علوم العصر ، وينقلونها من اللغات الأوربية الى اللغة العربية لم يتقيدوا بهذا الأصل الذي

---

(١) المتباينة هي التي تختلف باختلاف المعاني ، والمتفقة هي التي تتفق فيها ألفاظ واحدة بعينها ومعانيها مختلفة ، والمترادفة هي التي تختلف ألفاظها ومعانيها واحدة .

(٢) البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص ٥٧ .

قدمناه ، بل مالوا الى استعمال الألفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ، أو الى استعمال اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة . فعرض لهم من الخلاف في المعاني ما عرض للشعراء والخطباء وأصحاب السجع من استعمال الألفاظ المترادفة والمتواطئة ، وان كانت متباينة بالحقيقة . فأدى فعلهم هذا الى الإلباس والإشكال ، والى كثير من الغلط والخطأ . مع أنه كان ينبغي له إذا وجدوا ألفاظاً مختلفة متقاربة المعاني أن ينظروا فيها ويبحثوا عن السبب في اختلافها ليضعوا لكل معنى لفظاً مطابقاً له ، إلا أنهم قلدوا في ذلك البلغاء والشعراء والخطباء فجاءت اصطلاحاتهم كثيرة الغموض ، وعلومهم قليلة الوضوح والضبط .

والدليل البين على أن الأمر على ما ذكرناه ان الشخص الواحد يستعمل للدلالة على المعنى الواحد ألفاظاً مختلفة فيترجم كلمة (Déduction) تارة بالاستدلال وأخرى بالاستنتاج أو بالاستنباط ، ويستعمل اللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة فيترجم كلمات (Intelligence) ، و (Raison) ، و (Bon sens) كلها بكلمة عقل .

واذا كان الشخص الواحد لا يتقيد هو نفسه بالاصطلاحات التي اختارها ، فما بالك بالمترجمين الآخرين الذين قد يوافقونه على اختياره أو يخالفونه ويخالفون أنفسهم ؟ وما بالك بالقارئ الذي يجهل اللغة الأجنبية ، هل يفهم ما يقوله هؤلاء وما يكتبونه ؟

إن مدار الأمر والغاية التي يجري اليها الكاتب والقارئ ، إنما هو الفهم والإفهام . فاذا كانت معاني الألفاظ تختلف باختلاف القائل والسامع فكيف تتضح ، وكيف تفهم ؟ إن التفاهم بألفاظ متبدلة المعاني أصعب من التعامل بنقود متبدلة القيم ، فلا بد للعلماء إذن من الاتفاق على معاني الألفاظ ، ولا بد لهم أيضاً من تثبيت الاصطلاحات العلمية حتى لا تتبدل الحقائق بتبدل الألفاظ التي أفرغت فيها . ان الألفاظ حصون المعاني وتثبيت الاصطلاحات العلمية

هو الحجر الأساسي في بناء العلم . فاذا أقيم هذا البناء على أساس متحرك لم يبلغ الغاية التي أنشئ من أجلها .

على أنه قد يقال أن الأساس في العلم هو الكشف عن الحقائق ، وان الحقيقة اذا كشفت فبأي لغة بلغت الأفهام فذلك هو البيان المطلوب . ولكن هذا القول يهمل ناحية أساسية من الاصطلاحات العلمية ، وهي أن السبب الذي من أجله احتيج الى وضعها لا يقتصر على الإفهام وحده . لأن العالم بالشيء يفهمه مهما تكن اللغة ، التي تستعملها في تفهيمه إياه ، ركيكة ومضطربة . ولكن تثبيت الاصطلاحات العلمية لا يفيد العلماء وحدهم ، بل يفيد المعلمين والمتعلمين كما يفيد جمهور القراء . فله إذن فائدة في التربية ، وفائدة اجتماعية معاً .

أما الفائدة في التربية فهي أن تثبيت الاصطلاحات يستلزم تحديد معاني الألفاظ وتوضيحها ، فلا يستعمل اللفظ إلا فيما وضع له ، ولا يدل على المعنى الواحد إلا بلفظ واحد . وفي ذلك تيسير لعمل المعلمين والمتعلمين معاً . لأن المعاني إذا كانت محدودة ، سهل على المعلم شرحها وعلى المتعلم فهمها . وكذلك الألفاظ إذا كانت مطابقة للمعاني صار استعمالها أدق ووضوحها أتم . وقد عرفنا بالتجربة أن التلاميذ الذين يقرأون النصوص الفلسفية دون أن نشرح لهم اصطلاحاتها يضيعون زماناً طويلاً في تفهم ما يقرأون دون أن يصلوا الى نتيجة . وكثيراً ما يورثهم هذا الأمر كرهاً للفلسفة وعجزاً عن النجاح في الامتحان . حتى ان بعضهم وان نجح في فحوصه يعتاد استعمال الألفاظ الفارغة فيردد ما قرأه كالببغاء أو يلوكه كما يلوك الطفل طعامه ، وهذه العقول الببغائية التي تردد الألفاظ الفارغة تعجز في مستقبل حياتها الفكرية عن الإنتاج العلمي . وربما كانت تمارين الترجمة التي تقتضي مراجعة معاني الألفاظ في المعاجم العلمية والفلسفية خير وسيلة لشفاء هذه العقول من الببغائية الفكرية ، لأنها تمنعها من استعمال ألفاظ لم تتضح معانيها ، وتعوّدها الدقة في التعبير ، والمطابقة بين المعنى واللفظ ، فلا يكون أحدهما زائداً على الآخر .

وأما الفائدة الاجتماعية فهي أن تحديد معاني الألفاظ يسهل على الناس التفاهم فيما بينهم ، فلا يتكلمون بما لا يعلمون ، ولا يمارون فيما لم يتضح لهم من المعاني . إن معظم الاختلافات في الآراء السياسية والاجتماعية يرجع الى أن الناس لم يحددوا معاني الألفاظ التي يجادلون فيها . فالحرية والعدل والمساواة لا تدل على معان واحدة عند الاشتراكيين والمولين ، وكذلك الحق والواجب والخير والكرامة وغيرها . فاذا أردت أن تحسم الخلاف بين الناس ، وتحقق التفاهم بين أصحاب المذاهب المتشابهة فابدأ أولاً بتحديد هذه المعاني تحديداً علمياً واضحاً . ان هذا التحديد يقرب الآراء بعضها من بعض ويبطل أسباب الخلاف ، ويوفر على الناس كثيراً من الجهد والوقت .

وربما كانت الألفاظ التي يستعملها المترجمون المحدثون أكثر الألفاظ احتياجاً الى هذا التحديد ، لأنهم كما قلنا ، لا يطلقون على المعنى الواحد لفظاً واحداً . مثال ذلك أن بعضهم يترجم كلمة (Intuition) بكلمة حدس ، ويترجمها الآخر بالبداهة أو الاكتناه ، أو الاستبصار ، وكذلك كلمة (Conscience) بعضهم يترجمها بالشعور ، وبعضهم يترجمها بالوعي . فاذا استمر الأمر على هذه الحال أدى الى كثير من الفوضى والاضطراب ، لأن النقلة ، إذا لم يوحدوا اصطلاحاتهم عجزوا هم أنفسهم عن فهم ما ترجموه . ولا يكفي أن تتطور الاصطلاحات العلمية تطوراً عفوياً حتى تصل الى الوحدة ، لأن التطور العفوي قد يؤدي الى الاحتفاظ بألفاظ كثيرة للدلالة على معنى واحد ، واذا أدى انتصار لفظ على غيره لم يكن هذا اللفظ الفائز في المعركة أحسن الألفاظ دائماً ، فلا بد إذن من توجيه هذا التطور حتى يبلغ غايته . والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تقتضي إنشاء مجمع علمي واحد ينتقي من الاصطلاحات التي اهتدى اليها النقلة المتخصصون اصطلاحاً واحداً يثبته ويحله حظيرة اللغة ، لا أن يضع هو نفسه اصطلاحاً علمياً جديداً . ذلك لأنه ليس من شأن المجامع العلمية أن تضع

الاصطلاحات وإنما هي بمثابة عضو رئيسي في جسم العلم، ينقح ما يكشفه العلماء، ويمحصه وينظمه، ويثبته . وإذا خرجت المجامع العلمية عن هذا الحد الذي يجب عليها أن تقف عنده عرّضت نفسها لكثير من الخطأ والغلط والنقد .

ان لكل علم لغة فنية، والعلماء المختصون وحدهم يفهمون هذه اللغة . فأنت لا تفهم معنى كلمة (تفاعل) إلا إذا كنت كيماوياً، كما أنك لا تفهم معنى الساحة المغناطيسية إلا اذا كنت فيزيائياً . ومن كان طبيباً كان قادراً على الكلام عن المرض بلغة لا يفهمها المريض . وكذلك لما كانت الألفاظ التي يستعملها الفلاسفة لا تختلف عن الألفاظ التي يستعملها الأدباء والصحافيون والمحامون كان هذا الاتفاق فيها أدعى الى الاشكال والاضطراب . ان رجال الأدب لا يستغنون عن اصطلاحات علم النفس، كما ان رجال السياسة لا يستغنون عن اصطلاحات علم الاجتماع والاخلاق . ولكن الفلاسفة الذين يستعملون كلمة ذاكرة وعقل وحقيقة وواجب وحرية وإرادة لا يبلغون غايتهم إلا إذا كانت هذه المعاني المتصورة في أذهانهم محدّدة معرّفة . وكثيراً ما يكون لبعض هذه الألفاظ في أذهانهم معان مخالفة لما يتصوره المحامون والأطباء والمهندسون . فينبغي لنا إذن إذا شئنا أن نختار اللفظ الموافق للمعنى العلمي أن نعتمد في ذلك على أرباب الاختصاص لأن صاحب البيت أدرى بالذي فيه . ومتى عرض علينا المتخصصون ألفاظهم نقحناها ومحصناها واخترنا أوفقها وأصلحها وثبتناه في معاجم اللغة .

والسبيل الواضحة والطريقة الصحيحة التي يجب على العلماء اتباعها في وضع الاصطلاحات العلمية الموافقة تنحصر عندنا في القواعد الآتية :

القاعدة الأولى : هي البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته . ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد . فاذا وجدناه مطابقاً له أطلقناه عليه دون تبديل أو تغيير، مثال ذلك أن القدماء أطلقوا لفظ (الجوهر) على المعنى

الذي تدل عليه كلمة (Substance) ، وأطلقوا لفظ (المقولات) على المعنى الذي تدل عليه كلمة (Catégories) ، فاذا أردنا أن نترجم هذه الألفاظ أطلقنا عليها الأسماء التي سماها بها من عرفها من أصحاب اللغة .

و**القاعدة الثانية** : هي البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث ، فيبدل معناه قليلاً ويطلق على المعنى الجديد . مثال ذلك ما ترجمنا به لفظ (Intuition) فقد أطلقنا على هذا المعنى اسم الحدس بعد أن وسعنا معناه القديم . فالحدس كما يقول الجرجاني في تعريفاته : « هو سرعة انتقال الذهن من المبادئ الى المطالب ويقابله الفكر ، وهو أدنى مراتب الكشف » ، والحدسيات عنده هي : (ما لا يحتاج العقل في جزم الحكم فيه الى واسطة بتكرر المشاهدة » ، ويعبر ابن سينا عن ذلك بقوله : « ان من المتعلمين من يكون أقرب الى التصور لأن استعداده .... أقوى ، فان كان ذلك الإنسان مستعداً للاستكمال فيما بينه وبين نفسه سمي هذا الاستعداد حدساً ، وهذا الاستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال الى كبير شيء والى تخريج وتعليم » . ثم يقول : « الحدس فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط . والذكاء قوة الحدس ، وتارة يحصل بالتعليم ، ومبادئ التعليم الحدس . فان الأشياء تنتهي لا محالة الى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس . ثم أدوها الى المتعلمين . فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية الى أن يشتعل حدساً ، أعني قبولاً لإلهام العقل الفعال في كل شيء ، فترتسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء إما دفعة وإما قريباً من دفعة »[1] . ويقول أيضاً في كتاب الإشارات : « وأما الحدس فهو أن يتمثل الحد الأوسط في الذهن دفعة ، إما عقيب طلب

(١) ابن سينا : النجاة ، ص ٢٧٢ — ٢٧٤ من طبعة القاهرة .

وشوق من غير حركة ، وإما من غير اشتياق وحركة » [١] . فهذه النصوص كلها تبين لنا أن معنى الحدس عند القدماء هو إصابة الحد الأوسط إذا وضع المطلوب ، أو إصابة الحد الأكبر إذا أصيب الأوسط ، وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول . فهذا المعنى كما ترى يختلف بعض الشيء عن المعنى الذي تدل عليه كلمة حدس (Intuition) عند الفلاسفة المحدثين ، ولكننا نلاحظ أن للحدس عند كل من هؤلاء الفلاسفة معنى خاصاً . فهناك حدس عقلي كحدس البداهة ، وهناك حدس حسي ، وحدس نفسي ، وحدس فلسفي كالذي تكلم عنه « برغسون » . فاذا كان معنى الحدس مختلفاً باختلاف الفلاسفة ، فان اختلاف معناه في الفلسفة الحديثة عن معناه في الفلسفة العربية القديمة لا يمنع من إطلاق اللفظ نفسه على المعنيين . ولا حاجة الى البحث عن لفظ آخر كلفظ البداهة الذي اختاره بعضهم للدلالة على هذا المعنى ، لأن البداهة إنما تقابل كلمة (Evidence) لا كلمة حدس . فيكفي إذن في هذه الحالة الاعتماد على اللفظ القديم مع تبديل معناه وتحديده تحديداً جديداً .

والقاعدة الثالثة : هي البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة الاشتقاق العربي ، كأن يستعمل لفظ الشخصية للدلالة على (Personnalité) ، ولفظ الاستبطان للدلالة على (Introspection) ، ولفظ الاهتمام للدلالة على (Intérêt) ، ولفظ الانتحاء للدلالة على (Tropisme) ولفظ التكيف أو الموالفة للدلالة على (Adaptation) . فهذه كلها اصطلاحات حديثة لم يستعملها القدماء ، ولكننا نستعملها مطمئنين ، لأنها مطابقة للأصول التي وضعها أصحاب اللغة . وهذا شبيه بما فعله القدماء من استعمال كلمة قوة للدلالة على (Puissance) وكلمة فعل للدلالة على (Acte) وكلمة صورة للدلالة على (Forme) ، وكلمة إمكان للدلالة على (Possibilité) ، فقالوا إن الإمكان في الشيء هو جواز إظهار ما في قوته الى الفعل ، وطبيعته بين الواجب والممتنع ، فاشتقوا من الإمكان

(١) ابن سينا : الإشارات ، ص ١٤٣ – ١٥٦ من الطبعة الخيرية ، القاهرة .

التمكين بمعنى إخراج الشيء من القوة الى الفعل بالإرادة ، وقد يجيء التمكين عندهم بمعنى آخر وهو أن يكون تفعيلاً من المكان . فتقول مكّنت الحجر في موضعه إذا وفيته حقه من بسط المكان وتسويته ليلزمه ولا يضطرب ، وليس في استعمالنا اليوم لفظ الحتمية (Déterminisme) والموضوعية (Objectivité) ، والوضعية (Positivisme) شطط ما دام القدماء من علمائنا لم يحجموا عن استعمال لفظ الهوية والانية والصوفية وغيرها . ولكن اللغويين المحافظين منا لا يريدون أن يخرجوا عن قفص المعاجم ، كأن الألفاظ التي اصطنعها علماؤنا القدماء في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والطبيعيات لم توضع إلا اعتباطاً .

والقاعدة الرابعة : هي اقتباس اللفظ الأجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية كقولنا (هرمية) في ترجمة (Hormique) وقولنا (الراد) في ترجمة (Radium) أو قولنا (المناد) في ترجمة (Monade) ، أو قولنا الديموقراطية في ترجمة (Démocratie) . ومن البديهي أنه لا ينبغي لنا العمل بهذه القاعدة إلا عند عجزنا عن اشتقاق لفظ عربي للدلالة على المعنى الجديد . فاذا كانت كتب العلم القديمة لا تحتوي على لفظ نقتبسه كما هو أو نبدله ، وكانت اللغة نفسها لا تشتمل على اسم قريب من المعنى نشتق منه فعلاً أو صفة ، كان استعمال اللفظ الأجنبي أوفى بالقصد وأقرب الى الوضوح من إطلاق لفظ عربي غير مألوف يفرض على العلم فرضاً . إن علماءنا القدماء لم يجدوا في استعمال كلمة فلسفة وكلمة جغرافيا وكلمة كيمياء انتقاصاً من حقوق اللغة العربية ، فاذا استعملنا اليوم كلمة (فيزياء) للدلالة على (Physique) وكلمة ديموقراطية للدلالة على (Démocratie) فاننا لا نكون أقل منهم إصابة . فهم قد استعملوا كلمة البخت مع أنها لا وجود لها في لغة العرب . يقول صاحب كتاب الهوامل

والشوامل في الجواب عن إحدى المسائل : « على أني رأيتك تستعفي أن تفهم ... حقيقة إلا أن تكون في لفظ عربي . فان عدمت لغة العرب رغبت عن العلوم ، لكنا أيدك الله لا نترك البحث عن المعاني في أي لغة كانت وبأي عبارة حصلت »[١] .

وهذا القول يدلنا على أن القاعدة الرابعة التي ذكرناها هي السبيل الواضحة التي يجب سلوكها عند افتقار اللغة العربية الى لفظ أجنبي لا يدل على المعنى الجديد إلا به ، شأنها في ذلك شأن سائر اللغات التي تقتبس المعنى العلمي الجديد باللفظ الذي اختاره واضعه . فتقول مثلاً تلفون ورادار كما تقول سينما وتلفزة دون أن تخل بلغة العرب ، لأن انتشار هذه الألفاظ على ألسنة الناس يجعل استعمالها في الكتب العلمية أوفى بالقصد من استعمال لفظ الهاتف والارزيز والصور المتحركة وغيرها . فالمعاني القائمة في الصدور كما يقول الجاحظ مستورة خفية وبعيدة وحشية ، ومحجوبة مكنونة[٢] ، وإنما تحيا تلك المعاني في ذكر الناس لها وإخبارهم عنها واستعمالهم إياها . ومهما يكن الاصطلاح العلمي وحشياً بعيداً عن المألوف فانه اذا انتشر على ألسنة الناس كان أحق بالترجيح من اللفظ الصحيح الذي لم يكتب له الانتشار . والخطأ المشهور كما قال بعضهم خير من الصحيح المهجور .

هذه أربع قواعد ذكرناها هنا على سبيل الإشارة لا على سبيل الإحاطة . ولا نزعم أبداً أننا استقصينا بها جميع الصعوبات التي تعترض طريق المترجم . إن العلماء الأوربيين يعتمدون في وضع الاصطلاحات العلمية على اللاتينية واليونانية . وفي وسعهم أن يؤلفوا كلمات مركبة من كلمتين أو أكثر ، أو أن يضموا السوابق (Préfixes) واللواحق (Suffixes) الى جذر المادة الأصلية

---

(١) الهوامل والشوامل لأبي حيان التوحيدي ومسكويه ، ص ١٠٤ ، القاهرة ١٩٥١

(٢) الجاحظ ، البيان والتبيين ، الجزء الأول ، ص ٦٨

بحيث تتألف منها كلمات متشابهة دالة على معان متباينة . مثال ذلك أن (Synthèse) و (Parenthèse) و (Antithèse) و (Hipothèse) تدل على معان مختلفة مع أن جذرها الأصلي واحد . أما الاشتقاق في اللغة العربية فانه يغير الأصل الثلاثي بما يضيفه عليه من حروف الزيادة ، وليس في اللغة العربية سوابق ولواحق مضافة على الأصل ، كما أنه لا يمكنها الآن أن تستمد من غيرها من اللغات القديمة ما تستمده اللغات الأوربية من اللاتينية واليونانية .. وهذه صعوبة أخرى يجب التغلب عليها بما امتازت به اللغة العربية من سعة المناهج ولطف المخارج وسهولة الاشتقاق .

مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية

للأستاذ أحمد حسن الزيات

أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة في الشهر الأخير من سنة ١٩٣٢ ، وكان في مصر حينئذ بقية من شيوخ الأدب الذين فقهوا علوم الدين في الأزهر ، وحذقوا فنون اللغة فيه وفي دار العلوم ، فكانوا بحكم ثقافتهم وطبيعة بيئتهم ، يعتقدون بحق أن اللغة التي اتخذها الله ترجماناً لوحيه ، ولغة لكتابه ، ومعجزة لرسوله ، ولساناً لدعوته ، هي جزء من حقيقة الإسلام . فالمحافظة عليها محافظة عليه ، والتفريط فيها تفريط فيه . لذلك كانوا يؤثرون السماع ، ويتشددون في القواعد ، ويتقيدون بالمعاجم ، وينفرون من المولد والدخيل ، ويرون أن العربية هي لغة العرب الأولين ، الذين انقضى عهدهم في آخر المائة الثانية بالأمصار ، وفي آخر المائة الرابعة بالبوادي ، فلا يملك المولدون أن ينقصوا منها ، ولا أن يزيدوا فيها . ويقفون من الكتاب والصحفيين موقف المعلم المرشد ، أو الناقد المنكر ، يرشدونهم الى الألفاظ العربية والأساليب الصحيحة ، ويصدونهم عن الكلمات الدخيلة ، والتراكيب الأعجمية . ويحاولون أن يضعوا لكل مصطلح من مصطلحات العلوم الحديثة ، ولكل أداة من أدوات الحضارة الغربية ، لفظاً عربياً ، بطريق القياس أو المجاز أو الاستعارة ، ولا يقبلون المولد والمعرب والدخيل إلا في الضرورة الشديدة . ولقد دخل المجمع في عهده الأول طائفة من هؤلاء الفضلاء ، فذهبوا به هذا المذهب ، وصبغوه بهذه الصبغة ، وجروا في وضع المصطلحات العلمية والمسميات الحديثة ذلك المجرى . فصرفوا النظر عما اصطلح عليه الخاصة في التعليم والتأليف ، وعما تواضع عليه العامة في البيت والشارع والسوق والمعمل

والحقل ، ووضعوا للهدروجين المائه ، وللاكسجين الحر ، وللترام الجماز ، وللتليفون الارزيز ، وللبنزين الضريم ، وللترمس الكظيمة ، وللريال أو الدولار الرقين ، وللقرش النمية ، الى آخر هذه الألفاظ التي ظلت موضوعاً للتندر زمناً طويلاً ، في الصحف والمجالس ، ثم ذهبت جفاء كما يذهب الزبد .

ثم مضى عهد المطهرين محموداً غير مذموم ، ومعذوراً غير ملوم ، لأن المطهرين في العربية ، كالبوريست في الفرنسية ، شيعة لغوية ، دعاهم حبهم للغتهم ، وتعصبهم لها الى أن يبالغوا في تنقيتها من العامية ، وتطهيرها من الدخيل ، فكان لهم أجر المؤمن وإن أسرف ، ونصيب المجتهد وإن أخطأ ، وعذر إخواننا الذاهبين رضوان الله عليهم ، أنهم كانوا أدباء ولغويين ونحويين ، ولم يكونوا كتاباً ولا مترجمين ولا صحفيين ، ممن يكتبون للجمهور ، ويتصلون بالعامة ، ويدفعون الى مزالق التعبير عن المعاني المستحدثة ، والأعيان المخترعة . ثم خلف من بعدهم خلف من الكتاب والصحفيين ، فحاولوا أن يخرجوا المجمع من حدود الزمان والمكان التي حصروا فيها حق الوضع والتعريب ، وأن ينبهوه الى أن بجانب الفصحى التي قيدها أو جمدها ، لغة أخرى هي العامية التي سيطرت على حياة الأمة العربية في شؤونها العامة ، وأغراضها المختلفة ، لأنها حرة تنبو على القيد ، وطبيعة تنفر من الصنعة ، فهي تقبل من كل لسان ، وتستمد من كل لغة ، وتصوغ على كل قياس . وبذلك اتسعت دائرتها لكل ما استحدثته الحضارة من المفردات المولدة والمقتبسة ، في المنزل والحديقة والمتجر والورشة والغيط . والناس في سبيل التفاهم ، يؤثرون السهل ، ويستعملون الشائع ، ويتناولون التعريب . وتخلف اللغة عن مسايرة الزمن وملاءمة الحياة معناه الجمود ، والنهاية المحتومة لجمود اللغة اندراسها بتغلب لهجاتها العامية وحلولها محلها ، إذ تكون بسبب مرونتها وتجددها ، أدق تصويراً لأحوال المجتمع ، وأوفى أداء لأغراض الناس .

بدأت هذه المحاولة في الدورة الثالثة عشرة للمجمع سنتي ١٩٤٦ — ١٩٤٧ ، إذ قدّم أحد الأعضاء الكتاب الى مجلس المجمع بحثاً في : «موقف اللغة العامية من اللغة الفصحى» ، ألمّ فيه بنشأة اللغات العامية من أمهاتها الفصحى ، وبين العوامل التي تؤدي الى ذلك ، وذكر كيف نشأت العامية العربية من فصحاها ، وما نالها من تغير في الألفاظ وفي الأساليب ، ثم انتهى الى استخلاص هذه الأمور :

الأمر الأول : ان أكثر الألفاظ العامية عربية ، أصابها التحريف في النطق للتخفيف والتيسير .

والأمر الثاني : ان أسلوب العامية قد استقر على صورة تعوّدها الناس ، وهو يختلف عن الأسلوب العربي الفصيح .

والأمر الثالث : ان العامية لا تزال تتطور ، وهذا التطور ناشيء من حياة الناس ، فهي وليدة الحياة نفسها ، وفيها من المرونة ما في الكائن الحي .

والأمر الرابع : انها لا تصلح إلا للتعبير الأدبي الساذج ، فاذا أرادت أن تعبر عن المعاني الدقيقة الرفيعة حاولت الاقتراب من الفصحى .

والأمر الخامس : ان العامية ليست مسخاً مجرداً للفصحى ، وإنما هي لغة قائمة بذاتها لها قواعدها وأصولها ، فاذا شذ عنها شاذ فكأنما خرج عن طريقة مقررة ، ثم دعا الباحث الى التقريب بين اللغتين ، فألقى على المجلس هذه الأسئلة :

كيف يمكن التغلب على الصعوبة الكبرى ، وهي الإعراب وعلى الأخص في أواخر الكلمات ؟

ألا يجوز أن نقبل في الفصحى غير ما يصح في لغة قريش ؟

هل نجعل الأصل منع ما لم يستعمل في الفصحى من قبل ، أو نجعله إجازة كل استعمال ما دام قائماً في الحياة ؟

ألا يمكن أن نتجرد من التعصب لأساليب القدماء في الكتابة والكلام ،

إذا كانت لا تعبر حقاً عن إحساسنا وتفكيرنا ؟ اننا لو فعلنا ذلك لسهل علينا تطوير الفصحى ، حتى تقترب من العامية دون أن يصيبها ضرر من ذلك .

سمع مجلس المجمع هذا البحث ، ثم أحاله الى لجنة من أعضائه ، فدرسته وناقشته ثم فصلت رأيها في تقرير قدمته الى مؤتمر المجمع في دورته التالية ، استنكرت فيه أن يكون للأمة لغتان : لغة للحديث والإبانة عن مطالب الحياة ، وأخرى للكتابة أو التعبير عن مشاعر النفس . فان الفرق الذي بين لغة العيش ولغة الفكر إذا زاد قسم الأمة الى قسمين : قلة متعلمة تتأثر بالفكر السامي والفن الرفيع ، وكثرة جاهلة لا تستطيع أن تتعدى حدود العامية الشائعة في الحياة والمعاملات . ومحال أن تستقر حياتنا الحديثة على هذا الانقسام ، فان أقطاب الفكر والعلم ، ونوابغ الأدب والفن ، لا يتحقق النفع منهم للأمة إلا إذا بلغت رسالاتهم الى الخاصة والعامة على السواء . فمن الخير الذي لا بد منه أن يرفع الحاجز الذي يفصل بين القلة الشاعرة المفكرة ، والكثرة العاملة المنتجة . والعالم العربي كله لسان واحد على حياطة الفصحى من العبث ، ومدها بالعوامل المجددة والوسائل الميسرة ، لتكون رابطة فكرية وصلة وجدانية بين طبقات الشعوب التي تتكلم بها .

وأقرب الطرق الى ذلك ، أن اللفظ الدائر على ألسنة الناس إذا كان عربياً صحيحاً كان أولى بالاستعمال ، بغض النظر عن صيانته وابتذاله . فاذا كان عربياً غير صحيح أبقيناه ورددناه الى الفصاحة . وذلك يستلزم دراسة العامية في جميع الأقطار العربية دراسة شاملة ، لنستطيع أن نعرف المشترك من الألفاظ والمختص ، فالمختص نتركه لأهله ، والمشترك نستعمله في الفصحى ، ونفضله على غيره من مهجور المعاجم ، فان اشتراكه في جميع اللهجات العامية دليل على أصالة في العروبة ، والمعاجم لم تستوعب المادة اللغوية كلها .

أصغى مؤتمر المجمع لهذا البحث ، ودار النقاش فيه والتعقيب عليه ، فأيده من أيده ، وفنده من فنده ، ثم خرج منه على أن التزمت في الفصحى يضر ، والتسامح مع العامية يفيد ، على شرط أن تظل الأصول مرعية ، والقواعد سليمة .

وفي الدورة السابعة عشرة للمجمع ، ألقيتُ في مؤتمره بحثاً في « الوضع اللغوي وحق المحدثين فيه » ذكرتُ فيما ذكرتُ به ان انكار الوضع على المحدثين حرم الفصحى كل ما وضعه المولدون من الألفاظ ، وما اقتبسوه من الكلمات ، وما ألفوه من الحكايات ، ونظموه من الأغاني ، وأرسلوه من الأمثال . ولو ان اللغويين قبلوا تلك الألفاظ ، والأدباء دوّنوا ذلك الأدب ، لوفروا للغة الفصحى وللأدب العالي مورداً لا ينضب ومادة لا تنفد . ولو أنهم أزالوا السد الذي جعلوه بين اللغتين لاكتسبت الفصحى من العامية السعة والمرونة والجدة ، واكتسبت العامية من الفصحى السلامة والصيانة والسمو ، ولكان لنا من تداخل اللغتين وتفاعلهما لغة تجمع بين محاسن هذه ومحاسن تلك ، فأما مساوئ الفصحى أو عنجهيتها فتموت كما يموت الحوشي المهجور في كل لغة ، وأما مساوئ العامية أو حثالتها فتبقى على الألسنة التي تستذيقها من الطبقات الدنيا ، وتكون هي اللغة العامية التي لا بد منها في كل لغة من لغات العالم ، ولكن بالنسبة القليلة التي لا تطغيها على الفصحى ولا تفرضها على الناس . ثم اقترحتُ لتقريب الخلاف بين العامية والفصحى ، أن يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه بوسائله المعروفة وهي الارتجال والاشتقاق والتجوّز ، وأن يرد الاعتبار الى المولد ليرتفع الى مستوى الكلمات القديمة ، وأن يطلق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه ، وأن يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ، ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة .

وقد أقر المؤتمر هذه المقترحات ، وأخذ المجمع يطبقها فيما يضع من مصطلحات العلوم والفنون ، وفيما يسجل من ألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة ، فهو في

الغالب لا يضع المصطلحات ولا الكلمات ، كما كان يضع في عهده الأول ، وإنما يسجل ما تواضع عليه العلماء في التعليم والتأليف ، وما اصطلح عليه العامة في التعامل والعمل ، بعد أن يجريه على منطق اللغة ويطبعه على ذوق اللسان ، فقبل الاكسجين والمدرجين والترام والتليفون والتلغراف والبطانية والطاقية والبنطلون والكنبة والولاعة والسماعة والترمس والبنزين والدخان والحشيش وآلافاً من مثل هذه الكلمات التي وضعها أولو الحرف والمهن والمضطربون في الحياة العملية اليومية من أهل السوق والمصنع والورشة والحقل . ولا حيلة لنا فيما نشأ فيها من الدخيل ، فان ألفاظ الحضارة إنما ترد الينا من خارج البلاد العربية ، والناس متى رأوا الشيء سموه ، والمسمون في الغالب من سواد الأمة الذين لا يبالون أن ينطقوا على أي صورة ، ما داموا يقضون حاجتهم من التفهم والإفهام . ويجيء بعد ذلك الصحفيون والكتاب ، فيجدون اللفظ قد شاع ، فاذا وجدوه سهلاً في النطق ، سائغاً في الذوق استعملوه ، وإلا أهملوه أو بدلوه . فالصحافة والعامة تتنافسان في الوضع والنقل والتعريب ، لا تهادن إحداهما الأخرى . فأيتهما سبقت الى الشيء الجديد يوم يرد الينا سمته ، وفرضت تسميته على الألسنة . (فالتنكس) مثلاً أدركها الصحفيون وهي لا تزال في الميادين الحربية الأوروبية ، فنقلوا لها لفظاً عربياً قديماً هو الدبابة ، وأذاعوه في البرقيات والأخبار حتى عرفه كل قارئ ، وردده كل سامع . فلما رآها الناس بعد ذلك في مصر ، لم ينكروا الاسم ولا المسمى . وأما الاتوموبيل فقد ورد البلاد العربية قبل أن يسمع له الناس اسماً عربياً من قبل ، فنطقوا اللفظ الأجنبي بلغات عشر كما كان ينطق العرب القدماء لفظ أصبع ، ووضع الكتاب له بعد ذلك لفظ السيارة ، وحاولوا أن يعمموه فما استطاعوا ، وظلت الكلمتان دائرتين في لغة الناس : العربية للكتابة والأعجمية للكلام ، وهيهات أن تسلم إحداهما للاخرى ، ومثل ذلك يقال فيما وضعه مجمع اللغة في عهده الأول ، كالجازة للجرس ،

والدراعة للبلوزة ، والمنطق للجونلة ، والمدرعة للجاكتة ، والسراويل للبنطلون ، فان هذه الكلمات على عربيتها ، وانطباقها على المسميات الأوربية بنوع من التخريج لم تستطع أن تسير على الأفواه ، ولا أن تجري على الأقلام ، لأنها وضعت بعد أن فشت الألفاظ الأجنبية في الناس ، ومكّن لها الزمن في الألسنة ، وسوّغها التكرار في الأسماع .

فالمسألة إذن مسألة سباق بين الفصحى والعامية ، من تسبق منها الى المعنى الجديد أو المخترَع سمته وفرضته على الأخرى كما قلت ، ولكن ألسنة الفصحى أقل ، ووسائلها في النشر أضعف ، فتغلبها على العامية أبعد مما نظن . فلم يكن بد من قبول الشائع السائغ مما تضعه العامة على ما فيه من شائبة العجمة ، أو مخالفة القياس أو تغيير المدلول ، لأن اللفظ متى شاع في معنى أو ذات ، صعب محوه من الكلام وطرده من اللغة . واذا وضعنا بجانبه لفظاً آخر من العربي الفصيح وضعناه ميتاً ، لأن ثلاثة أرباع الشعب لن يستعملوه ، والقليل الباقي من أكثر الناس لن يقبلوه . واذا قبلوه واستعملوه اتسع الخلاف بين لغة القلم ولغة اللسان ، وانقطعت الصلة بين أذهان الخاصة وأذهان العامة . على أن عمل المجمع المصري للتقريب بين اللغتين ناقص من وجه . ذلك اننا نعتمد في ألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة على اللغة المصرية وحدها ، وهي كثيراً ما تختلف عن لغات الأقطار العربية الأخرى . فالتموين والتعمير والترقية والإذاعة والتليفون والتلغراف في مصر يقابلها الإعاشة والإعمار والترفيع والبث والهاتف والبرق في العراق . والألفاظ الدخيلة في عامية مصر أكثرها من الفرنسية والإيطالية ومعظمها من الكردية والتركية والفارسية والأوربية ، فقبول المسموع الشائع من هذه اللغات جميعاً يوقعنا في الترادف والبلبلة . والطب لهذه العلة لا تملكه إلا المجامع اللغوية مجتمعة ، ومنهاج العمل الذي أقترحه مبني على اقتراحات ثلاثة :

الأول — أن تتألف في المجمعين السوري والعراقي لجنة لألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة ، على مثال اللجنة المؤلفة لذلك في مجمع اللغة العربية .

والثاني – أن يكتسب مؤتمر المجامع اللغوية صفة الدوام والنظام ، فيجتمع كل سنة لتنسيق الجهود وتوحيد المصطلحات وتبادل وجهات النظر .

والثالث – أن يقوم كل مجمع في بلده بتعبئة قواه ، أو أكثرها ، لجمع الألفاظ الحضارية : الموضوعة والمسموعة والمنقولة ، فيكلف محرريه أن يصنعوا ما كان يصنعه رواة اللغة الأولون من خروجهم الى البوادي ، ومشافهتهم للأعراب والأخذ عنهم ، فيخرج المحررون الى المتاجر والمصانع والمزارع ، فيسألون كل ذي سلعة وكل ذي صنعة ، وكل ذي آلة عن اسمها العام ، واسم كل جزء من أجزائها ، وكل نوع من أنواعها ، ثم يدونون كل ذلك بأوصافه وصوره ، ويقدمونه الى اللجان المختصة ، لتصنفه وتغربله وتعرّفه . ثم تتبادل المجامع الثلاثة هذه الألفاظ فتقرر قبول العام منها ، ثم تحرر بالخاص قوائم تثبت ما يقول كل قطر في كل مسمى ، لتعرض على مؤتمر المجامع اللغوية حين تجتمع ، فينظر فيها ويوازن بينها ثم يختار منها أو يصرف النظر عنها .

أما منهاج العمل في لجنة ألفاظ الحضارة الحديثة والحياة العامة ، التي ألفها مجمع القاهرة فهو أن تتتبع اللجنة ما وضعه الناس في حياتهم الاجتماعية ، وما اقتبسوه في معاملاتهم اليومية ، من ألفاظ لم يضعها الأولون ، فتجمعها ثم تحققها ثم تعرّفها ثم تعرضها على مجلس المجمع ، فإما أن يسجلها كما هي إن بلغت من الشيوع مبلغ الإجماع ، وإما أن يؤجلها إذا كان استعمالها لا يزال محصوراً في بلد ، أو مقصوراً على طائفة . فاذا تألف في المجمعين الآخرين مثل هذه اللجنة كما اقترحت ، وأقر أعمال هذه اللجان الثلاث هذا المؤتمر ، رجونا أن يجتمع لدينا في زمن قريب محصول وافر من الألفاظ الحديثة المشتركة تصل ما بين اللغة والحياة ، وتقرب ما بين الفصحى والعامية .

وفقنا الله جميعاً لخدمة أمتنا عن طريق الوحدة اللغوية والثقافية ، لتعود أمة التوحيد ، كما كانت متحدة في العقيدة والقبلة والكلمة والسياسة ، إنه سميع قريب .

اللغة العربية بين الفصحى والعامية

للأستاذ عارف النكدي

(الإنسان مدني) ، هذا ما قاله الفقهاء ، والفلاسفة من قبلهم . وسواء أكانت مدنيته هذه بطبعه ، رغبة منه في الاجتماع ، أم كانت لحاجة له الى التعاون طلباً للمعاش . فهو في الحالتين لا بد له من مجتمع بشري يعيش فيه . والاجتماع يقتضي التعارف والتكامل ، ولا سبيل إليهما إلا باللغة .

واللغة بدأت أول ما بدأت ، صرخات وصيحات نفسية ، كان يعبر بها الإنسان عن خلجات نفسه وعن حاجاته . ثم ارتقى فارتقت ، فصارت أصواتاً وحركات وإشارات . ثم تحولت ألفاظاً اتفق عليها الجمهور للإفصاح عن أغراضهم ومقاصدهم . وبدأت اللغة ضيقة ، على ما يبدأ الطفل لغته ، يعبر بها عن الأشياء الضرورية له ، المحيطة به . ثم جعلت تتسع مع الأيام ، وتزداد بازدياد حاجات الإنسان ، وتنوع أغراضه . ثم أخذت ترتقي ولا تزال ، بارتقاء أبنائها في التفكير وفي العلوم والآداب ، وباتساع الدولة وامتداد سلطانها ، وما يتبع ذلك من مدنية وحضارة وسائر مقومات العمران .

وقد تكون اللغة نشأت واحدة ، على فرض الإنسان الأول كان واحداً . ثم تشعبت هذه اللغة وتفرعت ، بتشعب الشعوب وتفرقهم ، فصارت لهجات ولغيّات ، ثم لغات مستقلة منفصلة بعضها عن بعض ، هذا مذهب علماء اللغات .

وقد تكون نشأت منذ نشأت لغات عديدة تبعاً لتعدد الأناسي الأولين ، وتعدد مواطنهم ، وهذا مذهب علماء الأحياء .

وبأي الرأيين أخذنا ، فقد انتهى الناس الى أن يكون لكل أمة منهم لغة مستقلة منفصلة عن غيرها ، ولو كان بعضها واحداً ، الى زمن غير بعيد .

وصرنا الى يوم تعد فيه وحدة اللغة ، دليلاً على وحدة القوم ، بل وحدة الأمة ، فليس الناس بأبناء الدم الواحد ، وإنما هم أبناء اللغة الواحدة . والقول بأن الأمة تؤلف وحدة دموية بفعل التكاثر بالتوالد ، لا يخرج عن أن يكون خرافة يكذبها التاريخ ، بما وقع فيه من فتوحات أدت الى اختلاط العناصر وازدواجها وتداخلها بعضها في بعض تداخلاً لا سبيل الى فصله ولا الى تمييزه . واذا صدقت هذه القرابة الدموية على شعب من الشعوب ، فانما تصدق على القبائل البدائية المنعزلة التي لم تؤثر في الحضارة العالمية ، ولا أثرت هذه الحضارة فيها .

فالأمم والشعوب المعروف تاريخها ذوات الحضارات والوحدات السياسية والقومية ، ما تمت وحدتها بالقرابة الدموية ، بل بالقرابة الصناعية من وحدة الإقليم ، والعادات والتاريخ ، والمصالح المشتركة . وأهم من هذا كله والعامل فيه وحدة اللغة .

هذا كان في الأمس الغابر البعيد ، وهو كائن الى اليوم . فليس في الأمم أمة يجمعها الدم الواحد ، وإنما هي جماعات جمعتها اللغة الواحدة .

فالأميركان ، إن هم إلا مجموعة من شعوب الأرض . والافرنسيون خليط من الغول والجرمان وغيرهما . والانكليز أنفسهم ، على اعتدادهم بنسبهم ، لا يخرجون عن أن يكونوا مزيجاً من شعوب كثيرة ، وأن تكون لغتهم تجمع بين السكسونية واللاتينية . وملوكهم دمهم سكسوني وجرماني الى اليوم ، وسيكون سكسونياً وجرمانياً ويونانياً غداً . ونحن العرب على عنجهيتنا الجاهلية ، وإبائنا السابق أن نصهر الى غير عربي ، وامتناع العرب أن يدينوا لهجين ـ ولو أنه سليمان بن عبد الملك ـ نحن العرب فينا أيضاً العرب المستعربة ، وهم قوم تعلموا العربية واتخذوها لغة ، فصيرتهم عرباً . وقديماً قال أفصح من نطق بالضاد : (ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم ، وإنما هو اللسان . من تكلم العربية فهو عربي) .

واذا كان في الأمم أمة خرجت عن هذا ، فلأسباب إقليمية أو تاريخية ليس هنا موضع تفصيلها .

عرف العرب قيمة اللغة ومكانتها ، فحرصوا على لغتهم ، وبالغوا في صيانتها وتهذيبها ، حتى كان الغريب عنهم ، إذا هو انتسب اليهم ، ودخل فيهم فاستعرب ، جرى على سننهم ، فسهر لياليه يتلمس العربية في مظانها مستفرغاً جهده ، مستنفداً وكده ، حتى يخرج وكأنه واحد من آحادهم : لغة وأدباً ، وبلاغة وفصاحة ، في شعره ونثره وفي أماليه وتآليفه .

بل هم جعلوا من أسواقهم التجارية ، أسواقاً أدبية ، كانت من أسباب نقاء اللغة وصفائها ، وتقريب مصطلحاتها وتهذيب ألفاظها . الى أن نزل كتاب الله فألقى اليه العرب بقيادهم والعربية بمقاليدها . فكان دستورهم الأعظم ، يؤخذ عنه ويرجع اليه .

فلما أن انتشر العرب بالفتح ، وامتد سلطانهم الى الشرق والغرب : في آسية وافريقية وأوربا ، وطال بهم الزمن ، ووقع لهم الاختلاط بمجاوريهم وكثر بينهم الازواج والاصهار ، وتعددت المعاملات من تجارية وزراعية وصناعية بينهم وبين جيرانهم ، كان من نتيجة ذلك وطبيعته أن تفسد اللغة ، وأن يكون للعامة لغة سوقية لم تقف عندهم ، فتعدتهم مع الزمن الى الخاصة .

يقول أبو عبيدة في الرقاشيين :

(وكان أبوهم خطيباً ، وكذلك جدهم . وكانوا خطباء الأكاسرة . فلما سبوا وولد لهم الأولاد في بلاد الإسلام ، وفي جزيرة العرب نزعهم ذلك العرق ، فقاموا في أهل هذه اللغة مقامهم في أهل تلك اللغة ، فيهم شعر وخطب ، وما زالوا كذلك حتى أصهر الغرباء اليهم . ففسد ذلك العرق ودخله الخور) .

وزاد الأمر بلاءً ، واللغة فساداً ، ضعف الدولة العربية ، ثم صيرورة الحكم الى غير العرب . فكان من الملوك والأمراء من لا يعرفون من العربية كثيراً

ولا قليلاً . فرغب الناس عن العربيـة وعلومها لكساد سوقها ، وعاد اللغوي والأديب لا يجد في العلم رزقه ، بعد أن كان الأدب واللغة سبباً من أسباب المكاسب والجاه والمناصب .

وكان الخطأ واللحن في الصدر الأول وما بعده ، نقيصة وضلالاً . قال (ﷺ) لنفر لحن صاحبهم : «أرشدوا أخاكم فقد ضل» . وقالـ المازني : سهرت عند المأمون فأجري ذكر النساء فقال : (إذا تزوج الرجل امرأة لدينها وجمالها كان فيها سَداد من عوز) ، قال المازني فقلت : نعم يا أمـير المؤمنين عن رسول الله : (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سِداد من عوز) . قال : وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال : كيف قلت (سِداد) ؟ قلت : نعم لأن السَداد هنا لحن . قال أو تلحنني ؟ قلت : انما لحن هشيم ـ وكان لحاناً ـ فتبع أمير المؤمنين لفظه .

وكتب رجل للصاحب بن عباد يطلب اليه عمـلاً . وختم كتابه بقوله : فاذا رأى إشغاله (يريد نفسه) في بعض أشغاله (يريد أشغال الصاحب) فعل إن شاء الله . وكأنه أراد من هذا التجانس بين إشغاله وأشغاله إظهار بيانه تقرباً من الصاحب وهو هو بأدبه وفضله . غير أن الأمر وقع خلاف ما أراد ، إذ وقع له الصاحب : من يقولـ إشغالي لا يصلح لأشغالي .

ويروى عن سيف الدولة بن حمدان : انه ما قال لقائم : اجلس .

الى كثير من أمثال ذلك مما يروى عن الخلفاء والأمراء والوزراء ، من المبالغة في سلامة اللغة ، والرغبة في تخير الراجح السليم من الألفاظ ، ونبذ المرجوح السقيم ، والابتعاد عن معرة الخطأ واللحن .

وتراخى الأمر حتى ما كان نقيصةً وضلالا صار فضيلةً وجمالا ، ولزم الخطأ المأمور والأمير ، والصغير والكبير . فقد أمر أحد الوزراء ببناء يوضع عليه

اسم الأمير . فكتب الوكيل : (أمر ببناء هذا المكان أبو فلان)، وكان الوزير كان يرى أن (أبي) أجل قدراً وأرفع شأناً للتعبير . فلام الوكيل أن استعمل (أبو) بدلاً من (أبي)، فاعتذر له الوكيل بأن الإعراب اقتضى الرفع، ف (أبو) هنا فاعل . فغضب الوزير وقال : ومتى رأيت الأمير فاعلاً يحمل الطين والحجارة .

يقول ابن حزم :

«ان اللغة يسقط أكثرها وتبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في أماكنهم، أو بنقلهم من ديارهم واختلاطهم بغيرهم . فانما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها، قوة دولتها ونشاط أهلها . وأما من تلفت دولته، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل، وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخاطر . وربما كان ذلك لشتات لغتهم، ونسيان أنسابهم، وبيود علومهم .

هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل ضرورة .

فتلف الدولة العربية، واختلاط العرب بغيرهم، وغلب العجم عليهم، أفسد العربية، ولولا كتاب الله لذهب بها جملة .»

هذا الفساد جعل من اللغة العربية الواحدة لغتين اثنتين : لغة فصحى، ولغة عامية، وهي مشكلة لغوية وقومية ليس عند غيرنا من الأمم مثلها . نعم، قد يكون عند بعض الأقوام ألفاظ وتعابير تستعملها العامة، وأحياناً بعض الخاصة، في أحاديثها الخاصة وفي بعض شؤونها البيتية اليومية، تختلف عن لغة الكتابة وقد لا تدخل فيها . ولكنها ألفاظ وتعابير محدودة، لا تبلغ أن تكون لغة مستقلة، كما يكاد يكون الحال عندنا . وليس من شك أنها مشكلة من أعقد المشاكل، أن يكون للأمة الواحدة لغتان أصليتان . هذه المشكلة فتحت علينا باباً للبحث في اختيار إحدى هاتين اللغتين، واعتمادها اعتماداً عاماً شاملاً للكتابة والخطاب .

ولعل المستشرقين كانوا أول من فتح هذا الباب ، وعالج هذا الموضوع . وكان أكثرهم أو كلهم ينزعون الى اللغة العامية . وقد يكون الدكتور (فولارس) الألماني من السابقين ، أو كان السابق الذي تناول هذا البحث . فألف كتاباً بالألمانية جمع فيه – على زعمه – قواعد اللغة العامية المصرية . كان ذلك لستين سنة أو تزيد ، ثم تابعته طائفة من إخوانه المستشرقين ، منهم – في رأيهم – عن رغبة في توحيد اللغة العربية وتسهيلها ، ومنهم – عن سوء نيـة – خدمة للاستعمار لتمزيق وحدة الأمة العربية اللغوية ، تمكيناً لتمزيق وحدتهـا السياسية والقومية .

ولم ينحصر هذا البحث في المستشرقين ، فعالجته جماعة من العرب كانوا لساناً واحداً في جانب اللغة الفصحى وتأييدها ، إلا نفراً قليلاً جداً ذهبت به شعوبيته وعداؤه للعرب وللعربية الى الانتصار للعامية .

والذين انتصروا للعامية ولا سيما من المستشرقين كتبوا عنها وألفوا لهـا ، بلغاتهم لا بها . عجزاً منهم ومنها أن يؤدوا أغراضهم بهـا ، لاستحالة القراءة والكتابة بالعامية إلا بالجهد والمشقة .

إلا أن واحداً من أبناء العرب ، كتب كتاباً بالعامية ، جاء أضحوكة الأضاحيك لا يقرأ ، وإذا هو قرئ بعد كدّ الذهن وإعمال الروية فلا يفهم إلا بالتفسير والتأويل والترجمة . ثم هو بعد يحتاج إلى الاستعانة بأبناء القرية التي أنجبت عالمنا النحرير ، وسكت المؤلف بعد ذلك سكوت أهل الكهف ، انقطع صوته ، ومات كتابه ، وماتت فكرته معه .

والمقارنة بين اللغتين : الفصحى والعامية مقارنة مع الفارق ، لا تحتـاج إلى دليل إلا إذا احتاج النهار إلى دليل . فصلاح اللغة الفصحى شامل لكل غرض من أغراض الحياة ، وللتعبير عن كل جليل ودقيق من المعاني الجليلة الشريفـة الرفيعة ، الى الحاجات العادية السوقية الوضيعة . هذا على حين أن اللغة العامية

عاجزة عن تأدية معنى يخرج عن المعاني الساذجة العادية المتعارفة . لذلك كان صوت القائلين باللغة العامية يتقطع بين حين وحين ، ويخرج ضعيفاً خافتاً ثم تذهب به الريح . وتبقى هذه اللغة الفصحى مرفوعة الرأس ، ثابتة البنيان . والفصحى التي لم تؤثر فيها صروف الزمان ، ولا تحكم الأعاجم ، لا تقوى عليها محاولات استعمارية هزيلة وحجج واهية . ولا سيما بعد أن زادت قدمها رسوخاً بانتشار العلم ، والصحافة والإذاعة ، وبقيام دول عربية لها مجالسها النيابية وقوانينها وبلاغاتها ومنشوراتها ، وكلها لا تصلح لها إلا اللغة العربية الصحيحة الفصيحة . نعم ، إن الفارق لعظيم بين اللغتين من حيث الصلاح والقابلية ، مما يجعل المفاضلة بينهما مضيعة للوقت . غير أنه بحث أريد ، فلا بد لنا من أن نلم به على عجل متسائلين :

إذا شئنا أن نعدل عن الفصحى الى العامية ، أنجعل هذه العامية عامة لجميع الأقطار العربية ، أم نجعل لكل قطر لغته ؟

فاذا كانت الأولى ، وأردنا أن نوحد هذه اللغات العامية فنجعلها لغة واحدة ، أفقدّر هؤلاء الهازلون مبلغ الصعوبة التي تواجه هذا العمل العسير بل المستحيل ؟ أليس رفع العامية الى مستوى الفصحى أيسر وأهون سبيلاً ؟

فأي قطر ينزل عن عاميته لعامية قطر آخر لم يألفها ولم يفهمها ؟ إن مثل اللغة العامية في قطر بالنسبة الى اللغات العامية في الأقطار الأخرى ، مثل الطفل في لغته ، يسمع الكلمة من أبويه فيعيدها محرفة . فاذا هو كبر كان بين أن يمضي على لغته المحرفة ، أو يعدل الى لغة بيئته . ولما كان يصعب عليه أن يفهم الآخرين لغته ، وأن يتفاهم وإياهم بها ، كان مستحيلاً عليه أن يفرض عليهم لغته ، كان لا بد له من أن يستعمل لغة قومه وبيئته .

هذا مثلنا مع اللغة العامية ، لا نملك أن نفرض عامية قطر على عامية قطر آخر ولا سبيل الى التفاهم بها ، فعلينا أن نستعمل اللغة الفصحى : اللغة التي يرضى عنها جميع العرب ، ويفهمونها في جميع أقطارهم ، إلا من شذ ، وقليل ما هم .

وإذا كانت الثانية ، وأريد لكل قطر لغته العامية ، لغة خاصة به مستقلة عن أخواتها ، فقد مزقنا هذه الوحدة اللغوية الجامعة لمختلف الأقطار العربية ، وفيها عشرات الملايين من البشر إخوان في الحضارة والتاريخ ، وأبناء اللغة الواحدة . نفعل هذا في زمن يقوم فيه بعض العلماء على وضع لغة عالمية واحدة يتفاهم بها الناس أجمعون .

ثم لمصلحة مَن نمزق هذه الوحدة ، ونقضي على هذه اللغة ، فتصير اللغة الواحدة لغات ، وتعود الأمة الواحدة أمماً وشعوباً ، شتات شتات ؟ !

وهبنا تغلبنا على هذه المستحيلات كلها ، أفلا نريد لهذه العامية أن تصبح لغة حية ، وهل في اللغات الحية لغة لا قواعد لها ولا ضوابط . والقواعد والضوابط تستخرج في وضعها الأول من اللغة نفسها : من صحيح ألفاظها ، ومن ثابت استعمالاتها ، ومن وحدة أساليبها ، وبما فيها من قياس ومن إجماع أو اتفاق . فأين نجد هذا أو بعضه في اللغة العامية ؟

والأمر أدهى وأمر ، إذا نحن تركناها مطلقة لا ضابط ولا قاعدة ، خلافاً لكل لغة ، باب مشرع على مصراعيه ، وحبل ملقى على الغارب .

ومع هذا الباب المفتوح ، والحبل المطروح ، بأي يوم يكون لهذه اللغة العامية لغة عامية أخرى في جانبها ، ما دام الاختلاط واقعاً ، والمصالح متشابكة . واللغة لا وازع لها ولا ضابط ، ومعنى هذا أنا في قلق دائم وتطور مستمر ، ولغة تتجدد في كل عصر .

ثم ماعسى أن نفعل بهذا التراث التليد الجليل الضخم الجبار الذى نعيش به وفيه منذ ألفي سنة وتزيد . أنطرحه كله غير مأسوف عليه وهو مفخرتنا الخالدة ، ومأثرتنا المعجبة ؟ وتاريخنا الصادق الناطق مملوء الصفحات بالعلم الثاقب الرفيع ، والأدب الرائع البديع ، من شعر ونثر ، أفنترك هذا كله من أجل لغة عامية سقيمة ركيكة ، لا تاريخ لها ولا آداب فيها ؟ !

وشيء نعيده ، وهو ان هذه اللغة العامية لا تصلح للكتابة ، وإذا هي كتبت صعبت قراءتها ، وعزّ على المجموع فهمها . وعلى العكس ما يكتب باللغة الصحيحة تفهمه ، حتى العامة التي لم تؤت نصيباً من العلم ، ولا حظاً من الدراسة ، تفهمه كما تفهم ما تنشره الجرائد ، وتذيعه الإذاعات ، وما يلقى من خطب ، وما يصدر من منشورات ، وهي لغة عامة لكل قطر يفهمها أهلوه فهماً صحيحاً مستقيماً .

وهذا كتاب الله ، على قدمه ، وعلى علو أسلوبه ، ومحكم سبكه ، قل ما يخفى من ألفاظه ومعانيه ، حتى على الطبقة العامية ، فكيف يعدل عن الصحيح الراجح الذي يفهم ، الى السقيم المرجوح الذي لا يفهم ، فنبدل ما هو خير بما هو أدنى ؟ !

ان العدول عن الفصحى الى العامية فكرة عقيمة ، ومحاولة فاشلة . فالعربية العامية غير صالحة للحياة ، إنها وليدة الجهل ، وقد بدأ الجهل ظلامه ينحسر ، والعلم نوره ينتشر . وما خلقه الجهل لا بد أن يميته العلم .

غير أنه مهما كان من صواب هذا الرأي ، ومن اعتقادي بأن اللغة العامية لن تكون لغة علم وأدب ، فان ثمة حقيقة لا بد من الاعتراف بها ، وهي أن وجود لغتين اثنتين لأمة واحدة ، مشكلة صعبة معقدة ، وفيها من عوائق التحصيل ما تبقى العربية معه في مستوى أضعف من سائر اللغات الحية .

فلغتنا الفصحى تعيش في نطاق محدود لها مواقف خاصة ، ومواطن خاصة . وليست هذه حال اللغات الحية . فاللغة الحية تكون واسعة الآفاق ، عامة الاستعمال في الكتاب والكلام ، دائرة على لسان كل طبقة من طبقات أبنائها ، معبراً بها عن كل غرض من أغراضهم في كل ناحية في مرافقهم ، لا تختلف إلا بالأساليب من حيث الفصاحة والبلاغة ، لا من حيث اللغة نفسها .

نعم يجب ان تخرج العربية الصحيحة من خدرها الى السوق والى المعمل والى المزرعة ، فتكون لغة أصحاب التجارة والصناعة والزراعة . وإلا كانت

الحجة علينا بأن اللغة الفصحى لغة غريبة عنا ، تتعلمها ككل لغة أجنبية . وهي حجة المستعمرين وصنائعهم من المستشرقين ، وأتباعهم من العرب المعممين .

إن تعميم اللغة الفصحى ليس بالأمر الصعب ، ولا هو بالأمر يعوزه الإمكان على قدر ما تعوزه الإرادة . ولا بد لنا قبل البحث بالوسائل الممكنة لتعميم العربية الصحيحة من أن نمهد لكلامنا بهذه الكلمة : ليست مسافة الخلاف بين اللغة الفصحى واللغة العامية بالمسافة التي بعدت شقتها ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما ورجع وحدتها . فقد ندر أن تستعمل العامة كلمة عامية ـ إذا استثنينا الألفاظ الأجنبية الدخيلة ـ إلا ولهذه الكلمة أصل في اللغة الفصحى ، أبعدها عن أصلها هذا ، خطأ في لفظها ، أو تصحيف أو تحريف في بنيتها ، بتقديم حرف على حرف أو بتأخيره عنه ، أو بنقل حرف الى حرف آخر مخرجه أو لفظه قريب منه ، أو بزيادة حرف الزيادة في المعنى الأصلي ، أو بنحت كلمة من كلمات .

أما التحريف بالتقديم والتأخير ، وبالتبديل والتغيير ، فالخطب فيه سهل ، ترد الكلمة الى أصلها ، والزيادة الخطأ لغير معنى تحذف ، وتقر الزيادة بمعنى جديد يتصل بالمعنى الأصلي . وهي الطريقة التي جرى عليها العرب الأولون .

وتقر الألفاظ العربية الفصيحة التي تستعملها العامة مجازاً أو استعارة أو اشتقاقاً فيما لا بد منه من معنى جديد .

وكذلك اللفظ فيه لغتان : بناء أو ضبطاً ، اختارت العامة منها اللفظة المرجوحة لخفتها في السمع والاستعمال .

أما الألفاظ الأجنبية ، فالمجامع العلمية اللغوية كفيلة بأن توجد لها مترادفاتها العربية ، وهو ميسور في جملته . حتى فيما يظن أنه من أحدث المسميات التي اقتضتها المدنية الحاضرة .

لعل هذا مجمل الخلاف بين الفصحى والعامية من حيث اللفظ المفرد ، أما من حيث الخطأ في تركيب الجمل فانتشار العلم يصلحه .

ومن ينكر على اللغة العامية أنها خطت في هذه الثلاثين السنة الأخيرة نحو اللغة الفصحى خطوات واسعة ، فلقد أدركنا من العلماء من لا يشق لهم غبار في معرفة اللغة ، والتضلع من النحو . استنزفوا أيامهم في طلب هذين العلمين ومعاناتهما وتخريج طلاب الآداب فيهما . وقد لا يكون في يومنا هذا نظراء لهم في موضوعهما . كان هؤلاء الأعلام يلقون دروسهم بلغة سوقية محضة ، أو قروية بحتة ، كأنهم ما أدركوا شدواً من اللغة ، ولا ذرواً من النحو . وليس بين أساتذة اليوم من يرضى لنفسه بأن يلقي درساً بهذه اللغة التي كان يرضاها أولئك الأعلام .

هذه الخطوات السديدة نحو اللغة الفصحى ، موصلة حتماً الى توحيد اللغتين بموت العامية واستقلال الفصحى بالأمة وحدها ، نعبر بها عن كل غرض من أغراضنا في كل شأن من شؤوننا الخاصة والعامة .

ولكن هذا السير سير بطيء ، متروك للزمن أن يحققه على مهل . وليس هذا من الصواب ولا هو من فعل الأمم الحية . فالأمة الحية الواعية تستبق الزمن وتختصره ، تلقي بين عينيها همها ، وتنكب عن ذكر العواقب والعوائق الى أن تصل الى هدفها .

والسبيل الى هذا يكون على أركان منها :

١ — التربية البيتية : يعمل الوالدون على تلقين أبنائهم الصحيح المأنوس من الألفاظ ، ويجنبونهم الملحون والمغلوط والمحرف . يبدأون أول فأول في ما يحتاج اليه من كلمات تعبر عن أغراضهم وما يحيط بهم ، وهذا حق اللغة والوطنية على المتعلمين من الآباء ، يؤاخذون في التقصير عليه ، إذ ليس لائقاً أن تكون لغة المتعلمين المثقفين وأبنائهم ، كلغة الأميين الجاهلين وأبنائهم ، وأن يعنى كل قوم بتقويم ألسنتهم وألسنة أبنائهم إلا نحن .

٢ — التربية المدرسية : ثم تنتقل هذه المهمة الى المدرسة في نطاق أوسع ، تكون اللغة الفصحى العمدة في إلقاء الدروس وفي مراجعتها وفي المذاكرة فيها ،

ويكون لها النصيب الأوفر في الحادثات والمعاملات ، فاذا مضى المتعلمون على هذا ، ألفته ألسنتهم واستساغته أسماعهم ، فأصبح ملكة يجرون عليها في المستقبل . واختلاط المثقفين بالعامة كفيل بأن ينقل اليها كثيراً من لغتهم ومصطلحاتهم وتعابيرهم فتقلدهم فيها ، فيكون ذلك من قبيل رد الفعل ، فكما أفسد على العرب لغتهم اختلاطهم بغيرهم ، يعود هذا الاختلاط المثقف فيصلح ما يمكن إصلاحه من هذه العامية .

ويكون حسناً إذا وضعت وزارات المعارف والمدارس جوائز للمتفوقين في حسن التعبير وصحة اللغة ، ومن المفيد أن يكثر المتعلمون من الاستشهاد بآيات الذكر الحكيم وبالشعر وبالأمثال والحكم ، تلقى بلفظها العربي الفصيح .

٣ — القضاء : يجب أن تكون لغته صحيحة سليمة ، لغة القاضي ولغة المحامي ، كما هو واقع في كل لغة عند كل أمة ، ولقد كانت عندنا في الأمس المحاكم المختلطة ، وكان القضاة والمحامون العرب يأخذون أنفسهم بالتعبير الأجنبي الصحيح ، ويفتخرون به إذا هم رافعوا أمامها . فاذا هم عادوا الى المحاكم الوطنية ، عادوا يفخرون بجهلهم لغتهم ، وهل من شيء أدعى الى اللوم وأدل على الجهل من أن يعرف العربي اللغة الأجنبية أو شيئاً منها وأن يجهل لغته ؟

ولعل أغرب ما يستشهد به في هذا الباب ، ما وقع أخيراً في محاكم مصر ، يوم كان القاضي الدارس المثقف ، يمنع المحامي الدارس المثقف مثله أن يرافع بالفصحى ، ويأبى إلا أن تكون مرافعته باللغة العامية .

٤ — المجالس النيابية : لسنا ننكر على السواد الأعظم من النواب ، أنهم أخذوا في استعمال اللغة الفصيحة . ولكنه استعمال على مدى لا يزال محدوداً وضعيفاً ، ومكانة اللغة تقضي على النائب أن يجيد لغته إجادة تامة ، فسلاحه علمه وحجته ، وعمادهما ومظهرهما في حسن التعبير وسلامته .

٥ — الجندية : وفي الجيوش العربية أمراء ملكوا ناصية العربية فأحسنوا التعبير بها ، وأجادوا في اختيار الألفاظ الفنية ، تدل على ذلك مكتوباتهم ومنشوراتهم ، وفوق هذا معاجمهم العسكرية التي وضعوها . ولغة الجندية لغة الحزم والعزم والجزالة ، وهي مطالب لا يستقيم أمرها بالعامية ، ولا يصلح لها إلا اللغة الفصحى . فلو اشتد الضباط في أوامرهم ومعاملاتهم في استعمال اللغة الفصحى ، لانتقل هذا من الآمر الى المأمور ، ومن الجندي الى السوق بحكم التعامل .

٦ — لغة الدواوين : وقد صلحت كثيراً عما كانت عليه من قبل ، وهو شيء تحمد الحكومة عليه ، على أننا نطلب منها المزيد ، صيانة للغة وحفاظاً عليها .

٧ — الصحافة والإذاعة : والخطابة في المنتديات العامة كان لها كثير من الفضل في إصلاح كثير من الكلم واللفظ ومن تقريب العامية الى الفصحى ، ولكنه إصلاح جاء أكثره عفواً عن غير تعمد ولا تعهد . والذي نريده ، أن تلقى محاضرات للخاصة والعامة فيها التنبيه الى الأغلاط والحث على تصحيحها ، وبيان فوائد هذا الأمر من الناحيتين العلمية والوطنية .

ومهمة الصحافة أن تتشدد على الذين يهملون شأن لغتهم ، ويكون لها ما يشبه المراقبة ، تحققه بالنقد الصحيح على المدارس والمعلمين ، وعلى النواب والخطباء والقضاة والمحامين ، وعلى سائر المعاملات الرسمية ، حتى يمتنع بعد ذلك أن يعالن رجل بجهل لغته .

على أن العامل الأول في هذا الأمر مرده الى عزة النفس وعلو الهمة ، والغيرة الوطنية والإباء القومي . فنحن الى اليوم تأخذنا العزة بالجهل ، فيقول لك أحدنا إذا أنت استدركت عليه خطأ : لستُ سيبويه ولا أعرف العربية . وقد يكون هذا القائل من أبناء العلم ، قاضياً أو محامياً أو مدرساً أو طبيباً

مفروضاً فيه وفي من هم من طبقته معرفة لغته ، وليس في الأمم الأخرى طبقة من أمثال هذه الطبقة ، تتنكر للغتها ثم تفاخر بجهلها لها .

نحن نفخر مرتين ونخجل مرتين ، نفخر أننا نجهل لغتنا ، واننا نعرف لغة أجنبية أو شيئاً منها ، ونخجل أن نجهل لغة أجنبية أو ألفاظاً منها وأن نستعمل في لغتنا الدارجة الألفاظ العربية الصحيحة المأنوسة .

وتجاوزنا هذا الحد في الاستهانة بلغتنا ، فأردنا لها أن تخضع في كثير من نواحيها الى اللغات الأجنبية .

وزاد الأمر شناعة أن قام فينا من يطالب أن يستبدل بحروفنا العربية حروفاً لاتينية ، وللعربية اشتقاقاتها وتصريفاتها وضمائرها وإعرابها ، وأكثرها يختلف عما هو في اللغات الأجنبية . واللغة الأصلية لا يستقيم أمرها إلا على أصولها وقواعدها التي جرت عليها .

ومن المستغرب أيضاً الدعوة الى إصلاح الإملاء العربي ، هذا الإملاء السهل المبني على أصول صحيحة مدروسة ليس أيسر منه في لغة من اللغات الأجنبية التي نعرفها أو نعرف عنها ، فلكل حرف في العربية نطق خاص به ، لا يختلف باختلاف موقعه في الكلمة أو وضعه من الحروف ، فالسين لا تكون إلا سيناً ، والثاء ثاء ، والذال ذالاً ، والزاي زاياً ، والضاد ضاداً ، والظاء ظاء . وليس من حرف يُقرأ ولا يُكتب ، أو يُكتب ولا يُقرأ إلا هذه الألف التي دعوها ألف الإطلاق تفريقاً بين المفرد والجمع ، وإلا واو عمرو تمييزاً له عن عمر ، هذا ومثل - إن كان له مثل - قاعدة لها ضابط معروف وفيه من الحرص على اللغة والدقة في الرسم واللفظ ما يقضي بالحمد لا بالنقد ، فأين هذا من اللغات الأجنبية ومن شذوذها في إملائها ورسمها ، ومن غرابتها في أحرفها وفي وضعها ، فقد تنقلب السين عندهم زاياً ، وتصير الجيم غيناً ، والثاء شيناً أو سيناً ، والياء ألفاً ، وتأتي بحرفين لتؤدي لفظ حرف واحد قد يكون له مثيل عندهم ، وتترك حرفاً أو أحرفاً لا تلفظها ، وتلفظ حروفاً لا وجود لها . وعلى الجملة فإن إملاءهم خطأ في خطأ ، يحفظه - إذا استطعت - حفظاً من غير قاعدة تجري عليها .

وعلى الشذوذ عندهم والاطراد عندنا ، لا تسمع لهم أصواتاً أو مقترحات أو اعتراضات ممن يوثق بعلمهم تستنكر هذا الشذوذ .

وكلمة أخيرة هي أن اللغة تحتاج الى مرجع يرجع اليه في ضبطها وتوحيد مصطلحاتها .

وقد كان هذا المرجع عندنا من قبل أهل البادية وأبناء قريش ، - قبل أن خالطوا وخولطوا ففسدت لغتهم - ، ثم كان القرآن ولا يزال .

والسلطة اللغوية اليوم عند الأمم في يدي مجامعهم اللغوية ، فلا بد لنا من أن نجري على ما جروا عليه ، غير أن المجامع عندنا تعددت وليس بينها ارتباط وثيق يساعد على وحدة العمل فوحدة اللغة ، ودواء هذا وعلاجه في أن يكون أكبر المجامع العلمية الرأس الجامع لهذه المجامع ، يكون المرجع والضابط غير ملون بلون إقليمي ولا مصطبغ بصبغة موضعية . ويكون الرئيس ونائب الرئيس في المجامع العلمية الأخرى عضوين طبيعيين في المجمع الآخر بنص قانوني غير محتاج الى ترشيح وانتخاب . هذا عدا عمن يجوز أن ينتخب انتخاباً الى المجمع الأعلى من مجامع الأقطار العربية الأخرى .

تتبادل المجامع اللغوية الآراء في اختيار الألفاظ وفي إقرارها ، وذلك بأن يبعث كل مجمع برأيه ومقترحاته الى المجمع الآخر ، وهذا يعيدها اليه مقرونة بدراسته وملاحظته ، فاذا اجتمع هذا كله عقد له المجلس الأعلى جلسة عامة للمذاكرة الأخيرة ، فما وقع عليه الإجماع أو الاتفاق ، عدَّ في الكلمات والمصطلحات المعجمية ، ويكون الأخذ بها صواباً ، والخروج عنها خطأ . ولا يقولن قائل إنها طريقة طويلة ، فأطول منها أن تبقى الأمور على حالتها الحاضرة ، وفي المجامع اللغوية الغربية من الألفاظ ما يبقى عشرات السنين قبل أن يبت فيه برفض أو قبول .

هذه آراء نعرضها على أنظار أقطاب اللغة وعلى مجامعنا اللغوية ، قابلة للتعديل والتصحيح إذا هي استحقت النظر والدراسة .

والشيء الذي نريده أن يكون اتصالنا بلغتنا اتصالاً أكيداً وثيقاً فتكون منا ونكون منها ، فتصبح لغة العرب الحاضرين كما كانت لغة آبائنا الأولين .

بين اللغة العربية الفصحى والعامية

للأستاذ علي حسن عودة

أيها السادة الكرام :

هل في الإمكان أن نقضي على اللغة العامية ، ونحل محلها لغة تعبير وتخاطب عربية فصيحة سهلة التناول يستعملها الكبير والصغير ، ويكون فيها الغناء في الحياة الاجتماعية في كافة مرافقها ؟

لو كان المتكلمون بالعربية منحصرين في قطر واحد ، وكانت اللغة العامة التي يتفاهمون بها لغة واحدة ، لعددنا تحقيق هذه الأمنية من الممكنات في أقل من عقدين من السنين ، وحلت لغة عربية فصيحة سهلة محل العامية عند النشء الجديد أولاً ثم عند سائر طبقات المجتمع بالتدريج ، وبحكم المرانة وكثرة الممارسة .

غير أن المتكلمين بالعربية منتشرون في كثير من الأقطار ، ولهجاتهم العامية تختلف في القطر الواحد عنها في القطر الآخر كثيراً ، فبينا نجد اللغة العامية في أحد هذه الأقطار قريبة من الفصحى بمفرداتها وتراكيبها ، نجدها في قطر آخر بعيدة عنها كل البعد ، ولا تكاد تمت اليها بصلة ، ومرد ذلك إلى أسباب متغلغلة في القدم ، أهمها أن العرب الذين هبطوا هذه الأقطار أيام الفتوح الإسلامية الأولى ، وجدوا فيها وفي ما جاورها أقواماً لهم لغاتهم ولهجاتهم الخاصة ، فكان لا بد أن يكون لهذه اللغات واللهجات تأثير في لغة الفاتحين ، وأن يعظم هذا التأثير مع الزمن بشتى العوامل ، فتغدو لغة التخاطب في هذه الأقطار مزيجاً يكاد لا يفهمه إلا أهله .

ولما كان مطلبنا وهو القضاء على العامية مطلباً ، يختلف يسراً وعسراً في

قطر دون آخر ، ولكنه ليس متعذراً كما ذهب اليه بعض الفضلاء ، ممن عنوا بمثل هذا البحث ، وانتهوا إلى أنه لو أتيح لنا أن نجعل جميع الناس في البلاد العربية يتحدثون بالعربية الفصحى ، أو بما يقرب منها ، فان هذه اللغة المصطنعة لا بد أن يصيبها باختلاف العوامل عليها ما أصاب اللغة الفصحى في أول عهدها من الانقسام الى لهجات مختلفة ، فتعود المشكلة التي نحن في سبيل حلها فتنبعث مرة أخرى .

وقد ذهب اليأس بهذا البعض من إمكان التغلب على العامية ، بأي وسيلة من الوسائل ، الى القول بترك الأمور تجري مجراها الطبيعي ، وأن تبقى اللغة على حالها لكل قطر لهجته الخاصة ، ولغته العامية الخاصة ، إذ من العبث على رأي هذا البعض ، أن نحدث أي تغيير في ما أحدثته العوامل المختلفة على مر الأيام من الاختلاف والتباين ، في اللغات المحكية عند الشعوب العربية في مختلف أقطارها .

ولست أشاطر هذا البعض رأيه ، فان لدينا اليوم من الوسائل الحديثة ما يضمن النجاح لمجهود يبذل في سبيل ترقية لغة التخاطب في البلاد العربية ، ويضمن البقاء والتقدم أيضاً ، لكل لغة عربية فصيحة يتواضع عليها ، تستوعب مصطلحات المستجد من آثار العلوم والفنون . إلا أن هذا المجهود يجب أن يبذل ، وأن لا تبقى أماني الراغبين في الإصلاح المنشود محاولات تسطر ، وتلقى من التأييد الكثير أو القليل ثم تطوى ويعالجها النسيان .

هناك وسائل شتى لم تكن متيسرة في الماضي ، من شأنها أن تعين على النجاح في كل محاولة تبذل ، ويشترط لنجاح هذه الوسائل تعاون السلطات الحاكمة في كل قطر عربي ، لكي تجعلها ذات فاعلية وتأثير ، بأن تعمد بطرقها الخاصة الى استخدام هذه الوسائل على وجه يضمن لها ذلك النجاح .

ان اللغة الفصحى لا خوف عليها في أي قطر من الأقطار العربية ، فان لها من كتاب الله الكريم سنداً يتكفل بحفظها على مدى الأزمان ، كما تكفل بحفظها حتى الآن ، وهي عدا ذلك مقيدة بالوسائل الفنية الحديثة ، من اتساع

نطاق النشر ، وكثرة دور الإذاعة ، وسهولة التواصل بين الأقطار العربية في هذه الأيام ، وإننا لنحكم مما يصل الى أيدينا من نتاج كافة الأقطار العربية ، بأن لغتنا الفصحى في سبيل نهضة مباركة ، وإن كانت لا تزال على شيء من الركود في بعض هذه الأقطار ، لافتقارها الى المزيد من وسائل النهوض والارتقاء .

بيد أن المتعلمين والذين يحسنون استعمال الفصحى في الكتابة والخطابة ، لا يزال عددهم قليلاً ، وهم يختلفون في القطر الواحد عنهم في القطر الآخر ، قلة وكثرة ، ونحن نريد أن تكون هناك لغة عربية صحيحة فصيحة ، يعم استعمالها الخاص والعام ، تتقنها الأم في بيتها ويأخذها عنها طفلها ، فينشأ عارفاً لبعض أصول لغته ، ولا يحتاج عندما يحين له زمن التعليم أن يقضي إلا القليل من الوقت ، ليضبط قواعد هذه اللغة ، التي ينبغي ألا تكون لغير الاخصائيين من علماء اللغة سوى أداة وحسب ، يتوصل بها الى التثقف والتعلم .

تمتاز العربية بكثرة مفرداتها ومترادفاتها إلى حد ليس له نظير على ما أعلم في لغة أخرى من لغات العالم ، ولذا كان من العسير على المتعلم حتى على كبار علماء اللغة أنفسهم أن يحيطوا بكل هذه الكثرة ، وكان من الضروري أن يقتصر في الاستعمال على ما فضل غيره وأبقاه الزمن في متناولنا ، واذا ما صادفنا من هذه المفردات شيء غير مألوف في ما ورثناه عن أسلافنا في شعرهم ونثرهم ، رجعنا الى المعاجم المطولة لتحقيقه .

فكان لزاماً والحالة هذه ، على هيئة عامة كجامعة الدول العربيه أن تُعنى بوضع معجم يسمى معجم العامة ، أو غير ذلك من الأسماء ، يكتفى فيه بالمفردات التي يحتاج اليها في كافة مرافق الحياة ، وتحشد فيه أوضاع جديدة للدلالة على مستحدثات العصر الفنية المتداولة ، ثم يلجأ في تعميم هذه اللغة العربية الفصيحة العامة ، الى كل الوسائل الكفيلة بتعميمها ، ابتداء من المدارس الليلية التي

يحمل العمال والمشتغلون في النهار على غشيانها ، وفي المدارس الابتدائية التي يتكفل القائمون عليها بتعليم الأطفال في كتب خاصة ، تقيد مؤلفوها بألفاظ هذه اللغة ، وبتعويد هؤلاء الأطفال التحدث بالفصيح المقترح فضلاً عن القراءة .

ويلجأ في ما يلجأ اليه الى نشرات دورية خاصة ، يعمم نشرها في كافة الأقطار العربية ، والى دور الإذاعة والى غيرها من الوسائل التي تتكفل بتعميم هذه اللغة العتيدة ، وهذا التعميم يحتاج الى بعض الزمن حتى يكون بحيث ترضى عنه النفس ، ولكنه على كل حال مضمون حتماً ، إذا ضمنت له الإرادة ، وحشدت له الجهود ، وتجاوز هم المعنيين بهذا الأمر من الاقتراح والتمني الى العمل الجدي ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ماذا ننشر من المخطوطات القديمة وكيف ننشر ؟

للدكتور صلاح الدين المنجد

(١)

سبقنا العلماء المستشرقون في أوروبة الى نشر تراثنا العربي ، على أسلوب علمي ، بأكثر من قرن كامل ، وقد اختاروا في نشرهم على الغالب الأصول التي لا بد منها لعرفان الثقافة العربية في وجوهها المختلفة : من لغة وأدب وتاريخ وجغرافية وطب وفلسفة وفلك وغير ذلك . وكانوا يهدفون من نشرهم الى كشف ماضي الشرق الإسلامي إبان عظمته وأيام انحطاطه ، عن طريق ما تركه علماؤه وأدباؤه وفلاسفته وشعراؤه ، من آثار علمية وأدبية وفكرية . فكان ما نشروه أصولاً قيمة ما نزال نحس ، حتى يومنا هذا ، بفائدتها وشأنها ، إنهم لم ينشروا جميع الأصول ولا كل المصادر ، فالتراث العربي أوسع من أن يكفي لنشر عيونه قرن ، ولكنهم اختاروا فكان هناك حسن اختيار .

فطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري ، وتاريخ ابن الأثير ، وتاريخ اليعقوبي ، والمكتبة الجغرافية كلها ، ومعجم البلدان ، ورحلة ابن جبير ، وتراجم علماء الأندلس ، وحماسة أبي تمام ، والكامل للمبرد ، ودواوين الشعراء الجاهليين ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، والمقامات ، وكليلة ودمنة ، وفهرست ابن النديم ... هذه الأسماء كلها تدلنا أن اختيارهم كان حسناً ، وان ما نشر كان ذا شأن ، وكان لا بد من نشره وعرفانه .

ثم أمسكنا نحن بعد زمن طويل بالزمام ، وأخذنا ننشر تراثنا ، وظهرت في السنوات الأخيرة رغبة شديدة في نشر المخطوطات عند العلماء والمبتدئين ،

ووجد الناشرون في بعض هذه الكتب القديمة ربحاً ، ولكن هذه الرغبة رافقها بعض الفوضى ، فصرنا ننشر على غير هدى معروف ، ولا نهج مرسوم ، وبلا غاية مقصودة ، وصار المحقق يتبع هوى الناشر فيما يختاره ويحققه ، لأن الناشر يفضل على الأصول المفيدة الفروعَ الرابحة ، ويؤثر ما يقبل عليه العامة ومتوسطو القراء على ما تحتاجه المكتبة العربية . ومن هنا اضطرب الأمر في الاختيار ، فنحن نجد الآن الكتاب الجيد الى جانب كتاب لا شأن له ، ونلاحظ فقدان الوحدة فيما يختارونه في الموضوع ، أو في المستوى . صحيح ان التراث العربي ينبغي إخراجه كله ، وينبغي وجدانه كله ، ولكن الأصل يقدم على الفرع ، والأهم على المهم . وما نزال نجد — حتى فيما نشر منذ قرن ونصف قرن — أصولاً كثيرة نحن بحاجة اليها ، وهي تسد ثغرات في مجموع ما نشر الى اليوم .

فلا بد والحال هذه أن نخط خطة ، يستهدي بها الناشرون والمحققون .

إن تراثنا العربي واسع جداً ، وسعته هذه تضطرنا إلى اختيار أحاسنه ، فلا بد لنا إذن من البدء بنشر الأصول والمصادر التي تعد دعائم التراث العربي ، ما سبق نشره منها ونفد ، وما لم ينشر بعد . فنحن بحاجة الى هذه الأصول العامة ، محققة تحقيقاً علمياً . ومعروف أن الناشرين لا يقدمون إلا على الكتب الصغيرة ، أما المعاجم الكبيرة والتواليف ذات الأجزاء الكثيرة ، التي تتطلب الجهد الوافر والمال الواسع ، فهي مما لا يقدم الناشرون عليه ، وإذا أقدموا أهملوا التحقيق العلمي الصحيح ، واتخذوا هذه الكتب وسيلة للربح .

والى جانب هذه المصادر والأصول العامة ، هناك كتب خاصة بقطر من الأقطار أو بلد من البلدان ، ولا تتم دراسة هذا القطر أو البلد إلا بمعرفتها ، ومثل هذه الكتب لا يقبل عليها على الأغلب الناشرون ، فقد لا يكتب لها الرواج إلا في قطرها ، وقد يكون عدم رواجها سبباً في عدم نشرها ، ونحن

بحاجة الى هذه الكتب الخاصة بالأقطار ، كحاجتنا الى تلك الأصول والمصادر العامة .

وإذا كان العلماء المتمكنون يعرفون حسان الكتب ، وكان المختصون يعرفون ما يتعلق بكل قطر وبلد ، فقد أصبح من حق الناس عليهم أن يبينوا لهم هذه الكتب الحسان ، والكتب التي ينبغي أن تنشر عن كل بلد .

لهذه الأسباب كلها ، رأيت أن أتقدم الى مؤتمركم الموقر مقترحاً بعض الأمور ، لتكون خطة يعمل بها العاملون على النشر ، من هيئات رسمية أو أفراد أو ناشرين ، للتفضل بمناقشتها وإقرار ما ترون :

١) أن يعاد طبع جميع الكتب التي طبعها المستشرقون في أوروبة بلا استثناء ، طبعاً علمياً محققاً ، لفقدانها وحاجة الناس اليها .

٢) أن تنفرد المؤسسات العلمية (كالمجامع والجامعات ودور الكتب وجامعة الدول العربية) ، بنشر المعاجم وما في بابها والكتب الكبيرة ذات المجلدات الكثيرة ، لأنها أقدر بوسائلها المادية والعلمية على التحقيق ، وبذلك نضمن سلامتها وننقذها من الناشرين الذين يستسهلون الخطأ أمام الربح .

٣) أن تعمل المؤسسات العلمية في كل قطر مع علماء ذلك القطر على نشر النصوص المتعلقة بقطرهم ، لأنهم أدرى بها وأجدر بتحقيقها ، ولقد ضرب مجمع دمشق مثلاً طيباً في إقدامه على نشر النصوص المتعلقة بدمشق ، سواء في الأدب أو التاريخ ، وقد نشر منها عدداً ما يزال يزيد ، وكم هناك من تواليف خصت بمصر وخصت بالعراق وخصت بغيرهما لا يعنى بها ؟ ! ! فهذا التخصص يضمن جودة التحقيق ، وهذا التضافر يساعد على إخراج جميع النصوص المتعلقة بجميع البلاد العربية .

٤) أن يُصدر كل مجمع بمعاونة العلماء ، قائمة بالكتب الجيدة التي تستحق النشر ، ليستعين بها الناشرون والمشتغلون .

(٢)

وثمة أمر آخر لا يقل خطراً عن الفوضى في اختيار ما ينشر، هو الاضطراب في طرق نشر النصوص، فقد ذكرنا أن النشر أصبح مرغوباً فيه، فأقبل عليه العلماء والمبتدئون والورّاقون أنفسهم، فظهر في نتاجهم فقدان طريقة موحدة يتبعها المحققون جميعاً في نشرهم النصوص.

خذوا ما شئتم من النصوص التي نشرت أخيراً، فستجدون أن كلاً منها قد نشر على نهج، فمن المحققين من يقلد المستشرقين، ومنهم من يزورّ عن طرائقهم، ومنهم من يُعنى بجمع النسخ المخطوطة قبل النشر، ومنهم من يهملها، ومنهم من يقدم النسخة المتأخرة ويعتمد عليها، ويهمل المتقدمة ولا يرجع اليها أو يحاول معرفتها، ثم ان منهم من يفرط في الشرح حتى يكون أوسع من المتن، ومنهم من يقتصد فيه أو يقتنع بذكر اختلاف الروايات، وإنك لتجدهم يختلفون أيضاً في الأقواس ومدلولها، والرموز وأشكالها.

ثم قايسوا إن شئتم مطبوعات المؤسسات العلمية بعضها ببعض، وسترون أن ما نشرته دار الكتب المصرية يختلف في نهجه عما نشرته الجامعة المصرية، وما نشره اليسوعيون في بيروت يختلف عما نشرته الجامعة العثمانية بحيدر آباد، بل إنكم لتجدون في مطبوعات مؤسسة واحدة اختلافاً في نهج النشر الذي اتبع في كتاب وكتاب آخر. أما سلاسل الناشرين فالاختلاف في النهج أمر ظاهر، فكل كتاب أخرج في سلسلة ذخائر العرب، يختلف عن أخيه طريقة ونهجاً.

أمام هذه الفوضى في طرق النشر، لا بد من اتباع نهج واحد يتفق عليه، حفاظاً على سلامة تراثنا الثقافي.

إن نشر النصوص على النهج العلمي أمر سبقنا اليه المستشرقون، وهم عندما نشروا نصوصاً ذكروا الطريقة التي اتبعوها، كما فعل دغويه الهولندي في مقدمة

كتاب الطبري ، وكما فعلت جمعية المستشرقين الألمان عندما نشرت « المكتبة الإسلامية » ، أو جمعية غيوم بوده الفرنسية عندما نشرت بعض ما نشرت ، وهؤلاء جميعاً متفقون في النهج من حيث تقويم النص ومعارضة النسخ ، وقد يختلفون في شكليات لا شأن لها ، ولكنهم جميعاً يتبعون قواعد دقيقة استمدوها من قواعدهم في نشر النصوص اليونانية واللاطينية القديمة .

وقد رأى معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية هذه الفوضى في طرق النشر ، فرأى وضع قواعد عامة يمكن توحيد الطرق بها في البلاد العربية .
وإني سعيد أن أقدم هذه القواعد الى مؤتمركم لمناقشتها وإقرارها [1] .

---

(١) وضع الدكتور صلاح الدين المنجد ، مدير معهد المخطوطات ، رسالة عنوانها « قواعد تحقيق النصوص » ، جمع فيها القواعد التي يشير إليها في كلمته هذه . وقد نشر هذه الرسالة في « مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية » ، المجلد ١ الجزء ٢ نوفمبر ١٩٥٥ ، وفي فصلة مستقلة منها ، فاجتزأنا بذلك عن إعادة نشرها هنا .

اقتراحات اللجنة المصرية

لتيسير النحو والصرف

كانت وزارة المعارف المصرية قد ألفت لجنة أناطت بها البحث لتيسير تعليم النحو والصرف [١] . وقد قدمت اقتراحات عرضت على مجمع اللغة العربية في مصر ، كما عرضت على مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية ، وهذا نصها :

باب الاعراب

ترى اللجنة وجوب الاستغناء عن الإعراب التقديري والإعراب المحلي ، فان مثل (الفتى) يعرب بحركات مقدرة على آخره منع من ظهورها التعذر ، ومثل (القاضي) تقدر فيه حركتا الرفع والجر ، ويقال منع من ظهورهما الثقل ، ومثل (غلامي) تقدر فيه الحركات الثلاث ويقال منع من ظهورها حركة المناسبة ، وفي تقدير الحركات وفي الإشارة الى سبب التقدير ، مشقة يكلفها التلميذ من غير فائده يجنيها في ضبط كلمة أو في تصحيح إعراب . كذلك الإعراب المحلي ، فمثل (هذا هدى) ، (هذا) مبني على السكون في محل رفع ، ومثل (يا هذا) (هذا) مبني على ضم مقدر ، منع منه سكون البناء الأصلي في محل نصب ، وكذلك (يا سيبويه) مبني على ضم مقدر منع من ظهوره حركة البناء الأصلي في محل نصب ، وهذا عناء مضاعف وجهد يبذل لغير شيء . واللجنة ترى أن يستغنى عن الإعراب التقديري وعن الإعراب المحلي في المفردات وفي الجمل ، ويوفر على التلميذ والمعلم والعلم هذا العناء .

---

(١) في الصفحة ١٢٥ من هذا العدد من المجلة إشارة الى تأليف هذه اللجنة وأعمالها ، في مقال الأستاذ ابراهيم مصطفى في « تيسير قواعد اللغة العربية » . وقد نشرت « مجلة مجمع اللغة العربية – مجمع فؤاد الأول سابقاً » في الجزء السادس ، سنة ١٩٥١ ، ص ١٨٠ وما يتلوها ، فصلاً مطولاً في شأن هذه المقترحات ورأي المجمع فيها .

العلامات الأصلية للإعراب والعلامات الفرعية

جعلت بعض علامات الإعراب أصلية وبعضها فرعية ، فتنوب الحروف عن الحركات ، وتنوب الحركة عن الحركة في أبواب معدودة معروفة ، ويعرب (الزيدان) مرفوعاً بالألف نيابة عن الضمة ، و (مسلمات) منصوباً بالكسرة نيابة عن الفتحة .

ولا ترى اللجنة هذا التمييز ولا تلك النيابة ، بل تجعل كلاً في موضعه أصلاً ، وتقسم الاسم المعرب الى الأقسام الآتية :

١ — اسم تظهر فيه الحركات الثلاث ، وهو أكثر الأسماء .

٢ — اسم تظهر فيه الحركات الثلاث مع مدها ، وهو الأسماء الخمسة .

٣ — اسم تظهر فيه حركتان ضم وفتح ، وهو الممنوع من التنوين .

٤ — اسم تظهر فيه الحركتان ضم وكسر ، وهو الجمع بالألف والتاء .

٥ — اسم تظهر فيه حركة واحدة هي الفتح ، وهو ما آخره ياء لينة (المنقوص) .

٦ — اسم تظهر فيه ألف ونون أو ياء ونون ، وهو المثنى .

٧ — اسم تظهر فيه واو ونون أو ياء ونون ، وهو المجموع بهما .

ويستغنى بهذا عن الإعراب التقديري ، وعن القول بنيابة علامة عن أخرى .

ألقاب الإعراب والبناء

جعل النحاة لحركات الإعراب ألقاباً ، ولحركات البناء ألقاباً .

فحركات الإعراب : الرفع ، والنصب ، والجر ، والجزم .

وحركات البناء : الضم ، والفتح ، والكسر ، والسكون .

وعلى هذا (فمحمد) مرفوع و (قبلُ) مضموم ، و (محمداً) منصوب و (الآنَ) مفتوح .

وهذه التفرقة دعتهم اليها الدقة، بل الإفراط في الدقة، والسخاء في الاصطلاحات، ومن النحويين من لم يلتزم هذه التفرقة واستعمل ألقاب نوع في غيره .

وترى اللجنة أن يكون لكل حركة لقب واحد في الإعراب وفي البناء ، وأن يكتفى بألقاب البناء .

الجملة

تتألف الجملة من جزأين أساسيين ومن تكملة تذكر حين يحتاج اليها ، وقد يستغنى عنها تبعاً لغرض المتكلم ولما يريد أن يعرب عنه . وعلى هذا التقسيم رتبت اللجنة أبواب النحو :

تسمية الجزأين الأساسيين

كان أمام اللجنة أن تسميهما بالأسماء الآتية :

أولاً — مسند اليه ومسند ، كما اصطلح علماء البلاغة وكما عبر بعض علماء النحو قديماً منذ سيبويه .

ثانياً — الموضوع والمحمول ، كما اصطلح علماء المنطق .

ثالثاً — الأساس والبناء .

رابعاً — المحدَّث عنه والحديث .

والأخيران اصطلاح جديد قد يكون أوضح في معناه .

وقد عرضت اللجنة هذه الأسماء ، ثم فضلت اصطلاح المناطقة وهو : الموضوع والمحمول ، لأنه أوجز ولأنه لا يكلفنا اصطلاحاً جديداً .

أحكام إعرابهما

الموضوع هو المحدَّث عنه في الجملة ، وهو مضموم دائماً إلا أن يقع بعد انّ أو إحدى أخواتها ، والمحمول هو الحديث وهو الركن الثاني من ركني الجملة :

أ — ويكون اسماً فيضم ، إلا إذا وقع مع كان أو إحدى أخواتها فيفتح .

ب — ويكون ظرفاً فيفتح .

ج — ويكون فعلاً ، أو مع حرف من حروف الإضافة ، أو جملة ، ويكتفى في إعرابه ببيان أنه محمول .

الترتيب بين الموضوع والمحمول

الجملة العربية مرنة في الترتيب طيعة ، فلا تلزم أحد الركنين موضعاً واحداً ، وقد ساعدتها تلك المرونة على أداء معان خاصة دقيقة ، وإنما يغلب أن يتأخر الموضوع فيما يأتي :

أ — اذا كان المحمول فعلاً .

ب — اذا كان الموضوع نكرة .

المطابقة بين الموضوع والمحمول

أولاً — في النوع ، إذا كان الموضوع مؤنثاً كان في المحمول علامة التأنيث .

ثانياً — في العدد ، إذا كان المحمول متأخراً لحقته علامة العدد التي توافق الموضوع ، وإذا كان متقدماً لم تلحقه ، فيقال : الرجال قاموا ، وقام الرجال .

وعلامة العدد التي تلحق الفعل هي في الجمع الواو للذكور والنون للاناث ، وفي المثنى الألف لهما ، وفي المفرد التاء للواحدة ، وتأخذ اللجنة في ذلك برأي الإمام المازني القائل : إنها علامات لا ضمائر .

وبهذا النحو من تقسيم الجملة الى موضوع ومحمول ، واعتبار إشارات العدد علامات لا ضمائر ، يسرت اللجنة الإعراب وقللت الاصطلاحات ، وجمعت أبواب الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ واسم كان واسم ان في باب الموضوع ، وجمعت أبواب خبر المبتدأ وخبر كان وخبر ان في باب واحد هو المحمول ، وخففت عن المعلمين والمتعلمين برد باب ظن الى الفعل المتعدي .

متعلّق الظرف وحروف الإضافة

يقسم النحاة هذا المتعلق الى قسمين : الأول : متعلق عام ، كمتعلق (زيد عندك أو في الدار) ويقدرونه (كائن أو استقر) وهو عندهم واجب الحذف ، ويعربونه هنا خبراً . الثاني : متعلق خاص ، ولا يفهم الكلام إذا حذف مثل : (أنا واثق بك) ، والخبر هو المتعلق ، والظرف فضلة .

وترى اللجنة أن المتعلق العام لا يقدر ، وأن المحمول في مثل (زيد عندك أو في الدار) هو الظرف ، أما النوع الثاني فهو كما قرر النحاة المتعلق هو المحمول والظرف تكملة ، ويجيء إعرابها فيما بعد .

الضمير

من أصول اللجنة أن تلغي الضمير المستتر جوازاً أو وجوباً ، فمثل (زيد قام) الفعل هو المحمول ولا ضمير فيه ، وليس بجملة كما يعده النحاة ، وهو كمثل (قام زيد) ، ومثل (الرجال قاموا) الفعل محمول اتصلت به علامة العدد ، ولا يعتبر جملة .

ومثل (أقوم) و (نقوم) مما يقدر فيه الضمير مستتراً وجوباً ، الفعل محمول والهمزة أو النون إشارة الى الموضوع أغنت عنه وكفى ذلك في إعرابه .

الضمير المتصل البارز : منه الدال على العدد ، وقد اعتبر إشارة لا ضميراً واتبع فيه مذهب المازني ، وغير الدال على العدد مثل (قمتُ) أو (قمتَ) أو (قمتم) ، الضمير موضوع والفعل قبله محمول ، وإذا ذكر مع المتصل ضمير منفصل فهو تقوية له ، مثل (قمت أنا) و (أنا قمت) .

التكملة

كل ما يذكر في الجملة غير الموضوع والمحمول فهو تكملة ، وحكم التكملة أنها مفتوحة أبداً ، إلا اذا كانت مضافاً اليها أو مسبوقة بحرف إضافة .

أغراض التكملة

وتجيء التكملة لبيان الزمان أو المكان ، ولبيان العلة ولتأكيد الفعل أو بيان نوعه ، ولبيان المفعول أو لبيان الحالة أو النوع .

وبذلك جمعنا كثيراً من الأبواب كالمفاعيل والحال والتمييز تحت اسم واحد وهو التكملة ، دون أن نضيع غرضاً .

الأساليب

في العربية أنواع من العبارات ، تعب النحاة كثيراً في إعرابها وفي تخريجها على قواعدهم ، مثل التعجب فله صيغتان هما : (ما أجملَ زيداً) و (أجمِلْ بزيد) ، ومعروف خلاف النحاة في إعرابها ، وعناء المعلمين والمتعلمين في شرحها وفهمها . وقد رأت اللجنة أن تدرس هذه على أنها أساليب يبين معناها واستعمالها ويقاس عليها . أما إعرابها فسهل : (ما أحسن) صيغة تعجب ، والاسم بعدها المتعجب منه مفتوح ، و (أحسِنْ) صيغة تعجب أيضاً والاسم بعدها مكسور مع حرف الإضافة .

ومثل هذا ، التحذير والإغراء كما في (النارَ) أو (إياك والنارَ) أو (النارَ النارَ) ، هو أسلوب والاسم فيه مفتوح ، والاسمان مفتوحان أيضاً ، وإنما توجه العناية في درس هذه الأساليب الى طرق الاستعمال ، لا بتحليل الصيغ وفلسفة تخريجها ، وقد جمعت أمثال تلك العبارات لتدرس على هذا الوجه .

في الصرف

أشارت اللجنة من قبل الى ما ترى في علم الصرف ، وأن أكثر مسائله من بحوث فقه اللغة التي لا يحتاجها البادئ ، بل لا يصل اليها فهمه ، كالإعلال والإبدال والقلب وتنقل الكلمة في موازين مختلفة حتى تصل الى هيأتها في النطق .

فرأوا في مثل (قال) انه محول من (قَوَلَ) ، و (خاف) من (خَوِفَ) ، و (يقول) من (يَقْوُلُ) ، و (يبيع) من (يَبْيِعُ) ، ونحو (مَرْميّ) من (مَرْمُوي) .

وأمثلة هذا كثيرة غالبة على علم الصرف ، وليس للبادئ بها حاجة ، وإنما يحتاجها من يروم التفقه في تصريف اللغة وتكوينها ، وقد رأت اللجنة أن تخفف عن التلميذ عناء هذا كله ، ويؤخر درسه الى محله في معاهده المتخصصة للغة وفقهها وتاريخها ، واقتصرت على الأبواب العربية من تصريف الفعل وصوغ مشتقاته وتثنية الاسم وجمعه ، على أن يعلم التلميذ الصيغ المختارة بالأمثلة الكثيرة ، وألا يكلف معرفة شيء مما يراه الصرفيون في أصول الكلمات وتقلبها في الهيئات المختلفة .

ونسرد فيما بعد أبواب النحو والصرف مجملة ، كما رأت اللجنة درسها تحقيقاً لما أريد من التيسير .

أبواب النحو والصرف

أحكام الكلمة

تقسيم الكلمة الى اسم وفعل وحرف :

الاسم

تقسيمه الى مذكر ومؤنث وعلامات التأنيث .

تقسيمه الى ما آخره حرف صحيح وما آخره حرف لين (ألف وياء) .

تقسيمه الى مفرد ومثنى وجمع ، طريق التثنية ، ما آخره ألف تقلب ياء دائماً إلا في كلمات لا تتجاوز العشرين ، المشهور منها : الجدا ، الحجا ، الخفا ، الخنا ، الرضا ، العصا ، الصبا ، الفرا ، القفا .

وما آخره همزة قبلها ألف كبناء تبقى همزته ، إلا اذا كانت للتأنيث فتقلب واواً .

طريقة جمع الاسم بالألف والتاء ، وبالواو والنون ، أو الياء والنون ، أمثلة من جمع التكسير .

تقسيم الاسم الى منكر ومعرف ، أنواع المعارف .

الاسم المصغر (الثلاثي والرباعي فقط) .

المنسوب اليه (أكثر أحكام النسب دوراناً في الكلام) .

المعرب والمبني ، أنواع الإعراب (كما تقدم بيانها) .

المبنيات ، أسماء الإشارة والموصول والاستفهام والشرط .

الفعل

تقسيمه الى ماض ومضارع وأمر ، تمرين في تصريف الأفعال ، إشارة الى الأفعال القليلة التي لا تصرف ، المجرد والمزيد (الحرف المزيد والحرف الأصلي) .

تقسيم الأفعال الى صحيح ومعتل (تذكر أمثلة تبين أنواع المعتل ، ولا تذكر الأسماء الاصطلاحية لكل نوع) .

تمرين في اتصال الفعل على اختلاف أنواعه بالضمير .

المبني للمجهول ومعناه وطريق صوغه .

الناقص والتام واللازم والمتعدي .

المبني والمعرب ، اعراب المضارع .

المشتقات

اسم الفاعل : صوغه واستعماله (قد يجيء على غير الأمثلة القياسية ليدل على المبالغة أو الصفة الثابتة ، وبهذا تدمج الصفة المشبهة وصيغة المبالغة في باب اسم الفاعل) .

اسم المفعول (أمثلته وطرق استعماله) ، اسم الزمان والمكان والآلة .

المصدر

أمثلة للمصدر الثلاثي ، أمثلة المصادر لغير الثلاثي ، طرق استعمال المصدر .

أحكام الجملة

المحمول والموضوع ، إعرابهما ، الترتيب بينهما ، المطابقة بينهما .

الموضوع ظاهراً وضميراً بارزاً .

المحمول اسم وفعل وظرف وجملة .

تكملة الجملة ، إعرابها ، أغراضها .

تكملة المفرد ، التوابع .

أحكام العدد .

الأساليب

الاستفهام بالنفي ، التوكيد ، القسم ، التعجب ، التفضيل ، نعم وبئس ، النداء ، الاستثناء ، التخصيص ، التحذير والإغراء .

الجملتان

الشرط وجوابه ، أدوات الشرط ومعانيها واستعمالها مع السكون وبدونه .

القسم وجوابه ، تأكيد الفعل بالنون .

الجملة الفرعية

قد تكون محمولاً ، تكملة ، نعتاً ، صلة .

(ويجب أن يفرق هنا بين الجملة والفعل وحده ، لأنه قد عدّ من المفرد) .

توصيات المؤتمر الاول

للمجامع اللغوية العلمية العربية (١)

نثبت هنا الصيغة النهائية للتوصيات التي أقرها المؤتمر في جلسته المنعقدة مساء الخامس من شهر تشرين الأول ١٩٥٦ :

يعلن مؤتمر المجامع اللغوية العلمية المنعقد في دمشق من ٢٩ ايلول (سبتمبر) الى ٤ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٥٦ م ، أنه حين تنادت المجامع اللغوية العلميــة لعقد هذا المؤتمر ، كانت ترمي الى تحقيق نهضة لغوية شاملة ، تمكن الأمة العربية من مسايرة ركب الحضارة الإنسانية العالمية في تطورها ، في مختلف جوانب الحياة . وكان لا بد لذلك من تفاهم تام بين المجامع اللغوية العلمية ، في شئون اللغة ، ورسم مناهج العمل ، في هذا الشأن الخطــير ، حتى تستعيد اللغة العربية سيرتها الأولى ، التي وسعت الشرائع والعلوم والحضارات القديمة ، وتجارى في العصر الحاضر مع اللغات العالمية المماثلة .

وقد درس المؤتمر جملة من المشكلات التي عرضت عليه ، ورأى فيها ما يلي :

أولاً — تأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية :

أ — يوصي المؤتمر بتأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية ، ينظم الاتصال بين المجامع العربية وينسق أعمالها .

---

(١) اقر هذه التوصيات مجلس جامعة الدول العربية ، في الجلسة الخامسة من دور انعقاده العادي السادس والعشرين في ٢٥/١٠/١٩٥٦ ، ووافق على اعتماد مبلغ ألف جنيه في ميزانية الإدارة الثقافية لعام ١٩٥٧ ، لنفقات الاجتماع الأول لاتحاد المجامع اللغوية العلمية . وستقوم الإدارة الثقافية بالاتصالات اللازمة مع المجامع الثلاثة لتحديد مكان الاجتماع وزمانه .

ب — يتألف الاتحاد من ثلاثة مندوبين عن كل مجمع ، تختارهم المجامع ، لمدة ثلاث سنوات ، قابلة للتجديد ، ويضاف اليهم عضو عن كل دولة من دول الجامعة العربية ، ليس فيها مجمع ، تعينه حكومته ويتمتع بما يتمتع به أعضاء الاتحاد .

ج — تدعو الأمانة العامة لجامعة الدول العربية الاتحاد الى الاجتماع في أوقات دورية ، وتقوم بدفع نفقات أعضائه وإقامتهم واجتماعاتهم .

د — يضع الاتحاد في دورته الأولى نظامه الداخلي ، ويعرضه على المجامع اللغوية العلمية وعلى مجلس الجامعة .

هـ — ينظم الاتحاد الصلات بين المجامع العربية ووزارات المعارف والإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

ثانياً — وسائل ترقية اللغة العربيه :

١) أ — يرى المؤتمر أن تلزم وزارات المعارف أساتذة المدارس على تنوع اختصاصهم ، إلقاء الدروس باللغة العربية الفصحى ، في مراحل التعليم كله ، وفي معاهد المعلمين خاصة ،

ب — وأن تلتزم الإذاعات العربية اللغة الصحيحة ، فيما تذيع من أحاديث ، وفي معظم التمثيليات والأغاني ،

ج — وأن تكون الترجمات للروايات السينمائية باللغة الصحيحة ،

د — وأن يكثر من استعمال اللغة الصحيحة في الروايات المسرحية ،

هـ — وأن يلتزم الشكل الكامل في الكتب المدرسية الابتدائية ، حتى يعتاد الطلاب سماع اللفظ الصحيح وقراءته ، ويخفف منه في مرحلة التدريس الثانوي حتى يقتصر فيه على ضبط ما يشكل .

٢) نظر المؤتمر في مقترحات تيسير النحو التي أعدتها وزارة التربية والتعليم في مصر ، فوجد بعد دراستها أنها تحتاج الى زيادة في البحث والتمحيص ، وقرر تأجيل النظر فيها إلى مؤتمر آخر .

٣) أ — يقرر المؤتمر أن تقرب العامية من الفصحى ،

ب — يعنى كل مجمع بجمع الألفاظ الدالة على الأشياء والمعاني الجارية بين الناس ، فاذا كان اللفظ العامي عربي الأصل ـ وقد حرف أو صحف ـ صحح واستعمل ، واذا لم يكن عربي الأصل ، نظر في لفظ غيره أو أقر استعماله . ثم تتخذ الوسائل لنشر ما أقر وإذاعته .

٤) يوصي المؤتمر بأن تتعاون المجامع على إعداد جزازات لمفردات اللغة : قديمها ومستحدثها ، مضافاً الى ذلك ما تتفق عليه المجامع الثلاثة من المصطلحات العصرية ، تمهيداً لتأليف معجم واسع شامل .

ثالثاً — التأليف والترجمة :

١) يوصي المؤتمر ، لتشجيع التأليف وحمايته :

أ — أن تمنح المجامع المؤلفين جوائز أو أن تنوه بتواليفهم ،

ب — وأن تجري مباريات في موضوعات تعينها كل سنة ، وتجيز أحسن المتبارين ،

ج — ويوصى أن تهتم وزارات المعارف بالبلاد العربية ، باتخاذ الوسائل التي تضمن ملكية التأليف بين البلاد العربية ،

د — يطلب المؤتمر الى الحكومات العربية ، إزالة الموانع والقيود التي تحول دون انتشار الكتب ، واعتبار البلاد العربية وحدة ثقافية ، وإلغاء المكوس والضرائب التي تفرض على المطبوعات .

هـ — وأن تصدر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية نشرات دورية للتعريف بالمطبوعات العربية .

٢) وفي الترجمة يوصي المؤتمر :

أ — بأن تعمل المجامع على ترجمة الروائع ذات القيمة الأدبية أو العلمية من اللغات الأجنبية ، وأن تضع قوائم بأمهات الكتب الجديرة بالترجمة .

ب — وأن تصدر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ، نشرة دورية تبين فيها ما ترجم أو ما أخذ في ترجمته أو ما تقررت ترجمته الى اللغة العربية ،

ج — وأن تنوه المجامع بأحسن الكتب المترجمة ، أو تضع جوائز لها .

رابعاً — المصطلحات العلمية :

أ — يوصي المؤتمر بتعاون المجامع والجامعات وسائر المؤسسات العلمية على وضع المصطلحات أو تحقيقها .

ب — يرى المؤتمر أن يكون اتحاد المجامع المرجعَ الذي يوحد المصطلحات التي تضعها المجامع والمؤسسات العلمية والعلماء .

ج — ويوصي بجمع القواعد والشروح التي وضعها مجمع اللغة العربية في التعريب ، وقياسية بعض الأوزان والجموع ، في كتاب تطبعه الجامعة العربية ، ليكون دستوراً للمجامع فيما تضع أو تحقق من مصطلحات .

د — يوصي المؤتمر الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، بأن تكمل ما قامت به من جمع المصطلحات العلمية ، في كتب التعليم الابتدائي والثانوي في البلاد العربية ، وأن تطبعها في كتاب ، بعد أن يقرها اتحاد المجامع .

هـ — يوصي المؤتمر بوضع معجم انكليزي فرنسي عربي شامل ، للمهم من المصطلحات العربية والمعربة ، على أن تعرّف الألفاظ فيه بالعربية تعريفاً موجزاً ، وتقوم الأمانة العامة بالتعاون مع اتحاد المجامع لإخراج هذا المعجم ،

و — يوصي المؤتمر باتخاذ الوسائل لتكون اللغة العربية لغة التدريس في الجامعات .

خامساً — تحقيق المخطوطات ونشرها :

أ — يوصي المؤتمر بأن تتخذ الحكومات العربية ، التدابير الوقائية الفنية ، لحفظ المخطوطات من التلف والضياع ، وأن تصور مخطوطات كل مكتبة ، وتزود كل مكتبة بآلات تصوير المخطوطات وقراءتها .

ب — يوصي المؤتمر بأن يعاد طبع عيون الكتب التي نشرها المستشرقون ، طبعاً علمياً ، على أن تعارض على نسخ مخطوطة أخرى إذا أمكن ، ويوصي بإكمال السلسلات التي بدأها المستشرقون ، كالمكتبة الجغرافية وغيرها .

جـ — يوصي المؤتمر بأن تعنى المجامع ودور الكتب ومعهد المخطوطات بنشر المعاجم وما في بابها ، والكتب الكبيرة ، وأن تعمل المؤسسات العلمية في كل قطر على نشر الكتب المتعلقة به .

د — يوصي المؤتمر بأن ينسق العمل بين المجامع ومعهد المخطوطات على الوجه الآتي :

١) التقريب بين طرائق نشر المخطوطات في البلاد العربية ،

٢) يرسل معهد المخطوطات قوائم دورية بأسماء الكتب التي صورها الى المجامع ،

٣) تتبادل المجامع ومعهد المخطوطات قوائم بأسماء ما يحقق من المخطوطات ، أو ما هو تحت الطبع ،

٤) يوصي المؤتمر أن تشجع المجامع ومعهد المخطوطات تحقيق الكتب القديمة ، بطبع ما تراه جديراً بالنشر ، وبمكافأة المجيدين من المحققين .

آراء وأنباء

تسمية نائب رئيس المجمع وأمين سره

كان المجمع العلمي العربي قد عقد في الرابع من شهر تموز سنة ١٩٥٦ ، جلسة انتخب فيها اثنين من أعضائه العاملين ، ليكون أحدهما الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي نائباً لرئيس المجمع العلمي العربي ، وليكون ثانيهما الأستاذ الأمير جعفر الحسني أمين سر عاماً للمجمع .

وقد أقر فخامة رئيس الجمهورية السورية هذا الانتخاب ، فصدر مرسوم رقمه ٢٩٣٩ وتاريخه ١٦/٩/١٩٥٦ بتعيين نائب الرئيس ، ومرسوم آخر رقمه ٢٧٠١ وتاريخه ٢٥/٨/١٩٥٦ بتعيين أمين السر العام .

وقد اضطلع الأستاذان الأميران بمهامهما الجديدة ، منذ صدور المرسومين المومأ إليهما .

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني (أمين السر العام)
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ 〃 حسني سبح
٦ 〃 حكمة هاشم
٧ 〃 سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ الاستاذ عارف النكدي
١٠ 〃 عز الدين التنوخي
١١ 〃 فارس الخوري
١٢ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٣ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٤ 〃 مرشد خاطر
١٥ الأمير مصطفى الشهابي (نائب الرئيس)
١٦ الدكتور منير العجلاني

الأعضاء المراسلون

١	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	سورية
٢	الاستاذ عمر ابو ريشة	〃
٣	البطريرك مار اغناطيوس افرام	〃
٤	الأستاذ محمد سليمان الأحمد	〃
٥	الدكتور قسطنطين زريق	〃
٦	الاستاذ أنيس المقدسي	لبنان
٧	〃 بشارة الخوري	〃
٨	الشيخ سليمان ظاهر	〃
٩	الدكتور صبحي المحمصاني	〃
١٠	〃 عمر فروخ	〃
١١	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
١٢	الأستاذ مارون عبود	لبنان
١٣	الدكتور نقولا فياض	〃
١٤	الأب ا.س. مرمرجي الدومنكي	فلسطين
١٥	الأستاذ عادل زعيتر	〃
١٦	〃 قدري حافظ طوقان	〃
١٧	〃 محمد الشريقي	〃
١٨	〃 احمد حامد الصراف	العراق
١٩	الدكتور داود الجلبي	〃
٢٠	الاستاذ ساطع الحصري	〃
٢١	〃 طه الهاشمي	〃
٢٢	〃 عباس العزاوي	〃

٢٣	الشيخ كاظم الدجيلي	العراق
٢٤	الاستاذ كوركيس عواد	″
٢٥	الشيخ محمد بهجة الاثري	″
٢٦	″ محمد رضا الشبيبي	″
٢٧	الدكتور مصطفى جواد	″
٢٨	الاستاذ احمد حسن الزيات	مصر
٢٩	الدكتور احمد زكي	″
٣٠	الاستاذ احمد لطفي السيد	″
٣١	″ خليل ثابت	″
٣٢	الدكتور طه حسين	″
٣٣	الاستاذ عباس محمود العقاد	″
٣٤	الدكتور عبد الوهاب عزام	″
٣٥	الشيخ محمد الخضر حسين	″
٣٦	الامير يوسف كمال	″
٣٧	الأستاذ حمد الجاسر	المملكة العربية السعودية
٣٨	″ خير الدين الزركلي	″
٣٩	″ حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٤٠	″ محمد الطاهر بن عاشور	″
٤١	″ محمد البشير الابراهيمي	الجزائر
٤٢	″ عبد الحي الكتاني	مراكش
٤٣	″ عبد الله كنون	″
٤٤	″ علال الفاسي	″
٤٥	″ محمد الحجوي	″
٤٦	″ احمد اتش	تركية
٤٧	الاستاذ علي أصغر فيضي	الهند
٤٨	″ عبد العزيز الميمني	پاكستان
٤٩	″ يوسف البنوري	″
٥٠	الدكتور بلاشير (رجيس)	فرنسة
٥١	الاستاذ دوسو (رينه)	″
٥٢	″ كولان (جورج)	″
٥٣	″ لاوست (هنري)	″
٥٤	″ ماسه (هنري)	″
٥٥	″ ماسينيون (لويس)	″
٥٦	″ أربري (أ· ج·)	بريطانية
٥٧	″ جيب (ه· ا· ر·)	″
٥٨	″ غليوم (الفرد)	″
٥٩	″ ريتر (هلموت)	المانية
٦٠	″ هارتمان (ريشارد)	″
٦١	″ ديدرنغ (س·)	السويد
٦٢	الدكتور ضودج (بيارد)	الولايات المتحدة
٦٣	الاستاذ فيليب حتي	″
٦٤	″ برتل (ايفكين)	الاتحاد السوفياتي
٦٥	″ غومز (اميليو غارسيا)	اسبانية
٦٦	الدكتور اشتولز (كارل)	النمسة
٦٧	الاستاذ موجيك (هانز)	″
٦٨	″ ماهلر (ادوارد)	المجر
٦٩	″ جبرايلي (فرنشيسكو)	ايطالية
٧٠	الدكتور شخت (يوسف)	هولاندة
٧١	الاستاذ بدرسن (جون)	الدانيمرك
٧٢	الاستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	فنلاندة

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	سورية
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	〃 مسعود الكواكبي	〃
٤	الاستاذ الياس قدسي	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃
٦	〃 جميل العظم	〃
٧	〃 سليم عنحوري	〃
٨	〃 عبد الله رعد	〃
٩	〃 رشيد بقدونس	〃
١٠	〃 اديب التقي	〃
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٢	الاستاذ معروف الأرناءوط	〃
١٣	السيد محسن الأمين	〃
١٤	الاستاذ الرئيس محمد كرد علي	〃
١٥	〃 محمد البزم	〃
١٦	〃 سليم الجندي	〃
١٧	الشيخ عبد القادر المغربي	〃
١٨	الأب جرجس شلحت	〃
١٩	〃 جرجس منش	〃
٢٠	الاستاذ قسطاكي الحمصي	〃
٢١	الشيخ كامل الغزي	〃
٢٢	الاستاذ ميخائيل الصقال	〃
٢٣	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٢٤	الشيخ راغب الطباخ	سورية
٢٥	〃 عبد الحميد الجابري	〃
٢٦	〃 عبد الحميد الكيالي	〃
٢٧	〃 محمد زين العابدين	〃
٢٨	الدكتور صالح قنباز	〃
٢٩	الشيخ سليمان الأحمد	〃
٣٠	الاستاذ ادوار مرقص	〃
٣١	الشيخ سعيد العرفي	〃
٣٢	الاستاذ حسن بيهم	لبنان
٣٣	الأب لويس شيخو	〃
٣٤	الشيخ عبد الله البستاني	〃
٣٥	الاستاذ جبر ضومط	〃
٣٦	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
٣٧	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
٣٨	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٣٩	الاستاذ عمر الفاخوري	〃
٤٠	〃 بولص الخولي	〃
٤١	〃 امين الريحاني	〃
٤٢	الامير شكيب ارسلان	〃
٤٣	الشيخ ابراهيم المنذر	〃
٤٤	الاستاذ جرجي يني	〃
٤٥	الشيخ احمد رضا	〃
٤٦	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	〃

٤٧	الاستاذ فيليب طرازي	لبنان
٤٨	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين
٤٩	الاستاذ نخلة زريق	〃
٥٠	الشيخ خليل الخالدي	〃
٥١	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٥٢	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٥٣	〃 محمود شكري الآلوسي	العراق
٥٤	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٥٥	〃 معروف الرصافي	〃
٥٦	〃 طه الراوي	〃
٥٧	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٥٨	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	مصر
٥٩	〃 رفيق العظم	〃
٦٠	〃 احمد كمال	〃
٦١	〃 احمد تيمور	〃
٦٢	〃 احمد زكي باشا	〃
٦٣	الدكتور يعقوب صروف	〃
٦٤	السيد محمد رشيد رضا	〃
٦٥	الاستاذ حافظ ابراهيم	〃
٦٦	〃 احمد شوقي	〃
٦٧	الشيخ احمد الاسكندري	〃
٦٨	الاستاذ اسعد خليل داغر	〃
٦٩	〃 داود بركات	〃
٧٠	الدكتور امين المعلوف	〃
٧١	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	〃
٧٢	الشيخ عبد العزيز البشري	مصر
٧٣	الدكتور احمد عيسى	〃
٧٤	الأمير عمر طوسون	〃
٧٥	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٧٦	الاستاذ انطون الجميل	〃
٧٧	〃 خليل مطران	〃
٧٨	〃 ابراهيم عبد القادر المازني	〃
٧٩	〃 محمد لطفي جمعة	〃
٨٠	الدكتور احمد امين	〃
٨١	الاستاذ عبد الحميد العبادي	〃
٨٢	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٨٣	الاستاذ زكي مغامز	تركية
٨٤	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
٨٥	الاستاذ عباس إقبال	〃
٨٦	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٨٧	الاستاذ فران (جبرئيل)	فرنسة
٨٨	〃 هوار (كليمان)	〃
٨٩	〃 بوفا (لوسيان)	〃
٩٠	〃 مالنجو	〃
٩١	〃 كي (أ ٠)	〃
٩٢	〃 باسه (رينه)	〃
٩٣	〃 ميشو بللير	〃
٩٤	〃 مارسيه (وليم)	〃
٩٥	〃 مرجليوث (د ٠ س ٠)	بريطانية
٩٦	〃 بفن	〃

٩٧ الاستاذ براون (ادوارد) بريطانية

٩٨ 〃 كرينكو (فريتز) 〃

٩٩ 〃 هومل المانية

١٠٠ 〃 ساخاو (ادوارد) 〃

١٠١ 〃 هوروفيتز (يوسف) 〃

١٠٢ 〃 هارتمان (مارتين) 〃

١٠٣ 〃 ميتفوخ (اوجين) 〃

١٠٤ 〃 بروكلمن (كارل) 〃

١٠٥ « غولد صيهر (اغناطيوس) المجر

١٠٦ « ماكدونالد (د.ب) الولايات المتحدة

١٠٧ 〃 هرزفلد (ارنست) 〃

١٠٨ 〃 سارطون (جورج) 〃

١٠٩ 〃 كراتشكوفسكي (أ) الاتحاد السوفياتي

١١٠ 〃 آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية

١١١ 〃 لويس (دافيد) البرتغال

١١٢ الاستاذ جويدي (اغنازيو) ايطالية

١١٣ 〃 نالينو (كارلو) 〃

١١٤ 〃 غبريفيني (اوجينيو) 〃

١١٥ 〃 مونته (ادوارد) سويسرة

١١٦ 〃 هس (ج٠ ج٠) 〃

١١٧ 〃 كوفالسكي (ت٠) بولونية

١١٨ 〃 موزل (الوا) تشكوسلوفاكية

١١٩ 〃 هورغرنيه (سنوك) هولاندة

١٢٠ 〃 اراندوك (ك٠) 〃

١٢١ 〃 هوتسما (م٠ ت٠) 〃

١٢٢ 〃 بوهل (ف٠م ب٠) الدانيمارك

١٢٣ 〃 استروب (ج٠) 〃

١٢٤ 〃 سترستين (ك٠ف٠) السويد

١٢٥ 〃 سعيد ابو جمرة البرازيل

مصطلحات قانون الأحوال المدنية

بعثت رئاسة مجلس النواب السوري إلى المجمع العلمي العربي برسالة طوتها على بعض المصطلحات الواردة في مشروع قانون الأحوال المدنيـة السوري ، ورغبت إليه النظر فيها بالسرعة القصوى . وندرج فيما يلي نسخة جواب المجمع على هذه الرسالة :

إلى رئاسة مجلس النواب

بالإشارة إلى كتابكم (٤٣١) المؤرخ في ٩ كانون الأول عام ١٩٥٦ ، اجتمعت لجنة من أعضاء المجمع العلمي العربي العاملين ، ونظرت في جدول المصطلحات الواردة في المادة الثانية من مشروع قانون الأحوال المدنيـة . فأقرت بعض هذه المصطلحات ، واقترحت تعديلاً طفيفاً لبعضها الآخر .

ونثبت فيما يلي الجدول المومأ اليه ، وإلى جانبه مااقترحته اللجنة :

الجدول الوارد	الجدول المقترح
أمين السجل المدني : الموظف المسؤول عن أعمال الأحوال المدنية .	دون تعديل
الأخبار : الوثيقة الخطية التي يقدمها الطبيب أو القابلة من حادثة ولادة ووفاة .	الإخبار : الوثيقة المكتوبة التي يحررها الطبيب أو القابلة عند حدوث ولادة أو وفاة .
الواقعة : كل حادثة أحوال مدنية من ولادة وزواج وطلاق ووفاة وما يتفرع عنها .	دون تعديل .

الجدول الوارد	الجدول المقترح
سجل الوقوعات : هو السجل الذي تدون فيه وقائع الأحوال المدنية .	سجل الواقعات : هو السجل الذي تدون فيه واقعات الأحوال المدنية .
السجل المدني : السجل الذي تدون فيه وقائع الأحوال المدنية استناداً إلى الوثائق حسب ترتيبها في سجل الوقوعات .	السجل المدني : السجل الذي تدون فيه واقعات الأحوال المدنية استناداً إلى الوثائق حسب ترتيبها في سجل الواقعات .
البيان : وثيقة ينظمها أمين السجل المدني بالواقعة من سجل الوقوعات لترسل إلى أمين سجل آخر .	البيان : وثيقة يحررها أمين السجل المدني بالواقعة نقلاً عن سجل الواقعات لترسل إلى أمين سجل آخر .
الشهادة : مستند ينظمه المختار بوقائع الأحوال المدنية .	الشهادة : مستند يحرره المختار بواقعات الأحوال المدنية .
الوثيقة : كل مستند خطي يتعلق بوقائع الأحوال المدنية ويعتمد في تسجيلها .	الوثيقة : كل مستند مكتوب يتعلق بواقعات الأحوال المدنية ويعتمد في تسجيلها .
المنطقة : الأماكن التي تشملها صلاحية أمين السجل المدني .	دون تعديل .
صورة القيد : وثيقة تعطى مطابقة لقيود الأحوال المدنية .	دون تعديل .

الجدول الوارد	الجدول المقترح
الكنية : هي اسم الأسرة أو ما يقوم مقامها من أسماء السلف .	النسبة : هي اسم الأسرة أو ما يقوم مقامها من أسماء السلف .
الجنس : هو المميز بين الذكر والأنثى .	دون تعديل .
اللقب : أن يسمى الشخص باسم ولده بأبي فلان .	الكنية : أن يطلق على الشخص اسم ولده مسبوقاً بكلمة (أب) كأبي فلان .

ولمقامكم وافر الاحترام

دمشق في ١٢/١٢/١٩٥٦

رئيس المجمع العلمي العربي

هدية الى دار الكتب الظاهرية

ما تزال دار الكتب الظاهرية مهوى أفئدة المعنيّين بتراثنا الخالد ، الغُيُر على فرائده من أن تعبث بها يد الحدثان ، وما يفتأ هؤلاء الأفاضل يتحفون الدار بما يزيد خزائنها ثروة واتساعاً ، وبما يطلق ألسن المطالعين فيها شكراً وثناء . ومن هؤلاء الأفاضل السيد محمود نديم الغزي ، وهو سليل أسرة شامية معروفة اشتهرت بالنبل والفضل ، والعلم والتأليف ، فقد أهدى إلى الدار (٤١) مجلدة مخطوطة و (٥٣) مجلدة مطبوعة ، فله وافر الحمد وصادق الشكر .

منح السيد سعيد حمزة وسام الاستحقاق

كنا ألمعنا في الجزء الثالث من المجلد ٣١ (ص ٥٢٥) من هذه المجلة إلى المخطوطات الثلاثمائة التي أهداها السيد سعيد حمزة إلى دار الكتب الظاهرية ، ونوّهنا بمأثرته الكريمة . وقد قدّرت الحكومة السورية صنيع المهدي ، فمنحته وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى ، وصدر المرسوم (٣٤٤٤) في ٢٩ / ١٠ / ١٩٥٦ بذلك .

وقد أقيم في مقر المجمع العلمي العربي احتفال ، قدّم فيه معالي رئيس المجمع الوسام مع براءته والمرسوم المتعلق به إلى السيد سعيد حمزة ، بحضور لفيف من أعضاء المجمع والعاملين فيه .

مخطوطات للظاهرية

اقتنت دار الكتب الظاهرية من (المكتبة العربية) مائتين وخمسين مخطوطاً في علوم متنوعة ، وقد كتب قسم منها في العصور المتقدمة ، وعلى بعضها خطوط مؤلفيها .

وستودع خزائن الدار هذه المخطوطات ، ويتاح للمطالعين الاطلاع عليها ، بعد أن يتم تسجيلها وكتابة جزازاتها .

فهرس الجزء الأول من المجلد الثاني والثلاثين

مؤتمر المجامع العلمية

صفحة

٣ مؤتمر المجامع اللغوية العلمية . . . .
٣ المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربية : الفكرة والهدف . . . .
٦ مشروع جدول الأعمال . . . .
٧ أعضاء المؤتمر ولجانه . . . .
١٣ برنامج المؤتمر . . . .

حفلة افتتاح المؤتمر

١٧ كلمة فخامة رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي . . . .
١٩ كلمة وزير المعارف السورية معالي الدكتور عبد الوهاب حومد . . . .
٢٢ كلمة رئيس اللجنة الثقافية معالي الدكتور طه حسين . . . . . .
٢٧ كلمة كاتب سر مجمع اللغة العربية الدكتور منصور فهمي . . . . . .
٣٠ كلمة نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الأستاذ محمد بهجة الأثري . . . .

المحاضرات العامة

٣٣ أثر اللغة العربية في وحدة الأمة للدكتور منير العجلاني . . . . . .
٤٤ اللغة الفصحى وتعليم الشعب للدكتور طه حسين . . . .
٥٧ مجمع مصر واللغة العربية للدكتور منصور فهمي . . . .

نشاط المجامع والمؤسسات العلمية

٧٢ نشاط المجمع العلمي العربي . . . .
٧٨ تقرير المجمع العلمي العراقي . . . .
٨٢ لمحة من أعمال مجمع اللغة العربية في القاهرة . . . .
٨٧ مذكرات الإدارة الثقافية : . . . .
٨٧ ١) تيسير الكتابة العربية . . . .
٨٩ ٢) التأليف والترجمة والنشر . . . .

صفحة

٩٧ ٣) تأليف الكتب العلمية وترجمتها ونشرها . . . .
٩٨ ٤) المصطلحات العلمية . . . .
١٠٠ مذكرة معهد إحياء المخطوطات العربية . . . .

أبحاث المؤتمر

١٠٤ الكتابة العربية . . . . للدكتور منصور فهمي .
١١٧ اقتراح بشأن كتابة الهمزة والألف اللينة . للأستاذ ابراهيم مصطفى .
١٢٣ تيسير قواعد اللغة العربية . . . . . للأستاذ ابراهيم مصطفى .
١٢٩ وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها . للدكتور مصطفى جواد . .
١٦١ تعاون المجامع على عمل المعاجم اللغوية . . للأستاذ ابراهيم مصطفى . .
١٦٣ تصنيف معجم انكليزي افرنسي عربي في المصطلحات العلمية . للأمير مصطفى الشهابي . .
١٦٩ المصطلحات العلمية . . . . للأستاذ قدري حافظ طوقان .
١٧١ الاصطلاحات الفلسفية . . . . للدكتور جميل صليبا . .
١٨١ مجمع اللغة العربية بين الفصحى والعامية . . . للأستاذ أحمد حسن الزيات .
١٨٩ اللغة العربية بين الفصحى والعامية . . . . للأستاذ عارف النكدي .
٢٠٤ بين اللغة العربية الفصحى والعامية . . . للأستاذ علي حسن عودة .
٢٠٨ ماذا ننشر من المخطوطات القديمة وكيف ننشر ؟ . للدكتور صلاح الدين المنجد .
٢١٣ اقتراحات اللجنة المصرية لتيسير النحو والصرف . . . .
٢٢٢ توصيات المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية العربية . . . . . .

آراء وأنبـــاء

٢٢٧ تسمية نائب رئيس المجمع وأمين سره . . . .
٢٢٨ أعضاء المجمع العلمي العربي العاملون لعام ١٣٧٦ هـ ١٩٥٧ م . . . . .
٢٢٨ أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلون . . . .
٢٣٠ أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون . . . .
٢٣٣ مصطلحات قانون الأحوال المدنية . . . .
٢٣٥ هدية إلى دار الكتب الظاهرية . . . .
٢٣٦ منح السيد سعيد حمزة وسام الاستحقاق . . . .
٢٣٦ مخطوطات الظاهرية . . . .

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

١ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٢ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٣ — محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٤ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥ — نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٦ — رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٧ — المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٨ — تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٩ — المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٠ — كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١١ — البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
١٢ — غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٣ — كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
١٤ — ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
١٥ — ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٦ — ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك
١٧ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٨ — ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
١٩ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢٠ — الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني
٢١ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٢ — الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا

٢٣ — فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه الدكتور يوسف العش

٢٤ — ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان

٢٥ — تاريخ مدينــة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٦ — تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٧ — فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمــد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٨ — أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٢٩ — قضاة دمشق لشمس الدين ابن طولون : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٣٠ — الزيارات بدمشق للقاضي محمود العدوي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد

٣١ — طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين .

٣٢ — تاريخ داريا للقاضي عبدالجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني

٣٣ — عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي

٣٤ — الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي : شرحه وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

٣٥ — خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني الكاتب (قسم شعراء الشام ، الجزء الأول) : بتحقيق الدكتور شكري فيصل

٣٦ — فهرس مجلة المجمع العلمي العربي ، الجزء الأول ، وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة

٣٧ — ديوان ابن أبي حصينة السلمي المعري ، الجزء الأول : بتحقيق الدكتور محمد أسعد طلس

٣٨ — تاريخ المجمع العلمي العربي : تأليف الأستاذ أحمد الفتيح

٣٩ — التبصر بالتجارة للجاحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب

٤٠ — المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربعي

٤١ — تكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي

٤٢ — بحر العوام في ما أصاب فيه العوام لابن الحنبلي الحلبي

} بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي

الجزء الثاني　　　　المجلد الثاني والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٧ م　　　　١ رمضان ١٣٧٦ هـ

INSTITUT FRANÇAIS D'ARCHÉOLOGIE ORIENTALE DU CAIRE · BIBLIOTHÈQUE

حول الفصحى والعامية

ان قضية الفصحى والعامية في اللغة العربية ، لهي من القضايا التي تثار من حين الى حين ، منذ عدة عقود من السنين .

يثيرها - على الأكثر - بعض الذين يدعون الى التخلي عن الفصحى ، والتحول عنها الى العامية ، في الكتابة والخطابة والحوار ، ولا سيما في القصص والمسرحيات .

ويستند هؤلاء في دعوتهم هذه الى ملاحظات عديدة ومتنوعة ، أهمها وأعمها - على ما أعتقد - يحوم حول تشبيه العربية باللاتينية .

انهم يقولون : « إن حالة العربية الفصحى الآن ، لا تختلف عن حالة اللاتينية الكلاسيكية قديماً ، فمصيرها سيكون شبيهاً بمصير اللغة المذكورة حتماً . من المعلوم ان اللاتينية ماتت ، بعد أن ولدت اللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية .. التي تعرف الآن باسم « اللغات اللاتينية » . وهذه اللغات أصبحت منذ عدة قرون لغات علم وأدب ، بعد أن كانت بمثابة

« لغات عامية » مدة غير قصيرة من الزمن . وأما اللاتينية الأصلية فقد اندثرت وماتت ، بعد أن كانت لغة العلم والأدب في معظم بلاد الغرب ، مدة قرون عديدة . »

« فلا بد أن يحدث مثل ذلك في اللغة العربية أيضاً . فمن العبث أن تبذل الجهود لتأخير هذا المصير . بل من الخير لنا أن نؤمن بذلك من الآن ، فنوجه جهودنا الى جعل « العامية » لغة الكتابة والعلم والأدب ، بوجه عام ... »

إن أمثال هذه الملاحظات تسيطر على أذهان الكثيرين ممن يقولون بوجوب عدم التمسك بالعربية الفصحى ، وهي تظهر من خلال أحاديثهم وكتاباتهم بأشكال وأساليب شتى .

ولهذا السبب ، إني أعتقد بأن بحث قضية الفصحى والعامية يجب أن يبدأ بدرس هذه « الحجة الأساسية » ، يجب علينا أن نلقي نظرة فاحصة الى تاريخ اللغات اللاتينية ، لكي نستطيع أن نحكم ـ بطريقة علمية سليمة ـ هل تشبه حالة اللغة العربية الآن حالة اللاتينية قديماً ؟ وهل سيكون مصيرها شبيهاً بمصير اللغة اللاتينية حتماً ؟

لا شك في أن اللغات الفرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية .. قد تفرعت من اللغة اللاتينية .

وصحيح أنها كانت ـ في بادئ الأمر ـ لغات عامية ، ثم تحولت ـ تدريجاً ـ الى لغات علم وأدب راقية .

وصحيح أيضاً ، أن اللاتينية الكلاسيكية ، قد فقدت الحياة ، حيث لم يبق على وجه البسيطة أمة أو شعب يتكلم بها .

هذه كلها من الحقائق الثابتة ، التي لا يمكن لأحد أن ينكرها ، بوجه من الوجوه .

ولكن ... هناك حقائق أخرى ، لا بد من أخذها بنظر الاعتبار في هذا المضمار .

ان اللغات التي تفرعت عن اللاتينية لم تنحصر باللغات التي ذكرناها آنفاً . بل قد تفرعت عن اللاتينية عشرات اللغات ومئات اللهجات . الا أن معظم هذه اللغات واللهجات لم تعش الى يومنا هذا ، بل تركت محلها الى اللغات اللاتينية المعروفة الآن . فان كل واحدة من اللغات اللاتينية المتداولة الآن ، قد قامت مقام عدد غير قليل من اللغات واللهجات .

ويفهم من ذلك : أن تاريخ تطور اللغات يعرض الى الأنظار نوعين من التطورات : التطور نحو التفرع ، والتطور نحو التوحد . ويسمي الباحثون الطور الأول بـ « طور التجزؤ Morcellement » والطور الثاني بـ « طور التوحد Réunification » .

إن من يحصر نظره حول النوع الأول من التطورات ، فلا ينتبه الى النوع الثاني منها ... يبقى بعيداً عن إدراك الحقائق على وجهها الصحيح ، بعداً كبيراً .

فيجدر بنا أن ندرس صفحات تطور اللغات اللاتينية ، لنطلع على أطوار « التجزؤ » وعوامله من ناحية ، وأطوار « التوحد » وعوامله من ناحية أخرى .

وبهذه الصورة ــ وبهذه الصورة وحدها ــ نستطيع أن نصل الى نتيجة علمية ، في هذه القضية الهامة .

تفرع اللغة اللاتينية

— ١ —

ان اللاتينية كانت ــ في بادئ الأمر ــ لغة خاصة بمدينة روما وضواحيها المعروفة باسم Latium ، ثم أصبحت لغة ايطاليا بأجمعها ، بسبب توسع حكم الرومان فيها . وبعد ذلك انتشرت الى جميع البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط ، مع الفتوحات التي تمت في عهد الامبراطورية .

وكان لأهالي تلك البلاد الشاسعة لغات خاصة بهم ، مثل اليونانية ، والآرامية ، والعربية ، والقبطية ، والغوتية ، والبربرية ، والغالية ، والايبرية ، والليجورية ، والسلتية ... الخ ...

وعندما دخلت اللاتينية الى تلك البلاد ، مع الجيوش والحكام ، بدأ نوع من التنازع والتفاعل بينها وبين اللغات الدارجة في البلاد المفتوحة . وأما نتائج هذا التفاعل والتنازع ، فقد اختلف باختلاف اللغات والأقطار .

في الشرق ، لم تستطع اللاتينية أن تتغلب على اليونانية ؛ لأن اللغة المذكورة كانت مقترنة بحضارة أرقى من حضارة الرومان ، وبأدب أرفع من الأدب اللاتيني . ولذلك أثرت في اللاتينية أكثر مما تأثرت منها ؛ فحافظت البلاد اليونانية على شخصيتها اللغوية ، على الرغم من خضوعها الى حكم الرومان وسيطرتهم السياسية .

ومن المعلوم أن ذلك كان من جملة العوامل التي أدت الى انشطار الامبراطورية الرومانية الى شطرين : الامبراطورية الشرقية والامبراطورية الغربية ، حيث أصبحت اللغة الرسمية «اليونانية» في الشرقية ، وظلت «اللاتينية» في الغربية .

وأما في الغرب ، ـ في البلاد التي تعرف الآن باسم فرنسا واسبانيا وبريطانيا العظمى ـ ، فقد حدث عكس ذلك تماماً : تغلبت اللاتينية على لغات البلاد المفتوحة . لأن تلك اللغات كانت محرومة من أدب مدوّن ومكتوب ، كما انها كانت غير مدعومة بحضارة راقية .

ولكن هذه الغلبة لم تتم إلا بعد تفاعل وتنازع استمر نحو خمسة قرون . ومن الطبيعي أن اللاتينية تأثرت خلال هذه المدة الطويلة من خصائص تلك اللغات ، وتغيرت عن أصلها في كثير الأمور .

* * *

كانت اللاتينية ترقت كثيراً ، فأصبحت لغة أدب رفيع جداً ، بفضل الخطباء والشعراء والعلماء الذين نبغوا في عهد الامبراطورية الزاهرة ، أمثال تشيتشرون ، وفيرجيل ، ولوكرس ...

ولكن هذه اللاتينية الأدبية ـ اللاتينية الكلاسيكية ـ كانت بمثابة لغة أريستوقراطية ، لا يمارسها ولا يحسنها إلا النخبة الممتازة ، من الحكام والأدباء والمتنورين . إنها لم تتغلغل كثيراً بين طبقات العوام . وظل الناس يتكلمون بلهجات لاتينية بسيطة ، كان الرومان يميزونها عن اللاتينية الكلاسيكية ، ويسمونها بأسماء خاصة ، مثل : كلام العوام ، اللغة الدارجة ، لغة الفلاحين Sermo vulgaris , lingum rusticum , lingua usualis ,

ان الفتوحات الرومانية ، كانت تنشر اللاتينية الكلاسيكية ، واللاتينية العامية في وقت واحد : الكلاسيكية مع الحكام والمتنورين ، والعامية بواسطة الجنود والتجار ، والفلاحين الذين استوطنوا البلاد المفتوحة ، وصاروا يعيشون ويعملون بين أهاليها الأصليين .

ومن الطبيعي أن اللاتينية الكلاسيكية بقيت ـ خلال هذا الانتشار ـ كما هي : بمفرداتها وقواعدها الصرفية والنحوية المدونة في الكتب . ولكن اللاتينية العامية لم تسلم من التغير والتحول ، لأنها كانت تنتقل وتنتشر عن طريق المشافهة وحدها ، فكان من الطبيعي أن تتأثر ـ خلال هذا الانتشار ـ من خصائص اللغات المحلية القديمة ، ولا سيما من أساليبها الصوتية .

ومما تجب ملاحظته في هذا المضمار ، ان اللغات الدارجة في البلاد المفتوحة التي ذكرناها آنفاً ، كانت كثيرة ومتنوعة ومنشعبة الى عدد كبير من اللهجات . فكان من الطبيعي أن يؤدي تفاعل اللاتينية العامية مع كل واحدة من هذه اللهجات واللغات المحلية ، في تلك الأقاليم المتنوعة ، الى تكوين لغات ولهجات عديدة ، تختلف عن اللاتينية الأصلية ، في كثير من الخصائص .

ولهذا السبب ، يرجع الباحثون تسمية هذه اللغات واللهجات الجديدة بال « رومانية » تمييزاً لها عن اللاتينية الأصلية .

- ٣ -

ولكن ... هذه اللغات الرومانية الجديدة ، لم تكد تتغلب على اللغات المحلية ، فتستقر — نوعاً ما — على حالات وأساليب معينة ، حتى تعرضت الى عوامل قوية من التحولات والتغيرات الجديدة : إذ دخلت البلاد المذكورة لغات جرمانية عديدة ، من جراء استيلاء القبائل الجرمانية عليها ، واستيطان عدد غير قليل من القبائل المذكورة في مختلف أقطارها .

ومن الطبيعي ، أن قام عندئذ تفاعل وتنازع بين اللغات واللهجات الجرمانية التي كان يتكلم بها الغزاة والمهاجرون ، وبين اللهجات الرومانية التي كان يتكلم بها أهالي البلاد .

وأما نتائج هذا التنازع الجديد ، فقد اختلفت — هي أيضاً — باختلاف البلاد : في بريطانيا العظمى وبريطانيا الصغرى تغلبت اللغات الجرمانية على الرومانية ، وأصبحت تلك البلاد جرمانية اللغة . ولكن في سائر أقاليم فرنسا وفي اسبانيا وايطاليا — بعكس ذلك — تغلبت اللغات الرومانية على الجرمانية ، حيث نسي الفاتحون والمهاجرون — بمرور الزمان وبصورة تدريجية — لغاتهم الأصلية وصاروا هم أيضاً يتكلمون باللغات الرومانية ، مثل أهل البلاد التي فتحوها وهاجروا اليها .

ولكن ذلك لم يتم ، إلا بعد مرور نحو ثلاثة قرون .

ومن الطبيعي أن يكون قد حدث ، خلال هذه المدة ، تفاعل بين لغات الفاتحين وبين لغات البلاد المفتوحة . ولذلك تأثرت اللغات الرومانية بعض التأثر من خصائص اللغات الجرمانية ، فازدادت بذلك تباعداً عن اللاتينية الأصلية .

ومما يجب أن لا يغرب عن البال في هذا المضمار : ان اللغات الجرمانية التي دخلت مع القبائل النازية المعلومة ، الى مختلف أقطار البلاد التي تعرف الآن باسم ايطاليا وفرنسا واسبانيا .. كانت متنوعة ومتشعبة في حد ذاتها . فتفاعل هذه اللغات واللهجات الجرمانية المختلفة مع اللغات الدارجة في مختلف أنحاء البلاد المذكورة ، كان من الطبيعي أن يؤدي الى زيادة أنواع اللغات واللهجات المنحدرة من اللاتينية زيادة كبيرة .

* * *

إن غزوات القبائل الجرمانية للبلاد المذكورة أثرت في مصير اللغة اللاتينية ، من وجوه أخرى أيضاً : ان هذه الغزوات أدت الى حدوث تطورات وانقلابات اجتماعية وسياسية هامة . فكان من الطبيعي أن تتأثر اللغات من هذه الانقلابات تأثراً عميقاً .

إذ من المعلوم أن الغزوات الجرمانية أدت ـ في آخر الأمر ـ الى انقراض الامبراطورية الرومانية الغربية وزوالها ، كما انها سببت تقلص الطبقة المتعلمة والمستنيرة ، وتلاشيها بسرعة كبيرة .

ومن الطبيعي أن زوال الوحدة السياسية من جراء سقوط الامبراطورية ، قد حرم اللاتينية الكلاسيكية من السلطة المعنوية التي كانت تتمتع بها ، لكونها لغة الحكم والإدارة في امبراطورية واسعة الأرجاء . كما أن تلاشي الطبقة المستنيرة التي كانت تمارس اللاتينية الأدبية وترعاها ، أدى الى تقلص ظل اللغة المذكورة الى أقصى حدود التقلص ، وجعلها تنحصر بين جدران المعابد والأديرة وحدها .

ولا حاجة للبيان أن انسحاب اللاتينية الأدبية من الميدان ، انسحاباً يكاد يكون تاماً ، على المنوال الذي سردناه آنفاً ، ترك الحبل على غارب اللغات

العامية ، وأفسح أمامها مجالاً واسعاً للتغير السريع ، والتفرع الذي لا يقف عند حد ، لعدم وجود عائق يعيقه ، وضابط يضبطه .

إن انضمام هذه العوامل العامة الى عوامل التحول والتفرع التي سردناها قبلاً ، أدى ـ بطبيعة الحال ـ الى زيادة تباعد اللغات واللهجات الرومانية ، عن اللاتينية الأصلية زيادة كبيرة جداً .

في الواقع أن « شارلماني » الشهير ، قد سعى ـ في القرن التاسع للميلاد ـ الى إحياء الامبراطورية ، وتشجيع التعليم . إلا أن الامبراطورية ، التي كونها ، لم تعمر طويلاً ، لأنه هو بنفسه قسمها بين أولاده الثلاثة ، وفتح بذلك الباب للتقسيمات المتتالية بين أحفاده العديدين . ومن المعلوم أنه بعد ذلك العهد القصير ، أخذت روابط السلطات المركزية ترتخي بسرعة ، ثم نشأت النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة التي عرفت باسم « الاقطاعية » « الفيوداليته » ، فانقسمت البلاد الى عدد لا يحصى من المقاطعات الصغيرة ، وصارت تحتمي كل واحدة منها بقصر محصن ، وتتمتع باستقلال فعلي مطلق ، فلا ترتبط بالمملكة أو بالامبراطورية إلا بروابط اسمية بحتة ، ثم أخذت الروابط التي تصل هذه المقاطعات بعضها ببعض أيضاً ترتخي فتزول بصورة تدريجية ، الى أن أصبحت كل مقاطعة وكل مدينة منطوية على نفسها ، ومكتفية بذاتها ، ومنعزلة عن غيرها انعزالاً يكاد يكون تاماً .

ومن المعلوم أن في ذلك العهد تفشت الأمية بصورة لم يسبق لها مثيل . فلم يبق من يعرف القراءة والكتابة حتى بين كبار أصحاب المقاطعات وطبقة الحكام والنبلاء . وأصبحت الكتابة والقراءة مما يختص به جماعة من رجال الكنائس وحدهم .

ولا حاجة الى القول : ان كل ذلك أوصل تفرع اللغات واللهجات العامية الى حده الأقصى .

* * *

إن العوامل التي ذكرناها الى الآن ، كانت عوامل عامة ، تشمل جميع البلاد التي عرفت باسم «اللاتينية» . ولإتمام سلسلة هذه العوامل المتنوعة ، لا بد لنا من أن نشير الى عامل آخر ، اختص بقسم من تلك البلاد ، دون غيرها . هذا العامل الخاص ، هو تأثير اللغة العربية في اللغة الاسبانية .

من المعلوم أن العرب كانوا استولوا على اسبانيا واستوطنوها . وأسسوا فيها حضارة راقية ، استمرت مدة طويلة ، تقرب من ثمانية قرون . فكان من الطبيعي أن تؤثر اللغة العربية — خلال هذه المدة الطويلة — في اللغات الاسبانية تأثيراً كبيراً . فاقتبست الاسبانية من اللغة العربية بعض الأصوات التي لم يكن في اللغة اللاتينية ما يماثلها . كما اقتبست آلاف الكلمات العربية التي تختلف عن الكلمات اللاتينية اختلافاً جوهرياً من وجوه عديدة .

ولا حاجة الى البيان ان ذلك أدى الى زيادة الفوارق التي كانت حدثت بين الاسبانية وبين سائر اللغات اللاتينية زيادة كبيرة .

— ٣ —

هذا ، ولإتمام بحث الأحداث والعوامل التي أثرت في تطور اللغة اللاتينية وتفرعها ، لا بد لنا من أن نلقي نظرة عجلى ، الى عمل الديانة المسيحية في هذا المضمار أيضاً :

لا شك في أن الديانة المسيحية ساعدت على انتشار اللغة اللاتينية في أوروبا الغربية مساعدة كبيرة .

لأن المركز الأوروبي للديانة المذكورة كانت مدينة روما نفسها . انها تنظمت هناك ، وانتشرت من هناك ، كما ان الأناجيل التي تجمعت هناك وانتشرت من هناك الى البلاد الغربية كانت بالنصوص اللاتينية . فكان من الطبيعي — والحالة هذه — أن ترتبط الديانة المسيحية في تلك البلاد باللغة اللاتينية ارتباطاً وثيقاً ، وأن تساعد على انتشارها مساعدة كبيرة .

إلاّ أن الديانة المسيحية لم تلتزم نشر اللاتينية الكلاسيكية ، بل عملت على نشر اللاتينية العامية . وذلك لأنها انتشرت ـ في بادئ الأمر ـ بين عوام الناس ، دون الخواص . لأن الحكام كانوا يعارضونها أشد المعارضة ، حتى انهم ظلوا يضطهدون معتنقيها بشتى أساليب الاضطهاد ، مدة تزيد على ثلاثة قرون . فكان من الطبيعي أن يخاطب المبشرون الناس باللغة الدارجة بينهم ، لا باللاتينية الأدبية التي كانت شبه غريبة عليهم .

ومما يجب ملاحظته في هذا الشأن ، ان المذهب الكاثوليكي الذي نشأ في ايطاليا ، وانتشر منها الى غرب أوروبا ، كان يلقي مهمة تلاوة الكتاب المقدس على عواتق رجال الدين وحدهم . وما كان يفرض ذلك على سائر الناس بوجه من الوجوه . ولهذا السبب لم تؤثر لغة الانجيل في كلام الناس تأثيراً يذكر ، بل بقيت اللغة المذكورة كلغة خاصة برجال الدين .

حتى ان المجمع الديني الذي انعقد في مدينة « تور » سنة ٨١٤ ، اتخذ قراراً صريحاً في هذا الشأن : فأوصى بـ « تفهيم كلام الله الى الناس ، باللغات التي درجوا عليها » .

ولذلك نستطيع أن نقول : إن الكنيسة المسيحية احتفظت باللاتينية الأدبية لنفسها ، ونشرت بين الناس اللاتينية العامية وحدها .

ومن المعلوم أن فكرة « وجوب تلاوة الانجيل من قبل جميع الأفراد » لم تظهر الى عالم الوجود إلاّ بعد ظهور البروتستانتية ، في القرن السادس عشر للميلاد . ولكن ، حتى ذلك التاريخ ، كانت فروع اللاتينية قد تباعدت عن أصلها كثيراً ، وكوّنت عدة لغات أدبية راقية جداً . كما أن اللغات الجرمانية أيضاً ، كانت خرجت عن أطوار البدائية ، وأنتجت آثاراً أدبية هامة . ولهذا السبب ، نجد أن « فكرة وجوب قراءة الانجيل من قبل جميع الناس » اقترنت بفكرة « ترجمة الانجيل الى اللغات الدارجة بين الناس » وهذه الفكرة استوجبت

– على الفور – ترجمة الإنجيل الى الألمانية والفرنسية والانجليزية ... ولهذا السبب ، فقدت اللاتينية – بعد ظهور البروتستانية – الشيء الكثير من مكانتها ، حتى بين رجال الدين أنفسهم .

وخلاصة القول : ان الكنيسة المسيحية « حافظت » على اللاتينية الأدبية ، إذ نشرتها بين رجالها ، ولكنها لم تعمل على نشرها بين الناس ، فتركت بذلك أمام اللغات واللهجات العامية ، مجالاً واسعاً للتنوع والتفرع والانتشار .

* * *

يتبين من كل ما سبق : أن سلسلة طويلة ومعقدة من الأحداث والعوامل التاريخية – السياسية والاجتماعية والفكرية – تضافرت على تفريع اللغة اللاتينية الى فروع كثيرة ، وأدت الى تباعد هذه الفروع بعضها عن بعض من ناحية ، وعن اللاتينية الأصلية من ناحية أخرى .

وخلال هذه الأحداث – التي بدأت قبل الميلاد ، واستمرت حتى القرن الثاني عشر للميلاد – تغايرت وتخالفت اللغات الرومانية التي تكونت على أراضي كل من فرنسا وايطاليا واسبانيا ، كما أنها تشعبت الى عدد كبير من اللهجات .

وهذه اللغات واللهجات وصلت الى أقصى حدود التعدد والتنوع خلال القرون الوسطى ، من جراء تأسس النظم الاقطاعية في مختلف أنحاء البلاد ، وتفشي الأمية بين الخواص فضلاً عن العوام ، وتضاؤل الاتصال بين مختلف المقاطعات ، وانطواء المدن على نفسها حول القصور المحصنة التي شيدت في كل الجهات ...

* * *

تكوّن اللغة الفرنسية

ولكن ... بعد عهود التفرع والتجزؤ التي استمرت بهذه الصورة مدة تزيد على عشرة قرون، حدثت أحداث سياسية واجتماعية وفكرية أخرى، عملت عكس ما عملته الأحداث السالفة، فأدت الى «توحّد» اللغات واللهجات، حول مراكز عديدة، بصورة تدريجية.

إني لا أرى لزوماً الى تتبع «تيارات التوحد» التي أخذت ترتسم في جميع البلاد اللاتينية، بعد أدوار التجزؤ التي استعرضتها وشرحتها آنفاً. بل سأكتفي بذكر ماحدث في فرنسا وحدها. وذلك لأن اللغة الفرنسية معلومة في البلاد العربية أكثر من سائر اللغات اللاتينية. كما أنها أشد اللغات الرومانية تباعداً عن اللاتينية الأصلية. فأعتقد لذلك، أن «الأحداث والعوامل الموحّدة» التي سنلاحظها من تاريخ تكوّن اللغة الفرنسية وتطورها ستغنينا عن تتبع ما حدث في سائر اللغات الرومانية، بالنسبة الى الغاية التي نرمي اليها من بحثنا هذا.

— ١ —

يجمع علماء اللغة اللهجات الرومانية التي نشأت فوق أراضي فرنسا الحالية، في صنفين أساسيين: اللهجات الشمالية واللهجات الجنوبية؛ ويسمون الأولى باسم «لهجات الأويل» والثانية باسم «لهجات الأوك»، وذلك بالنسبة الى الكلمة التي تستعمل في كل منها مقابل كلمة «نعم» العربية: «اويل» في الشمال، و «اوك» في الجنوب.

اللغة الفرنسية تمثل أرقى الدرجات التي وصلت اليها لهجات الأويل، والبروفنسية تمثل أرقى لهجات الأوك. والفرق بين الاثنين كبير جداً، إذ يقول العالم اللغوي المشهور «ميه» انه يعادل الفرق الموجود بين اللغة الاسبانية وبين اللغة

الايطالية . وطبيعي ان هذا الفرق الكبير لا يترك مجالاً للتخاطب والتفاهم بين أصحاب اللغتين دون دراسة خاصة أو وساطة ترجمان .

وأما سبب حدوث هذا الاختلاف الكبير ، فيعود الى الاختلاف في «نسبة تأثير» كل من اللاتينية والجرمانية في شمال فرنسا وجنوبها .

فان أقاليم فرنسا الجنوبية كانت قد تأثرت من اللاتينية أكثر من تأثر الأقاليم الشمالية بها .

لأنها كانت تَرَوْمَنَتْ وتلتنت قبل الأقاليم الشمالية ، كما أن صلاتها بروما وبالرومان ظلت على الدوام أشد وأوثق من صلات الأقاليم الشمالية بها .

وبعكس ذلك ، ان تأثر الأقاليم الجنوبية باللغات الجرمانية ، كان أضعف من تأثر الأقاليم الشمالية بها . لأن القبائل الجرمانية التي استولت على فرنسا واستوطنتها كانت أكثر كثافة في الأقاليم الشمالية منها في الأقاليم الجنوبية .

ولهذه الأسباب اختلفت اللغة الفرنسية التي نشأت في شمال فرنسا عن البروفنسية التي نشأت في جنوبها اختلافاً كبيراً ، كما أنها تباعدت عن اللاتينية الأصلية ، أكثر من تباعد البروفنسية بوجه خاص ، ومن تباعد سائر اللغات الرومانية بوجه عام .

* * *

ان اللهجة التي انحدرت منها اللغة الفرنسية كانت في بادئ الأمر لهجة خاصة بالمنطقة التي تحيط بمدينة باريس الحالية ، والتي تعرف باسم «جزيرة فرنسا Ile de France» ويسمي الباحثون هذه اللهجة باسم الـ Francien تمييزاً لها عن الـ Français التي تكونت فيما بعد ، نتيجة تطورات عديدة .

ومن المعلوم أن المنطقة المذكورة صارت مهداً للأسرة التي أسست المملكة الفرنسية . ولذلك اكتسبت لهجتها مكانة سياسية وأدبية خاصة ، فأخذت تتغلب على اللهجات الأخرى تبعاً لتوسع نطاق حكم الأسرة المذكورة .

وقد جرى هذا التوسع بصورة تدريجية : فان المقاطعات المختلفة صارت تنضم الى «مملكة فرنسا» الواحدة بعد الأخرى ، تارة عن طريق الحرب والفتح ، وطوراً عن طريق الصداق والميراث ، وذلك من جراء زواج ملوك فرنسا وأمرائها بأميرات المقاطعات المختلفة . وكلما دخلت مقاطعة من المقاطعات تحت حكم المملكة الفرنسية كانت تدخل في الوقت نفسه تحت تأثير اللغة الفرنسية . وكانت اللغة المذكورة تتغلب بهذه الصورة على اللهجات المحلية ، أولاً في المدن ، ثم في القرى والأرياف المحيطة بها ، بصورة تدريجية .

إن تغلب وانتشار الفرنسية ، قد تمّ بسهولة نسبية في مناطق لغات الاويل ، ولكنه تأخر كثيراً في مناطق لغات الاوك .

وذلك لأن «التوحد الإداري والسياسي» في الأقسام الشمالية من فرنسا – وعلى وجه التحديد : في الايالات التي تقع شمال نهر اللوار – قد سبق توحد سائر أقسامها مدة قرون عديدة . فان ايالات بروفنس الجنوبية لم تنضم الى مملكة فرنسا إلا في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد . ومن الطبيعي أن بقاء تلك الايالات خارج حكم المملكة الفرنسية أدى الى بقاء لغاتها مصونة من سيطرة اللغة الفرنسية مدة طويلة .

وفضلاً عن ذلك ، فان الفرنسية كانت من جملة لغات الاويل ، وشديدة القرابة بها . وذلك كان يسهل على الناس تعلمها ، وتحولهم عن لهجاتهم الأصلية اليها .

في حين أن سكان المناطق الجنوبية ما كان يمكن أن يتعلموا الفرنسية ، ويتحولوا من لغاتهم الأصلية اليها ، إلا ببذل جهود كبيرة ، لبعد لهجاتهم عن الفرنسية .

* * *

ومن الغريب أن اللغة البروفنسية قد نمت وازدهرت قبل ازدهار الفرنسية ، والأدب البروفنسي اشتهر قبل اشتهار الأدب الفرنسي ، لأن الفنانين الذين عرفوا باسم الـ « تروبادور » كانوا ينظمون أشعارهم ويلحنونها ، ويغنونها ، باللغة البروفنسية .

ولكن حرمان تلك البلاد من حكومة مركزية قوية ، ولا سيما تعرضها الى الحروب الدينية الدموية كان من العوامل التي حالت دون استمرار هذا الازدهار .

إذ من المعلوم أن مذهباً جديداً كان قد انتشر في جنوب فرنسا ، وصار سبباً لاختلاف الناس في أمره اختلافاً عنيفاً . وقد اعتبر البابا هذا المذهب الجديد من البدع التي تجب محاربتها ، فأعلن على أصحابها حرباً صليبية خاصة ، عرفت باسم « صليبية الآلبيجوا » . والحروب الدينية التي نجمت عن ذلك صارت سبباً لإفناء جماعات كبيرة من السكان ولتدمير عدد غير قليل من المدن والقرى ، وأشاعت الفاقة والفوضى في كل الجهات .

وبطبيعة الحال ، تأثر الأدب في هذه الحروب الأهلية والفوضى الكلية ، تأثراً شديداً ، فانقطع عن النمو والازدهار .

وفضلاً عن ذلك ، فقد انتهت سلسلة تلك الأحداث ، الى انضمام البلاد الى مملكة فرنسا : وكان ذلك سنة ١٤٨١ .

ومنذ ذلك التاريخ دخلت البروفانس أيضاً تحت سيطرة اللغة الفرنسية ، وأخذت اللغة الفرنسية تنتشر هناك أيضاً .

— ٢ —

وخلال هذه القرون العديدة ، كانت الفرنسية خرجت من طور « اللغة العامية » وتحولت الى لغة كتابة وأدب .

ثم أخذ هذا الأدب يزدهر بعد بدء عصر النهضة والانبعاث . ولا سيما

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر للميلاد ، حيث نشأ ونبغ طائفة من الأدباء العظام ، الذين كتبوا وألفوا بها مجموعة كبيرة من الآثار الخالدة .

وغني عن البيان ان اللغة الفرنسية اكتسبت من هذه الآثار الأدبية مكانة معنوية سامية انضمت الى مكانتها السياسية ، فزادتها تأثيراً وسلطة على كلام الناس .

ولذلك صارت الفرنسية الأدبية ، تتغلغل بين مختلف طبقات الناس وتطارد اللهجات العامية ، فتحتل مكانها ، الواحدة بعد الأخرى ، أولاً في المدن ، ثم في الأرياف .

* * *

ولكن ، يجب أن لا يذهب بنا الظن إلى أن نتوهم أنه عند قيام هذا الأدب الراقي ، اندثرت جميع اللهجات الرومانية وغير الرومانية التي كانت دارجة في مختلف أنحاء البلاد الفرنسية ، فلم يبق في فرنسا أي فارق بين لغة الكتابة ولغة الكلام .

إذ من المؤكد ـ بعكس ذلك ـ انه في عصر الأدب الكلاسيكي الزاهر ، وفي خلال القرن الثامن عشر ، كان معظم الفرنسيين يرطنون لهجات كثيرة ، تختلف عن اللغة الأدبية بخصائص عديدة .

حتى ان قضية اللغات واللهجات استرعت اهتمام رجال الثورة العظمى ، في أواخر القرن الثامن عشر ، وحملتهم على التفكير بها تفكيراً جدياً ، انتهى بهم الى اتخاذ تدابير عديدة لمعالجة مشكلتها معالجة مثمرة .

كان الراهب غريغوار قدم الى مجلس الثورة سنة ١٧٩٠ تقريراً مسهباً عن حالة اللغة الفرنسية ، وكان مما قاله في التقرير المذكور :

« اننا نستطيع أن نؤكد ـ دون مغالاة ـ بأن نحو ستة ملايين من الفرنسيين ـ ولا سيما في الأرياف ـ لا يعرفون شيئاً عن اللغة القومية . وعدداً لا يقل عن ذلك ـ إذا عرفوا شيئاً منها ـ فإنهم لا يستطيعون أن يواصلوا التحدث بها » .

هذا ، ولكي نقدر دلالة هذه الأرقام حق قدرها ، يجب أن نلاحظ أن مجموع سكان فرنسا في ذلك التاريخ ، كان نحو خمسة وعشرين مليوناً على أكثر تقدير . ويفهم من ذلك : ان نصف سكان فرنسا ما كانوا يتكلمون بالفرنسية .

وفضلاً عن ذلك ، فقد أضاف التقرير الى ما سبق وذكرناه العبارات التالية :

« والذين يحسنون التكلم بها بفصاحة لا يتجاوزون الثلاثة ملايين . وأما الذين يستطيعون كتابتها على وجه الصحة ، فهم أقل من ذلك أيضاً » .

ان الراهب غريغوار – مثل سائر رجال الثورة – رأى أن هذه الحالة لا يجوز أن تدوم :

« لأن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظف أمام جميع المواطنين . ولكن تسليم زمام الإدارة الى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية ، يؤدي الى محاذير كبيرة . وأما ترك هؤلاء خارج ميادين الحكم والإدارة ، فيخالف مبدأ المساواة . فيترتب على الثورة – والحالة هذه – أن تعالج هذه المشكلة معالجة جدية ، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية ، ونشر اللغة الافرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين . »

وفضلاً عن ذلك ، فقد رأى جماعة من رجال الثورة – وعلى رأسهم تاليران – أن اللهجات واللغات المحلية انما هي من مخلفات عهود الانحلال والإقطاع ، فقالوا بوجوب محاربتها من هذه الوجهة أيضاً .

من المعلوم ان الايالات المختلفة في فرنسا ، كانت تتمتع – حتى عهد الثورة العظمى – بامتيازات كثيرة ومتنوعة ، وذلك حسب الظروف الخاصة التي كانت أحاطت بانضمام كل واحدة منها الى المملكة الفرنسية ، في تواريخ مختلفة .

فقد رأى رجال الثورة ضرورة إزالة هذه الامتيازات ، لإتمام وحدة البلاد . فاجتمع ممثلو الايالات سنة ١٧٩٠ – ، وأعلنوا تنازلهم عن جميع الحقوق والامتيازات الباقية من نظم الاقطاع البائدة ، وسارع رجال الثورة إلى تغيير

التقسيمات الإدارية تغييراً جوهرياً ، وتنسيقها وفق أسس جديدة تماماً ، لكي يزيلوا معالم الاقطاعيات السابقة من خريطة البلاد .

وكانت اللهجات في نظر رجال الثورة ، من جملة مخلفات الاقطاع ، فكان من الواجب القضاء عليها أيضاً .

ولكن اللهجات لا يمكن أن تزال في حملة واحدة ، بقرارات تتخذها الحكومة ، أو ببيانات تصدرها المجالس التمثيلية ، مثل التي ألغت الامتيازات المحلية وغيرت التقسيمات الإدارية . بل ان زوال اللهجات ، يتطلب عملاً متواصلاً ، يستمر عدة أجيال . ولذلك دعا مجلس الثورة جميع الناس الى الاهتمام بهذا الأمر . وذلك ببيان أصدره بتاريخ ١٥ شهر المراعي (بريريال) من السنة الثانية من تقويم الثورة .

فقد جاء في البيان المذكور ما يلي :

« أيها المواطنون ،

فليدفع كلاً منكم تسابقٌ مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا » لأن « تلك اللهجات إنما هي من بقايا عهود الاقطاع والاستعباد » .

* * *

كانت اللغة الفرنسية الخالصة تنتشر في مختلف أنحاء فرنسا ، وتطارد اللهجات المحلية الدارجة فيها ... ـ حتى التاريخ المذكور ـ بحكم الأحداث والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ... دون أن يكون هناك خطة مرسومة وسياسة مقررة ، لتسريع هذا الانتشار وتسهيل تلك المطاردة .

ولكن بعد الثورة الكبرى ، ـ وعقب صدور البيان الآنف الذكر ـ أخذت الدوائر الحكومية والهيئات العلمية ، تبذل شتى الجهود لنشر اللغة الفصحى ، وتغليبها على اللهجات العامية ، وفق خطط مرسومة وبوسائل مقصودة . ولذلك صارت الأمور المذكورة تجري بسرعة كبيرة .

عندما أقرت الثورة مبدأ « التعليم الالزامي العام » ، رأى رجال الفكر أن تكون مكافحة اللهجات المحلية والعامية من جملة أهداف التعليم بوجه عام .

وعندما قرروا مبدأ « الخدمة العسكرية العامة » رأوا أن تقوم « الحياة العسكرية في الثكنات وفي خدمة العَلَم » بعمل متمم ومكمل لعمل المدارس في هذا المضمار .

وتلت ذلك سلسلة أحداث وأعمال خدمت الغاية نفسها ، وساعدت على نشر اللغة الفصحى ، ورفع لغة الكلام الى مستوى لغة الكتابة ، بين جميع الطبقات .

إن تقدم وسائل النقل والمواصلة ، وتغلغلها في جميع أنحاء البلاد ، ونفوذها الى أنأى القرى والجبال ... وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية تطوراً يزيد في اختلاط الناس بعضهم ببعض ويقضي على حياة الانعزال من جميع الجهات ... وازدهار الصحافة وانتشارها ... ونشاط التشكيلات والتأسيسات التي تهدف الى تعليم الراشدين وتثقيفهم ... والاجتماعات الانتخابية ، وأعمال المجالس التمثيلية المحلية والهيئات النقابية ... والمهرجانات الأدبية والتاريخية ... كلها كانت من جملة العوامل التي أثرت في انتشار الفصاحة تأثيراً كبيراً .

وغني عن البيان أن السينما والإذاعة .. انضمت الى العوامل المذكورة أخيراً ، وصارت تساعد على تعميم اللغة الفصحى مساعدة كبيرة .

* * *

فاذا قيل لنا الآن : « لا فرق بين لغة الكلام ولغة الكتابة في فرنسا » وجب أن نعلم العلم اليقين بأن ذلك إنما تم بفضل الأحداث التي توالت منذ مدة تزيد على ثمانية قرون ، ولا سيما بفضل الجهود الجدية التي بذلت ـ ولا تزال تبذل ـ ، والتدابير الفعالة التي اتخذت ـ ولا تزال تتخذ ـ ، منذ بدء حملة الثورة الكبرى على اللهجات العامية .

ومع هذا كله ، يجب أن نلاحظ بأن القول بأنه « لا يوجد في فرنسا فرق

بين لغة الكتابة ولغة الكلام » لا يخلو من المغالاة ، فان ذلك ، إذا كان صحيحاً بالنسبة الى معظم المدن والقصبات الكبيرة ، فانه بعيد عن الصحة بالنسبة الى كثير من القرى في بعض الايالات .

فانه من الثابت بأن هناك ملايين من الفرنسيين لا يزالون في طور « ثنائية اللغة » ، فانهم يتكلمون في بيوتهم ، ولا سيما مع العجائز والجدات ، بلهجات عامية ولغات خاصة ، وإن كانوا يتقنون الفرنسية الفصحى ، ويتكلمون بها خلال اتصالاتهم الخارجية .

فاللهجات العامية في فرنسا لم تندثر تماماً ، وان كانت قد تضاءلت كثيراً .

فأرى أن أشير هنا الى بعض الأمثلة التي صادفتها خلال مراجعة مصادر بحثي هذا :

فان هناك جماعات تقول J'avons عوضاً عن J'ai ، وذلك قياساً على قولهم nous avons .

ومن يقول il ta té في مقام il a été .

ومن يلفظ كلمة الـ rouge على شكل rouche .

ومن يقول remettez - vous في مقام asseyez - vous .

ومن يسمي الحديقة courtile عوضاً عن jardin .

ومن يقول J'espère tel بمعنى J'attends tel ...

كل هذا ، على الرغم من جميع الأحداث والعوامل التي ذكرناها آنفاً ، وعلى الرغم من جميع الجهود التي بذلت منذ أجيال عديدة .

* * *

ويتبين من كل ماسبق :

ان رجال الفكر والسياسة في فرنسا لم يقولوا : فلندع الناس يتكلمون باللهجات التي ألفوها ، بل قالوا : يجب أن نقضي على هذه اللهجات .

ورجال القلم والأدب لم يقولوا : فلنكتب باللهجات الدارجة بين الناس ؛
بل قالوا : لنسع الى رفع لغة الحوار والكلام الى مستوى لغة الكتابة والأدب ...
وإلا ... لما تقدمت اللغة الفرنسية تقدمها المعلوم ،
ولا كتبت الآثار الكلاسيكية الخالدة ...
ولا ظهر الى عالم الوجود شيء من الأدب المعاصر الزاهر ...

الفوارق الأساسية

بين تاريخ اللاتينية وتاريخ العربية

— ١ —

بعد ما استعرضت وشرحت الأحداث والعوامل التي تضافرت على تفريع اللغة اللاتينية الى فروع كبيرة ، وعلى تبعيد هذه الفروع بعضها عن بعضها من ناحية ، وعن اللاتينية الأصلية من ناحية أخرى ...

أعتقد بأن القراء قد أدركوا على الفور الفوارق العظيمة التي ميزت تاريخ اللغة العربية عن تاريخ اللغات اللاتينية ، من وجهة هذه العوامل والأحداث :

ا — فان اللغة العربية بعد أن استقرت في العالم العربي الحالي ... لم تتعرض الى هجمات وغزوات لغات جديدة ، كما تعرضت اليها اللغات الرومانية ، من جراء استيلاء القبائل الجرمانية واستيطانها مختلف أنحاء البلاد .

ب — ان البلاد العربية لم تبتل بتفتت سياسي واداري واقتصادي ، مثل الذي ابتليت به البلاد الرومانية في عصور الاقطاع الطويلة .

ج — ان الأمية المطلقة لم تتفش في البلاد العربية في وقت من الأوقات ، بقدر ما تفشت في العالم الغربي خلال العصور الآنفة الذكر .

د — ان البلاد العربية لم ينعزل بعضها عن بعض انعزالاً يشبه الانعزال الذي حصل في البلاد الرومانية . بل ظل الاتصال بين مختلف أقطارها قائماً ،

بفضل القوافل التجارية التي لم تنقطع عن الازدهار من ناحية ، وقوافل الحج التي ظلت تنقل جماعات كبيرة من المسلمين كل سنة ، من مختلف أنحاء البلاد الى الحجاز من ناحية أخرى .

هـ — ان الديانة الاسلامية التزمت العربية الفصحى التزاماً تاماً ، وظلت تساندها وتؤازرها دون انقطاع ، ولم تتخلَّ عنها للهجة من اللهجات ، في وقت من الأوقات .

* * *

ولهذه الأسباب الأساسية كلها ، اختلف مصير اللغة العربية عن مصير اللاتينية اختلافاً كلياً .

فان الأحداث والعوامل التي ذكرناها آنفاً قد تضافرت على إدامة حياة اللغة العربية ، في حين أن العوامل التي أحاطت باللغة اللاتينية انتهت الى إقصائها عن ميدان الاستعمال ، وجعلتها تنتقل الى عالم الأموات ، بعد أن أنجبت « اللغات اللاتينية » المعلومة الآن .

— ٢ —

ولإزالة جميع الشكوك التي قد تساور بعض الأذهان ، أرى من المفيد أن أوضح أهمّ الفوارق التي ذكرتها آنفاً ، بشيء من التفصيل :

* * *

ا — لقد قلت : ان اللغة العربية — بعد ان استقرت في العالم العربي الحالي — لم تتعرض الى غزوات أخرى ، كالتي تعرضت اليها اللغات الرومانية ، من جراء استيلاء القبائل الجرمانية ، واستيطانهم في مختلف أنحاء البلاد .

في الواقع ان عدة أسر مالكة غير عربية استولت على زمام الحكم في مختلف البلاد العربية ، في تواريخ مختلفة . الا أن حكم تلك الأسر المالكة لم يتم

بفضل جماعات كبيرة من بني قومهم ، ولم تترافق باستيطان عدد كبير من تلك الجماعات ، ولذلك لم تلبث تلك الأسر المالكة أن استعربت ، فتبنت لغة البلاد .

ولم يشذ عما قلناه آنفاً إلا أسرة مالكة واحدة ، هي أسرة بني عثمان . فانها لم تستعرب مثل سائر الأسر المالكة ، لأن عاصمة ملكها كانت ـ وظلت ـ خارج البلاد العربية . ونستطيع أن نقول : إنها حكمت البلاد العربية ـ وظلت تحكمها ـ من الخارج ، عن بعد منها . وفضلاً عن ذلك ، فان لغتها كانت ضعيفة جداً بالنسبة الى اللغة العربية ، ولهذا السبب تأثرت منهـا ، أكثر بكثير مما أثرت فيها . فتأثير لغة بني عثمان في اللغة العربية ظل محدوداً ، على الرغم من استمرار حكمها مدة تقرب من أربعة قرون .

ولا نغالي إذا قلنا : إن تأثيرها الأساسي لم يتجاوز كثيراً أمر تأخير نهضة الأدب ، من جراء عدم وجود دولة عربية تشجع الأدب العربي ، وتهيء له وسائل التقدم والنهوض .

☆ ★ ☆

ب ـ وقلت : ان البلاد العربية لم تبتل بتشتت وتفتت يماثل أو يقارب ما ابتليت به البلاد الغربية خلال العهود الاقطاعية .

في الواقع ان البلاد العربية أيضاً فقدت « الوحدة السياسية » ، وانقسمت الى دول ودويلات عديدة ، إلا أن عدد هذه الدول والدويلات ظل محدوداً . ولم يصل الانقسام السياسي في العالم العربي ـ حتى في أسوأ عهود « ملوك الطوائف » ولو من بعيد ـ الى درجة التفتت التام الذي حدث في العالم الغربي ، حيث أصبحت كل مقاطعة ـ وكل مدينة تقريباً ـ مستقلة ومنطوية على نفسها .

☆ ☆ ☆

ج — وقلت : ان الديانة الإسلامية التزمت العربية الفصحى كل الالتزام ، ولم تتخلَّ عنها للهجة من اللهجات العامية ، في يوم من الأيام ٠

وذلك لأنها لم تعهد بمهمة تلاوة القرآن الى أئمة المساجد وخطباء الجوامع وحدهم — كما فعلته الديانة المسيحية في العالم الروماني — ، بل فرضت ذلك على كل مسلم ومسلمة ٠ فصار لزاماً على كل فرد أن يتلو طائفة من الآيات القرآنية ، كل يوم ، خلال الصلوات الخمس ٠

حتى خلال الصلوات التي تؤدى بالجماعة ، يترتب على كل فرد مؤتم بأحد المصلين ، أن يستمع الى ما يتلوه الإمام جهراً من ناحية ، وأن يتلو — بعد ذلك — هو بنفسه سراً آيات أخرى من ناحية ثانية ٠

إن هذه الأحكام الدينية استوجبت إنشاء مدارس وكتاتيب كثيرة لتعليم القرآن — قراءة وحفظاً — الى جميع الأطفال ٠ وهذه المدارس والكتاتيب عمت جميع أنحاء البلاد ، ولم تنقطع عن العمل ، حتى في أسوأ عصور الانحطاط ٠

وكل ذلك ، حال دون انقطاع صلة العرب بالعربية الفصحى ، بل ظل يذكرهم بها ، ويوصلهم اليها ، على الدوام ، عن طريق السماع المستمر ، والتلاوة المتتالية ٠

ونستطيع أن نقول : ان فكرة « التعليم العام » التي ظهرت في العالم الغربي مع ظهور البروتستانتية في القرن السادس عشر للميلاد ، كانت قد تولدت في العالم العربي منذ ظهور الإسلام ٠ وصارت تنفذ فيه بصورة فعلية وبمقياس واسع ، منذ القرن الأول للهجرة ٠

ولذلك عَمَّ تعليم القرآن في جميع الجهات بسرعة كبيرة ٠

ومن المعلوم أن لغة القرآن ، هي اللغة العربية الفصحى ٠

* * *

ومما تجب ملاحظته في هذا المضمار أن الكنائس المسيحية في البلاد العربية ، هي أيضاً انتهت الى التزام العربية الفصحى ، فان الكنائس الشرقيـة جعلت العربية لغة الصلوات والمواعظ منذ قرون عديدة . كما ان البروتستان أيضاً اعتمدوا ترجمة الانجيل الى اللغة العربيـة . والكنيسة الارثوذكسية كذلك ، جعلت العربية لغة الطقوس والصلوات والمواعظ ، بعد أن تخلصت من ربقة اليونانية .

ولهذه الأسباب العديدة ظل اتصال العرب باللغة الفصحى اتصالاً وثيقاً ، فلم يترك مجالاً لتباعد لغة الكلام عن لغة الكتابة تباعداً كبيراً .

والفوارق بين لغة الكلام ولغة الكتابة – بين العامية والفصحى – ، لم تتعد قط حدود فوارق اللهجات ، التي لا تحول دون تفاهم أصحابها ، بشيء يسير من الجهد والانتباه .

واذا كان الناس ، لا يتكلمون الآن بالعربية الفصحى ، فانهم لا يعجزون عن فهمها ، ولو كانوا أميين .

فضلاً عن ذلك ، اننا نلاحظ ان اللغة الفصحى صارت تزداد تأثيراً ونفلباً على اللهجات العامية شيئاً فشيئاً ، منذ بدء النهضات الفكرية والقومية في مختلف الأقطار العربية . حتى ان التقدم في هذا المضمار أصبح يظهر الى العيان – ويلمس لمس اليدين – حتى خلال عقد واحد من السنين . وهذا على الرغم من عدم وجود خطة موضوعة لمكافحة العامية ونشر الفصحى بصورة منتظمة فعالة .

إن اللغة الفصحى ، هي الآن لغة القراءة والكتابة والدرس ، في جميع المدارس والمعاهد العربية ، التي صارت تعد بعشرات الآلاف والتي تجمع كل يوم عدة ملايين من التلاميذ والطلاب .

والجرائد اليوميه تصدر – في جميع الأقطار العربية – باللغة الفصحى . ومن المعلوم أنها تطبع كل يوم مئات الآلاف من النسخ ، تتداولها أيدي الملايين من القراء ، من مختلف الطبقات .

فلا يجوز ـ والحالة هذه ـ تشبيه العربية الفصحى باللاتينية ، بوجه من الوجوه .

انها استطاعت أن تتغلب الى الآن على جميع عوامل البلبلة التي تألبت عليها خلال عصور الانحطاط الطويلة . فلم تفقد نسغ الحياة ، حتى في عهود حكم الأجنبي القاسي ، وعصور الاستعمار الخانق .

فلا يمكن أن تفقد حيويتها بعد الآن ، فيخطيء من يظن أنها ستنقطع عن النمو والازدهار في عصور النهضة وعهود الاستقلال ، و ... لا سيما .. بعد بزوغ فجر الاتحاد .

انها لا تزال حية ونامية ، ولا شك في أنها ستزداد نمواً في مستقبل الأيام ، وستصبح أشد حيوية مما هي الآن ....

ساطع الحصري

الاصطلاحات الفلسفية

– ٥ –

الالتزام والإلزام

في اللاتينية Obligatio

في الفرنسية Obligation

في الانكليزية Obligation

التزم الشيء بمعنى لازمه ، والتزم فلاناً اعتنقه ، والتزم العمل أو المال أوجبه على نفسه ، والتزم الشيء أثبته وأدامه ، وألزمه المال والعمل أو بالمال والعمل أوجبه عليه ، ويقال ألزمت خصمي أي حججته .

وللالتزام في اصطلاح الفلاسفة عدة معان :

١ – الالتزام هو الرابطة الحقوقية التي بها يكون فعل الشيء أو عدم فعله واجباً على الشخص تجاه الآخر . فهو إذن علاقة حقوقية بين شخصين يسمى أحدهما بموجبها دائناً والآخر مديناً . فاذا نظرت الى هذه العلاقة من جهة الدائن كانت إلزاماً ، لأن من حق الدائن أن يلزم المدين بوفاء المال الذي أقرضه إياه ، واذا نظرت اليها من جهة المدين كانت التزاماً ، لأن المدين يلتزم أي يوجب على نفسه وفاء الدين في أجله . فالدائن إذن مُلْزِمٌ ، والمدين مُلْتَزِمٌ ، والدَّين ملزوم . ولكن أكثر علماء الحقوق ينظرون الى هذه العلاقة من جهة المدين وحده ، لأن المدين في نظرهم هو المثقل بحمل الالزام ، لا بل هو الملتزم وفاء الدين عند استحقاقه .

٢ — الإلزام الخلقي ، وهو لا ينشأ عن عقد ، بل ينشأ عن طبيعة الانسان من حيث هو قادر على الاختيار بين الخير والشر . فما كان فعله أو عدم فعله ممكناً من الناحية المادية ، ثم وجب حكمه من الناحية الخلقية ، كان الزامياً ، بمعنى ان الشخص لا يستطيع أن يتهاون في فعله أو عدم فعله دون أن يعرض نفسه للخطأ واللوم .

وفرقوا بين الضرورة الطبيعية والضرورة الخلقية ، فقالوا ان الضرورة الطبيعية سارية في الأشياء ، لا بل هي نظام مستقر في الحوادث اضطراراً ، متحد بطبيعتها . أما ضرورة القوانين الخلقية فهي ضرورة مثالية ، ولها نظام مثالي أعلى من نظام الحوادث يفرضه العقل على الطبيعة ويوجب على الإنسان تحقيقه ، وإن كان غير موجود بالفعل .

ثم إن الإلزام اذا كان مطلقاً كالأمر المطلق (Impératif Catégorique) الذي تكلم عليه (كنت) كان له بحرية الاختيار علاقة وثيقة ، لأنه لا معنى للأمر المطلق إذا كان سلوك الانسان نتيجة لطبيعته . أضف الى ذلك أن الحرية ليست قسراً ولا عدم مبالاة ، وإنما هي حكم ذاتي . فالإلزام هو إذن قانون الحرية ، ولا معنى له إلا إذا أوجب الانسان على نفسه فعل الشيء أو عدم فعله ، من ذاته وبملء حريته . ولكن إذا كان الإلزام صورة خاصة من صور القسر الاجتماعي أمكن الجمع بينه وبين الحتمية الفلسفية ، لأنه يقوم في هذه الحالة على عوامل وبواعث تحدد حرية الإرادة .

الإلحاد

في الفرنسية Athéisme

في الانكليزية Atheism

[أصل كلمة (Athée) يوناني وهي مولفة من (a) النافية و (théos) الإله ومعناها بحسب الاشتقاق إنكار وجود الله] .

الإلحاد في اللغة العربية الميل عن القصد والعدول عن الشيء ، يقال ألحد في الدين ولحد أي حاد عنه وطعن فيه ، وألحد ترك القصد فيما أمر به ومال الى الظلم ، وألحد في الحرم استحلّ حرمته وانتهكها . والإلحاد الكفر ، والشك في الله . والملحد العادل عن الحق ، المدخل فيه ما ليس فيه ، والملحد أيضاً الكافر ، والملاحدة فرقة من الفلاسفة يسمّون بالدهريين وبالدهرية ، ذهبوا إلى قدم الدهر واسناد الحوادث اليه كما ذهبوا الى ترك العبادات رأساً لأنها لا تفيد ، وانما الدهر بما يقتضيه مجبول من حيث الفطرة على ما هو الواقع فيه ، فما ثم إلا أرحام تدفع ، وأرض تبلع ، وسماء تقلع ، (كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي) . فهم قد أنكروا الصانع المدبر ، العالم القادر ، وزعموا أن العالم لم يزل موجوداً ، كذلك بنفسه وبلا صانع (الغزالي ، المنقذ من الضلال ص ٨٤ من الطبعة الثانية) .

والإلحاد في اصطلاحنا هو انكار وجود الله ، ولكن الناس يطلقون هذا اللفظ تارة على إنكار وجود الله ، وتارة على إنكار علمه وعنايته أو قدرته وإرادته ، ويكفي أن ينكر المرء أصلاً من أصول الدين أو اعتقاداً من الاعتقادات المألوفة أو رأياً من الآراء الشائعة حتى يتهم بالإلحاد . فسقراط اتهم بالإلحاد ، وحكم عليه بالموت بالرغم من قوله بوجود إله واحد ، وكذلك أفلاطون ، وأرسطو ، وابن سينا ، وابن رشد ، وديكارت ، واسبينوزا ، وكنت ، لم يسلموا على اختلاف مذاهبهم من تهمة الإلحاد لمخالفتهم آراء أهل زمانهم . وهذا كله يدل على أن مفهوم الإلحاد يختلف باختلاف تصورات الناس واعتقاداتهم ، فاذا كان المذهب مخالفاً لاعتقاداتهم عدوه إلحاداً ، واذا كان موافقاً لها عدوه ديناً وإيماناً . فليس لهذا اللفظ إذن في التاريخ معنى محدد ثابت لاختلاف مفهومه باختلاف الزمان والمكان ، ولاختلاف حال العلماء من الجهال إذا خوطبوا بما يعزب عن أفهامهم وينبو عن أسماعهم .

وربما كان أحسن تحديد لهذا اللفظ إطلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله، لا على المذاهب التي تنكر بعض صفات الله أو تخالف معتقداً دينياً معيناً أو رأياً جماعياً مقرراً . فالفلاسفة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان للمادة وجوداً مطلقاً، وانها علة الحركة والحياة والفكر، والدهريون ملاحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنه بما فيه مبني على الاتفاق . ولكن إذا قال الفيلسوف إنّ الأجسام لا تحشر، أو قال ان الله لا يعلم الجزئيات كان كافراً بأصل من أصول الدين لا ملحداً . وكذلك إذا قال بوحدة الوجود فان هذا القول لا يستلزم إنكار وجود الله ولا يجعل صاحبه ملحداً .

وفي التاريخ أمثلة كثيرة تدل على أن العلماء الذين يأتون بالغريب وغير المألوف من الآراء يمتحنون في حياتهم ويتهمون، ويتهمون بالكفر والإلحاد والزندقة، ويكاد يكون تطور معنى الإلحاد موازياً لتطور فكرة التعصب، فكلما زاد التعصب كثر عدد الملحدين في نظر الناس، والعكس بالعكس .

الألم

في اللاتينية	Dolor
في الفرنسية	Douleur
في الانكليزية	Pain

الألم مصدر ألم يألم كعلم يعلم، وهو مقابل اللذة . والألم واللذة هما من الأحوال النفسية الأولية، فلا يعرّفان، بل إنما تذكر خواصها وشروطها دفعاً للالتباس اللفظي .

قال ابن سينا «ان اللذة هي إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك كمال وخير من حيث هو كذلك، والألم إدراك ونيل لوصول ما هو عند المدرك آفة وشر» (الإشارات، ص ١٩١)، والمراد بالإدراك العلم، وبالنيل تحقق

الكمال لمن يلتذ ، فإن التكيف بالشيء لا يوجب الألم واللذة من غير إدراك ، فلا ألم ولا لذة للجماد بما يناله من الكمال والنقص . وإدراك الشيء من غير النيل لا يؤلم ولا يوجب لذة كتصور الحلاوة والمرارة . فالألم واللذة لا يتحققان إذن بدون الإدراك والنيل . وانما قال عند المدرك لأن الشيء قد يكون كمالاً وخيراً بالقياس الى شخص وهو لا يعتقد كماليته فلا يلتذ به بخلاف ما اذا اعتقد كماليته وخيريته ، وإن لم يكن كذلك بالنسبة اليه ، وإنما قال من حيث هو كذلك لأن الشيء قد يكون كمالاً وخيراً من وجه دون وجه « كالمسك من جهة الرائحة والطعم فإدراكه من حيث الرائحة لذة ومن حيث الطعم ألم » (الكشاف للتهانوي) .

وقول ابن سينا هذا شبيه بقول (ديكارت) : اللذة هي الشعور بالكمال ، والألم هو الشعور بالنقص . وهو أقرب الى التحصيل من قولهم الألم إدراك المنافي من حيث هو مناف ، واللذة إدراك الملائم من حيث هو ملائم ، لأن الملائم بالجملة أعم من اللذة ، والألم أخص من المنافي .

ولعل أحسن تعريف للألم هو التعريف المشتمل على ذكر خواص الألم وأسبابه كتعريف (أرسطو) الذي صححه (هاميلتون) و (استوارت ميل) . فقد جاء في هذا التعريف ان اللذة تنشأ عن الفعل الموافق لطبيعة الكائن الحي ، وان الألم ينشأ عن الفعل المضاد لطبيعة الفاعل ، فالألم هو إذن نتيجة لفاعلية تزيد على قدرة الفاعل أو تقل عنها .

والألم نوعان جسماني ونفساني . فالألم الجسماني ينشأ عن احساسات جسمانية ذات مصدر محدود كاحتراق اليد ، وضرب الضرس ، ووجع العين . والألم النفساني ينشأ عن تأثير الميول والأفكار والاعتقادات والآراء ، كمن يسقط في الامتحان فيتألم لعدم بلوغه غايته ، وكمثل من يسمع بموت صديق له فيغمه خبر موته .

ومن خواص الألم الجسماني انه قد ينتشر في البدن بحيث لا يعرف مصدره فيوصف إذ ذاك بالتعب والوعك والاضطراب . ومن خواص الألم النفساني أنه قد يشتد حتى يصبح قريباً من الانفعال أو الهيجان ، فيسمى في هذه الحالة حزناً ووجوماً وشجواً وهماً وكرباً وكآبة وغماً وحرقة ولوعة .

والفرق بين اللذة الجسمانية والألم الجسماني ان اللذة الجسمانية شي كيفية نفسانية مضافة الى الاحساس ، فهي اذن احساس وكيفية في ذلك الإحساس ملائمة للنفس ، في حين ان الألم الجسماني هو إحساس من نوع خاص متميز عن غيره ، وله في البدن أعصاب خاصة تدركه ، والدليل على ذلك ان الاحساس بالألم متأخر عن الاحساس باللمس والحرارة والبرودة ، وان هناك مواد تخدر الأعصاب فتزيل الإحساس بالألم وتبقي احساس اللمس .

على ان بعض الفلاسفة لا يفرقون بين الجسماني والنفساني من الآلام إلا بحسب شروطها الخاصة ، لأن طبيعتها الأساسية في نظرهم واحدة . فلا تختلف شروط ألم الفراق عن شروط ألم الصداع إلاّ من حيث الاشتباك والتركيب . ولربما كان الوهم في اختلاف طبيعتها ناشئاً عن الاختلاف في اشتباك شروطها ، فلا فرق إذن في الماهية بين ألم اليأس وألم البثور والدمامل .

ومهما يكن من أمر فان للألم في الاصطلاح الحديث معنى محدوداً . فهو لا يدل على الحزن والكآبة ، ولا على الإحساس بالتعب والمنافي ، بل يدل على الإحساس الذي ينشأ عن خلل جسماني . وله أيضاً معنى عام يشمل الاحساس بالخلل الجسماني ، والإحساس بالمنافي والمنافر ، كما يشمل الحزن والكآبة والغم .

وهذا كله يدل على أن مدلول الألم لا يزال مشتملاً على شيء من الغموض لعدم اتفاق العلماء على اصطلاحات الحياة الوجدانية ، فبعضهم يحدد معناه فيطلقه على الاحساس بالخلل الجسماني ، وبعضهم يوسع معناه فيجعله مقابلاً للذة بوجه عام . ويمكننا أن نوضح هذا التقابل على الوجه الآتي :

التقابل بين الألم واللذة

١ ــ بالمعنى العام

في العربية :	الألم	اللذة
في الفرنسية :	Douleur	Plaisir
في الانكليزية :	Pain	Pleasure

٢ ــ بالمعنى الخاص

في العربية :	احساس الألم	احساس اللذة
في الفرنسية :	Sensation de la douleur	Sensation du plaisir
في الانكليزية :	Sensation of pain	Sensation of pleasure

٣ ــ بمعنى الملائم والمنافي

في العربية :	التعب	الارتياح
في الفرنسية :	Peine	Agrément
	Unpleasantness	Pleasantness

(Lalande, Vocabulaire technique et critique de la philosophie art. Douleur) .

والألم في نظر المتشائمين ذو طبيعة ايجابية ، وهو وحده حقيقي ، لأن الحياة في نظرهم نضال مستمر ، ورغبة غير مستقرة ، وسخط على الحاضر ، ونزوع بالآمال الى المستقبل ، فلا يظفر الانسان بلذة إلا عند نسيانه شقاء الحياة وابتعاده بأحلامه عن الواقع . وهذا كله يدل على أن الألم حقيقة الحياة ، وان اللذة لا تحصل للنفس إلا عند خروجها من الألم . قال فخر الدين الرازي : « أما الألم فلا نزاع في كونه وجوديا » ، ثم قال محمد بن زكريا : « اللذة

عبارة عن الخلاص من الألم» ، (فخر الدين الرازي : محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ، ص ٧٥ ـ ٧٦) ، وهو رأي باطل لأن الألم لا ينشأ إلا عن الرغبات التي لم تحقق والشهوات التي لم تدرك ، ولأن الفاعلية ليست بطبيعتها مؤلمة ، بل الفاعلية المعتدلة ملائمة للنفس . إذا وقع بصر الإنسان على صورة مليحة فانه يلتذ بابصارها مع انه لم يكن له شعور بتلك الصورة قبل ذلك حتى تجعل تلك اللذة خلاصاً عن ألم الشوق اليها (فخر الدين الرازي : المحصل ص ٧٦) ، اللذة والألم هما من الكيفيات النفسية الأولية ، فليست اللذة خروجاً من الألم ، ولا الألم خروجاً من اللذة ، بل اللذة والألم كلاهما وجوديان ، ولكل منهما شروط خاصة تدل على انه ايجابي . (راجع : اللذة ، والتعب ، والهيجان ، والحزن) .

الإلهام

في اللاتينية	Inspiratio
في الفرنسية	Inspiration (Révélation intérieure)
في الانكليزية	Inspiration

الإلهام مصدر ألهم ، وهو أن يلقي الله في نفس الإنسان أمراً يبعثه على فعل الشيء أو تركه ، وذلك بلا اكتساب أو فكر ولا استفاضة ، وهو وارد غيبي . ويشترط فيه أن يكون باعثاً على فعل الخير أو ترك الشر . ولذلك فسره بعضهم بالقاء الخير في قلب الغير بلا استفاضة فكرية منه . وهذا يخرج الوسوسة لأن الإلقاء من الله ، أما الوسوسة فمن الشيطان .

وقيل الإلهام ما وقع في القلب من علم ، وهو يدعو الى العمل من غير استدلال ولا نظر . وقد يراد بالإلهام التعليم كما في [illegible] تعالى : «فألهمها فجورها وتقواها» أي علمها . ولكن التعليم من جهة الله [illegible] يكون تارة بخلق

العلوم الضرورية في نفس الإنسان ، وقد يكون تارة أخرى بنصب الأدلة السمعية والعقلية . أما الالهام فلا يجب إسناده ولا استناده الى المعرفة بالنظر في الأدلة ، وانما هو اسم لما يهجس في القلب من الخواطر . فينتبه العقل من ذاته للمعنى المطلوب ويفهمه بأسرع ما يمكن ، ولهذا يقال فلان ملهم إذا كان يعرف بمزيد فطنته وذكائه ما لا يشاهده ولا يتعلمه ، ولذلك يفسر وحي النحل بالإلهام دون التعليم .

ومن الإلهامات ما يكون للانسان كالكشف الباطني الذي أشار اليه الغزالي في المنقذ من الضلال ، ومنها ما يكون للانسان والحيوان معاً كالأفعال الغريزية . قال ابن سينا : «من ذلك الالهامات الفائضة على الكل من الرحمة الإلهية مثل حال الطفل ساعة يولد في تعلقه بالثدي ، ومثل حال الطفل اذا أقل وأقيم فكاد يسقط من مبادرته الى أن يتعلق بمستمسك لغريزة في النفس جعلها فيه الالهام الالهي ، واذا تعرض لحدقته بالقذى بادر فأطبق جفنه قبل فهم ما يعرض له ، وما ينبغي أن يفعل كأنه غريزة لنفسه لا اختيار معه» (الشفاء ، الفن السادس من الطبيعيات ، طبعة براغ ١٩٥٦ ، ص ١٧٨) . وقال أيضاً : «وللحيوانات الأخرى وخصوصاً للطير صناعات أيضاً ، فانها تصنع بيوتاً ومساكن لا سيما النحل ، لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس بل عن إلهام وتسخير» (المصدر نفسه ص ٢٠١) .

والإلهام أخص من الاعلام ، لأن الاعلام قد يكون بطريق الكسب ، وقد يكون بطريق التنبيه . والالهام ليس سبباً يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للبرهان والالزام ، وانما هو كشف باطني أو حدس يحصل به العلم للانسان في حق نفسه . قال ابن سينا : «فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمبادئ العقلية الى أن يشتعل حدساً أعني قبولاً لإلهام العقل الفعال» (الشفاء ١ — ٣٦١ والنجاة ٢٧٣) . فالإلهام عنده

هو ما يلقيه العقل الفعال في نفس الانسان ، والحدس هو قبول هذا الالهام .
وهذا المعنى قريب من المعنى الذي ذهب اليه ابن خلدون في قوله : « فاعتبر ذلك واستمطر رحمة الله تعالى متى أعوزك فهم المسائل تشرق عليك أنواره بالالهام الى الصواب » (ابن خلدون . المقدمة ص ٣٠٨) .

والفرق بين الإلهام والوحي أن مصدر الالهام باطني ومصدر الوحي خارجي . بل الالهام من الكشف المعنوي والوحي من الشهودي ، لأنه إنما يحصل بشهود الملك وسماع كلامه ، أما الالهام فيشرق على الانسان من غير واسطة ملك وذلك بالوجه الخاص الذي للحق مع كل موجود . فالالهام أعم إذن من الوحي ، لأن الوحي مشروط بالتبليغ ، ولا يشترط ذلك في الالهام .

وقد فرق ابن سينا بين الوحي والالهام في كلامه عن فروع العلم الالهي ، فقال : « فمن ذلك معرفة كيفية نزول الوحي والجواهر الروحانية التي تؤدي الوحي ، وان الوحي كيف يتأدى حتى يصير مبصراً أو مسموعاً بعد روحانيته ... وان الأبرار الأتقياء كيف يكون لهم إلهام شبيه بالوحي وكرامات تشبه المعجزات » (ابن سينا ، تسع رسائل ، ص ١١٤) .

وقال أيضاً : « ان الأثر الروحاني السانح للنفس في حالتي النوم واليقظة قد يكون ضعيفاً فلا يحرك الخيال والذكر ولا يبقى له أثر ... وقد يكون قوياً جداً ، وتكون النفس عند تلقيه رابطة الجأش ، فترتسم الصورة في الخيال ارتساماً جيداً ، وقد تكون النفس بها معنية فترتسم في الذكر ارتساماً قوياً ... فما كان من الأثر الذي فيه الكلام مضبوطاً في الذكر في حال يقظة أو نوم ضبطاً مستقراً كان الهاماً أو وحياً صراحاً أو حلماً لا يحتاج الى تأويل أو تعبير ، وما كان قد بطل هو وبقيت محاكياته وتواليه احتاج الى أحدهما » (الاشارات ، ص ٢١٦ — ٢١٧) . وهذا يختلف بحسب الأشخاص والأوقات والعادات . فالوحي يحتاج الى تأويل والحلم الى تعبير .

الامتداد

في اللاتينية Extensio , Extentus وهو مشتق من Extendere

في الفرنسية Etendue

في الانكليزية Extension, extent.

الامتداد في اللغة الانبساط . تقول امتد الشيء انبسط ، وامتدّ به السير طال ، وامتدّ النهار تنفس ، وامتدّ الماء كثر ، وامتد نظره الى الشيء طمح ببصره اليه .

وللامتداد عند الحكماء عدة معان :

١ — الامتداد هو الصورة الجسمية ، أو هو كون الأجسام موجودة في المكان حالّة بجزء منه . قال ابن سينا : « الامتداد الجسماني يلزمه التناهي فيلزمه الشكل (الاشارات ٩٥) . ومعنى ذلك أن الامتداد الجسماني متناهٍ ، والشيء المتناهي يلزمه أن يكون ذا شكل . فالامتداد المتناهي هو إذن ذو شكل .

٢ — الامتداد جزء من المكان ، وهو متناهٍ أما المكان فغير متناهٍ .

٣ — وقد يجيء الامتداد بمعنى البعد كما في قول ابن سينا : « وليس الجسم جسماً بأنه ذو امتدادات ثلاثة مفروضة » (الشفاء ، ١ — ٥) أي أبعاد ثلاثة . راجع قوله في كتاب النجاة (ص ٣٢٧) : « ان الجسم ليس هو جسماً بأن فيه بالفعل أبعاداً ثلاثة» . ومن هذا القبيل أيضاً قول ابن طفيل : « فلم يجد شيئاً يعم الأجسام كلها إلا معنى الامتداد الموجود في جميعها في الأقطار الثلاثة التي يعبر عنها بالطول والعرض والعمق » (حي بن يقظان ص ٦٨) ، وقوله : « ثم تفكر في هذا الامتداد الى الأقطار الثلاثة هل هو معنى الجسم بعينه ، فرأى أن وراء هذا الامتداد معنى آخر هو الذي يوجد فيه هذا الامتداد ، وان الامتداد وحده لا يمكن أن يقوم بنفسه ، كما ان ذلك الشيء الممتد لا يمكن

أن يقوم بنفسه دون امتداد . واعتبر ذلك ببعض هذه الأجسام المحسوسة ذوات الصور كالطين مثلاً ، فرأى أنه اذا عمل منه شكل ما كالكرة مثلاً كان له طول وعرض وعمق على قدر ما ، ثم ان تلك الكرة بعينها لو أخذت وردّت الى شكل مكعب أو بيضي لتبدّل ذلك الطول وذلك العرض وذلك العمق ، وصارت على قدر آخر غير الذي كانت عليه والطين واحد بعينه لم يتبدل » (حي بن يقظان ٦٩) .

٤) وقد يطلق الامتداد مجازاً على ما يمتد من الأشياء حتى يبلغ مدى بعيداً أو قريباً فنقول امتد به السير ، وامتد النهار ، وامتد النهر أو البحر ، وامتد البصر أو الفكر .

٥ — ولقد فرق (ديكارت) بين الامتداد والمكان ، فقال لا فرق بينهما الا من حيث ان الامتداد خارجي والمكان داخلي ، فاذا نظرت الى الحيز من حيث أنه داخلي للجسم سمي هذا الحيز مكاناً ، وإذا نظرت اليه من حيث أنه صورة خارجية للجسم سمي امتداداً . فالحيّز الداخلي هو المكان ، والخارجي هو الامتداد . إلا أننا كثيراً ما نطلق الامتداد على السطح المحيط بالجسم مباشرة أو نطلقه على السطح بصورة عامة فلا يختص بجسم دون جسم ، بل يشمل الأجسام كلها . ويرى (ديكارت) أن الامتداد هو الصفة الأساسية المقومة للمادة . فكما انه لا مادة بدون امتداد ، كذلك لا امتداد بدون مادة .

والامتداد المعقول (Etendue intelligible) عند (مالبرانش) هو المقدار المجرد عن كل كيفية حسية ، وهو موضوع علم الجبر والتحليل الرياضي .

وكثيراً ما يقيد الامتداد في الفلسفة الحديثة فيطلق على المعنى الثاني المذكور سابقاً (الامتداد جزء من المكان) كقولهم الامتداد خط محدود ، أو سطح محدود ، أو حجم محدود ، وتكون نسبة الامتداد في هذه الحالة الى المكان كنسبة المدة الى الزمان .

الإمكان

في اللاتينية Possibilitas

في الفرنسية Possibilité

في الانكليزية Possibility

الإمكان في اللغة مصدر أمكن إمكاناً كما تقول أكرم إكراماً ، وهو أيضاً مصدر أمكن الشيء من ذاته ، تقول أمكن الأمر فلاناً ولفلان سهل عليه أو تيسّر له فعله وقدر عليه ، وتقول فلان لا يمكنه النهوض أي لا يقدر عليه ، وأمكنني الأمر أي أمكنني من نفسه .

والإمكان في الشيء عند المتقدمين من الفلاسفة هو إظهار ما في قوته الى الفعل ، وذلك أنك إذا تصورت طبيعة الواجب كان طرفاً ، وبإزائه في الطرف الآخر طبيعة الممتنع ، وبينهما طبيعة الممكن ، والمسافة التي بين الواجب والممتنع اذا لحظت وسطها على الصحة فهو أحق شيء وأولاه بطبيعة الممكن . وكلما قربت هذه النقطة التي كانت وسطاً الى أحد الطرفين كان ممكناً بشرط وتقييد فقيل ممكن قريب من الواجب وممكن بعيد عنه (أبو حيان التوحيدي ومسكويه ، كتاب الهوامل والشوامل ص ١٠٠) .

قال ابن سينا : « والامكان إما أن يعنى به ما يلازم سلب ضرورة العدم وهو الامتناع ... وإما أن يعنى به ما يلازم سلب الضرورة في العدم والوجود جميعاً » (ابن سينا ، الاشارات : ٣٤) . « فاعتبار الذات وحدها لا يخلو إما أن يكون مقتضياً لوجوب الوجود ، أو مقتضياً لإمكان الوجود ، أو مقتضياً لامتناع الوجود » (ابن سينا ، النجاة : ص ٣٦٧) ، « ونحن نسمي امكان الوجود قوة الوجود » (الشفاء ٢ : — ٤٧٧ ، النجاة ٣٨٥) .

والإمكان عبارة عن كون الماهية بحيث تتساوى نسبة الوجود والعدم اليها ، أو عبارة عن التساوي نفسه على اختلاف العبارتين ، فيكون صفة للماهية حقيقة

من حيث هي هي (كليات أبي البقاء) . وهذا المعنى الأخير قريب من المعنى الذي ذهب اليه المحدثون في قولهم الإمكان هو صفة للممكن بالمعنى الموضوعي أو الخارجي .

ويطلق الإمكان في اللغة الانكليزية على الأفعال والحوادث الممكنة كما تقول : بحث في جميع وجوه الامكان . ويطلق أيضاً في الفلسفة الحديثة على حرية فعل الشيء ، وهذا المعنى قريب من معنى الوسع والطاقة ، تقول ليس في وسعه أن يفعل كذا أي لا يقدر عليه .

والامكان هو إحدى مقولات الفيلسوف (كنت) ، وهو مقابل للوجود والضرورة ، والقضايا التي يدخل فيها الامكان تسمى عنده بالقضايا الممكنة ، ويقابلها من ذوات الجهة الوجودية والضرورية . وابن سينا أيضاً يسمي القضايا التي يدخل فيها الوجوب والامكان والامتناع بذوات الجهة ، ويجعل الجهات ثلاثاً : الواجب ويدل على دوام الوجود ، والممتنع ويدل على دوام العدم ، والممكن ويدل على لا دوام وجود ولا عدم . والواجب والممتنع يتفقان في معنى الضرورة فذاك ضروري الوجود وهذا ضروري العدم . أما الضروريات فهي كقولنا (كل ب ا) بالضرورة ومعناه أن كل واحد مما يوصف عند العقل بأنه (ب) هو دائماً (ا) ما دام ذاته موجوداً . ومثاله كل متحرك جسم بالضرورة . وأما الممكنات فهي التي حكمها من سلب أو ايجاب غير ضروري ، واذا فرض موجوداً لم يعرض منه محال كما في قولنا كل (ب ا) بالامكان ، فمعنى هذا القول ان كل واحد مما يوصف بأنه (ب) كيف كان فان ايجاب (ا) عليه غير ضروري ، واذا فرض هذا الايجاب حاصلاً لم يعرض منه محال .

والفلاسفة يفرقون بين الامكان المنطقي والامكان الوجودي . فالإمكان المنطقي عندهم عبارة عن كون الشيء خالياً من التناقض الداخلي ، وهو والمعقولية شيء واحد ، حتى لقد عرّف (ليبنيز) هذا الممكن بقوله : كل ما لا يستلزم وجوده تناقضاً فهو ممكن .

والامكان الوجودي يستلزم الامكان المنطقي ، ويستلزم بالاضافة الى ذلك شروطاً خارجية تنقل الشيء من حيز التصور الى حيز الوجود الخارجي . فقد يكون الشيئان أو الحادثان ممكنين في العقل ، ولا يكونان ممكنين معاً في الواقع ، لأن وجود أحدهما بالفعل قد يمنع وجود الآخر . فكل ممكن وجودي ممكن في العقل ، وليس كل ممكن في العقل ممكناً في الوجود الخارجي .

والامكان أعم من الوسع لأن الممكن يكون مقدوراً للانسان ، وقد يكون غير مقدور له . والوسع راجع الى الفاعل ، والامكان الى المحل . وقد يكونان مترادفين بحسب مقتضى المقام .

والامكان العام هو سلب الضرورة عن أحد الطرفين ، والامكان الخاص سلب الضرورة عن الطرفين معاً .

والامكان الذاتي بمعنى التجويز العقلي الذي لا يلزم من فرض وقوعه محال . وهو أمر اعتباري يعقل للشيء عند انتساب ماهيته الى الوجود وهو لازم لماهية الممكن قائم بها ، يستحيل انفكاكه عنها ، ولا يتصور فيه تفاوت بالقوة والضعف والقرب والبعد . لذلك قال فخر الدين الرازي : « الممكن لذاته هو الذي لا يلزم من فرض وجوده ولا من فرض عدمه من حيث هو محال » (فخر الدين الرازي ، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين ص ٤٦) .

والامكان الاستعدادي أو الوقوعي أمر موجود من مقولة الكيف قائم بمحل الشيء الذي ينسب اليه لا به وغير لازم له (التهانوي ، الكشاف) .

والعامة يعنون بالممكن ما ليس بممتنع من غير أن يشترطوا فيه أنه واجب أو لا واجب ، وهذا خطأ ، بل الممكن عند الفلاسفة يدل على ما ليس بممتنع ولا واجب . وهذا المعنى أخص من المعنى الذي تستعمله العامة ، فيكون الواجب أو الممتنع كلاهما خارجين عن حظيرة الممكن ، ويكون الممكن نفسه دالاً على غير الضروري .

(يتبع) جميل صليبا

(مراجعة كتاب فيه)

اختصار الجبر والمقابلة

تأليف الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن بدر

هذا كتاب في الجبر والمقابلة ، أرسله إليّ المستشرق التشيكي الدكتور نيكل Nykl ، أثناء زيارته لمدريد عام ١٩٣٣ .

والكتاب مطبوع في مدريد سنة ١٩١٦ باللغتين العربية والاسبانية ، ووقف على طبعه (يوسف شانجاس بارس الجريطي) .

وقد سبق وأشرنا الى هذا الكتاب في بعض مؤلفاتنا . .

والطبعة العربية لهذا الكتاب غريبة في أشكال حروفها ، تصعب قراءتها ، فبعض الأشكال يختلف تماماً عن أشكال الحروف الحالية ، فشكل الحرف (د — دال) هو غير الشكل الذي نعرفه . وعصا الحرف (ط) مائلة جداً ، وكذلك أشكال الحروف (ج ، ح ، خ ، ك) شملها تعديل بسيط .

والكتاب منسوخ عن مخطوطة نسخها (عبد الصمد بن سعد بن عبد الصمد) من فاس عن مخطوطة قديمة . ويقول في نهاية الكتاب :

« ... أتممت قراءة هذا الكتاب بعد أن كنت فهمته ، من غير هذه النسخة ، وأصلحت ما ظهر لي فيها من الفساد بسبب فساد هذه النسخة المنقول منها هذه . وذلك في الرابع من شوال عام أربع وستين وسبعمائة هجرية . قال ذلك وكتبه بخط يده الفانية العبد المعترف بذنبه الراجي مغفرة ربه (عبد الصمد بن سعد ابن عبد الصمد) لطف الله تعالى به ـ وذلك (بسجانة القصر) من داخل مدينة فاس . والحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبده ... »

* * *

ولقد أصاب الاهمال تراث ابن بدر، وأحاط الغموض بحياته، فلا نجد شيئاً يذكر عن مآثره في كتب تاريخ العلوم الرياضية، وهو الذي برع فيها، ووقف جهوده عليها، وأخرج فيها مؤلفاً نفيساً هو الكتاب الذي نحاول مراجعته.

وبعد البحث وجدنا أن ابن بدر من علماء إشبيلية من أعمال إسبانيا، ظهر في أواخر القرن الثالث عشر للميلاد واسمه (ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن بدر).

يبدأ الكتاب بما يدور عليه الجبر من أعداد وجذور ومال، والمقصود من الجذر المجهول (س) ومن المال مربع الجذر (س^{٢}). ويوضح كلاً من هذه الأشياء الثلاثة. ويذكر المسائل الست وهي المذكورة في كتاب (الخوارزمي) وكتب غيره من علماء المسلمين والعرب.

فالمسألة الأولى — أموال تعدل جذوراً، أي أن:

$$م\ س^{٢} = ح\ س$$

والمسألة الثانية — أموال تعدل عدداً، أي أن:

$$م\ س^{٢} = ب$$

والمسألة الثالثة — جذور تعدل عدداً، أي أن:

$$هـ\ س = م$$

والمسألة الرابعة — أموال وجذور تعدل عدداً، أي أن:

$$ح\ س^{٢} + هـ\ س = ب$$

والمسألة الخامسة — أموال وعدد تعدل جذوراً، أي أن:

$$م\ س^{٢} + ب = ح\ س$$

والمسألة السادسة — جذور وعدد تعدل أموالاً، أي أن:

$$ح\ س + ب = هـ\ س^{٢}$$

ثم يأتي على كيفية حل كل من هذه المسائل ، بطريقة لا تختلف عن الطريقة التي نعرفها الآن . وبعد ذلك نجد أبواباً تبحث في الجذور واضعافها وتجزئتها وضربها وقسمتها وجمعها وطرحها . ويقصد من الجذور هنا الأعداد التي تحت علامة الجذر التربيعي من التي لها جذر ، والتي ليس لها جذر أي الجذور الصم .

ومن هذه الموضوعات وما حوته من أمثلة عددية كثيرة ، يتبين أن ابن بدر كان ملماً إلماماً جيداً بنظريات القوى والجذور الصم وكيفية إجراء الأعمال الأربعة عليها مما نجده الآن في كتب الجبر للمدارس الثانوية . وبعد هذا ينتقل (ابن بدر) الى ضرب المجاهيل بعضها في بعض ، والى العلامتين الزائد والناقص وما يسودهما من قوانين حين الضرب وحين القسمة ، وكذلك الى جمع الأشياء والأموال والكعوب بعضها الى بعض ، وطرحها بعضها من بعض ، وقسمتها بعضها على بعض .

وقد أتبع هذه البحوث باباً في معرفة الجبر والمقابلة جاء فيه :

« الجبر : هو الزيادة في كل ناقص حتى لا ينقص ، والمقابلة : طرح كل نوع من نظيره ، حتى لا يكون في الجهتين نوعان متجانسان ... »

أي أنه لو كان لديك المعادلة : ١٠٠ — ١٠ س = ٧٠

فبالجبر تصبح : ١٠٠ = ٧٠ + ١٠ س

وبالمقابلة تصبح : ٣٠ = ١٠ س

وهناك من علماء العرب من عرّف « الجبر والمقابلة » بغير هذا ، إلاّ أن الاختلاف في التعاريف بسيط جداً ، حتى يمكننا القول : ان « الخوارزمي » ومن أتى بعده من علماء العرب ، « كأبي كامل » و « ابن البنّاء » و « الآملي » و « القلصادي » وغيرهم ، اتفقوا في تفسيرهم لكلمتي : الجبر والمقابلة .

بعد كل هذا ، أتى « ابن بدر » على تطبيق في المسائل الست وهي — على رأيه — : « التي يدور عليها جمع الجبر ... »

كما جاء على مسائل أخرى وضعها في أبواب متنوعة ، سماها : باب مسألة العشرات ، وباب في مسائل الأموال ، وباب في الصدقات ، وباب في القمح والشعير وفي التجارة . وقد يرغب القارئ - أو بعبارة أصح بعض القراء - أن تأتي على أمثلة من هذه الأسئلة :

جاء في باب العشرات : « ... عشرة قسمتها إلى قسمين ، فضربت كل قسم في نفسه ، وجمعت الضربين فبلغ اثنين وثمانين ... »

وجاء في باب مسائل الأموال : « إذا قيل لك : مال طرحت منه ثلثه وربعه وأربعة دراهم ، وضربت ما بقي في مثله ، فعاد المال واثنا عشر درهماً ... »

ومن مسائل باب التجارة : « إذا قيل لك : رجل كان معه مال ، قاسمه رجل وفضله بدرهم ، ثم قاسمه بالباقي رجل ثان وفضله بدرهمين ، ثم قاسم بالباقي رجلاً ثالثاً وفضله بدراهم ، وبقي معه عشرة دراهم . كم المال ... الخ »

ومن باب الصدقات : « ... امرأة تزوجت ثلاثة أزواج ، فأصدقها الأول : شيئاً مجهولاً ، وأصدقها الثاني : جذر ما أصدقها الأول : ودرهماً ، وأصدقها الثالث : ثلاثة أمثال ما أصدقها الثاني وأربعة دراهم ، فكان المجتمع أربعين ... »

ومسائل باب القمح والشعير لا يختلف حلها عن التي تقدمت .

وهكذا سار « ابن بدر » في المسائل ، وقد حلها جميعها ، وكان يرجع المسألة الى حالة من حالات المسائل الست ، ثم يجري عليها طريقة حل تلك الحالة .

ومن غريب الأبواب التي وجدناها في الكتاب : باب الجيوش ، أدخل فيه مسائل تحتاج إلى استعمال المتواليات العددية وقوانين جمعها ، ويقول بهذا الشأن :

« ... وعلة عمل الجيوش وتفاضل الغلمة ، نوع من أنواع الجمع ، وهو إذا تفاضلت الأعداد بمدة معلومة دون التضعيف ، فاضرب التفاضل في عدة الأعداد إلا واحداً ، فما بلغ فاحمل عليه أول الأعداد ، يكن ذلك آخر

الأعداد ، واضربه في نصف العدة ـ أعني عدة الأعداد ـ يكن ذلك المطلوب . »

وهنا يأتي « ابن بدر » على قانون جمع المتواليات العددية ، وقد كان معروفاً قبله ، فلو أخذنا المتوالية العددية ٤ ، ٧ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٦ ، فالتفاضل هو ٣ ، وعدة الأعداد في هذه الحالة ٥ .

وعلى هذا مجموع هذه الأعداد بحسب ما يقول « ابن بدر » كما يلي :

٣ × (٥ — ١) = ١٢

١٢ + ٤ = ١٦ وهو آخر أعداد المتوالية العددية .

١٦ + ٤ = ٢٠

٢٠ × $\frac{٥}{٢}$ = ٥٠ وهو مجموع الأعداد .

وفي الكتاب أيضاً : باب البريد ، وفيه مسائل تتعلق بسير البريد ، وخروجه ، واللحاق به ، ومنها :

« إذا قيل لك : بريد خرج من بلدة ، وأمره أن يسير كل يوم عشرين فرسخاً ، فسار خمسة أيام ، ثم أرسل معه بريداً آخر ، وأمره أن يسير كل يوم ثلاثين فرسخاً ففي كم يوم يلحقه ؟ » .

ولا يخفى على مدرسي الرياضيات بالمدارس الثانوية ، أن هذه المسألة على نمط كثير من المسائل في كتب الحساب الحديثة .

ونأتي الآن الى الباب الأخير ، وقد سماه باب الالتقاء ، ولعل القارئ يدرك نوع مسائله من المسألة الآتية : « ... إذا قيل لك : رجلان التقيا ، ومع كل واحد منهما مال ، ووجدا مالاً ، فقال أحدهما لصاحبه : اعطني مما معك درهماً ، وهذا المال الموجود يكون معي مثل ما بقي معك ، وقال الآخر : بل أنت إن أعطيتني مما معك أربعة دراهم ، وهذا المال الموجود ، يكون معي ثلاثة أمثال ما بقي معك ، كم كان مع كل واحد منهما ، وكم المال الموجود ... ؟ »

أي أن ص + ١ + ع = س

س + ١ + ٤ + ع = ٣ (ص — ٤)

وهنا فرض «ابن بدر» أن ما مع الأول ص ، وما مع الثاني س + ١ ، والمال الموجود ع .

وعند حل هذه المسألة ، وغيرها من مسائل باب الالتقاء ، وباب القمح والشعير ، خرج «ابن بدر» بمعادلات غير معينة ، وقد أطلق على هذا النوع من المسائل «المسائل السيالة» لأنها «... تخرج بصوابات كثيرة» أو بأجوبة كثيرة .

وقد حلّ «ابن بدر» كثيراً من المسائل التي تؤدي إلى معادلات سيالة بطريق ملتوية ، تدل على قوة فكره ورسوخه التام في علم الجبر .

ويمكن القول ان أكثر المسائل التي أتى بها «ابن بدر» في كتابه ، مسائل عملية تتناول ما كان يقتضيه عصره من معاملات في التجارة ، أو الصدقات ، وإجراء الغنائم ، والمرتبات على الجيوش ، كما تطرقت الى البريد والحاق به ، وإلى طرق البيع والشراء في القمح والشعير .

وهذه مزية امتازت بها المؤلفات العربية القديمة ، فلقد كان رياضيو العرب يفضلون المسائل العملية والتي تتعلق بحاجات العصر ومقتضياته .

وحبذا الحال لو يتبع المؤلفون هذه الطريقة في وضع المسائل الرياضية ، ففي ذلك ما يعود على الطلاب بأكبر الفوائد ، مما يجعلهم يدركون مكانة العلوم الرياضية من الوجهة العملية ، في نواحي الحياة المختلفة واتصالها الوثيق بأعمال الانسان المادية .

وأخيراً نجد «مسألة من الشاذ [1]» يظهر أنها من وضع «عبد الصمد» الناسخ

(١) في متن المطبوع وفهرسه : (مسألة من شاذ) . ولكن يتضح من قراءة الراموز الذي أثبته الناشر أنها (مسألة من الشاذ) . (المجلة)

الأول للكتاب ، وقد وضعت في ذيله ، وهي : « ... إذا قيل لك مائة وزة تعلف في الليلة الواحدة مائة برشالة ، ومات منها كل ليلة واحدة الى أن فني عددها ، كم توفر من الطعام وكم أنفق من الطعام؟ » ولا يخفى ان حل هذه المسألة يتطلب استعمال قانون جمع المتواليات العددية ، وقد جاء الحل كاملاً في الكتاب .

ويقال إن « محمد بن القاسم الغرناطي » في القرن الرابع عشر للميلاد ، شرح كتاب « ابن بدر » شعراً ، ولعله محفوظ في إحدى المكتبات في الغرب .

والآن وبعد أن أتممنا تقديم كتاب « ابن بدر » والتعليق عليه ، يتبين لنا فضل المؤلف على الجبر وسعة اطلاعه فيه ، وقد صاغ قوانينه وأصوله في لغة بليغة وأسلوب أخاذ .

وعلى كل حال ؛ فالكتاب يمثل أثراً من الآثار الخالدة التي تركها العرب للأجيال ، كانت من أهم عوامل تقدم الرياضيات العالية ، وسائر العلوم الطبيعية ، التي قامت عليها الأعمال الهندسية الكبرى ، والنهضة الصناعية الحديثة .

قدري حافظ طوقان

تحقيقات حول

نقد الغزالي

لمذهب المشائين والأفلاطونية المحدثة

– ١ –

مقدمة

منذ عهد بعيد ، لم تقلّ شهرة أبي حامد الغزالي في الغرب عما بلغته في الشرق . فقد عرفته العصور الوسيطة اللاتينية ولمّا يمض قرن على وفاته تحت اسم Algazel ، فورد له ذكر [1] عند ريموند مارتان Raymond Martin (١٢٣٠ – ١٢٨٤) ، وريموند لول R. Lulle (١٢٣٥ – ١٣١٥) ، ثم عند كاجيتان Cajétan (١٤٦٨ – ١٥٣٤) . وقد كانت هذه المعرفة واردة في الدرجة الأولى عن طريق دومينيكوس غونديسالينوس Dominicus Gondissalinus رئيس الشمامسة بقشتالة القديمة (مدينة Ségovie) : إذ صنع في منتصف القرن الثاني عشر ترجمة لكتاب « مقاصد الفلاسفة » بعنوان [2] *Logica et Philosofia Algazelis Arabis* ؛ وفي الدرجة الثانية عن طريق

---

(١) راجع Bouyges, *Notes sur les Philosophes Arabes connus des latins au moyen - âge* in Mélanges de la Faculté Orientale (Université St. Joseph) Beyrouth VII (1914 - 1921) .

(٢) زعم شمولدرز (*Essai*, 220-1) أن كتاب « معيار العلم » هو الأصل للترجمة اللاتينية الرديئة المنشورة في سنة ١٥٠٦ بعناية « Petrus Lichtenstein من أهل كولونيا » . وقد نبه على هذا الخلط – وإن كان لم يزل يومئذ جاهلاً بما في المعيار – سليمان مونك (*Dictionnaire des sciences philosophiques* , 602; *Mélanges* , 371) والذي أعلمه أن في مدخرات المكتبة القومية بباريز ترجمة «المقاصد» المطبوعة في البندقية سنة ١٥٠٦ (اطلب Rés. R. 809) .

ترجمتين [1] لاتينيتين لكتاب ابن رشد الشهير « تهافت التهافت » تحت عنوان *Destructio destructionum Algazelis* . ومن المعروف أن هذا الكتاب ينطوي على جزء كبير من « تهافت » الغزالي . وعلى الرغم من أن هذه التراجم في جملتها معقدة مغلقة [2] ، إلا أن هذا لم يمنع أن يكون لها — كما هو الأمر في رأي جلسن [3] — « أبعد الأثر وأقواه في السكولائية المسيحية » ؛ وعنده أنها « الينبوع الذي رويت منه فلسفة اللاهوتيين » التي أسماها « الأوغسطينية السينوية » (Augustinisme avicennisant) دالاً بذلك على مبلغ تأثير الفلسفة العربية في أمثال غيوم الأوفرني (Guillaume d'Auvergne) ، وروجه باكون (R. Bacon) ، وجان پيكام (Jean Peckam) .

إلا أن الوجه الذي عُرف به الغزالي في الغرب ، ولا سيما في القديم ، يختلف عن حقيقة الوجه الذي يجب أن يعرف به . فقد كان يُظن أن النظريات والآراء التي أوردها ودعمها في « مقاصد الفلاسفة » دعماً قوياً تمثل نزعته الفلسفية . حتى أن من المحدثين من انساق الى هذا الوهم ، مثل ريتر الذي ذكر في تاريخه الضخم للفلسفة [4] مذهب الغزالي حملاً على ذلك الكتاب . ومضى الباحثون يحارون في تعليل قضية شائكة أعني ما طلع به أبو حامد في التهافت من نقض وهدم ودك لمعالم ذلك البناء الشامخ الذي بناه في « المقاصد » حجراً فحجراً .

(١) الأولى منها مطبوعة في البندقية (سنة ١٤٩٧) وغير معروفة المؤلف ، إلا أن لها تفسيراً لأغوسطينو نيفوس . والثانية ليهودي من أهل نابولي Calo Calonymos (سنة ١٥٢٧) . وقد نشر Heimann Auerbach ترجمة عبرية مفسّرة لعلها هي المأخذ لكل منها .

(٢) راجع ما ورد عن عجمة هذه التراجم و « بربريتها » لدى (Degérando, *Histoire comparée des Systèmes de philosophie*, IV, 225)

(٣) Gilson, *Les Sources Gréco - latines de l'Augustinisme avicennisant*, (*apud* Archives d'Hist. doctr. et littér. du Moyen-âge p.74

(٤) Ritter, *Geschichte der Philosophie* t. VIII, pp. 59-60

وذهبوا يعجبون كأنهم يتساءلون : هل يجوز لفيلسوف يحترم نفسه أن ينقلب من الضد إلى الضد دون أن يُطفيء مصباحه بين يديه فينير البواعث والدوافع لموقفه الجديد [1] ؟ والواقع أن الغزالي قد فعل منذ أن انصرف إلى تأليف كتابيه ولكن مزلة قدم الشارحين في ارتكاب هذا الخطأ هو أن الترجمة اللاتينية (المطبوعة) خلافاً للأصل العربي لا تحتوي العبارة الآتيــة الواردة في آخر « المقاصد » : « فهذا ما أردنا أن نحكيه من علومهم المنطقية والإلهية والطبيعية من غير اشتغال بتمييز الغث من السمين والحق من الباطل . ولنفتتح بعد هذا كتاب تهافت الفلاسفة حتى يتضح برهان ما هو باطل من الجملة » [2] . ولما لفت مونك [3] النظر الى أن هذه العبارة موجودة أيضاً في تراجم عبرية مختلفة ، وفي نسخة لاتينية مخطوطة في السوربون (تحت رقم 941) ، ظلّ دوهيم [4] على حال التردد في أن يقبل الأمر على علاته ، وذهب يتساءل : ألم تُضف هذه الجملة إضافةً لاحقة الى « المقاصد » من قِبَل الغزالي نفسه (أو من قبل أحد تلامذته) بعد ارتداده [« volte - face »] عن موقفه الأول لعلة من العلل ؟ ونحن نظن أن لو لُفت نظره أيضاً إلى ما جاء في مقدمة « المقاصد » تأييداً لخاتمته لبقي شكه قائماً من هذه الناحية .

(١) هذا لا يعني أنهم غفلوا جميعاً عن الحقيقة . ونظن أن رونان خاصةً عندما قال في كتابه عن ابن رشد ومذهبه (ص ٩٦ من طبعة ١٨٦٦) : « الغزالي – غيرَ مُدافَع – هو من بين أعلام المدرسة الفلسفية العربية أشدهم أصالة فكر » إنما كان ، لدى حكمه هذا ، متجهاً – وهو على صواب في اتجاهه – إلى المظهر النقدي السلبي عند الإمام (كما يبدو من خلال « التهافت ») لا الى المظهر التقريري الإيجابي (كما يبدو من خلال « المقاصد ») .

(٢) وردت هذه العبارة في طبعة الكردي (سنة ١٣٣١ هـ) مع تغيير في بعض الألفاظ .

(٣) S. Munk, *Mélanges de Philosophie juive et arabe*, p.370

(٤) Duhem, *Le Système du Monde*, IV, p. 501 - 502

معها بكن من أمر ، وسواء أكان الغزالي قد اعتقد في طورٍ من أطوار حياته ما أورده في « المقاصد » من نظريات – وهذا رأي ابن رشد – أم أنه كتبه منذ البدء ليلخص مذهب الفلاسفة تلخيصاً نيّراً ثم يردّ عليهم ، فإن المسألة ليست بذات خطر كبير من الوجهة العملية . لأن الغزالي اعتباراً من مطلع سنة ٤٨٨ هـ (= كانون الثاني سنة ١٠٩٥) – وهي السنة التي فرغ فيها من تصنيف « التهافت »[١] – إلى أن لقي وجه ربه[٢] ، ظلّ على اتخاذ موقف نهائي وهو معاداته للفلاسفة معاداةً متفاوتة في المسائل التي وردت في هذا الكتاب الذي يهمنا . تشهد على ذلك كتبه التي ألفها منذ العزلة[٣] إلى آخر أيامه ، وعلى رأس هذه الكتب « إحياء علوم الدين » و « المنقذ من الضلال »[٤] . ونحن لا نجهل أن التصريحات التي وردت في هذا الكتاب الأخير تثير مشكلة

(١) راجع مخطوط مكتبة فاتح في استامبول الذي يحمل تاريخ « الحادي عشر من محرم سنة ثمانٍ وثمانين وأربع مايه » . وقد قبل هذا التاريخ الأب بويج في صدر الطبعة النقدية للكتاب (بيروت ١٩٢٧) .

Bibliothéca Arabica Scolasticorum, Série Arabe t.II

(٢) توفي الغزالي « الاثنين ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ » (راجع كتاب عبد الغافر الفاسي النيسابوري الذي ينقله ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام ابي الحسن الأشعري» (ص ٥٦ من طبعة دمشق) . وراجع أيضاً الجزء الأول من « وفيات الأعيان » لابن خلكان (ص ٦٦٢ من طبعة بولاق سنة ١٢٧٥) . ويورد فلوغل في طبعة «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون » لحاجي خليفة هذا التاريخ : ١٠ تموز ١١١١ . راجع ص ٢٨٥ من

Lexicon Bibliographicum et Encyclopaedicum, éd London,1850

(٣) وقعت هذه العزلة حوالي سنة ٤٨٩ هـ [= ١٠٩٥ م]. ودامت نحو عقد من السنوات . يقول في «المنقذ من الضلال» : « ويسّر الله تعالى الحركة الى نيسابور ... في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمئة . وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمانٍ وثمانين واربعمئة . وبلغت هذه العزلة إحدى عشر [كذا] سنة » (راجع طبعة مكتب النشر العربي الثانية ص ١٥٣) .

(٤) راجع ص ١٢٧ من طبعة هذا الكتاب المشار اليها في الحاشية المتقدمة .

« الشهادات » ولا سيما قيمة الشهادة الشخصية وقيمة « الاعتراف » في وثائق « التراجم الذاتيـة » (١) (autobiographies) . ونعلم ، زيادةً على ذلك ، أنه وُجِدَ بالفعل بعضُ المؤلفين الذين رَمَوْا أقوال أبي حامد في كتابه الأخير [المنقذ] بأنها « غير صادقة وآراء غير مطابقة للواقع » (٢) . ولكن هذا الزعمَ وإن صدق ـ على الرغم من أنا لا نقابله إلا بتحفظ شديد ـ (٣) ، فانه لن يقدم ولن يؤخر في طبيعة النقد الفلسفي الذي استرسل اليه الإمام في « التهافت » لا من حيث الأهمية ولا من حيث القيمة ، وهو النقد الذي قيل في أثر صاحبه : إن الضربة التي أصابت منه الفلسفة العربية جعلت هذه الفلسفة لم تقم لها من بعده في الشرق قائمة (٤) .

(١) لما درس فرانسوا مورياك حياة راسين ، كان من جملة ما قاله : « إن الكتب والمذكرات اليومية الخاصة التي يتركها الرجل العظيم من بعده ، شدّ ما تخدع في غالب الأحيان من يؤرخ له . حتى ان رسالة نكتبها دون طمع في نشرها بعد موتنا لا تخرج عن كونها إنما كتبناها إلى من نوجهها اليه ، فالأمر يدور فيها لا على إثارة المرسَل اليه ، بل على إدخال السرور عليه ووضع صورةٍ عنا بين يديه . وأعرق المذكرات اليومية في الكتمان ، وادخلها في باب السر إنما هي تأليف وتزويق وكذب . فنحن ننتزع من فرصاتنا الباطنية خلوتاً يفيض بالاتساق ، فنعكف على الأنس به . ولئن وُجد إنسان يتخذ مذكرات شخصية لحض لذته لا للعمر المقبل (ونحن نشك في وجوده) ، فانه يبقي لهذا الانسان من يُنزل به خداعه : وهو ذاتُ نفسه . »
(François MAURIAC, *LA Vie de Jean Racine*, Flammarion, p. 6-7)

(٢) راجع الصفحة ١٥٣ من كتاب الدكتور عبد الدائم ابو العطا البقري : اعترافات الغزالي أو كيف أرخ الغزالي نفسه (سلسلة خلاصة الفكر الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٤٣) وبهذه المناسبة نشير الى أن ابن رشد كان من السابقين الى اتهام الغزالي في صدق نقده (راجع تهافت التهافت ص ١٥٩ ـ ١٦٠) .

(٣) مما يرد على قضية الشك في صدق الغزالي أن كثيراً من اعترافاته هي من الأمور التي لا يُدافَع بها عادةً عن النفس ، مثل تصريحه أنه كان ينشر العلم « الذي به يُكسب الجاه » وقوله دون مواربة ولا جمجمة : « كان ذلك قصدي ونيتي » .

(٤) *Dictionnaire des sciences philosophiques*, article *Gazâli* par Munk p, 60

نعم إن مثل هذا القول مما لا تسيغه التعاليل الحديثة ذوات الصبغة العلمية نظراً للدور المتجاوز الحد الذي يمنحه الأفراد في تطوير حادثة اجتماعية . إذ مما لا شك فيه أن حادثة هامة (مثل سيادة نزعة فكرية في بيئة ما أو انتشار مذهب فلسفي في رقعة من الأرض) مدينة لفعل عوامل سياسية واقتصادية وايديولوجية وديمغرافية في غاية التعقيد . ولكن هذا لا يعني أن النقد الغزالي غير ذي نفع من الوجهة السوسيولوجية ، لأنه يُعتبر « واقعة » من الواقعات من حيث كونه نَظْماً مرتباً من الأفكار كان له دور في جملة العوامل التي أدت الى القضاء على الفلسفة في الشرق .

ولهذا فنحن إذ نعنى بهذا النقد ونتصدى لدراسته ، إنما نفعل ذلك نظراً لما يقدمه من فائدة كبرى لتاريخ المذاهب والأفكار من جهة ، وللتاريخ العام من جهة أخرى . وبهذا الاعتبار تبدو قضية مثل القضية الآتية : هل يمثل كتاب « التهافت » مظهراً إيجابياً من مظاهر الفكر الغزالي ؟ أقل خطراً من التساؤل عن موضوع النقد الغزالي وغرضه ، أو التساؤل عن آليته وعن مغزاه ومداه .

إذن فنحن سندقق في هذه الأمور مقدمين بين يدي بحثنا السؤال الأولي : على من وعلامَ يقع النقد الغزالي ؟ ونستطيع أن نقول منذ البدء إن الغزالي لم يحارب كل الفلاسفة ، ولا هاجم جملة الفلسفة .

١ — فأما عن الناحية الأولى ، فقد صرح الغزالي في رأس المقدمات التي صدّر بها « التهافت » أن نقده منصبٌّ على إظهار التناقض في آراء أرسطو بحسب ما اختاره من تأويلاتها الفارابيُّ وابن سينا (٨) . وأيّد ذلك في «المنقذ» حين قال : « ولقد قرَّب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذاهب الإسلاميين على ما نقل الفارابي

---

(١) راجع ص ٨ . ونتبه القارىء الى أن كل ما نذكره من أرقام صفحات « التهافت » هو بالاستناد الى طبعة بويج . كما أن كل ما نذكره من أرقام « المنقذ » راجع إلى الطبعة الثانية التي أخرجها مكتب النشر العربي بتحقيق الدكتورين جميل صليبا وكامل عياد .

وابن سينا »[١] . على أنه لدى كلامه ، في هذا الكتاب الأخير ، عن أصناف الفلاسفة ذكر الدهريين (الزنادقة) - أي الماديين كما نقول اليوم - وكذلك الطبيعيين - وهم الفيزيائيون قبل السقراطيين - ثم الإلهيين وفيهم سقراط وأفلاطون وأرسطاليس و « متفلسفة الإسلاميين » على حد تعبيره[٢] .

٢ — وأما عن الناحية الثانية ، فمن الثابت أن الغزالي قد قبل من الفلسفة - في مفهومها القديم - أقساماً برمتها (كالرياضيات مثلاً) لأنه من الجازمين بأنه « ليس في مقتضيات الهندسة والحساب ما يخالف العقل »[٣] بل « هي أمور برهانية لا سبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها »[٤] ومن الناقمين على « من ظن أن المناظرة في إبطال هذا من الدين »[٥] . ثم إن رأيه في المنطقيات صريح : فهو يعتقد أن « أكثرها على منهج الصواب ، والخطأ نادر فيها »[٦] . وعلى الرغم من أنه فيما يتعلق بالطبيعيات يرى أن « الحق فيها مشوب بالباطل ، والصواب مشتبه بالخطأ فلا يمكن الحكم عليها بغالب ومغلوب »[٧] ، فإنه لم يشتغل بالرد عليها إلا إلى حد ، كما لم يهتم بمناقشة السياسيات ولا الخلقيات . ولكن الذي عناه من كل ذلك إنما هو « الإلهيات » في مصطلحه . وهو يبادر الى التقرير بأن « أكثر عقائدهم فيها على خلاف الحق ، والصواب نادر فيها »[٨] .

---

(١) راجع ص ٩٤ - ٩٥

(٢) ص ٨٤ - ٨٧

(٣) المقاصد ص ٣

(٤) المنقذ ص ٨٨

(٥) التهافت ص ١١

(٦) المقاصد ص ٣

(٧) المرجع والصفحة نفسها .

(٨) المرجع والصفحة نفسها .

ولئن اعتبر أن من واجبه «أن يظهر فساد مذهب» الفلاسفة «في هذا الفن ونظائره» فذلك لأنه القسم الذي «يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين»[1] .

ولقد عدد الغزالي المسائل التي انبرى للرد عليها ، فحصرها في المسائل العشرين التي عالجها في كتاب «تهافت الفلاسفة» ونحن نجد من الأيسر دراستها في أبواب كبرى تأتي متفرعة عنها تفرع الفصول . وهذه الأبواب هي ما سنسميه بـ «الكونيات» (Cosmologie) ، و «الإلهيات الصرفة» (Théodicée) و علم النفس العقلي» (Psychologie rationnelle) ثم «المبادئ المديرة للمعرفة» . إلا أننا نود أن نشير إلى أنه ما دام همنا النفوذ الى طية النقد الغزالي والوقوف على مغزاه في سبيل تعرّف مدى هذا النقد وتبيّن سر استفاضته ، كانت دراستنا بالضرورة ملجأة الى التوكيد على ميكانيكية الطرائق المستعملة في الاستدلال والاحتجاج خلال هذه المسائل . هذا مع الحرص على وضعها ضمن إطارها الزمني وهو عمل يستلزم بحثاً تاريخياً عن الأصول والمصادر .

وبما أن القارئ يتطلع الى أن يعرف سلفاً إلى أين نمضي به ، فاننا نوجز منذ الآن النتيجة التي خُيّل إلينا أنها مرمى النقد الغزالي في عبارة قصيرة فنقول :

إن النية العميقة التي صدر عنها هذا النقد إنما هي تفنيد مزاعمَ خاطئة لميتافيزياء مُستأثرة تقوم دعواها العريضة على قصر تفسير الكون عليها من دون غيرها ، بينما هي تحدُّ من نطاق المعرفة بما ضيقته من حوزة «المعقولية» .

---

(١) التهافت ص ١٣

قضيـة أزليـة العالم وأبديتـه [1]

هذه القضية هي إحدى المسائل الثلاث [2] التي نبّه الغزالي إلى أنها لا تلائم الإسلام بوجه » و « معتقدها معتقد كذب الأنبياء » [3] . ولذلك أفتى بتكفير القائلين بها من الفلاسفة الذين « خالفوا فيها كافة المسلمين » [4] .

وقبل أن نخوض في تفاصيل المناقشة التي يسترسل اليها الغزالي مع خصومه ، لا بد لنا من التثبت : هل الأقوال التي يعزوها إليهم أقوال صحيحة ؟ فنيما يتعلق بالفلاسفة العرب ، لا يعسر على المطلع على كتب الفارابي وابن سينا بعد أن يتأمل أقوال الغزالي أن يتعرف في هذه الأقوال وجه شبهها بنصوصها الأصلية ، فيردّها إلى كتبهم ، ويخرج مقتنعاً بحياد المؤلف . وأما فيما يتعلق بالفلاسفة اليونان ، فالظاهر أن الغزالي لم تكن له بهم إلا معرفة سطحية وغير مباشرة . والسبب في ذلك يرجع إلى استغلاق التراجم العربية التي صنعها

---

(١) الأزلية (أو القدم) هو كون العالم « لا بداية لوجوده » ، والأبدية (او السرمدية) هي كونه « لا نهاية لآخره ولا يتصور فساده وفناؤه » (راجع « التهافت » ص ٧٨ س ٥ – ٦) . ويلاحظ أن اللغة العربية – خلافاً لغيرها من اللغات دقيقة في الافصاح عن هذا الفرق . فالفرنسية مثلاً تضطر أن تضيف الى كلمة Eternité أحد الاصطلاحين اللاتينين *a parte ante* أو *a parte post* في سبيل التمييز بين المعنيين . وكذلك اللغة الألمانية فانها تصوغ كلا المعنيين صياغة تركيبة فتقول في الأول Anfangslosigkeit وتقول في الثاني Endlosigkeit .

(٢) المسألتان الأخريان هما : « إن الله لا يحيط علماً بالجزئيات الحادثة من الأشخاص » ؛ و « إنكارهم بعث الأجساد وحشرها » (تهافت ، خاتمة الكتاب ، راجع أيضاً المنقذ ص ٩٥) .

(٣) التهافت ص ٣٧٦

(٤) المنقذ ص ٩٥

لمؤلفاتهم المنقولة للسريانية تراجمةٌ لا يحذقون العربية في الغالب . ولذلك فلا بد من الرجوع إلى مذاهب اليونان في هذا الموضوع لاجتلاء الحقيقة في صحة عزوها .

يبدأ الغزالي فيقرر [١] ان « الذي استقر عليه رأي جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين القول بقدم » العالم « وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى ومعلولاً له ، ومساوقاً له ، غير متأخر عنه بالزمان مساوقة المعلول للعلة ومساوقة النور للشمس » فكأنّ تقدُّم الله على العالم تقدم منطقي « بالذات وبالرتبة » لا تقدم زمني .

ثم يروي أن افلاطون قال « العالم مكوَّن محدث » ومع ذلك وُجد من شُراحه من فسَّر هذا القول تفسيراً يخالف ظاهره . وذهب جالينوس في آخر عمره (أي فاتحة القرن الثالث [٢]) في كتابه المسمى [ما يعتقده جالينوس رأياً [٣]] الى التوقف في هذه المسألة لأنها غير قابلة للحل .

فيبدو من هذا أن الغزالي جازمٌ في عزوه القول بقدم العالم الى ثلاثة على

(١) ت : ٢١

(٢) راجع ص ٦ من Dr. Daremberg, *Galien considéré comme philosophe*, Paris, 1848

(٣) في رأي بول كراوس أن هذا الكتاب هو *De propriis placitis* وهو يُرجع القارىء الى ص ١٥ من مقدمة « ترجمة تفسير جالينوس على طيماوس » المنسوبة إلى حنين بن اسحاق والتي أعدّ مع فالزر Walzer طبعة نقدية لها بعنوان *Galeni Compendium Timaei* تصدر في مجموعة Plato arabis, I وقال كراوس في الذيول التي ألحقها بكتابه عن جابر بن حيان تحت اسم جالينوس : إن من كتب هذا الأخير المذكورة في كتب جابر الـ De propriis placitis تحت اسم « ما اعتقده رأياً » إذ ورد في كتاب البحث [F. 30 b *infra*] ما يلي : « وقد أطلق مثل ذلك جالينوس في النفس وتحير وتخبل ولم يدر مايقول في ذلك حتى قال في كتابه الذي نسميه ما اعتقده رأياً إن النفس لا تدري ما هي » (راجع الصفحات ٣٢٩ - ٣٣٠ من الجزء الثاني في Paul Krauss *Jâbir Ibn Hayyân, Contribution à l'histoire des scientifiques dans l'Islam*, 2 vol. apud : Mémoires présentés à l'Institut d'Egypte et publiés sous les auspices de Sa Majesté Farouk Ier Roi d'Egypte, tomes 45 et 44 (1943 — 1942).

الأقل من الفلاسفة (أرسطو ، الفارابي ، ابن سينا) وميّال إلى اعتبار افلاطون من هذه الزمرة - على الرغم مما اعتور رأيه من تأويل - بدليل أنه يعتبر موقف الطبيب الطرسوسي[1] « كالشاذ في مذهبهم » ويقول : « إنما مذهب جميعهم أنه قديم » .

فهنا لا بد لنا من إيراد ملاحظتين : أولاهما تتعلق بعدم الصحة ، والثانية تتعلق بالإغفال وترك النص .

١ - عدم الصحة :

إن ادعاء الغزالي أن القول بقدم العالم هي المقالة الشائعة في الفلسفة ادعاء خاطئ . بل لعل المقالة المعاكسة هي التي شاعت في الفلسفة القديمة على وجه العموم . حتى إنه ليمكن أن يقال : إنه ما عدا نفراً قليلاً من الفيثاغوريين الذين قالوا باستحالة حدوث العالم ، وبصرف النظر عن رأي أرسطو ، جرت الفلسفة اليونانية القديمة على سنة القول بالحدوث[2] . وتأييداً لذلك لا نرى بأساً باستعراض سريع لتاريخ هذه القضية .

إن الميثولوجيا القديمة في مجموعها معتبرة ، في رأي مؤرخي الفلسفة ، كأنها مذهب واسع في التكوين الأولي للعالم (théogonie cosmologique) فهوميروس يضع قبل الأشياء قوتين إلهيتين هما : كرونوس (Kronos) وريا (Rhéa) . وهيزيود يجري تحليلاً لعناصر الكون فيقرر أن « الفوضى » (أو العماء Chaos) هي التي وجدت في الأصل ، ثم اشتقت منها (Gaia) وهي المادة

(١) كذا سماه جابر بن حيان ويعرف بطبيب برغام (كلود جالينوس) ، راجع الرسائل التي نشرها كراوس ص ٣٧٤ ولأجل الاطلاع على عرض مسهب لتاريخ حياته انظر الصفحات XXVII — XLII من كتاب
Ackermann, *Histoire Littéraire* (édition Kuehn) t. I

(٢) Th. Henri Martin, *Etudes sur le Timée de Platon* Paris, 1841, t.II,191

الأرضية في طور التشكل التي انفصلت عنها العناصر بتأثير « الحب » (Eros) . على هذا النحو ولدت كايا السماء ذات النجوم (Ouranos) فـ (Okéanos) الخ ... ثم إن الأورفيين (Orphiques) هم من القائلين بأنه تحت تأثير كرونوس ، التوت « الفوضى » على نفسها واتخذت في جوف الأثير الإلهي (Ether) شكل بيضة من الفضة . وهذه البيضة انشطرت شطرين : فالشطر الأعلى منها هو السماء ، والشطر الأسفل هو الأرض . بمعنى أن كل المذاهب التكوينية الأسطورية قبلت أن للعالم بداية أي انه غير أزلي [١] .

نعم إن أوائل المفكرين بعد الطور الأسطوري وهم الطبيعيون الايونيون (physiciens d'Ionie) الذين حاولوا إيجاد مذهب منسجم في التعليل ، التمسوا المبدأ المشكل للكائنات . فقال تاليس (Thalès) في القرن السادس قبل المسيح إنه الماء ؛ وقال آناكسيماندر إنه اللانهاية ؛ وقال آناكزيمين (المتوفى حول ٤٨٠) إنه الهواء ؛ وقال هيراقليط إنه النار . ولا ريب أنهم اعتبروا هذا المبدأ ــ وإن كانوا لم يطرحوا جدياً مشكلة أصل العالم ــ أزلياً أبدياً (éternel et indestructible) . ولكنهم لئن فعلوا ذلك ، فإنما هم قد أبدلوا بالألوهية قوى الطبيعة المادية فحسب ، وهم جميعاً يعتقدون أن عالمنا الحالي « حادث سوف ينتهي » لدرجة أن شيشرون [٢] يقول : « إن العوالم لا تحصى ، وهي موجودة معاً ، تأتي الى الوجود ، فتكبر فتموت » . ولئن زعم سمبليسيوس [٣] أن كزينوفان برهن على قدم العالم ، فذلك ولا شك تأويل

---

(١) استمددنا عناصر هذا العرض من الأطروحة المتازة الآتية : J. Baudry
Le Problème de l'Eternité du monde dans la philosophie grecque de Platon à l'ère chrétienne, Paris, 1931

(٢) Cicéron, *De Natur. Deor*, I, 70 apud : Baudry *loc. cit* V. 17.

(٣) Simplicius *In Phys.* 22,9 فبحسب اعتقاده يكون الاستدلال هو الآتي : « يستحيل أن تكون للعالم بداية . ذلك لأن كل ما يولد فهو صادر إما عن كائن مشابه وإما عن كائن مختلف . والواقع أن المشابه لا يلد المشابه ، وإلا لاستحالت الحركة ، من حيث لا داعي لحدوثها . وكذلك يستحيل صدور كائن عن كائن مخالف له ، لأن في هذا صدوراً للكينونة عن اللاكينونة .

المذهب فيلسوف كولوفون (Xénophane de Colophon) على طريقة الافلاطونية المحدثة . واستوبه [1] (Stobée) يقرر أن هذا الفيلسوف لم يذهب قط إلى أن عالمنا ما زال موجوداً من الأزل على حالته الحاضرة . وعلى الرغم من أن لبارمينيدس (Parménide) دعاوى اتُّخذت فيما بعد حججاً للبرهان على مقالة القدم ، فإن العالم معتبر لديه ذا بداية [2] . ثم إن الفيلسوفين الماديين زعيمي المذهب الآتومي أعني لوسبب المليتي تلميذ زينون الإيلي (في القرن السادس) وديمقريط الأبديري (في القرن الخامس والرابع) بإدخالهما فكرة الخلاء قد شقّا الطريق الى النزعة الثنوية التي ظهرت فيما بعد عند آمبذقليس (Empédocle) وأنكزاغور [3] (Anaxagore) . ومعلوم أن من رأي هذين الأخيرين أن للعالم نهاية كما أن له بداية .

إذن فالفلاسفة « قبل السقراطيين » لم يعتمدوا إلا نظرية الحدوث ـ كما رأينا ـ

(١) Stobée *Eclog . Phys* I, 416 والنص في حاشية الصفحة ٢٠ من بودري المذكور آنفاً (واجع الحاشية رقم ١ من الصفحة المتقدمة) .

(٢) المصدر نفسه ص ٣٣

(٣) المعروف أن امبذقليس الأغريجانتي استأنف النظر في الطبيعيات في القرن الخامس بعد أن قضى عليه بارمنيدس . لكنه استمسك ببعض مبادىء الايليين كمبدئهم القائل : لا تحوّل ولا ولادة حقيقية لأن العدم لا يأتي عنه شيء ، جُلُّ ما في الأمر أن هناك جسيمات صغيرة لكل منها صفات خاصة ثابتة لا تحول ولا تزول ، وهي مُعرّضة لما لا عداد له من التآليف » . (راجع تاريخ الفلسفة لاميل برييه I, 67) إلا أن هذه الجسيمات لا تستطيع من شيء دون فعل « الحب والكراهية » اللذين إنما يُحدثان « الكون والفساد » . بما يجمعان وما يفرّقان من العناصر (راجع ميتافيزياء أرسطاليس III, 11, 1000 b 6 et 20) . أما أنكزاغور فمع استمساكه بمبدأ الإيليين القائل : « لا يلد شيء عن لا شيء ؛ ومدار الأمر على جمع وتفريق بين عناصر الأشياء » ، تراه يقول التغيّر ممثلا إياه بطروء الحركة الدائرية الصادرة عن الـ « Nous » على الخليط الأول خليط البذور » .

وسندرك فيما بعد كيف أن إفلاطون بقي مقتفيا آثار من تقدمه ، وأن فكرة أزلية العالم لم تظهر إلا من بعده ، عند تلميذه أرسطاطاليس . يقول مؤرخ الفلسفة الشهير زيلر (Zeller) : « إن فكرة القدم هي على التحقيق فكرة ارسطالية » (١) . أضف الى هذا أن المعلم الأول نفسه يصرّح في كتابه [السماء والعالم] بأن « الناس جميعا اعتقدوا إلى ما قبل عهده أن للعالم بداية » (٢) ويمكننا أن نضيف أنهم طالما اعتقدوا هذا الاعتقاد بعد عهده . فالرواقيون ينفون الأزلية . وفيلون اليهودي احتفظ لنا في مطوله عن [العناية الإلهية] بأدلتهم المنقولة عن نص لثيوفراست (Théophraste) . كما أن الأبيقوريين على الرغم من قولهم بقدم الجواهر لا يترددون في الجزم بأن للعالم الذي تكوّن على سبيل الصدفة من اجتماع الآتومات مبدءاً في الزمان (٣) .

من هذا نرى أن تأكيد الغزالي بأن غالبية الفلاسفة قائلون بقدم العالم ضرب من المبالغة . ولئن وسعنا أن نلتمس له العذر عن هذا القول الجزاف بأنه هو الذي كان رائجا لدى أهل زمانه ، فليس من السهل علينا معذرته على خطأ آخر يتعلق بفيلسوف قال عنه إنه يمثل رأي أرسطاطاليس ، ونعني به الفارابي . وهذا ما نحاول بسطه ونحن نشير إلى الملاحظة الثانية المتعلقة بالإغفال .

(يتبع) الدكتور حكمة هاشم

---

(١) ص ٢ من Zeller, *Vorträge und Abhandlungen. Die Lehre d'Ar. v. d. Ewigkeit d. Welt.*

(٢) Aristole, *Du ciel* I, 10 p. 279 b 1.12-16 (Becker) = الصفحة ٨٤ من الترجمة الفرنسية لبارتلمي سانت هيلير . ومن أجل الاطلاع على مناقشته هذا المقطع ، انظر المقالة النقدية التي أضافها Rudolph على طبعته لـ Ocellus Lucanus, ch 2, sect. 2, 30 pp. 421 — 430

(٣) راجع النقل عن Censorinus, *De die natali* ,4, 9, في كتاب بوردي ص ٢٥٣

حملة نابليون على مصر

(وثيقة)

أطلعني الأستاذ الشيخ المغربي رحمه الله ، قبيل وفاته ، على وثيقة خطية تاريخية كتبت في ثلاث صفحات ، من القطع الكبير ، في فراغ وجده الكاتب في نهاية الجزء الأول من « الطبقات الكبرى » للسبكي فاستأذنته في نسخها ونشرها ، فرحب بذلك وأجاز لي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي .

كان من العادة المألوفة عند المتقدمين أن يدونوا في فراغ الكتب ، وهوامشها بعض الطرف الأدبية والحوادث الخاصة والعامة ، قديمة كانت أو معاصرة لهم . ولا يخلو أكثرها من فوائد يعمر بعضها ما عمّر الكتاب ، وتنتشر بتداولته بين الناس ويعتمدها الرواة . وهذه الوثيقة هي من هذا النوع دون بها المدعو : محمد ابن الشيخ عمر ابن الشيخ ياسين الجيلاني ما سمعه في الديار الشامية عن أخبار حملة نابليون الافرنسية على مصر في شهر محرم ١٢١٣ هـ الى يوم جلائهم عام ١٢١٦ هـ .

وهذه الوثيقة على إيجازها صحيحة في جملتها ، لولا مبالغة في عدد جيوش العدو المعتدي وخسائرها في النفوس ، وتتفق هذه المعلومات بخطوطها الأساسية مع ما أورده الجبرتي في تاريخه . وهذا نصها :

جعفر الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على خير خيرته من خلقه الكريم وعلى آله وصحبه أولي النجدة والشجاعة وأهل المروأة والبلاغة . أما بعد فيقول الفقير الى مولاه محمد ابن الشيخ عمر ابن الشيخ ياسين المتصل نسبه بالقطب الرباني ذي الكأس النوراني[١] سيدي الشيخ محي الدين عبد القادر الجيلان[٢] : لما كان تاريخ سنة ألف ومأتين وثلاثة عشر عاماً من هجرة من له العز والشرف في غرة محرم الحرام وردت الأخبار الى البلاد الشامية أن طائفة الفرانسة من الكفرة المشركين جاءوا الى مصر وأخذوا الاسكندرية[٣] مع ما يليها من بلاد رشيد ودمنهور البحيرة فجاء خبرهم الى القاهرة فخرجت الى لقائهم الصناجق فالتقوا معهم على أرض امبابه وحصل بينهم قتال عظيم[٤] . ثم الكفرة الملاعين كسروا الصناجق وفرت العساكر أمامهم منهزمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم دخلت الكفار الى مصر والقاهرة[٥] وأظهروا العدل والأمان وكل ذلك مكر وخداع ثم استولوا على أموال الصناجق ونسائهم وصاروا يفجرون فيهم واستولوا على قلعة الجبل وصاروا يحصنونها ويهيأون أسباب المنعة .

---

(١) تعبير صوفي يعني كأس المعرفة .

(٢) كذا في الأصل وصوابها الجيلاني أو الجيلي . وهو من كبار الزهاد والمتصوفين ومؤسس الطريقة القادرية تنتسب اليه عائلة الكيلاني الدمشقية والحموية . توفي في بغداد سنة ٥٦١ هـ .

(٣) جاء في تاريخ مصر للجبرتي ما نصه : « في يوم الخميس ٨ محرم سنة ١٢١٣ حضر الى الاسكندرية عشرة مراكب انكليزية ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً . وفي يوم الاثنين ١٨ محرم ١٢١٣ وردت [على الاسكندرية] مراكب وعمارات للفرنسيين كثيرة » .
وجاء في دائرة المعارف الافرنسية أن الحملة الافرنسية كانت مؤلفة من (٣٠) بارجة حربية كبيرة و (٧٢) صغيرة و (٤٠٠) ناقلة و (١٠٠٠٠) بحار و (٣٣٥٠٠) من المشاة و (٢٥٠٠) فارس .

(٤) كانت هزيمة انبابه يوم الجمعة ٢٩ محرم ١٢١٣ .

(٥) يوم ٢١ تموز ١٧٩٨ .

ثم في ذلك العام وصلوا الى عريش مصر قاصدين البلاد الشامية فجاؤا الى عريش مصر . وكان حضرة السلطان سليم خان أقام ابراهيم باشا سرداراً للعسكر ثم لما لم يقدر على ذلك عزله وولى حضرة الوزير الوقور الحاج أحمد باشا الملقب بالجزار أصلحه الله ، وجعل له الجنة دار القرار آمين . فأخذ المذكور بهيء[1] أسباب الجهاد ورتب عسكراً في غزة والرملة وما والاها ، ثم لما جاءت الملاعين الى العريش فرت العساكر وما نفعت فصارت الكفرة كلما قام العسكر من بلدة يلحقونهم الى أخرى الى أن حاصروا يافا[2] وأخذوها قهراً وسبوا أهلها قسراً فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم لما فرغوا من أمر يافا[2] جاءوا وحاصروا عكا[3] وبها حضرة الوزير الحاج أحمد باشا فلاقاهم بمدافع كالرعود القواصف وقنابر كالشهب المتناثرة وأبطال طالبين الآخرة ، وصابرهم على الحصار ودافعهم عن عكا[3] وما هنالك من الأقطار واستمر الحصار على عكا[3] من شهر شوال الى ذي الحجة الحرام ثم هجموا على عكا[3] بعد أن هدموا جانباً من سورها ودخل منهم جماعة الى داخلها فأعان الله عليهم المسلمين فقتلوا الذين دخلوا فلما أمسى المساء أشعلت الكفار في أرديهم[4] النار ثم أصبح المسلمون فما وجدوا من الكافرين ديار (كذا) ولا نافخ نار فجهز عند ذلك حضرة الوزير الوقور الحاج أحمد باشا من رؤوس[5] الكفا[ر] مقداراً وافياً الى أبواب السلطنة مع باش جوقداره[6] فقوبل من السلطنة بالاكرام والإنعامات الوفية ثم وجه

---

(١) في الأصل : بيياً .

(٢) في الأصل : يافه .

(٣) في الأصل : عكة .

(٤) كلمة تركية معناها : المعسكر .

(٥) في الأصل : رواس .

(٦) جوقدار وجوخدار كلمة تركية بمعنى رسول أو ساعي البريد وباش بمعنى رئيس

السلطان سليم خان حضرة[١] الوزير الأعظم وزير الصدارة مع العساكر والذخاير الى قطع داير هؤلاء الكفار فبرز [الى] اسكدار[٢] وجاءتنا الى حماة الأخبار بأنه قريب من قونية ثم جاءت الأخبار بأن الكفار الملاعين مقيمين (كذا) إلى حال تاريخه وهو ختام المحرم سنة ألف ومايتين وأربعة عشر عام في عريش مصر وهم يعمرون لهم حصناً لأجل أن يلاقوا عساكر المسلمين فنرجو من الله المعين أن يؤيد هذا الدين ويقطع عنا دابر المشركين وصار الحاج أحمد باشا الجزار يحصن عكا[٣] وبنى لها سوراً خارج سورها الأول وأخبر من رآه بأنه سور عظيم وأدخل من داخله مقام نبي الله صالح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. ثم لما استهل هلال ربيع الأول من سنة ألف ومائتين وأربعة عشر وصل الى حماة أردي همايون[٤] صحبة الوزير الوقور ضياء الدين يوسف باشا[٥] صدر أعظم ومكث في حماة عشرة أيام وصحبته العساكر الجرارة والذخاير وأرسل في البحر عساكر آخرين مع المدافع وآلات الحروب شيء (كذا) كثير وصحب معه ومع انكجر اغاصي[٦] مدافعاً أخر ولكنها قليلة لأجل الاشتهار وإلا فأكثر المدافع والجبخانات[٧] سارت في البحر نسأله تعالى النصر لنا ولهم على الكفار آمين. ثم سار الى الشام ثم الى غزة وأرسل الى حصار العريش[٨] عساكر الموحدين فأخذوها[٩] وقتلوا من هنالك من الكفرة الملاعين وسار بعد ذلك الى الصالحية

(١) في الأصل : حضرت .
(٢) أقدم أحياء اسلامبول وأوسعها يقع على شاطىء البوسفور الآسيوي .
(٣) في الأصل : عكة .
(٤) كلمتان تركيتان تعني : جيش السلطاني .
(٥) ترجم له في قاموس الأعلام لشمس الدين سامي ٦ : ٤٨١٧ .
(٦) أي رئيس الأنكشارية .
(٧) لفظة تركية تفيد : الذخائر الحربية .
(٨) بلدة معروفة في أول صحراء سيناء .
(٩) يوم ٢٥ حزيران ١٨٠١ .

ودخلت المسلمين (كذا) الى القاهرة صلحاً مع الكفار لا بضرب بالصارم البتار ثم بعد ذلك نقضت الكفار الصلح وخرجوا لقتال الوزير وقاتلوه فهرب ولم يقم قدامهم ولا ساعة وولى الأدبار وتبعوه يضربون بالمدافع ثم لما ولى الوزير منهزماً رجعوا وحاصروا من هنالك من المسلمين وعساكر الموحدين وكان في مصر ناصوح (كذا) باشا العظم الحموي المولد والمنشأ فاقتتلوا وظنوا أن الوزير يرسل اليهم عساكر ليقويهم على الكفار فلم يرسل لهم أحد (كذا) . ثم لما طال على المسلمين الحصار أخرجتهم الكفار تحت الأمان ودفعوا الى ناصوح باشا بعض الجمال والذخيرة فرجع الى عند الوزير الى يافا[1] ثم جرت هناك أحوال يطول شرحها ثم بعد نحواً (كذا) من سنة جهز الوزير عساكر أخر مع المراكب وسار الى مصر ثم دخلها أيضاً بغير قتال لكون الكفرة الملاعين ذهب أكثرهم شيئاً في القتال وشيئاً في الطاعون وعلى القول أنهم خرجوا من بلادهم مائتا الف مقاتل[2] وحين أخرجوا من مصر بقي منهم نحو من عشرين ألف فأرسلهم مع الانكليز .... [3] ومكث يرتب أمور البلاد المصرية والى الآن ما جاءنا خبر يكتب . ثم ورد بعد أن رتب أمور مصر الوزير صدر أعظم ضيا يوسف باشا راجعاً على العريش الى الشام الى حماه واستقام بها قريباً من عشرة أيام وكان نصب أوطاقه[4] في المصطبة وتوجه منها الى حلب على الطريق السلطاني ثم الى اسلامبول والله أعلم . » انتهى

---

(١) في الأصل : يافه .

(٢) هنا مبالغة في التقدير واجع حاشيتنا رقم (٣) ص : ٣٠٤ .

(٣) شطب ثلاث كلمات لم نتبينها .

(٤) كلمة تركية بمعنى خيمة .

الترمذي صاحب الجامع في السنن

ترجمته :

هو الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك ، وقيل ابن السكن السلمي البوغي الترمذي الضرير ، أحد حفاظ الأئمة الأعلام وأئمة الإسلام ، السلمي (بالضم) نسبة الى بني سليم (مصغراً) قبيلة من غيلان . والبوغي (نسبة الى بوغ) قرية من قرى ترمذ . والترمذي نسبة الى ترمذ مدينة قديمة من بلاد ما وراء النهر ـ على طرف هذا النهر وهو نهر بلخ ـ ويقال له جيحون . واليها ينسب الحافظ أبو الحسن أحمد الترمذي من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل المتوفى قبل أبي عيسى الترمذي . وكذا الحافظ أبو عبد الله محمد بن علي المشهور بالحكيم الترمذي صاحب « نوادر الأصول » المتوفى بعده . وكذا الفقيه أبو جعفر بن محمد بن احمد الترمذي المتوفى بعده سنة ٢٩٥ هـ .

ولد الإمام في ذي الحجة سنة تسع ومائتين (٢٠٩ هـ) وتوفي في ١٣ رجب سنة ٢٧٩ هـ ، وعمره سبعون سنة إلا أشهراً ، وجده سَورة بفتح السين المهملة أصله من « مرو » ، وانتقل أيام الليث بن سيار الى ترمذ فاستوطنها . والإمام أبو عيسى أصبح ضريراً في آخر عمره لكثرة بكائه فبقي ضريراً عدة سنين في آخر حياته . وقيل وُلد أكمه وهو غير صحيح على التحقيق .

شيوخه :

للإمام الترمذي رحلات واسعة ، طاف بلاداً وسمع خلقاً من الخراسانيين والعراقيين والحجازيين . وقدماء شيوخه من الخراسانيين والحجازيين ليس فيهم

عراقي ، فسمع قتيبة بن سعيد الثقفي المتوفى سنة ٢٤٠ ﻫ وأبا مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري المدني المتوفى سنة ٢٤٢ ﻫ وابراهيم بن عبد الله بن حاتم الهروي المتوفى سنة ٢٤٤ ﻫ واسمعيل بن موسى الفزاري السدّي المتوفى سنة ٢٤٥ ﻫ وسويد بن نصر بن سويد المروزي المتوفى سنة ٢٤٠ ﻫ وعلي بن حجر المروزي المتوفى سنة ٢٤٤ ﻫ ومحمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب المتوفى سنة ٢٤٤ ﻫ وعبد الله بن معاوية الجمحيّ المعمر المتوفى سنة ٢٤٣ ﻫ وطبقتهم .

وقد شارك البخاري منهم في قتيبة بن سعيد وعلي بن حجر . وشارك البخاري ومسلماً وأبا داود أيضاً في الرواية عن محمد بن بشار الملقب بالبُندار ومحمد بن المثنى وزياد بن يحيى الحساني وعباس بن عبد العظيم العنبري وأبي سعيد بن الأشج عبد الله بن سعيد الكندي وأبي حفص عمرو بن علي الفلاس ، ويعقوب بن ابراهيم الدورقي ومحمد بن معمر القيسي ونصر بن علي الجهضمي .

وتفقه بالبخاري في الحديث ، فالبخاري شيخه في فقه الحديث ، وسمع من الإمام أبي داود أيضاً . والإمام الترمذي لعله لم يدخل بغداد ، لأن الخطيب لم يترجم له في تاريخه الكبير ، ولم يثبت روايته عن الإمام أحمد فلعله لم يلاقه وإنما يروي عن طبقة أحمد .

أصحابه وتلاميذه :

حدّث عنه مكحول بن الفضل ومحمود بن نمير وابنه محمد بن محمود وحماد ابن شاكر وعبد بن محمد النسفيون ، والهيثم بن كليب الشاشي واحمد بن علي ابن حسنويه وأبو حامد أحمد بن عبد الله المروزي التاجر وأحمد بن يوسف النسفي وأبو الحارث أسد بن حمدويه وداود بن نصر البزدوي ومحمد بن مكي ابن فوج ومحمد بن سفيان بن النضر ومحمد بن المنذر بن سعيد الهروي وأبو العباس محمد أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي راوي كتاب الجامع عنه محدث مرو

وشيخها ورئيسها . وسمع منه البخاري حديثين وهما في جامعه : الأول حديث أبي سعيد الخدري في الطهارة ، والثاني حديث ابن عباس في تفسير سورة الحشر وقال بعد كل منهما : سمع مني محمد بن اسماعيل هذا الحديث . ولا ريب أن سماع مثل البخاري منه وهو أمير المؤمنين في الحديث مفخرة عظيمة له .

ثناء الأئمة عليه :

قال ابن حبان بعد ما ذكره في الثقات : كان ممن جمع وصنف وحفظ . وقال الحاكم أبو أحمد : سمعت عمران بن علان يقول : مات محمد بن اسماعيل البخاري ولم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والورع ، بكى حتى عمي اهـ وقال نصر بن محمد الشيركوهي : يقول سمعت محمد بن عيسى الترمذي يقول قال لي محمد بن اسمعيل (البخاري) : ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي . وهذا من مثل البخاري شهادة في غاية المنزلة في الثناء على صاحبه وتلميذه وربما تكون هذه من توقد ذكائه ، فان التلميذ الذكي ربما ينتفع به الشيخ كثيراً .

وقال الذهبي في الميزان : الحافظ العلم أبو عيسى الترمذي صاحب الجامع ثقة مجمع عليه ، ولا التفات الى قول أبي محمد بن حزم في الفرائض من كتاب الايصال : إنه مجهول، فانه ما عرف ولا درى بوجود الجامع ولا العلل . وقال الذهبي في سير النبلاء (مخطوط) : وما ذكر ابن حزم سنن ابن ماجه ، ولا جامع أبي عيسى فانه ما رآهما ولا أدخلا الى الأندلس إلا بعد موته اهـ . وقال ابن الأثير في تاريخه : كان إماماً حافظاً له تصانيف حسنة ، منها الجامع الكبير وهو أحسن الكتب اهـ . وقال السمعاني في الأنساب : إمام عصره بلا مدافعة صاحب التصانيف ... أحد الأئمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث . وقال الحافظ أبو الحجاج المزي في التهذيب : أحد الأئمة الحفاظ المبرزين ، ومن نفع الله به

المسلمين اهـ ، وقال ابن كثير في تاريخه : وهو أحد أئمة هذا الشأن في زمانه ، وقال : وجهالة ابن حزم لأبي عيسى الترمذي لا تضره حيث قال في محلاه : ومن محمد بن عيسى بن سورة ؟ فان جهالته لا تضع من قدره عند أهل العلم ، بل وضعت منزلة ابن حزم عند الحفاظ ، وقال أبو يعلى الخليلي القزويني في علوم الحديث : ... وهو مشهور بالأمانة والإمامة والعلم .

حفظه :

قال ابن العماد في الشذرات (٢ : ١٧٤) : وكان مبرّزاً على الأقران آية في الحفظ والاتقان اهـ . قال أبو الفضل المقدسي في شروط الأئمة (ص ١٧) نقلاً عن أبي سعد الادريسي : كان يضرب به المثل في الحفظ اهـ . وذكر المقدسي في الشروط والذهبي في طبقاته والحافظ ابن حجر في التهذيب باختلاف في بعض الألفاظ : عن أبي عيسى الترمذي ، يقول : كنت في طريق مكة وكنت قد كتبت جزأين من أحاديث شيخ ، فمر بنا ذلك الشيخ فسألت عنه فقالوا فلان ، فذهبت اليه وأنا أظن الجزأين معي ، وإنما حملت معي في محملي جزأين غيرهما ، فلما ظفرت سألته السماع فأجاب ، وأخذ يقرأ من حفظه . ثم لمح فرأى البياض في يدي فقال : أما تستحي مني ؟ فقصصت عليه القصة وقلت له : إني أحفظه كله فقال اقرأ فقرأته على الولاء ، فقال هل استظهرت قبل أن تجيء إليّ قلت لا ، ثم قلت : حدثني بغيره ، فقرأ عليّ أربعين حديثاً من غرائب حديثه ثم قال هات فقرأت عليه من أوله إلى آخره كما قرأ ما أخطأت في حرف ، فقال لي : ما رأيت مثلك اهـ .

تآليفه وخصائص كتابه جامع الترمذي في السنن :

وصفوه بأنه صاحب التصانيف الحسنة ، ووصفه بعضهم بأن له تصانيف كثيرة في علم الحديث ؛ ولكن التي ذكروها بأسمائها : الجامع في السنن ، والشمائل ،

والعلل الصغرى ، وهذه الثلاثة شاعت وذاعت في مشارق الأرض ومغاربها ، وله كتاب العلل الكبرى وكتاب الزهد وكتاب التفسير وكتاب التاريخ وكتاب الأسماء والكنى .

كتابه الجامع في السنن أحد الأمهات الست التي عليها مدار الإسلام :

قال ابن كثير في تاريخه : وروى ابن نقطة في تقييده عن الترمذي أنه قال : صنفت هذا المسند الصحيح وعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ، ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي ينطق وفي رواية يتكلم اهـ وحكاه الذهبي وابن حجر أيضاً مختصراً .

ونقل ابن كثير والمقدمي عن أبي اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري : كتاب الترمذي عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم ، لأن كتابي البخاري ومسلم لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحر ومن هو من أهل المعرفة التامة بهذا الفن ، وكتاب أبي عيسى الترمذي قد شرح أحاديثه وبيّنها فيصل اليها كل أحد من الناس والفقهاء والمحدثين وغيرهم . وقال ابن الأثير المحدث الحافظ : في سنن الترمذي ما ليس في غيرها من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب اهـ . ويقول صاحب مفتاح السعادة : وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب وأكثرها فائدة وأحسنها ترتيباً وأقلها تكراراً ، وفيه ما ليس في غيره من ذكر المذاهب ووجوه الاستدلال وتبيين أنواع الحديث من الصحيح والحسن والغريب وفيه جرح وتعديل ، وفي آخره كتاب العلل وقد جمع فيه فوائد حسنة لا يخفى قدرها على من وقف عليها .

ويقول المقدمي في الشروط : وأما أبو عيسى فكتابه وحده على أربعة أقسام : قسم صحيح مقطوع به وهو ما وافق فيه البخاري ومسلماً ، وقسم على شرط الثلاثة

دونها كما بيّنا ، وقسم أخرجه للضدّية وأبان عن علته ولم يغفله ، وقسم رابع أبان هو عنه فقال : ما أخرجت في كتابي إلا حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء الخ .

ويقول الإمام القاضي أبو بكر بن العربي في عارضة الاحوذي في صدد ثنائه على كتاب الترمذي : وليس فيهم - أي أصحاب الصحاح - مثل كتاب أبي عيسى حلاوة مقطع ، ونفاسة منزع ، وعذوبة مشرع ، وفيه أربعة عشر علما ... وذلك أقرب الى العمل : أسند وصحّح وضعّف وعدّد الطرق وجرّح وعدّل وأسمى وأكنى ، ووصل وقطع وأوضح المعمول به والمتروك ، وبيّن اختلاف العلماء في الرد والقبول ، وذكر اختلافهم في تأويله ، وكل علم من هذه العلوم أصل في بابه ، وفرد في نصابه ، فالقارئ له لا يزال في رياض مونقة ، وعلوم متدفقة متسقة ، وهذا شيء لا يعمله إلا العلم الغزير والتوفيق الكثير والفراغ والتدبير اه . وقال أبو جعفر بن الزبير : وللترمذي في فنون الصناعة الحديثية ما لم يشاركه غيره . حكاه صاحب التدريب . قالوا وجملة ما في الجامع مائة وأحد وخمسون كتاباً .

يقول الراقم : كلام القاضي أبي بكر وغيره وما ذكره السيوطي في قوت المغتذي عن ابن رُشيد وعن الحافظ ابن سيد الناس اليعمري في خصائص كتابه يحتاج الى ايضاح ، فدونك بيانه مع زيادات وتوضيحات :

لا ريب أن كل كتاب من هذه الأمهات في الحديث له مزايا لا تلفى في غيره ، فمن تلك الجهات تقع المزية . ولا تكاد توجد مزية مطلقة لكل كتاب من كل جهة . فكل من أرباب الصحاح أراد إبداعاً في كتابه وأداه ناجحاً موفقاً في مغزاه ، ويحتاج ذلك الإجمال الى تأليف مفرد في الموضوع لكي تُفصل أرجاؤه القاصية ، وإنما أريد في هذه الفرصة السانحة القصيرة ذكر خصائص الترمذي في كتابه الجامع لتلك المزايا المشار اليها في كلمات الأعلام بنوع ايضاح وبسط تكون كالقواعد الكلية في مزاياه :

الأول : أنه جمع في كتابه أنواعاً من السنن النبوية وهي تؤول الى ثمانية :
(١) العقائد وأصول الديانة . (٢) الأحكام الشرعية من العبادات والمعاملات وحقوق الناس . (٣) تفسير القرآن الكريم بما ثبت عنده من الروايات . (٤) الآداب والأخلاق . (٥) السيرة النبوية وشمائلها . (٦) مناقب أصحاب رسول الله ﷺ حملة هذا الدين المتين . (٧) أبواب التذكير والموعظة من الترغيب والترهيب وهي التي تسمى بالرقاق وبها سماها الإمام البخاري في صحيحه ، وفيها عند الترمذي كتاب الزهد في هذا الجامع ليس له عندي نظير في هذه الكتب الستة . (٨) أشراط الساعة وآياتها ، فكتابه أجمع كتاب من بين الأمهات الست في هذه الأنواع ، وإن كان للبخاري مزية لا تلحق في أبواب المغازي . فالإمام البخاري وإن شاركه في جميع هذه الأقسام في صحيحه بيد أن تشدده في شروط الصحة في صحيحه والتزامه ما لا يلزم في كتابه هذا حال دون توسعه في جمع الروايات وسرد كل ما له صلة بالموضوع وتخريج شتى الأخبار ، فبذلك ضاق عليه نطاق موضوعه الواسع . فانظر كتاب الزهد وكتاب الدعوات وكتاب التفسير مثلاً من كتاب جامع الترمذي وقايسها بالرقاق والدعوات والتفسير من صحيح البخاري تجد برهان ذلك بما يشفي صدرك .

نعم توسعه في الأبواب والترجمة في كل باب واستثارة مسائل دقيقة فقهية وأصولية وكلامية من طوايا الأحاديث وثنايا الروايات مما يقضي للبخاري ببراعة مدهشة وتنبه عجيب ومقدرة فائقة .

الثاني : انه حكم على الأحاديث بالصحة والحسن والغرابة والضعف ، وهذا في غاية النفع للقارئ ، وفي غاية الأهمية للباحث . هب أنه تساهل في الحكم غير أنه رأي إمام حافظ ثقة متفق على جلالته وإمامته . على أن تصحيحه فوق تصحيح الحاكم أبي عبد الله في المستدرك كما حقق بعض المحدثين ، وان

تحسين الترمذي بعدل تصحيح الحاكم ، فلما لم يلتزم شرطاً خاصاً في التخريج تدارك هذا الوهن ببيان درجة الحديث من الصحة والحسن وما الى ذلك .

الثالث : انه تصدى لبيان مذاهب الأئمة وتعامل الأمة ، وبيان هذا الاختلاف في هذا الكتاب يكاد يغني عن الكتب المؤلفة الخاصة في الخلاف ، ككتب أبي جعفر محمد بن جرير الطبري وأبي جعفر الطحاوي ومحمد بن نصر المروزي ومحمد بن المنذر أبي بكر ومحمد بن خزيمة وأبي زكريا الساجي والكياهراسي وغيرهم مما لم تقرأ لها غير الأسماء المجردة في كتب الطبقات . فرواية الحديث ثم تعقيبه ببيان المذاهب الفقهية في غاية الحسن والجمال ، وبه يعلم حال تلقي الأمة وأساطين الدين لتلك الروايات الحديثة ، وهذا الذي يقوله القاضي أبو بكر ، وبه يتضح ما قاله الامام القاضي أبو زيد الدبوسي من كبار أئمة الحنفية في كتاب الأسرار : ومسألة اختلف فيها كبار الصحابة رضي الله عنهم يعوز فقيهها ويصعب الخروج عنها اه . كما حكاه الشيخ عبد العزيز البخاري في كشف الأسرار .

فالترمذي رحمه الله بكتابه هذا يكاد يغني في وقت واحد عن الكتب المؤلفة في الاحكام ، وعن الكتب الخاصة في الخلاف ، وهذه الميزة لكتابه لم يساهمه فيها أحد . والوقوف على مذاهب الصحابة والتابعين علم عزيز نادر . وكذلك العثور على المذاهب المهجورة كمذاهب الأوزاعي امام أهل الشام وسفيان الثوري من أئمة العراق واسحاق بن ابراهيم المروزي من أئمة خراسان قلما يقف عليها أحد إلا بواسطة الإمام الترمذي وكتابه الوحيد .

الرابع : انه جعل مذاهب فقهاء الأمة قسمين ، وخص كل قسم بباب مفرد ويأتي بالحديث المحتج به للمسألة . وهكذا جعل الأحاديث المتعارضة في باب الأحكام في بابين ، وشيخنا رحمه الله سمى القسم الأول بالحجازيين مريداً به مالكاً والشافعي ، والثاني بالعراقيين تنقيحاً للخلاف ، لكون الشافعي غالباً في الأول ،

وأبي حنيفة في الثاني . وليس المراد بالثاني أبا حنيفة وأحمد خاصة فموافقات احمد للشافعي ربما تكون أكثر، كما أن موافقات مالك لأبي حنيفة ربما تكون أكثر، وربما تجتمع مذاهب الأربعة في الثاني كما في باب ترك الوضوء مما غيّرت النار . والامام الترمذي ربما يؤيد أحد القسمين ويرجح تفقهاً أو تحديثاً أو تعاملاً أو يجمع بينهما وكتابه طافح بأمثلته .

الخامس : أنه يذكر أسماء من ذكر في الاسناد بالكنى وتارة عكس ذلك، والتزم ذلك خصوصاً فيما كان فيه غموض وخفاء، وهذا علم مفرد من علوم الاسناد أفردوه بالتأليفات قديماً، وفيه مؤلفات للبخاري ومسلم والترمذي وأبي بشر الدولابي وغيرهم من جهابذة المحدثين، وكتاب الدولابي كتاب جليل مطبوع في جزئين في دائرة المعارف بالهند من أنفع ما كتب في هذا الموضوع .

السادس : انه زاد باب الجرح والتعديل بعد تخريج الروايات . والإمام الترمذي لما لم يلتزم شرطاً خاصاً في كتابه في إخراج الاحاديث مثل ما التزمه الشيخان البخاري ومسلم ثم النسائي وأبو داود، بل توسع ما لم يتوسع البقية، كافأ ذلك ببيان درجة الحديث من الصحة والضعف، ثم بالكلام من جهة صنعة المحدثين في الرجال . وهذا الباب من أهم ما يحتاج اليه الباحث . وللأئمة البخاري ومسلم وغيرهما الى عهد الحافظ الذهبي وابن حجر والسيوطي كتب كثيرة في الثقات والضعفاء والمدلسين والمجاهيل على أصناف .

السابع : انه ربما يأتي في الأبواب بعد رواية الأحاديث بأبحاث حديثية وفوائد اسنادية في غاية الجودة لا تجدها عند غيره، من أبحاث الوصل والارسال والوقف والرفع وكون الراوي عنه ﷺ صحابياً أو تابعياً وما الى ذلك من علوم علل الحديث . وله فيها آراء متينة، وربما تصادم آراء بعض مشايخه كالبخاري وغيره ويرجحها بحجة ناهضة كما أنه ربما يتابع آراءه في بعض

المشكلات ، وهذا يكافئ ما عند غيره من الاعتبارات والشهادات من علوم المحدثين وآدابهم في مصنفاتهم ٠

الثامن : انه يكتفي غالبًا في غالب الأبواب بحديث واحد بطريق واحدة من غير أن يسرد بقية الطرق للحديث أو بقية الروايات في الباب ، خصوصًا في أحاديث الأحكام ، فقلت مادة أحاديث الأحكام في كتابه ٠ بيد أنه يتداركه بالإشارة الى أسماء من روى من الصحابة حديثًا في ذلك الموضوع أو ما يلائم ذلك المتن ٠ فيعلم بذلك عدد الرواة من الصحابة لذلك الحديث أو لذلك الموضوع ٠ وهذه مزيّة لها موقعها من الأهمية البالغة في نظر جهابذة النقد والبحث من المحدثين ٠ وهذه ميزة بديعة لكتابه ترتاح لها الأذواق القديمة والأفكار الحديثة جميعًا في وقت واحد ٠ فيقول : وفي الباب عن فلان وفلان ٠ ويستوعب ذلك استيعابًا بالغًا مدهشًا ، ربما يحتاج الباحث في تخريجها الى تصفح مجلدات كبيرة وآلاف من الأوراق وربما يخيب الباحث في الظفر به ٠

وللحافظ العسقلاني تأليف مستقل في تخريج ما في الباب ، سماه اللباب ، كما حكاه السيوطي في شرح الترمذي قال : ولم أقف عليه ٠ يقول الراقم : وبالأسف اني لم أقف أيضًا عليه مع طول البحث عنه في مكاتب الحرمين والقاهرة وخزائن الآستانة المتدفقة الفياضة ٠ وقد سبق الحافظ العسقلاني شيخه العراقي الى تخريج ما في الباب كما يذكره العراقي في نكته عن ابن الصلاح ، فلعل العسقلاني اقتفى اثر شيخه العراقي في ذلك فلخصه أو استدرك عليه ٠ وبالأسف لم أقف عليه أيضًا ٠ والرجاء من الناظر الكريم الإطلاع إذا وقف عليها أو على أحدهما في مكتبة من المكاتب الإسلامية وإن كانت شخصية ٠

وقد التزم الحافظ ابن سيد الناس اليعمري ثم العراقي في شرحيها تخريج ما في الباب ، وقد شرعت ــ والحمد لله ــ في تخريجه بكتاب أفردته وراعيت فيه

أموراً مهمة ألفت منها قطعة ، ولو نجز عملي على المنهاج الذي افتتحته أرجو أن يكون له قيمته العلمية عند أرباب الفضل والنُبل .

التاسع : أنه ربما يأتي بتأويل وتفسير للأحاديث المشكلة من عند نفسه أو من كلام غيره من أئمة هذا الشأن ، مثاله : أخرج حديث أبي هريرة في فضل الصدقة من كتاب الزكوة مرفوعاً : ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه الخ ، ثم قال : وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات في الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ، قالوا : قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف . هكذا روي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك انهم قالوا في هذه الأحاديث : أمِرُّوها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ، الى آخر ما قال رحمه الله .

العاشر : أنه يأتي في الأبواب بالأحاديث الغريبة ويترك الأحاديث الصحاح السائرة بين الناس ، ثم يشير اليها بما في الباب وليس ذلك بعيب .

قال المحقق الكوثري في تعليقاته على شروط الأئمة للحازمي : فانه رحمه الله يبين ما فيه من العلل ، ثم يبين الصحيح في الاسناد ، وكان قصده رحمه الله ذكر العلل ، ولهذا تجد النسائي اذا استوعب طرق الحديث بدأ بما هو غلط ثم يذكر بعد ذلك الصواب المخالف له اه . قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي : اعلم أن الترمذي خرّج في كتابه الحديث الصحيح والحديث الحسن وهو ما نزل عن درجة الصحيح وكان فيه بعض ضعف والحديث الغريب والغرائب التي خرج فيها بعض المناكير ولا سيما في كتاب الفضائل ، ولكنه يبين ذلك غالباً ولا يسكت عنه ولا أعلم أنه خرّج عن متهم بالكذب متفق على اتهامه حديثاً باسناد مفرد ، إلا أنه قد يخرج حديثاً مروياً من طرق أو مختلفاً في إسناده وفي بعض طرقه متهم . نعم قد يخرج عن سيئ الحفظ وعمن غلب

على حديثه الوهم ويبين ذلك غالبًا ولا يسكت عنه . وقد شاركه أبو داود في التخريج عن كثير من هذه الطبقة مع السكوت على حديثهم كاسحاق بن أبي فروة وغيره ، إلى أن قال : والترمذي يخرج حديث الثقة الضابط ومن يهم كثيراً ومن يغلب عليه الوهم يخرج حديثه قليلاً . ويبين ذلك ولا يسكت عنه .

وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي في شروط الأئمة الستة : وكان من طريقته رحمه الله ـ أي الترمذي ـ أن يترجم الباب الذي فيه حديث مشهور عن صحابي قد صح الطريق اليه ، وأخرج من حديثه في الكتب الصحاح ، فيورد في الباب ذلك الحكم من حديث صحابي آخر لم يخرجوه من حديثه ولا يكون الطريق اليه كالطريق الأول وان كان الحكم صحيحاً ، ثم يتبعه بأن يقول : وفي الباب عن فلان وفلان ويعد جماعة فيهم ذلك الصحابي المشهور وأكثر وقلما يسلك هذه الطريقة إلا في أبواب معدودة والله أعلم اهـ .

وقال أبو بكر الحازمي في شروطه .... : لأن الحديث إذا كان ضعيفاً أو مطلعه من حديث أهل الطبقة الرابعة فانه يبين ضعفه وينبه عليه فيصير الحديث عنده من باب الشواهد والمتابعات ويكون اعتماده على ما صح عند الجماعة اهـ .

يقول الراقم : هذا ما تيسر من القول في بيان خصائص هذا الكتاب الجامع من فقه المذاهب ، وعلل الحديث ، وأسماء الرجال والجرح والتعديل ، ومهمات أصول الحديث ، ومسائل المصطلح ، والتنبيه على مراتب الأحاديث ، والإشارات الى وجود الروايات من الصحابة في ذلك الموضوع ، وذكر توجيهات الأحاديث المشكلة ، وتوسع في تراجم الأبواب ، وتلخيص جيد بالاكتفاء على رواية واحدة لكي يتسنى الضبط لمن أراد وغير هذه المزايا التي لا تراها مجموعة عند غيره من أصحاب الأمهات .

تنبيه : لم يذكر أبو عيسى الترمذي في كتابه صراحة مذهب أبي حنيفة ولا سماه باسمه ، وإنما يذكر مذهب أهل الكوفة ، وكثيراً ما يكون معهم

أبو حنيفة ، وذلك لأمرين : الأول أنه لم يصل اليه مذهب أبي حنيفة خاصة بالاسناد الموثوق كما وصل اليه مذهب الشافعي القديم من رواية أبي الحسن الزعفراني ، قاله إمام العصر شيخنا الكشميري . والثاني : انه ربما يكون ذلك لما حدث في قلبه من التغير لتأثره بشيخه البخاري في فقه الحديث فلم يستعد قلبه لأن يستلذ باسم أبي حنيفة في كل باب . ولا ريب أن شيخه البخاري كان متأثراً من شيخه اسحاق بن راهويه إمام خراسان ، وكان في طبيعته شيء من الانحراف عن الإمام أبي حنيفة من جهة شيخه عبد الرحمن بن مهدي لأجل ما كان بين شيخه سفيان الثوري وبين أبي حنيفة لأجل المعاصرة التي لم ينج منها أحد إلا الأنبياء الكرام .

مذهبه الفقهي :

من الحقائق الملموسة أن أصحاب هذه الأمهات الست جاء عهدهم وقد انحاز المسلمون في البلاد الى مذاهب الأئمة المتبوعين ، وكلٌ تأثر من بيئته التي نشأ فيها ومن شيوخه الذين تخرَّج عليهم ، واذا وافق ذوقَ شيخه ذوقُه انصبغ في آرائه وأفكاره انصباغاً كاملاً . فمن الطبيعي إذا هو تصدى الى تأليف له صلة بتلك الأمور أن تتجلى فيه آراؤه بأجلى مظاهرها ، لأنه أصبح فقيهاً أو متفقهاً قبل أن يصير محدثاً ، وأصبح عاملاً على مسلك قبل أن يصير عالماً به علماً ضافياً . والمرء مهما ارتقى لا تزال آثار بيئته فيه بادية إلا ما شاء الله ، فلا يمكن أن يتجرد من تلك الآثار تجرداً كاملاً . ثم هناك ظروف خاصة وأذواق طبيعية متفاوتة ، فاذا وقع نفور من إمام من الأئمة نشأ في قلبه حجاب من إدراك ذوقه الخاص والاحاطة بمزاه ، ومقتضيات الطبيعة البشرية لا يخلو عنها بشر ، فالإمام البخاري رحمه الله مهما ارتقى في كمالاته الى الذروة العليا فتأثره من شيوخه وطبقته غير بعيد . فلا بد إذا هو ألف كتاباً أن يؤلف تأييداً لما

هو الصواب عنده وعلى الأقل ما هو أحق وأولى . وعلى هذا بقية المحدثين الكرام أرباب الصحاح والسنن .

نعم اذا كان البخاري مثلاً اختار حديثاً خاصاً من بين الأحاديث التي يؤيد كلها تلك المسألة وترك البقية فذلك يدل على أن ذلك الحديث أقوى عنده من البقية . وبالجملة لا بد أن يكون هناك وجه لاختياره من بين تلك الروايات ، ولا يكون رأيه هذا حجة على الآخرين ، ولكل وجهة هو موليها . واذا تقرر هذا نقول : هؤلاء المحدثون الثقات والبارعون الأثبات أمامهم التنزيل العزيز لا تخفى عليهم مدلولاته العامة الواضحة وبين أيديهم أحاديث الرسول عليه صلوات الله وسلامه وعندهم آثار أصحابه البررة الكرام وعند أكثرهم فطنة وذكاء فلا يحتاجون الى تقليد الأئمة المتبوعين تقليد عامة التابعين وإنما يلجأون الى تقليدهم أو اتباعهم في فروع دقيقة ومسائل غامضة غير منصوصة في الكتاب والسنة ، ففي مثلها يتبعون مسلك إمام من الأئمة يوافق ذوقه ببصيرة نافذة على حسب مداركهم وتتفاوت مراتبهم في الرد والقبول فبعضهم فوق بعض ، فلا ريب أن البخاري وأبا داود السجستاني لهما منزلة في الفقه وقدم في الاجتهاد ليست لغيرهما من مسلم والترمذي ، ثم للترمذي ما ليس للنسائي وابن ماجه ، فكهذا تتفاوت منازلهم في الاتباع ولا ريب أن مدارك الأئمة المجتهدين المتبوعين فوق ما يدركه عامة المحدثين فكلام ابن أبي ذؤيب في مالك وكلام ابن معين في الشافعي وكلام الكرابيسي في أحمد وكلام طائفة من المحدثين غير الفقهاء في أبي حنيفة ، إنما كان أكثر ذلك من جهة عدم تقديرهم لمنازلهم ، وقصور مداركهم عن معرفة مداركهم ، أو اختلاف أذواقهم ، ووظيفة المجتهد لا يستقل بادراكها إلا مجتهد مثله . وقول الأعمش سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي لأبي يوسف الإمام في مسألة استعجمت على الأعمش ، وجواب أبي يوسف عنها بحديث يرويه عن الأعمش ، وكذا عند جواب أبي حنيفة عن معضلة

أخرى بحديث يرويه عن الأعمش ، بعد ما سكت عنها الأعمش ، مذكور في جامع بيان العلم للحافظ أبي عمر بن عبد البر القرطبي : يا معشر الفقهاء أنتم الأطباء ونحن الصيادلة اهـ . وفي سنن الدارقطني (٢ — ٥٤٥) باسناده عن عبد الواحد بن زياد قال : قلت لأبي حنيفة : من أين أخذت هذا الرجل يعمل في مال الرجل بغير إذنه انه يتصدق بالربح ؟ قال : أخذته من حديث عاصم بن كليب ، وما الى ذلك من مئات الوقائع تشير الى دقة مدارك الاجتهاد وبُعد مدارك المجتهدين ، وإلى أنه قد بدا لهم ما خفي على كثير من المحدثين ، ومنشأ سوء ظن الكثيرين عدم وقوفهم على أدلة المجتهدين ، فانه لم ينقل عن المجتهدين الأدلة ووجوه الاستنباط عن النصوص مثل نقل المسائل عنهم ، واليه يشير كلام الحافظ ابن تيمية في دفع الملام عن الأئمة الأعلام . فكل من قال ان البخاري مذهبه الفقهي كذا ، ومذهب أبي داود كذا ، فكل ذلك من هذا القبيل ، فهؤلاء مع علمهم الواسع في الروايات لم يستغنوا عن اتباع هؤلاء الجهابذة من المجتهدين . فاذا كان مثل أبي يوسف ، وليث بن سعد ، ووكيع ، ويحيى بن سعيد بن القطان ، ويحيى بن معين وأمثالهم ، لم يستغنوا عن مثل أبي حنيفة ، فما ظنكم بهؤلاء أرباب الأصول الستة كيف يستغنون عن اتباع الأئمة المجتهدين ، نعم ذلك في نوازل غامضة ومسائل عقيمة ، لا يهتدي إلى مثلها إلا مثل أبي حنيفة والشافعي .

فلو كان مثل البخاري مع علو كعبه يتبع آراء شيخه اسحاق بن راهويه ، أو الحميدي ، أو الكرابيسي ، وأبي ثور والزعفراني ، أو يوافق الشافعي في مسائل ، فمثل أبي عيسى الترمذي لا بد أن يتبع مذهباً من مذاهب هؤلاء الأئمة وشذوذهم في مسائل عديدة لا يخرجهم عن اتباعهم في البقية ، فأمثال هؤلاء المحدثين — وهم وإن كانوا مجتهدين في مسائل — فهم متبعون للأئمة في

مسائل ، على أن اجتهادهم في تلك المسائل أيضاً ، تابع في أصول الاجتهاد لأولئك الأعلام ، من اختيارهم لتنقيح المناط أو تخريجه أو تحقيقه ، أو اعتبارهم لبعضها وعدم اعتبار بعض ، وما الى ذلك من أصول دقيقة عليها مدار الاستنباط في الأحكام الغير المنصوصة . ليس البحث هنا عن فروض منطقية واحتمالات عقلية ؛ وإنما البحث عن الواقع ، فليس البحث عن الإمكان والتجويز العقلي ، وإنما البحث عن الحقائق الواقعة . وكمال الاجتهاد المطلق في كل شيء من أمر الدين الغير المنصوص ، لم يتسنّ إلا لأفذاذ من الأمة ، وأفراد من الأئمة الذين خلقهم لهذه المزية العلمية والخدمة الدينية . فأصبحوا نجوماً ثاقبة في دياجر مظلمة من عويصات المسائل والمعضلات العقيمة ، يأوي إلى كنفهم كل حريص بالدين . وهذا البحث طويل لسنا نريد أن نخوض في غماره ، وانما نقتنع بالإشارة والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

فعلى ضوء هذا البيان نقول : اختلفت الآراء في أبي عيسى الترمذي . والذي ذكره الشاه ولي الله الدهلوي في الإنصاف ، ما نصه : وأما أبو داود والترمذي فهما مجتهدان منتسبان الى أحمد واسحاق ، وكذلك ابن ماجه والدارمي فيما نرى الخ . وأنا أوافقه في الأولين ، ومما يؤيد هذا أنه لم يذكر بالالتزام صراحة إلا مذهبهما ، ولم أصادف في جامع الترمذي له رداً لكلامهما ، في حين تجد رداً لكلام الشافعي وغيره في كتابه ، ولذا لم يذكره التاج السبكي في طبقاته مع ولوعه باستيفاء كل من قيل فيه انه شافعي ، أو أمكن ادخاله في عداد الشافعية ، حتى جعل البخاري شافعياً ، بدليل أنه تفقه على الحميدي ، والحميدي تفقه على الشافعي ، وما أوهن هذا الاستدلال .

درجة كتابه الجامع من بين هذه الأمهات :

اتفقت الأمة على أن صحيح البخاري وصحيح مسلم أصح الكتب الستة ، وكذا جمهرة الأمة على تقديم صحيح البخاري على صحيح مسلم من جهة نفس

الصحة ، ثم اختلفت الأقوال فيمن عداهما . وحقيقة ذلك إنما تنكشف ببيان ما ذكره المحدثون من الشروط التي اعتبرها أرباب هذه الكتب ، وحصل علم ذلك من استقراء كتبهم والبحث عن رجالهم ، أو مصادفة شيء من كلماتهم تنبئ عن مقاصدهم وأغراضهم . وأول من ألف في شروط الأئمة هو الحافظ أبو عبد الله ابن منده المتوفى ٣٩٥ هـ . ثم الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المتوفى ٥٠٧ هـ . ثم الحافظ أبو بكر الحازمي المتوفى ٥٨٠ هـ . وقد طبع الأخيران بتعليقات جيدة أنيقة للشيخ الكوثري تحوي غُرر النقول ، كما هو دأب تعليقات الكوثري . والأخير أجود كتاب في موضوعه وأوفاه بحثاً وتحقيقاً . فالذي ذكره الحازمي في شروطه ، وما ذكره الحافظ العسقلاني في هَدْي الساري ملخصه : ان الإسلام والعقل والصدق والسلامة من التدليس ، والعدالة في الرواة من الشروط المعتبرة لصحة الحديث عند الكل ، ثم كون الراوي معروفاً بالعناية بالحديث ، وأن يكون حفظه من صدور العلماء لا الصحف أيضاً ، يكاد يكون متفقاً بين الأئمة . ثم اختلف صنيعهم في كيفية استنباط مخارج الحديث ، فالرواة طبقات خمس :

الأولى : طبقة في غاية الاتقان والحفظ مع طول الملازمة للشيخ .

الثانية : طبقة دونها في الإتقان قليلة الحظ من الملازمة .

الثالثة : طبقة مثل الأولى في الملازمة ومثل الثانية في الاتقان .

الرابعة : طبقة دون الأولى في الملازمة ومثل الثانية والثالثة في الإتقان .

والخامسة : ضعفاء ومجاهيل .

فالأولى — شرط البخاري في الأصول ، وينزل الى الثانية في المتابعات والشواهد ، وقد ينزل الى الثالثة بغاية القلة . والثانية — شرط مسلم يُخرج من الأولى والثانية سواء بسواء في الأصول ، وينزل في المتابعات والشواهد الى

الثالثة مثل نزول البخاري الى الثانية . والثالثة — شرط النسائي وأبي داود يخرجان في الأصول من الطبقات الثلاث . والرابعة — شرط الترمذي ، يروى عن الأربعة سواء بسواء . وعلى هذا البيان يكون جامع الترمذي طبعاً في الدرجة الخامسة . ولكن يقول الحازمي : وفي الحقيقة شرط الترمذي أبلغ في شرط أبي داود ، لأن الحديث إذا كان ضعيفاً ينبه الترمذي على ضعفه ولا يسكت عليه . فإذن يكون تخريجه من باب الشواهد والاعتماد في الموضوع يكون على ما أخرجه الجماعة . قال الراقم : وهذه ميزة الترمذي خاصة ، ولكن أبا داود إذا كان هو يقتنع في كتابه بالطبقات الثلاث ويجتنب حديث الطبقة الرابعة فشرطه إذن أشد وأقوى من شرط الترمذي ؛ وأيضاً نص أبو داود على أنه إذا كان في حديث في كتابه وهن شديد ، فقد بينه كما في رسالته الى أهل مكة . قال الذهبي : انحطت رتبة جامع الترمذي عن سنن أبي داود والنسائي لإخراجه حديث المصلوب والكلبي وأمثالهما ، حكاه السيوطي في التدريب . نعم قد يروي أبو داود عن مشاهير الطبقة الرابعة أيضاً وكأنه ينتقي من الرابعة ، وإن كان من جهة الاضطرار ، في الشواهد والمتابعات ، وبالجملة فهما ينزلان أحياناً الى الرابعة . والفرق ان الترمذي لا يسكت وأبا داود قد يسكت ولكنه ينتقي ؛ فقد أخرج من حديث اسحق بن أبي فروة وغيره ، وسكت عليه . فالآن استويا في الطبقة ولكل وجهة هو موليها ، وراجع بعض التفاصيل في كلام ابن رجب الحنبلي في شرح علل الترمذي ، حكاه الكوثري في تعليقات الشروط للحازمي .

والخامسة — لا يخرج عنها إلا أصحاب السنن نادراً في الاستشهاد .

رواية جامع الترمذي :

أشهر راوية لرواية الجامع عن مؤلفه الإمام ، هو الشيخ أبو العباس محمد ابن أحمد بن محبوب بن فضيل المروزي رحمه الله ، وغالب أصحاب الاثبات لم

يروه إلا عنه ، وقد حكى السيوطي في شرحه عن الحافظ أبي جعفر الزبيدي : أبا سعد هشيم بن كليب الشاشي ، وأبا ذر محمد بن ابراهيم ، وأبا محمد الحسن ابن ابراهيم القطان ، وأبا حامد أحمد بن عبد الله التاجر ، وأبا الحسن الفزاري أيضاً من رواته عن المؤلف الإمام .

اسم الكتاب :

وضح مما أسلفنا أن اسم الكتاب جامع الترمذي وسنن الترمذي ، وكونه معدوداً في الصحاح بأن غالب أحاديثه صحاح ، والمصنف رحمه الله تعالى ـ وإن أطلق عليه المسند الصحيح أيضاً كما حكيناه عن ابن نقطة ـ لكنه لم يشتهر تلقيبه بهذا الاسم ، ولا ينبغي أن يطلق عليه بانفراد ، صحيح الترمذي بعد ما عرفنا حاله ، فمن ذكره من القدماء باسم صحيح الترمذي الحاكم والخطيب ، وكذا سماه بعض العصريين ، وهذا صنيعٌ غيرُه أولى ؛ فان المصنف رحمه الله لم يلتزم الصحة . قال السيوطي في التدريب (ص ٤٥) : ومن أطلق عليها الصحيح كقول السلفي في الكتب الخمسة : اتفق على صحتها علماء المشرق والمغرب ، وكإطلاق الحاكم على الترمذي الجامع الصحيح ، وإطلاق الخطيب عليه وعلى النسائي اسم الصحيح فقد تساهل ا هـ .

محمد يوسف البنوري

أعراس الشام

في أواخر القرن التاسع الهجري

انصرفت عناية كثرة المؤرخين والباحثين عندنا، في كتب الأدب والتاريخ التي ألفوها في القديم والحديث، إلى ذكر الأحداث السياسية، وسرد أسماء الخلفاء والولاة والقضاة، وترجمة مشاهير الرواة والأدباء، والمحدثين والعلماء .....، ولكن لم يكن للحديث عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والحضارية، ولا سيما في العصور المتأخرة، النصيب الذي أصبحنا نود لو فاز به في مصنفاتهم. وقد يقع الباحث العصري، في الحين بعد الحين، على شذرات من ذلك، مبثوثة في كتب ألفت في موضوعات أخرى، فمن الخير أن ينبّه إليها مَن يتفق له الوقوع عليها في غير مظانها، تمهيداً لجمعها وتصنيفها والإفادة منها عند الكلام على عادات أجدادنا المألوفة في معايشهم وأفراحهم وأتراحهم .....

من ذلك فصل طريف عقده أحد مؤلفي القرن العاشر الهجري (وأواخر التاسع) في وصف حفلات الأعراس في بلاد الشام لعهده وما قبله بقليل، وذلك أثناء كلامه على البِدَع الشائعة في عصره، في تضاعيف كتاب ألفه في كرامات الأولياء والتصوف والزهد ....

أما المؤلف فهو علي بن عطية بن حسن بن محمد المشهور بالشيخ علوان [1]،

(١) تجد ترجمة وافية له في ص ص ٢٠٦ – ٢١٣، ج ٢ من (الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة) لنجم الدين الغزي، الذي نشره جبرائيل جبور في بيروت ١٩٤٩، وكذلك في ص ص ٧٤ – ٨٠ من كتاب (الجوهر المحبوك في نظم السلوك) للشيخ علوان، الذي طبعه في دمشق ١٣٢٩ هـ أحدُ أحفاده المرحوم عبد القادر العلواني، وقد لخص ترجمة جده من (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح) لملا علي القاري، ومن (الفيض المنان شرح أبيات الجمع للشيخ علوان) تأليف نجم الدين الغزي، ومن (رحلة) محب الدين الحنفي الحموي، ومن (خلاصة الأثر في تراجم أهل القرن الحادي عشر) للمحبي.

الهيتي [١] الأصل ، الحموي المولد والمنشأ والوفاة ، الشافعي المذهب ، الأشعري الاعتقاد ، الشاذلي الطريقة ، المتصوف الواعظ . ولد في حماة حوالي سنة ٨٧٣ هـ في أرجح الأقوال (أو حوالي ٨٥٧ هـ عند بعضهم) . وتوفي في أوائل شهر جمادى الأولى سنة ٩٣٦ هـ . وله في حماة اليوم ضريح يتبرك به ويزار وجامع يسمى جامع الشيخ علوان [٢] . وتروى له كرامات وأحوال لا مجال هنا للإفاضة في ذكرها .

كان للشيخ علوان كثير من الشعر الجيد ، يعد في شعر الطبقة الأولى في عصره ، ويسمو على نظم أستاذه ابن حبيب صاحب التائية التي شرحها علوان . أما نثره فقد التزم في شطره السجع المصنوع ، ولكن سائره سهل مرسل . وخلف لنا من الكتب حوالي عشرين كتاباً ، طبع القليل منها ، مثل (الجوهر المحبوك في نظم السلوك) و (بيان المعاني في شرح عقيدة الشيباني) ، ولا يزال الكثير منها مخطوطاً . وفي دار الكتب الظاهرية عدد وافر منها ، وكذلك في خزانة آل الأتاسي في حمص ، وخزانة بعض أحفاد الشيخ علوان في حماة . من هذه الكتب ما ألفه بنفسه ، ومنها ما شرح فيه كتب غيره ، وأكثرها في التصوف والعقيدة والفقه الشافعي .

ومن أجلّ تصانيف الشيخ علوان كتاب (نسمات الأسحار في كرامات الأولياء الأخيار) [٣] . وهو كتاب جليل كبير في التصوف والزهد والتأدب بما كان

---

(١) هيت : بلد بالعراق على شاطىء الفرات الغربي ، غير بعيد عن الرمادي والحبانية (فوق الأنبار) .

(٢) أعلمني بهذا وببعض ما في هذه الكلمة أحد أحفاد المؤلف وهو الأستاذ درويش العلواني ، مدير العلاقات الثقافية في وزارة المعارف السورية .

(٣) في المخطوطة ع – التي سنصفها في متن الصفحة التالية – ورد اسم الكتاب هكذا : (كتاب نسمات الأسحار ، في نبذ من كرامات الأولياء الأخيار ، ويلتحق به ما يناسب الوعظ والتذكار ، ولا يخلو من مسائل فقهية وآثار) .

عليه السلف في السلوك ... وقد ألفه في شهر ربيع الأول من سنة ٩٠٦ هـ . وأسلوب المؤلف فيه أسلوب الحاضر المذكّر الواعظ ، لا الكاتب المتأنق المتصنّع ، ولئن أكثر المؤلف من الاستطراد والتنقل ، فانه يظل أبداً آخذاً بنفس القارئ ، يتابعه أنى سار وحيثما ذهب ، ويعجب بعفوية أسلوبه وأصالة شخصيته ، وإخلاصه في موعظته ، وسمو نفسه في دعوته . وفي دار الكتب الظاهرية مخطوطتان من هذا الكتاب : أولاهما (ونرمز لها بحرف ع ورقمها في الدار : عام ١٤١٥ تصوف ٩٧) في ١٤٣ ورقة ، في كل صفحة منها ٢١ سطراً (٥ر٢١ × ٥ر١٦ مم) ، على أن الورقات ٨٨ — ١١١ أقل عرضاً وأنصع بياضاً . وفي هامش الصفحات شرح لبعض غريب الألفاظ مأخوذ عن (القاموس) ، وعناوين مفصلة لكل مبحث ومطلب . وفي الصفحة ٢٨٤ ما يلي : (كتبت هذه النسخة من نسخة قال مؤلفها : تم الكتاب .... وكان الفراغ من ترتيبه الثلث الآخر من الليل في العشر الثاني من شهر ربيع الأول من شهور سنة ست وتسع مائة . قال ذلك وكتبه .... علي بن عطية بن حسن الملقب بعلوان .... ووقع الفراغ من كتابة هذه النسخة في آخر شهر الربيع الأول على يدي .... عثمان بن عباس .) ويلي ذلك أدعية وعزائم يتداوى بها ، وفتاوى وطرائف ليست للمؤلف (النسمات) .

أما المخطوطة الثانية من هذا الكتاب (ونرمز لها بحرف م ورقمها في الدار : عام ١٤١٦ تصوف ٩٨) ففي ٢١٦ ورقة ، في كل صفحة منها ٢١ سطراً (٢١ × ٥ر١٥ مم) ، والخط نسخي جميل ، وقد جعلت فيها رؤوس الفصول والمباحث بالحبر الأحمر . وجاء في خاتمة الكتاب : (علقه محمد بن عبد الله ، إمام جامع الشيخ علوان بحماة المحمية ، وفرغ منه يوم السبت لعشر خلون من رجب سنة ألف ومائة وخمس .) .

والفصل المتعلق بأعراس الشام الذي أخذناه عن كتاب (نسمات الأسحار) هذا ، وأثبتناه في الصفحات التالية ، وارد في ص ص ٤١١ — ٤٢٧ من المخطوطة م ، و ص ص ٢٦٨ — ٢٧٩ من المخطوطة ع . وقد خلص المؤلف إلى هذا الفصل بعد أن شكا انتشار البدع السيئة في عصره وعكوف القوم عليها . وقد أثبتنا في المتن ما يتعلق بحفلات الأعراس خاصة ، وأشرنا في الهامش الى فحوى معظم الفقرات التي أغفلنا ، إذ كانت مما استطرد المؤلف إليه ، مما لا يتصل بالأعراس عن قرب .

وهذا الوصف لحفلات الأعراس في أواخر القرن التاسع الهجري (إذ ألف الكتاب سنة ٩٠٦ هـ كما رأينا) وصف حيّ طريف جميل ، ويزيدنا رغبة في نشره أننا رأينا في عصرنا هذا ـ أي بعد قرابة خمسمائة عام ـ أنه لا يزال في أعراسنا الشامية ، ولا سيما في الأرياف ، شيء من هذه العادات التي يصفها الشيخ علوان .

وهذا هو الفصل الذي يصف فيه المؤلف أعراس عهده [1] كما شهدها بعينه :

(١) بعد كتابة هذه الكلمة وقفنا في الجزء الأول من كتاب (خزائن الكتب في دمشق وضواحيها) من ص ٥٤ — ٥٨ للمرحوم حبيب الزيات (ط . القاهرة ، بُعيد سنة ١٩٠٠ م) على جزء من هذا الفصل الذي ننشره ، وقد اختاره المؤلف من المخطوطتين اللتين أشرنا إليهما (نظراً لغرابته وما يشتمل عليه من الفائدة التاريخية في تعرّف أخلاق أهل هذه الديار واستطلاع بعض عوائدهم في ذلك العهد) . (ص ٥٤ من الكتاب المذكور) .

علوان يصف أعراس الشام

وأنواع البدع في هذا الزمان كثيرة جداً .... ومن أقبح البدع ما حدث في بلادنا في الأعراس ، وذلك أن الشيطان ، لعنه الله ، لما كان جالساً على الصراط المستقيم (١) ـ والنكاح منه ، فإنه من سنة نبينا ﷺ ـ أدخل (٢) على من أراده أموراً فظيعة (٣) وأحوالاً شنيعة ، لا بأس بذكر بعضها ، تذكرة للعالم ، وتبصرة للجاهل . فأولها أن النبي ﷺ قال : عليك بذات الدين ، تربت يداك ، وورد عنه : إياكم وخضراء الدمن ، قيل : من هي ؟ قال : المرأة الحسناء [في منبت السوء] ، الحديث ، فاذا أراد إنسان نكاحاً لا تراه يسأل لا عن دينها ، ولا عن نسبها ، وإنما يسأل عن جمالها وجهازها ، وهل معها قماش كثير وجهاز ثقيل ، والحامل على هذا كله (٤) التساهل في الدين ، فإذا ذكرت له امرأة متجهزة كثيرة المال أرسل إليها ، وأقبل بكليته عليها ، والحال أنها مغتابة نمامة كذابة تاركة للصلاة سيئة الخلق ، وهذا فعل من هو في غاية الحمق ، فإن نفس الفاسق سم قاتل . ثم يرسل بعض الناس لحماً وطعاماً على رأس الحمال مكشوفاً رياء وسمعة ، ليقال : هذا عشاء فلان . ثم (٥) يوجه إليهم جماعة من الأغنياء ورءوس الحارات الأغبياء (٦) ، ولا يلتفت الى الفقير والمسكين (٧) . فإذا جرى العقد أبى أهلها أن يكتبوا عقد النكاح (٨) إلا على حرير ، نحو ذراع أو أكثر ، إسرافاً وتبذيراً ...... فاذا قرب

(١) أي جالساً يترقب الناس السائرين على الصراط المستقيم .
(٢) في ع و م : فأدخل .
(٣) في ع و م : فضيمة .
(٤) ليست في م .
(٥) ليست في ع .
(٦) في ع : الأغنياء ، هنا أيضاً .
(٧) في ع : المسكين الفقير ، على الوصفية لا العطف .
(٨) في م و ع : ذلك ، ولكن ناسخ ع صحح ذلك بما أثبتناه .

الدخول ، وحان الوصول ، اجتمع أهلُ محلة الزوج غالبُهم : صغيرُهم وكبيرُهم ، وصحبوا معهم البغال ، وأكثروا الصخب [١] والجدال ، وتوجهوا إلى محلة الزوجة لنقل جهازها ، فيتلقاهم أهل تلك المحلة بالمدافعة ، والمشاقة والممانعة ، وطلبوا [٢] منهم رءوساً عديدة من الغنم ، وقالوا : إن لم تأتوا بها لا تطيقون [٣] أخذ ما جئتم بصدده . فيقولون لهم : إذا كان الأمر كذلك ، فقوموا بواجب حقنا عليكم من المآكل الكثيرة .... فيذهب كل فاسق منهم إلى بيته ، وينهر زوجته ، ويأمرها بالقيام إلى تحصيل الضيافة والطعام ، فربما تكون مشتغلة بإصلاح بعض شأنها ، فيلعنها ويلعن آباءها وإخوانها ، وفي الحقيقة ما لعن إلا نفسه [٤] ...... وربما يكون الإنسان منهم فقيراً لا يملك قوت ليلة ، أو [ليس] عنده ما يكفي أولاده ، فيتركهم يتضاغَوْن من الجوع ، ويحمل قوتهم في طاعة الشيطان رياءً وسمعة ، نسأل الله العافية . وربما يصنع بيضاً أو لحماً ، وأولاده الصغار يبكون على أمهم ، فلا يدفع إليهم ما يُهيجهم ، ويقول : يبقى المقلى ، يعني الإناء الذي يُقْلَى فيه ، ناقصاً ، هذا عيب وفضيحة . فلا قوة إلا بالله من أخلاق أهل النفاق ، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا . فإذا أكلوا السحت أخذوا في الإفك واللعب ، والمداهنة والكذب . هذا وأهل الزوجة قد صفّوا الأثاث في الأطباق ، ونشروا المتاع على الدواب ، ورفعوا الحلي على رءوس الحمالين ، وفرحوا بما يجب الحزن عليه ، وانتشر النساء والرجال ، مختلطين في الأزقة والأسواق [٥] ، رافعين الأصوات بالزغاليط [٦] ،

(١) يثبت ناسخ ع في الهامش تفسير القاموس فيقول : الصخب محركة : شدة الصوت . (كذا) .
(٢) كذا في ع و م والسياق يقتضي المنازعة .
(٣) في م : لا تطيبوا . (كذا) .
(٤) يلي هذا كلام طويل في حقوق الزوجة على زوجها في الشرع ، وما جاء في القرآن والسنة من الإيصاء بها والأمر بإكرامها والتواضع لها .
(٥) في م و ع : الأزواق وصححت في هامش ع بالسين .
(٦) يريد ما فصيحه الزغاريد ، وعامة دمشق يقولون اليوم : الزلاغيط .

قاصدين المفاخرة والمكاثرة ..... فإذا كان ليلة الدخول ، وقعوا في أمور ، منها الإبلام [1] بالبدعة ، والرياء والسمعة ، وذلك أن بعضهم ربما يكون فقيراً ، فيستدين ويتكلف فوق طاقته ، قاصداً بذلك تكثير الطعام وتحسينه ، لئلا يعاب عليه بتقصيره عن القدر الذي أولم به جاره ...... ثم يشرع في دعوة الغني والوجيه ، ويغفل عن الأرملة والمسكين ، والفقير واليتيم ، أو يكلفهم على لحس الأواني ولقط ما انتثر . وبعض الناس يدعو أكابر العلماء ، وأعيان الناس والأمراء ، ويكلفهم ويحيّيهم [2] ، فلا يطيقون التخلف عن الإجابة لوجوبها ، وقصده مفاخرة جيرانه ومباهاتهم ، فيقول : كان عندي الشيخ الفلاني والأمير الفلاني والكبير الفلاني ، وهذا رياء مذموم . وبعضهم قد اتخذ سنة قبيحة ، وفعلة شنيعة ، فيعزم جماعة مستكثرة ، فإذا أكلوا حبسهم لغرامة أضعاف ثمن ما أكلوه ، ويقول لبعض أصحابه : ناد بالشاباش [3] ، فيقول هذا المنادي إذا أعطاه أحد شيئاً : شاباش يا فلان . هذا وجماعة من النساء يستمعون صوت المنادي ، فاذا سمّى الباذلَ للنقوط رفعوا أصواتهم [4] بالزغاليط ، خصوصاً إذا كان المنادى باسمه من وجوه الناس ، .... فهنالك تقع المفاخرة والمغايرة [5] بين الأقران ، ويستحوذ عليهم الشيطان ، ويحصل لهم العجب بفعلهم الخبيث ، فينفقون أموالهم رياءً وسمعة في سبيل إبليس وجنوده . ومما ينادي المنادي : أخلف الله عليك يا فلان . وهو الشرفيّ [6] ، ويكون

---

(١) من أولم : عمل الوليمة ، لا من آلم : أوجع .

(٢) يريد أنه يحملهم على الاستحياء والخجل من التخلف عن إجابة دعوته .

(٣) شاباش : كلمة فارسية للتعجب أو للثناء ، مثل مرحى بالعربية . (انظر دوزي في ذيل المعاجم العربية ١ / ٧١٤) . وأهل دمشق وضواحيها يقولون اليوم شوباش ، ولكن ينطقون بالواو كحرف (o) في الفرنسية .

(٤) كذا على التذكير .

(٥) يريد بالمغايرة : إثارة الغيرة والنخوة .

(٦) كذا في م و ع . ومراد المؤلف بهذه اللفظة مفهوم من السياق .

قد بذل نصفاً ليغرّ غيره، وفي الحديث النهي عن هذا . . . . . ليت شعري كيف يخلف الله على مَن بذل ماله على هـذا الوجه . . . . فاذا انقضت الوليمة توجهوا الى الحمّام ، وقد صحبوا معهم شمعاً مستكثراً ، فاذا خرجوا أوقدوه بين يدي العريس متشبهين بالمجوس ، من إظهار شعار النار . على أنه يكفيهم مصباحان أو ثلاثة . ثم يهللوا [1] تهليلاً باللهو واللعب والغفلة وتمطيط حروف الهيللة وإخراجها عن محلها ، كما يفعَل بين يدَيْ بعض الفقهاء عند ختم مجالس البخاري ، كما شاهدته وفعلته ، وأسأل الله التوبة والمغفرة ، فإن مما أظهر فقهاء الزمان من البدع أنهم إذا ختم أحد منهم مجلس قراءته أفرغت عليه خلعة ثمينة عاريّة [2] رهناً على ما تأخر له عند صاحب القراءة من الدراهم ، ورياء ومنافسة جالبة للمآثم ، هذا والنساء مختلطون بالرجال في مجلسه [3] . . . . وبالجملة إيقاد الشمع إسراف ، لم يكن في عهده ﷺ ، ولم ينقَل عن أحد من أصحابه . ثم المصيبة العظمى والداهية الدهياء ، أن نساء المحلة وغيرها يجتمعن في دار ، في الثياب والزينة والخضاب بالحناء [4] والتحلي بالذهب ، بين أيديهن الشموع موقدة ، والوجوه بادية ، والزينة ظاهرة ، لا حجاب ولا جلباب ، فيدخل الزوج للجلاَ ، بل للعمَى والظلام ، فيتلقينه بالشمع والزغلطة ، وهنّ سافرات عن وجوههن ، مبديات لزينتهنّ ، فتعضده امرأتان من أقاربه : واحدة عن يمينه وأخرى عن شماله ، فيدخل على النساء الأجانب ، وربما يُدْخِل معه شباناً بالغين من الأقارب ، كأخيه البالغ ومَن في معناه ، فلا حول ولا قوة

(١) كذا في م و ع .
(٢) في م : غاية .
(٣) يورد الشيخ علوان بعد هذا كلاماً طويلاً في انتقاد بعض وعّاظ عصره ، الذين يتزينون في ثيابهم وهيئاتهم ، ويكثرون الأشعار والإشارات والحركات ، ويفتنون النساء اللواتي يحضرن مجالسهم ، فيحسدن زوجات هؤلاء الواعظين ، ثم ينعي عليهم مشيهم في مواكب ترفع النساء فيها أصواتهن (بالزغاليط) ويُهلّل فيها بين يديهم .
(٤) ليست في م .

إلا بالله . فهنالك يجلس على مكان رفيع ، فتتقدم كل امرأة اليه ، وتلصق الدراهم بين عينيه ، ورائحة الطيب منها فائحة ، وعينهـا محدقة اليه لامحة ، وزينتها بادية لائحة ، فإن كان ممن يزعم أنه متدين غض بصره ، وإلا فتح عينيه وأرسل نظره . الله عليكم[١] هل يحلّ هذا الفعل القبيح في دين الإسلام ؟ ! أو ُنقِل مثل هذا عن سيد الأنام ، عليه أفضل الصلاة والسلام ؟ ثم تخرج العروس الملعونة ، هي وماشطتها الشريكة لها في اللعن على لسان رسول الله ﷺ ، فإنه لعن النامصة والمتنمّصة . والنامصة بالصاد المهملة هي التي تزيل الشعر من الوجه ، وهي المسماة بالماشطة ، والمتنمّصة هي التي تطلب فعل ذلك ، وهـذا الفعل حرام ، إلا إذا نبتت لحية أو شوارب ، فلا تحرم إزالتها بل ُيستحب . والنهي إنما هو في الحواجب ، ومعلوم أن الماشطة تنتف حواجب العروس ، فتشتركان في اللعنة ، لارتكابهما ما ُنهي عنه . وأما تحمير الوجه والخضاب بالسواد وتطريف[٢] الأصابع فحرام على الخليّة[٣] ، وعلى غيرها بغير إذن الزوج ، كما نقله الدميري . وكذلك الوشم حرام فعلُه ، وملعون فاعله وطالبه[٤] ، لقوله ﷺ : لعن الله الواشمات والمستوشمات ، وهو أن ُتغرَز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المِعصَم أو الشفة أو غير ذلك ، حتى يسيل الدم ، ثم ُيحشَى ذلك الموضع بالكحل ونحوه فيخضر[٥] . . . . وهي مسألة عامة الوقوع ، خصوصاً في الفلاحين وأهل البوادي : رجالهم ونسائهم .

(١) كأن المؤلف يستحلف قراءه بالله .

(٢) طرّف بنانه : خضب أطراف أصابعه بالحناء ، وفي م : تظريف .

(٣) الخليّة : مَن لا زوج لها .

(٤) في م : وطالعه .

(٥) يطيل المؤلف بعد ذلك ببيان حكم الشرع في نجاسة الموضع الموشوم ووجوب معالجته وإزالة الوشم منه وعدم صحة صلاة من كان في بدنه وشم الخ .

وبالجملة تخرج العروس في شيء يقال له الشَّرْبوش [١] ، والذي يظهر لي ، والعلم عند الله تعالى ، أنه وما في معناه مما ظهر في زماننا ، ويلبسه النساء على رؤوسهن [و] يسمونه المُقَنْزَع ، مما أخبر ﷺ بوقوعه [٢] . . . . . رجعنا الى ما كنا بصدده ، فاذا خرجت وامتثلت بين يدي الزوج ، قام لها ، وكشف شيئاً ، يقال له الجلابة ، عن وجهها ، وأخذت تتقصف وتتكسر في حركتها وتتفتل ، وكلما دارت مرة لصق الزوج ومَن معه ، كأخيه البالغ والمراهق اللذَيْن يحرم عليهما النظر إليها في حال المهنة والرثاثة ، فضلاً عن حال الزينة والنضارة ، الدراهمَ في جبهتها وعلى خدّيها . ثم تذهب الماشطة بها الى بيت ، وتخلع عنها تلك الهيئة ، وتفرِغ عليها ثياباً غير تلك الثياب ، وتلبسها عمامة كعمامة القاضي والفقيه والجندي [٣] ، وتمسك سيفاً مسلولاً معها ، فتأتي الى الزوج ، فيأخذ السيف منها ، ويضربها بيطنه على رأسها ثلاث ضربات ، وكل هذا فعل مذموم ملعون فاعله ، . . . . . وأعظم من هذا أنه إذا دخل البيت ، قامت أم الزوج [٤] ، فنشخت [٥] رجليها مع صدغي الباب ، أي عضادتيه ، ولا تمكّن الزوجين من الدخول إلا بعد انحنائهما من تحت رجليها . فاذا استقرا في البيت تطلع النساء الأجانب عليهما من الكوات ، وجلسن يرقبن أحوالهما إلى الصبح . فإن لم يسمع لهما صوت ، طرقن الباب عليهما ، وحركن عنهما .

(١) من الفارسية ، سربوش : لباس تضعه النساء على الرأس . وعرف المتأخرون الشربوش وقالوا إنه (شيء يشبه التاج ، كأنه شكل مثلث ، يجعل على الرأس بغير عمامة) وكان لباس الأمراء . انظر دوزي : معجم الثياب ، ص ٢٢٠ وذيل المعاجم العربية ١ / ٧٤٢ .

(٢) يسوق المؤلف بعد ذلك حديثاً في هذا المعنى ، ويطيل في شرحه وتخريجه ويخلص إلى تحريم لبس (القبع المقنزع) . وللتوسع في معنى القبع والمقنزع راجع دوزي : معجم الثياب ص ٣٤٤ وذيل المعاجم العربية ٢ / ٣٠٣ و ٢ / ٤١١ .

(٣) ليست في ع .

(٤) في م : الزوجة ، والسياق يرجّح ما أخذناه عن ع .

(٥) نشخ : بالخاء عامية ، فصيحها نشح بالحاء (أو الجيم) : فرج ما بين رجليه ، وفي هامش ع (النشيخ : إرخاء المفاصل ، قاموس) .

هذا وقد علمن الزوجة المانعة ، وحرضنها على عدم المضاجعة ، وألبسنها سروالاً عقدن عليه كذا وكذا عقدة . وماذا عسى أني أصف من الأحوال الخبيثة الشنيعة ، المباينة للدين والشريعة ؟ ! والعجب كل العجب من بعض العلماء كيف يعلم هذه الأمور ولا ينكرها ، ولا يبرّهن على السنة ولا يشهرها ، بل ربما يبعث زوجته لحضور هذا المجلس الآثم ، الموجب للوزر العظيم .....

وبعض الناس يقدم بدعة قبيحة جداً ، ويصنع لعرسه مَرْسَحاً (١) ، وفيه منكرات كثيرة من (٢) إضاعة الأموال ، فانه يحتاج فيه إلى بذل مال كثير في شراء الزيت وأجرة المغنين ، ويتفق فيه اختلاط الرجال بالنساء ، وسماع الدف المصنّج والغناء ، والفحش والبذاءة والخنا ، وتشبه الرجال بالنسوة (٣) ، وكثرة الضحك الناشئة عن الغفلة والقسوة ، وترك الصلوات والاستهزاء بالدين ، والتمسخر الزائد بمحاكاة كلام العلماء والخطباء ، وكشف العورة ، وأشياء نسأل الله العافية منها بمنه وكرمه ، مما يفضي إلى الكفر ، فربما يلبس المضحك زي الكفار ، ويستهزئ بملابس العلماء الأخيار ، ومن استهزأ بالدين وأهله كفر . وأنواع الكفر كثيرة لا تكاد تحصر (٤) .... واختلفوا أيضاً فيما لو حضر جماعة ، وجلس أحدهم على مرتفع ، تشبهاً بالمذكر أو العالم أو القاضي ، فسألوه المسائل وضحكوا ، وضربوا بالمخراق (٥) ، قال بعضهم : يكفروا . وكذا لو تشبه بالمعلم ، وأخذ خشبة ، وجلس القوم حوله كالصبيان ، وضحكوا واستهزءوا به . وهاتان المسئلتان ونظائرهما يتفقان في المراسح كثيراً ، وفي هذا القدر كفاية .

عبد الهادي هاشم

(١) بتقديم الراء على السين في م و ع ، وقد شاع اليوم تقديم السين .
(٢) في م : في .
(٣) ليس في م قوله : والغناء .... بالنسوة ..
(٤) يعدد المؤلف هنا في لواذ أربع صفحات بعض ما يراه من أنواع الكفر ، ثم يختم هذا الفصل بالفقرة التي أثبتناها في المتن .
(٥) المخراق : المنديل أو نحوه يلف ليضرب به ، والمخراق أيضاً ما يلعب به الصبيان من الخرق المفتولة .

أبو الفتح بن جني

وأثره في اللغة العربية

عصره ، مكانته العلمية ، آثاره

— ٩ —

كتبه :

ألف ابن جني كثيراً من الكتب في الصرف والنحو والعروض والقراءات واللغة والأدب . وقد عني بالبحث عن كتبه من المتأخرين المستشرق الألماني المرحوم بروكلمان كتابه في تاريخ الأدب العربي[1] ، والزميل الفاضل الأستاذ القصاص في رسالته عن ابن جني ، والعلامة الشيخ محمد علي النجار في مقدمة الطبعة الثانية من الخصائص . وقد أهمل كل منهم ذكر بعض كتبه ، وبخاصة الأستاذ القصاص فإنه لم يذكر له إلا ثمانية وثلاثين مؤلفاً . وتتبعنا نحن المظان لجمعنا كل ما عرف الأقدمون والمتأخرون عن آثاره ، والى القارئ الفاضل بيان ذلك .

ذكر ابن جني بعض كتبه في الإجازة التي حفظ لنا ياقوت صورتها في معجم أدبائه ، والتي كتبها أبو الفتح للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصر وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد

(١) اهتم المستشرق الكبير بكتب الإمام أبي الفتح بن جني ، شأنه في كتب كبار أئمة الإسلام ، وقد أحصى ما عثر عليه في المظان من أسماء كتب الشيخ ، وذكر ما عثر عليه من أماكنها وأشار الى المفقود منها بقوله (لم أعثر عليه) .

ابن نصر أدام الله عزه ، أن يروي عني مصنفاتي وكتبي ، مما صحّحه وضبطه عليه أبو أحمد عبد السلام بن الحسين البصري أيد الله عزه : عنده منها كتابي الموسوم (بالخصائص) وحجمه ألف ورقة ، وكتابي (التمام في تفسير أشعار هذيل) مما أغفله أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري رحمه الله ، وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك ، وكتابي (سر الصناعة) وهو ستمائة ورقة ، وكتابي في (تفسير تصريف أبي عثمان) بكر بن محمد بن بقيّة المازني وحجمه خمسمائة ورقة ، وكتابي في (شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها) ومقداره خمسمائة ورقة ، وكتابي (في شرح المقصور والممدود) عن يعقوب بن اسحق السكيت وحجمه أربعمائة ورقة ، وكتابي في (تعاقب العربية) وأطرفت به وحجمه مائتا ورقة ، وكتابي في (تفسير ديوان المتنبي) الكبير ، وكتابي في (تفسير معاني هذا الديوان) وحجمه مائة ورقة وخمسون ورقة ، وكتابي (اللمع) في العربية وإن كان لطيفاً ، وكذلك كتابي (مختصر التصريف) على إجماعه ، وكتابي (مختصر العروض والقوافي) ، وكتابي (الألفاظ المهموزة) ، وكتابي (اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي) على إغرابه في معناه وهو المقتضب ، وما بدأت بعمله من كتاب (تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب) أيضاً أعان الله على إتمامه ، وكتاب (ما خرج عني من تأييد التذكرة) عن الشيخ أبي علي أدام الله عزه ، وكتابي في (المحاسن العربية) ، وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتى شذّ عنها ومقداره ستمائة ورقة ، وكتابي (النوادر الممتعة في العربية) وحجمه ألف ورقة ، وقد شذّ أيضاً أصله عني فان وقعا كلاهما أو شيء منهما فهو لاحق بما أجزت روايته هنا ، وكتاب (ما أحضرنيه الخاطر) من المسائل المنثورة مما أمللته أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي ، وغير ذلك مما هذه حاله وصورته فليرو أدام الله عزه ذلك عني أجمع إذا صح عنده ، وأنس بتثقيفه وتسديده ، وما صح عنده أيده الله من جميع رواياتي ، مما سمعته من

شيوخي رحمهم الله ، وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام ، وغير هذه البلاد التي أثبتها وأقمت بها ، مباركاً له فيه منفوعاً به بإذن الله . وكتب عثمان بن جني بيده حامداً لله سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة »[1] .

تثبت هذه الإجازة بعض آثار ابن جني ، وقد أثبتناها بتمامها لتضمنها بعض مؤلفاته ولأنها مؤرخة تفيدنا في دراسة تواريخ مؤلفاته ، ولأنها تريبنا من جهة ثالثة قسماً من محروم بعض كتبه المفقودة .

(وبعد) فنحن نورد فيما يأتي ثبت كتبه كما وجدناه في تنقيباتنا مرتباً على حروف الهجاء ، ذاكرين الموجود منها والمفقود والله الموفق .

١ ـ الألفاظ المهموزة :

ذكره في إجازته السابقة فقال : «وكتاب الألفاظ المهموزة» وقد ذكره ابن النديم في الفهرست وسماه (الألفاظ من المهموزة) ، ولم يذكره بروكلمان في فهرست كتبه . وكان العالم الدمشقي الأستاذ المرحوم السيد وجيه فارس الكيلاني ، والد صديقنا الباحث المدقق الدكتور ابراهيم الكيلاني ، قد نشر في مصر ثلاث رسائل لابن جني [2] إحداها رسالة في ثلاث صفحات عنوانها «عقود الهمز وخواص أمثلة الفعل» ، فلعل هذه الرسالة هي التي ذكرها ابن جني في إجازته .

٢ ـ البشرى والظفر :

ذكره ياقوت في ثبت كتبه ، وقد صنفه لعضد الدولة البويهي ومقداره خمسون ورقة في تفسير بيت واحد من شعر عضد الدولة ، وهو قوله :

أهلاً وسهلاً بذي البشرى ونوبتها ... وباشتمال سرايانا على الظفر

ولم يذكر هذا الكتاب بروكلمان في كتبه المفقوده[3] .

(١) ياقوت : معجم الأدباء طبعة دار المأمون ١٢ / ١٠٩ - ١١١

(٢) نشرها سنة ١٣٤٣ و سنة ١٩٢٤ بالمطبعة العربية بالقاهرة

(٣) ويسميه الأستاذ القصاص في رسالته ص ٢٢ « بالبشر والظفر » خطأ .

٣ ــ التبصرة :

ذكره ابن خلكان في ترجمته [١] ولم يشر اليه بروكلمان في كتبه المفقودة ، ولا عرفت شيئاً فيا بين يدي من مصادر عن هذا الكتاب وموضوعه .

٤ ــ التذكرة الاصبهانية :

ذكره ابن خلكان في ترجمته [١] وأشار اليه صاحب شذرات الذهب في ترجمته أيضاً [٢] ولم يشر اليه بروكلمان .

٥ ــ التصريف الملوكي :

ذكره ابن جني في الإجازة فقال : « وكذلك كتابي مختصر التصريف على اجماعه » ، وذكره ابن النديم في الفهرست باسم (جملة أصول التصريف) وهو مشهور باسم (مختصر التصريف الملوكي) أو (جمل أصول التصريف) كما ذكر الحاج خليفة . ومن الكتاب نسخ كثيرة في مصر [٣] واستانبول وأوربا . وقد طبع مع ترجمة لاتينيــة في مدينة ليبزيغ سنة ١٨٨٥ بعناية المستشرق هوبرغ G. Hoberg . كما طبع في مصر مذيلاً بشرح وجيز بقلم ناشره الشيخ محمد سعيد النعسان الحموي سنة ١٩١٣ .

وقد شرحه علماء كثيرون ، ومن أشهرهم أبو البقاء موفق الدين بن يعيش [٤] ، ومن شرحه هذا نسخة بدار الكتب المصرية ، ونسخة بمكتبة كوبرلي بالاستانة رقمها : ١٥١١ . ومن شراحه أيضاً أبو السعادات بن الشجري (٥٤٢ [٥]) ،

---

(١) الوفيات ١ / ٣١٣

(٢) ج ٣/ ١٤٠

(٣) انظر فهرس دار الكتب المصرية ٢ / ٦٧

(٤) انظر فهرس الدار ٢ / ٦٠ وبغية الوعاة : ٤٢٠

(٥) انظر بغية الوعاة : ٤٠٨ وكشف الظنون ١ / ٢٨٩

والشيخ قاسم بن قاسم الواسطي (— ٦٢٦ [١]) ، وعمر بن ثابت الثمانيني تلميذ ابن جني [٢] وغيرهم .

٦ ـ تعاقب العربية :

قال عنه في الإجازة : « وكتابي في تعاقب العربية وأطرفت به وحجمه مائتا ورقة » . وهذا الكتاب من آثاره المفقودة التي لم أعثر عليها ، فيا بين يدي من الفهارس العامة . وقد ذكره ابن جني مرات في الخصائص ونقل منه كقوله : « وقد ذكرنا في كتابنا الموسوم بالتعاقب من هذا النحو ما فيه الكفاية بإذن الله تعالى [٣] » . وذكره ابن النديم وسماه : « التعاقب في العربية » [٤] ، كما أشار اليه الخطيب البغدادي [٥] ، وابن خلكان [٦] ، وابن سيده باسم المتعاقب [٧] ، وهو تحريف في الطبع . ونقل عنه السيوطي في الأشباه والنظائر وقال عنه : « ألفه ابن جني في أقسام البدل والمبدل منه ، والعوض والمعوض منه » ، ثم نقل شيئاً من مقدمة الكتاب [٨] . وذكره بروكلمان في كتبه المفقودة .

٧ ـ تفسير أرجوزة أبي نواس :

لم يذكره ابن جني في الإجازة ، ولكن ياقوت ذكره في ترجمة ابن جني ، كما ذكره السيد الندوي في (تذكرة النوادر) باسم « شرح أرجوزة أبي نواس » وقال : إن منه نسخة في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة ، ولم يذكر رقمها [٩] .

(١) انظر بغية الوعاة : ٣٨٠ وكشف الظنون ١ / ٢٨٩
(٢) انظر بغية الوعاة : ٣٦٠ وكشف الظنون ١ / ٢٨٩
(٣) الخصائص ١ / ٢٧٣ ، ٢٧٤
(٤) الفهرست : ١٢٨
(٥) تاريخ بغداد ١١ / ٣١١
(٦) الوفيات ١ / ٣١٣
(٧) المخصص ١ / ١٣
(٨) الأشباه ١ / ١٢٩ ، ١٤٥ ، ١٣٤ و ٢ / ١٢٠ ، ١٧٢
(٩) التذكرة : ١٢٨

٨ ـ تفسير تصريف المازني (المنصف) :

قال عنه في الإجازة : « وكتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني وحجمه خمسمائة ورقة » وقد أشار اليه في مواضع كثيرة من الخصائص ، ونقل عنه في سر الصناعة [١] . وسماه ابن خلكان بالمنصف في شرح تفسير المازني [٢] . وذكره ابن الأنباري باسم المنصف [٣] . وكتب عنه المرحوم أحمد تيمور باشا في مجلة المجمع العلمي العربي بحثاً حسناً [٤] . ومن الكتاب نسخ كثيرة منها نسخة كوبرلي ورقمها ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ونسخة مكتبة عاطف أفندي ورقمها : ٢٦٣٩ ، ونسخة طوب قبو : ٢٢٨٠ ، ونسخة علي شهيد : ٢٥٩٧ ، ونسخة داماد ابراهيم : ١٠٥٨ ، ونسخة راغب افندي : ١٣٩٤ ، ونسخة المتحف الآسيوي بلينغراد رقمها : ٥/٣١١ ، ونسخة في خزانة برلين : ٧١٨ ، ونسخة في خزانة ڤينا : ٢٢٣ ، ونسخة في دار الكتب المصرية ورقمها : ٣ ش . وقد أكثر البغدادي من النقل عنه [٥] ، وقد طبع الجزء الأول منه مؤخراً في مطبعة البابي الحلبي بمصر بتحقيق أستاذنا العلامة ابراهيم مصطفى والسيد عبد الله أمين وفقها الله لإتمام طبعه .

٩ ـ تفسير العلويات :

لم يذكره في الإجازة وذكره ياقوت في ترجمته فقال : « تفسير العلويات وهي أربع قصائد للشريف الرضي كل واحدة في مجلد (الأولى) هي قصيدة رثى بها أبا طاهر ابراهيم بن نصر الدولة أولها :

---

(١) انظر صفحات : ٦٢ ، ٩٩ ، ٣٣٣ ، ٤٥٥ ، ٤٦٩ ، ٦٤٥ من مخطوطتنا .
(٢) الوفيات ١ / ٣١٣
(٣) النزهة ٤٠٦
(٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٣ / ٣٤١
(٥) انظر الخزانة س ٣٢

ألق الرماحَ ربيعةَ بن نزارِ أودى الردى بقريعك المغوارِ

و (الثانية) هي قصيدة رثى بها الصاحب ابن عباد وأولها :

أكذا المنونُ تقنطرُ الأبطالا أكذا المنونُ تُضعضعُ الأميالا

و (الثالثة) قصيدته التي رثى بها أبا اسحق الصابئ وأولها :

أعلمتَ من حملوا على الأعواد أرأيتَ كيفَ خبا زنادُ النادي

ولم يذكر الرابعة . وذكره ابن النديم باسم (تفسير المراثي الثلاث) وكتاب القصيدة الرائية للرضي [1] . ولم أعثر على نسخ لهذه الشروح في الفهارس التي بين يديَّ ، ولا ذكرها بروكلمان في الكتب المفقودة .

١٠ ــ التلقين :

لم يذكره في الاجازة بل ذكره ابن النديم [2] والخطيب البغدادي [3] وابن خلكان في ترجمته [4] ، ولم يشر اليه بروكلمان ولا عثر على نسخة له في الفهارس المعروفة .

١١ ــ التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري :

ذكره ابن جني في الاجازة وقال : إن حجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك ، وقد ذكره ابن خلكان في الوفيات [4] ، والزمخشري في الكشاف [5] ، وابن سيده في المخصص [6] . وأشار اليه ابن جني في الخصائص [7] . وعدّه

(١) الفهرست ص ١٢٨
(٢) الفهرست ١٢٧
(٣) تاريخ بغداد ١١ / ٣١١
(٤) الوفيات ١ : ٣١٣
(٥) ٨٢٢
(٦) ١ / ١٣
(٧) ١ / ١٣٠ من الطبعة الأولى

بروكلمان في كتبه المفقودة ، مع أنني عثرت على نسخة فريدة منه في خزانة دار كتب الأوقاف ببغداد ، ونقلت عنها نسخة لنفسي وهو من النفائس المفيدة والنسخة قديمة متقنة كتبها الشيخ أسعد بن المعالي بن ابراهيم بن عبد الله الكاتب سنة ٥٨٠ [١] .

١٢ ـ الخاطريات :

ذكره ابن جني في الإجازة باسم « كتاب ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة مما أمليته » ، وذكره ابن خلكان في الوفيات وسماه « المسائل الخاطريات [٢] » ، وسماه الحاج خليفة باسم الخاطرات [٣] ، ونقل عنه البغدادي [٤] والسيوطي [٥] ، وقال بروكلمان : ان في مكتبة سليم آغا بالآستانة كتاباً له اسمه (الخاطريات) رقم ١٠٧٧/٤ ويغلب على الظن أنه هو وأن الاسم محرف [٦] .

١٣ ـ الخصائص :

ذكر في الإجازة أنه ألف ورقة ، ومن الكتاب نسختان بدار الكتب الظاهرية بدمشق رقمها ٦٩ ، ١٠٨ . وبالموصل نسخة رقمها : ٦٥ كما يذكر الأستاذ الدكتور الصديق داود الجلبي [٧] ، وبمكاتب الاستانة نسخ كثيرة منها : نسخ مكتبة لاله لي : ٣٢٤٥ ، ومكتبة داماد زاده : ١٧١٦ ، ومكتبة حميد أفندي : ١٢٨٧ ومكتبة عاشر أفندي : ٨١٧ ومكتبة علي شهيد ٢٠٩٤ — ٢٠٩٥ ومكتبة نور عثمانية : ٤٥٤٥ — ٤٥٤٧ . وفي خزانة غوطا الجزآن

---

(١) انظر الكشاف عن مخطوطات الأوقاف من تأليفي طبع بغداد ص ١٦٢
(٢) الوفيات ٣١٣/١
(٣) الكشف ٣٥١/١
(٤) الخزانة ٤٧/٢ و ١٠/٤
(٥) الأشباه ١٥٦/١ و ١٤٦/٢ ، ٢٤٥
(٦) G.A.L. ١٢٥/١
(٧) فهرس مخطوطات الموصل ص ٤٥

الثالث والرابع ورقمها ١٨٦ و ١٨٧ . وفي دار الكتب المصرية ثلاث نسخ الأولى تحوي الجزء الأول وينتهي الى باب « تعلق الأعلام على المعاني » ورقمها : ١٠٩ ل والثانية تحوي الجزء الأول والثاني وبها خروم ، والثاني ينتهي إلى أول باب « في نقض العادة » وكلاهما بخط الحسن بن الفرج بن ابراهيم بمصر سنة ٤٣٠ ورقمها : ١١٠ ل والثالثة هي جزآن في مجلد ورقمها ٥ ش . وقد أكثر البغدادي في خزانة الأدب من النقل عنه (١) . واختصره الجلال السيوطي وسماه (الاقتراح) وقال في أوله : واعلم أني قد استمددت في هذا الكتاب كثيراً من كتاب الخصائص لابن جني فإنه وضعه في هذا المعنى وسماه أصول النحو ، ولكن أكثره خارج عن هذا المعنى وليس مرتباً وفيه الغث والسمين والاستطرادات فلخصت فيه جميع ما يتعلق بهذا المعنى بأوجز عبارة وأرشقها وأوضحها معزواً اليه وضممت اليه نفائس ... (٢) »

وقد طبع الجزء الأول من الكتاب للمرة الأولى في مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩١٣ ثم أعيد طبعه ثانية في دار الكتب المصرية بعناية الشيخ الفاضل المحقق محمد علي النجار سنة ١٩٥٢ ، وفقه الله إتمامه .

١٤ ـ الخطيب :

لم يذكره في الإجازة وإنما ذكره ياقوت في ترجمته ولم يشر اليه بروكلمان في الكتب المفقودة ولا عثرت على ذكر له فيما عندي من مصادر .

١٥ ـ الدمشقيات :

لم يذكره في الإجازة ولا ذكره ياقوت ولا غيره في عداد كتبه ، ولكن السيوطي في الأشباه والنظائر قال : « إن ابن النحاس قال في التعليقة : حكى

(١) انظر الخزانة ٤٧ . وانظر مجلة المستشرقين الألمان Z. MG. 308, 1910
(٢) طبع في الهند سنة ١٣١٠

ابن جني في كتابه الدمشقيات وهو غير الدمشقيات المشهورة له بين الناس قولاً ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ (١) » قلت : وهذا الكلام يفيد أن لابن جني كتابين بهذا الاسم ٠

١٦ ــ ذو القد :

لم يذكره في الإجازة وإنما ذكره ياقوت وقال : إنه في النحو ، ولم يذكره بروكلمان في كتبه المفقودة ، ولا عثرت على ذكر له فيما عندي من المظان ٠

١٧ ــ الزَّجْر :

لم يذكره في الإجازة ، ولا ذكره ياقوت وإنما ذكره ابن جني في الخصائص فقال : وقد كانت حضرتني وقتاً فيه نَشْطَة فكتبت تفسير كثير من هذه الحروف في كتاب ثابت في الزَّجْر فأُطلبها في جملة ما أثبته عن نفسي في هذا وغيره »(٢) ، وقد ذكره بروكلمان في الكتب المفقودة ٠

١٨ ــ سر الصناعة :

ذكره في الإجازة فقال : « انه ستمائة ورقة » وذكره الحاج خليفة وسماه « سر الصناعة وأسرار البلاغة » ومن هذا الكتاب نسخ عديدة وأفضلها نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهي جزآن في مجلد واحد عدد صفحاته (٤٠٠) وفي آخر الجزء الأول منها ما نصه : « كتبه محمد بن يحيى بن عبد القوي من أصل نقل من الأصل الذي نقله ابن جني ، وكان الفراغ بدمشق سنة ثمان وثمانين وخمسمائة » ، والنسخة تنتهي بحرف الميم وهي نسخة جد حسنة نفيسة الخط والضبط ورقمها (١٦٨ نحو) ٠

ومن الكتاب نسخة في المكتبة الإسلامية بالموصل رقمها : ٦٥ كما ذكر

(١) الأشباه والنظائر ١ / ٢٧٤
(٢) الخصائص ١ / ٤٣٩ الطبعة الاولى

ذلك الدكتور داود الجلبي [١] ، ونسخة بمصر منقولة عن نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة بك بالمدينة المنورة رقمها (١٣٠) [٢] .

وفي مصر نسخة أخرى حديثة بخط محمد أبي النصر الجعفري النابلسي سنة ١٣٣٠ ورقمها ١٦ س [٣] ، وفي بغداد نسخة قديمة منقنة [٤] ، وفي باريس نسخة حسنة رقمها ٣٩٨٨ ، وفي برلين الجزء الثاني من الكتاب يبدأ بحرف الميم وينتهي بآخر الكتاب وهو بخط أحمد بن محمد بن احمد الاشبيلي أبي العباس ابن الحاج المتوفى سنة ٦٣٧ [٥] ورقمها ٦٢٦٩ ، وفي استانبول عدة نسخ منها نسخة في خزانة عاشر أفندي رقمها ٨١٧ ، وأخرى في خزانة كوپرلي رقمها ١٤٦٩ ، وأخرى في خزانة راغب أفندي رقمها ١٣١٧ [٦] . وقد شرع الأساتذة مصطفى ابراهيم ومصطفى السقا ومحمد الزفزاف وعبد الله أمين بطبعه ونشروا المجلد الأول منه جزاهم الله خيراً ، وللإمام أحمد بن محمد بن احمد الأزدي الاشبيلي المعروف بابن الحاج حاشية على سر الصناعة [٧] ، وسنعود آخر هذا المقال الى التوسع في بيان فضل هذا الكتاب وأهميته .

١٩ ــ سر السرور :

ذكره ياقوت ولم يذكره الحاج خليفة ولا بروكلمان ولم أعثر على ذكر له فيما عندي من المظان .

---

(١) كتاب مخطوطات الموصل المطبوع ببغداد سنة ١٣٤٦ ص ٤٥
(٢) فهرس دار الكتب ٢ / ١٧
(٣) فهرس الدار ٢ / ١٧
(٤) انظر كتابنا الكشاف عن مخطوطات الأوقاف ص ١٩١
(٥) هو الامام العلامة أبو العباس الاشبيلي المشهور في عصره بطلبين جليلين هما الحديث والنباتات انظر ترجمته في أعلام الزركلي ص ٦٤
(٦) انظر مجلة ZDMG. 1910/211
(٧) بغية الوعاة للسيوطي ص ١٥٦ وكشف الظنون ١ / ٤٧٠

٢٠ ــ شرح الايضاح لأبي علي الفارسي :

ومنه نسخة في خزانة قلبج علي باشا باستانبول رقمها : ٦٩٣٠، والكتاب من الكتب المشهورة عند النحاة القدماء ، قالوا انه ألفه لعضد الدولة بن بويه ، وقد كان عضد الدولة من تلاميذه ، وله ألف الايضاح في العربية وقواعدها .

٢١ ــ شرح ديوان المتنبي :

شرح أبو الفتح ديوان المتنبي مرتين ، الأولى كبيرة في ألف ورقة ونيف كما ذكر ذلك في الإجازة ، والثانية صغيرة في مائة وخمسين ورقة . وذكر ابن النديم أن اسم الأول (الفسر) ، والثاني (معاني أبي الطيب) [١] . وقال الصابي في (تاريخ الوزراء) : إن ابن جني فسر شعر المتنبي تفسيراً استقصاه واستوفاه ، وأورد فيه من النحو واللغة طرفاً كبيراً ولقب ذلك (بالفسر) [٢] ، وقال ابن خلكان [٣] : ان اسمه (الصبر) ونقله عنه السيد هاشم الندوي [٤] ، قلت : والصواب ما ذكره ابن النديم والصابي ، لأن الفسر في اللغة هو الإبانة والكشف عن المغطى ، وليس في معاني (الصبر) ما يصلح أن يسمى به الكتاب ، فما في وفيات ابن خلكان هو من أغلاط النساخ غالباً .

ومن الشرح الكبير نسخة بدار الكتب المصرية كتبت بقلم معتاد في أواخر ربيع الأول سنة ٥٢٧ [٥] . ويوجد المجلد الثاني منه في مكتبة الاسكوريال باسبانيا ورقمه : ٣٠٩ [٦] ، ويوجد كاملاً في ثلاث مجلدات في المتحفة الاسيوية بموسكو ورقمه : ٢٧٥ [٧] ، وتوجد منه نسخة كاملة في المتحفة البريطانية ورقمها :

(١) الفهرست ١٢٧
(٢) تاريخ الوزراء ٤١٧
(٣) الفوات ١ / ٣١٣
(٤) تذكرة النوادر ص ١٢٧
(٥) فهرس الدار ٣ / ١٩١
(٦) انظر فهرس الاسكوريال الجديد
(٧) في بترسبورغ سنة ١٨٨١

١٠٤٠ ، ونسخة في خزانة الرباط رقمها : ٣٢٦ ، ويوجد الجزء الأول منه في خزانة برلين ورقمه : ٦٩=٧ .

وفي المكتبة الأحمدية بحلب الشرح الصغير باسم (معاني أبي الطيب) ، وهو بخط جيد مضبوط بالحركات ورقمه : ١١٥٧ ، والنسخة مكتوبة سنة ٥٨١ ، والشرح مختصر يكاد يقتصر على تفسير الكلمات الغريبة والمعاني المجملة .

وقد ردّ جماعات كثيرون على ابن جني في شرحيه هذين (١) .

٢٢ ــ شرح الفصيح :

ألف الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني إمام الكوفيين (ــ ٢٩١) كتابه (الفصيح) فتناوله العلماء بالشرح والتعليق عليه منذ زمن مبكر ، ومن أقدم من شرحه إمامنا ابن جني ، ولكنه لم يذكره في الإجازة وإنما ذكره ياقوت والسيوطي وطاش كبري في عداد كتبه ، ولم يذكره بروكلمان في كتبه المفقودة (٢) ، وقد نقبت كثيراً في الفهارس المعروفة فلم أهتد الى ذكر شيء عنه .

٢٣ ــ شرح الكافي :

الكافي هو من كتب الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعي البلخي (ــ ٢١٥) وقد عني به علماء العروض القدماء فشرحوه وعلقوا عليه ومنهم ابن جني ولكنه لم يذكره في الإجازة ، وإنما ذكره ياقوت فقال : (شرح الكافي في القوافي) وذكره الخطيب البغدادي باسم (شرح القوافي) وذكره ابن خلكان باسم (الكافي في شرح قوافي الأخفش) ، وذكره القصّاص باسم : الكافي في القوافي (٣) .

---

(١) انظر تذكرة النوادر ١٢٨ ، والبغية ٣٤٨ ومفتاح السعادة ١ / ١٨٩ والوفيات لابن خلكان ١ / ٣٩٤ وخزانة الأدب للبغدادي ١ / ٣٨٢

(٢) انظر البغية ومفتاح السعادة ١ / ١٣٤

(٣) انظر تاريخ بغداد ١ / ٣١١ وابن خلكان ١ / ٣١٣ والكشف ٢ / ١٣١٠

٢٤ ـ شرح مستغلق الحماسة :

حماسة أبي تمام الطائي الشاعر الأشهر (ـ ٢٣١) كتاب نفيس مخدوم منذ القديم . وممن خدمه ابن جني فشرحه وعلق عليه وعلى اسماء شعرائه ، وذكره ابن جني في الاجازة فقال : « وكتابي في شرح مستغلق أبيات الحماسة واشتقاق أسماء شعرائها ومقداره خمسمائة ورقة » ، قلت : ويظهر أن لابن جني كتابين على الحماسة أولها : في شرح مشكل أبيات الحماسة لأبي تمام واسم هذا الكتاب « التنبيه » وهو نيف وأربعمائة ورقة [١] ومنه نسخة في دار الكتب المصرية مكتوبة سنة ٦٨٣ [٢] ونسخة بباريس رقمها : ٣٢٨٥ وثالثة في خزانة طوب قبو رقمها : ٢٣٩٦ ورابعة في خزانة بكي أحمد خان : ٩٦٦ [٣] . وثانيها شرح أسماء شعراء الحماسة واسمه (المبهج) وقد ذكره ابن خلكان باسم (المنهج) بالنون ولعل هذا من تحريف النساخ ، ومنه ثلاث نسخ بمصر [٤] وقد طبع الكتاب الأول بمصر سنة ١٩٢٧ ، والثاني بدمشق سنة ١٣٤٨ . وقد رد الامام منصور بن مسلم بن علي بن أبي الخرجين أبو نصر الحلبي النحوي المعروف بابن أبي الدميك على ابن جني في شرح الحماسة ، وقال السيوطي في البغية : له تصانيف وردود على ابن جني منها تتمة ما قصر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة [٥] وما نعرف هذا الكتاب موجوداً . وجمع بين الكتابين (التنبيه) و (المبهج) الامام أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ملكون الحضرمي

---

(١) تاريخ آداب اللغة لزيدان ٢ / ٣٠٢

(٢) انظر فهرس الدار ٣ / ٦٩

(٣) انظر Revista degli Studü Ojen toli IV, 1715 وبروكلمان : GAL ١ / ٢٠

(٤) انظر فهرس الدار ٣ / ١٨

(٥) بغية الوعاة ٣٨٩ واعلام النبلاء ٤ / ٢٦٥

(ـــ ٥٨٤) [١] ، وينقل شارح الحماسة البغدادي كثيراً عن كتاب يسميه إعراب الحماسة [٢] ولا أدري ماهو ومن مؤلفه .

٢٥ ـــ شرح المقصور والممدود :

ذكره في الاجازة فقال : (وكتابي شرح المقصور والممدود عن يعقوب ابن اسحق السكيت [٣] وحجمه أربعمائة ورقة) وقد ذكره ابن خلكان فقال : (وله المقصور والممدود) ، ولم أعثر على ذكر هذا الكتاب في المراجع التي بين يدي .

٢٦ ـــ الشعر :

هو كتاب لأستاذه أبي علي الفارسي رواه عنه ابن جني وعلق عليه تعليقات لغوية ومنه نسخة بمكتبة برلين رقمها ٦٤٦٥ .

٢٧ ـــ شواذ القرآن :

هو رسالة بحث فيها عن بعض مشكلات اشكلها بعض علماء عصره في إعراب القرآن ورسمه ونقطه ومنه نسخة في برلين رقمها ٦٧٤ .

٢٨ ـــ علل التثنية :

لم يذكره مترجموه ومنه نسخة في مكتبة ليدن رقمها ١٤٥ .

(للبحث صلة) الدكتور محمد أسعد طلس

---

(١) تذكرة النوادر ١٢٩

(٢) انظر اقليد الخزانة للراجكوتي ٤٤

(٣) الامام أبي يوسف يعقوب بن اسحق المعروف بابن السكيت (ـــ ٢٤٤) عدة كتب لغوية وصرفية أجلها إصلاح المنطق ، والأضداد والقلب والابدال وقد طبعت ، أما كتاب المقصور والممدود لم يعثر عليه .

التعريف والنقد

كتاب نقد الشعر

لقدامة بن جعفر

عني بتصحيحه س . أ . بونيباكر

طبع في مطبعة بريل في مدينة ليدن

صدّر الأستاذ بونيباكر كتاب نقد الشعر بتمهيد أشار فيه الى ترجمة قدامة ابن جعفر المدوّنة في دائرة المعارف الإسلامية وأضاف الى هذه الترجمة بعض أمور تتصل بقدامة نفسه وبكتابه ثم ذكر الأقسام التي يشتمل عليها كتاب نقد الشعر وهي ثلاثة : قسم ذكرت فيه عناصر الشعر الأربعة : اللفظ والمعنى والوزن والتقفية ، وقسم ذكرت فيه نعوت الشعر ، وقسم اختصه قدامة بعيوب الشعر

ومن المهم أن نشير الى رأي المصحح في كتاب نقد الشعر من حيث بعض مصادر هذا الكتاب ففي رأيه أن قدامة أخذ عن آراء الفلاسفة اليونانيين مثل جالينوس وأفلاطون والرواقيين وارسطاطاليس وأيد رأيه هذا ببعض أقوال قدامة وبشواهد من كتابه وكما أخذ قدامة عن الفلاسفة اليونانيين فقد أخذ عنه كثير من الكتّاب جاءوا بعده ولكن الأستاذ المصحح لم يستطع أن يقطع هذا الأمر وإنما وقف فيه موقف الشك . ثم ذكر الكتب التي رجع اليها في تحقيق كتاب نقد الشعر مثل كتاب الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء وكتاب الموازنة وكتاب الصناعتين وكتاب زهر الآداب وكتاب العمدة وكتاب سر الفصاحة وغيرها من الكتب ، ثم أتى على ذكر المخطوطات التي استند اليها في تحقيق نقد الشعر وأكثرها في دور كتب أوروبة وأميركة ثم ذكر

بعض المصطلحات التي لجأ اليها لتسهل على القارئ معرفتها وبيّن المراجع التي رجع اليها .

هذا أبرز ما جاء في التمهيد الذي وضعه الأستاذ المصحح وترجمه سعد الدين توفيق وفي آخر الكتاب فصل طويل باللغة الانكليزية بسط فيه « بونيبا كر » أشياء كثيرة تتعلق بترجمة قدامة بن جعفر وبكتابه وقد لخّص في هذا الفصل طائفة من آراء قدامة وتضمّن هذا التلخيص بعض مناقشات وايضاحات وتوسّع صاحب الفصل في الكلام على تأثير الفلاسفة اليونانيين في كتاب نقد الشعر وعلى تأثير هذا الكتاب في الكتب التي جاءت بعده .

ولا بأس بعد هذا كله بأن نعلن بجودة طبع الكتاب وبحسن ورقه .

أما الكتاب نفسه : نقد الشعر فان شهرته تغني عن الزيادة في الايضاح والتعريف فقد حبس قدامة مجهوده فيه على تخليص جيّد الشعر من رديئه لأن الناس في رأيه يخبطون في علم الجيّد من الشعر من رديئه منذ تفقهوا في العلم فقليلاً ما يصيبون .

واذا كان الناس يخبطون في مثل هذا الأمر على أيام قدامة بن جعفر فكيف يكون خبطهم فيه على أيامنا هذه ومن المؤلم أن اتساع العصر في مذاهب الثقافة وسرعة الحياة والاهتمام بتكاليفها كل هذا قد زاد في الخبط الذي ألم منه قدامة في الماضي فلم نعد نعنى باللفظ حتى أصبحنا نعتقد ان هذا الاعتناء إنما هو من عرض الأمور لا من جوهرها ولم نعد نعرف ما لوضع اللفظ في مواضعه من جليل الشأن في أمور الفن ذاتها وفي الحياة كلها فأكثر ما نشهد في عصرنا هذا مما نسميه سوء التفاهم إنما هو ناشئ عن سوء فهمنا لوجوه اللفظ وما أصدق ما قاله إمام من أئمة كتاب الغرب من أن البشر يتناحرون لأنهم لا يتفاهمون . إن وضع اللفظ في مواضعه رأس قواعد الفن ومن هذا يتبين لنا خطأ هؤلاء الكتّاب الذين يفردون في بعض كتبهم أبواباً يشحنون فيها ألفاظاً مجرّدة ،

متقاربة في المعاني حتى يسهل على القارئ الاستعانة بها في مقتضى الحال فكأنهم لا يعلمون أن اللفظ لا تظهر محاسنه أو مساويه إلاّ في مواضعه من الاستعمال أما تجريده من هذه المواضع فما هو إلاّ علامة موت هذا اللفظ .

فاذا علمنا هذا كله أدركنا جلائل فوائد كتاب نقد الشعر ولا سيما خوضه في عيوب اللفظ وقد بلغ من قلة عنايتنا باللغة في العصر الذي نعيش فيه أن بعض الشباب من شعرائنا قد بطلت في معتقدهم مسئلة اللغة ، معنى هذا أنه يجوز لشاعر هذا العصر أن يقرن لفظاً بأي لفظ يريد وأن يضيف لفظاً الى أي لفظ يشأ سواء أكان في ذلك شيء من التناسب أم لم يكن ولست أدري كيف يكون مصير الذوق الفني إذا رسخت أمثال هذه الآراء في الأذهان ، لا بل كيف يكون مصير اللغة نفسها .

من هذا كله نعرف فضل جعفر بن قدامة ونظرائه من الأئمة في ترويض أذواقنا على المحاسن ومن هذا كله ندرك أسفنا على شيوخ اللغة الذين كانوا في أوائل هذا العصر وفي أواخر العصر الذي فات واقفين للكتّاب والشعراء بالمرصاد ينبهونهم على كل انحراف عن الذوق في اللغة والشيخ اليازجي في مقدمتهم . رحمهم الله أوسع الرحمات .

الكميت بن زيد الأسدي

تأليف الدكتور أحمد صلاح الدين نجا

دار العصر للطبع والنشر

وضع رئيس الجامعة اللبنانية الأستاذ فؤاد افرام البستاني مقدمة لكتاب : الكميت بن زيد الأسدي ، ذكر فيها توجّه هذا العصر نحو التوسع في الدراسات الأدبية وتنويع موضوعاتها بحيث انصرف الكتّاب الباحثون الى التعمق في

دراسة أديب واحد أو تحليل مظهر مستقل من مظاهر الأدب فازداد بذلك الضبط في الدرس والدقة في الأحكام .

من هذه الدراسات كتاب الكميت الذي يشتمل على وصف جامع لشاعر الهاشميات ويوضح أثره في مجتمعه من نواحي الدين والسياسة والأدب ويصور حقبة عصيبة في تاريخ الإسلام .

يتضمن كتاب الكميت قسمين : درس المؤلف في القسم الأول حياة الشاعر وفنه ودرس في القسم الثاني مختلف آرائه في السياسة والدين ، واذا أردنا أن نعرف خلاصة الرأي في الكميت بن زيد فلنسمع ما قاله الدكتور نجا :

« لقد كان الكميت بن زيد أحد الشعراء السياسيين الذائعي الصيت وأول من انبرى بجراءة وعنف للدفاع عن حزب مضطهد ، بينما كان زملاؤه لا يجرأون على رفع أصواتهم في وجوه السلطات التي كانت تهددهم تارة وتروعهم تارة أخرى ، زد على ذلك فلقد كان أول شاعر دعم آراءه ببراهين دامغة وحجج وسخر بأعدائه وشهر بهم وانتقص شأنهم ، غدا الموت على بعد خطوات منه في المرة الأولى ولكنه ما عتم أن أدركه أخيراً وأودى به ، كل ذلك بسبب وفائه لعقيدته واستمساكه بعروتها » .

هذه صورة تلخص لنا على اختصارها عقيدة الكميت في السياسة ودفاعه عن هذه العقيدة وموته في سبيلها .

لا شك في أن الذي يطالع كتاب الكميت يشعر لأول وهلة بجهد صاحبه في البحث والتنقيب على أصول حديثة تشبه الأصول التي يجري عليها أساتذة الغرب ، فهو قد استنفد وسعه في الرجوع الى المصادر المشتتة وتمحيصها حتى ظهرت آثار الحياة على كل فصل من فصول الكتاب فانه لما أفاض في الكلام على البديع في شعر الكميت وعلى تقليده شعراء الجاهلية في وصف الطبيعة وبعض حيوانها وعلى تجديده لمذاهب الشعر من حيث زهده في الغزل وسخريته بالوقوف

على الأطلال والبكاء والاستبكاء وفي هذه الموضوعات كلها حقها من البحث .

واذا كانت مباحث القسم الأول من الكتاب على هذا الشكل الذي أشرت اليه فقد أستغني عن الإشارة الى مباحث القسم الثاني منه لأن روح البحث تكاد تكون واحدة في القسمين .

إلا أنه يؤسفنا أن يتفاوت أسلوب الكاتب في بعض مواطن من كتابه وإذا كانت طائفة من الانحرافات عن اللغة لا تذهب برونق هذه الدراسة المتينة فهل عليّ من حرج إن نبهت على بعض هذه الانحرافات ، من ذلك جمع الكاتب نيّة على نوايا والمعروف انها تجمع على نيّات ومن ذلك استعماله التحاوير ولم أهتد الى حقيقة معناها أو استعماله النضوج بدل النضج الذي نصّت عليه بعض كتب اللغة أو استعماله التعيس بدل التاعس والتعِس ومن ذلك خروجه ببعض الألفاظ عن أصل معناها مثل ايراد الانكماش في معنى الانقباض على حين أن معنى هذه المادة الإسراع ومن ذلك اختلال بعض التراكيب مثل قوله : يسرّان الى بعضها على حين يجب أن يقال في هذا المقام : يسرّ بعض الى بعض أو يتسارّون[1] .

على أني لست من رجال اللغة حتى أجزم فعسى أن يجد أهل اللغة مسوّغاً لما ظننته من فاسد الاستعمال .

وإني لأغتنم هذه الفرصة للإشارة الى رأي استفاض في عصرنا هذا فقد نعتقد انه يجوز لنا الانحراف عن جوهر اللغة وأصولها في بعض الأوقات على سبيل التطور والذي نعرفه أن التطور يفيد الانتقال من وجه كامل إلى وجه أكمل فما هو الكمال في الخروج بألفاظ عن أصل معانيها إنّا نعلم أن الاسلام خرج بطائفة من الألفاظ عن معانيها في الجاهلية وجعل لها معاني إسلامية لم

---

(١) النوايا : الصفحة ٢٠١ . التحاوير : الصفحه ١٤٥ . النضوج : الصفحة ٣١ . التعيس : الصفحة ٦٠ . الانكماش : الصفحة ٨١ . يسران الى بعضها : الصفحة ٧٣ .

تكن لها من قبلُ فلا شك في أن أمراً مثل هذا الأمر أدّى اليه التطور لأن الإسلام جاء بأفكار حديثة لم تكن لها ألفاظ تدلّ عليها فلا بدّ لهذه الأفكار الحديثة من ألفاظ حديثة ولكن أيُّ عذر لنا اليوم في استعمال رضخ له بمعنى خضع واطراح هذه المادة المألوفة الخفيفة فاذا جاز لكل واحد منا أن يحوّل معاني الكلم عن مواضعها جرياً على ما نسميه التطور فلست أدري الى أين تصير لغتنا بعد حين من الدهر فاذا كانت اللغة كريشة في مهبّ الريح فلا ريب في أن العصر الآتي يكاد لا يفهم لغة العصر الحاضر فتصبح اللغة حينئذٍ فوضى والعياذ بالله .

أحاديث القرية

أقاصيص وذكريات

مارون عبود

لما كان الشدياق الكبير في لندن شهد مشاهد كثيرة فيها ، من جملتها التمثيل وقد وصف مسارحه وألعابه أدقّ وصف ، وانتقد طول الوقت في بعض الألعاب ، تذكّره طول بعض المشاهد طول بعض الروايات فقال :

« فلو تصروا الوقت وأجادوا اللعب لكان أولى وهذا كالتزام بعض المؤلفين عندهم لنوع يسمى : « نوفل » وهو أن يجعلوا الكتاب ثلاثة مجلّدات فيسفسفون ويدنقون ويأتون بالغث والثمين » .

لم يألف الشدياق فنّ الرواية على الرغم من اجتماع كل عناصرها له كالاختبار والتصوير والتحليل واللغة وما يشابه ذلك ، انه يرى في الرواية الغث والثمين وقد يجوز لنا أن نرى في القصة ما رآه الشدياق في الرواية على تباعد هذين النوعين .

استفاضت القصة في أدبنا كثيراً وأخذ بعض الكتّاب يميلون اليها ، منهم من تهيأت لهم أسبابها ومنهم من يخبص فيها خبصاً فيعتقد أن القصة عبارة عن حكاية يحكيها الإنسان في مجلسه لقتل الوقت ، على أنّ للقصة فنّاً خاصاً لا مجال

للخوض فيه في هذا المقام فقد تحتاج الى البساطة والصدق والدراسة والتصوير واللغة وغير ذلك فاذا كانت القصة مجرد صف كلام فالاستغناء عنها أولى وقد نجد أن فريقاً من الأدباء في أوروبة طفقوا يسأمون الرواية ولست أدري هل يسأمون القصة أيضاً فقد ملوا هذا النوع من اختراع الأشخاص والحوادث فيها وأحبوا أن يواجه الكاتب القراء مواجهة بحوادثه الخاصة فهم يفضلون المذكرات على هذه الأنواع الأدبية ، وهل أنا على حق إذا دخلت في مذهب هؤلاء الأدباء فاذا كنت أرى في بعض روايات الغربيين وقصصهم آيات بينات في التحليل والدراسة والتصوير فلست أرى في أدبنا من هذه الأمور شيئاً ذا بال .

أمّا أقاصيص الأستاذ مارون عبود ففيها شيء مما يراه الشدياق في الروايات وفيها شيء مما يريده الذين فضّلوا المذكرات ، لقد حاول الأستاذ عبود على نحو ما دلّ عليه عنوان قصصه أن يصور مجالس القرى في لبنان وأحاديث أهلها وما يدخل في هذه الأحاديث من التصورات والأفكار وأساليب المخاطبات كما حاول أن يثبت فيها طائفة من ذكرياته ، ولم يخلُ هذا كله من الطبع أحياناً ومن التصنع أحياناً فكما ظهرت آثار الطبع في خطبة المرحوم جده في قصة الاستسقاء فقد ظهر شيء من آثار التصنع في قصة أولى معاركه الأدبية .

أمّا اللغة الشائعة في هذه القصص فأكثرها ملائم لروح القصة مثل هذه التعابير البسيطة : خف ربك يا رجل ... تسأل خاطرك ... جبر خاطره ... وهي لا تخلو من تعابير عامية تعمّدها الأستاذ مثل : يا ضيعان تعبي ... اضحكوا في عبكم ... وقد أفضى التصنع في بعض القصص الى التصنع في بعض التعابير مثل قوله : ضرب الدابّة بعصا لمني رأسها تخلتها عصا موسى تستحيل ثعباناً عند ذكر فرعون .

على أني أرى براعة الأستاذ مارون عبود في آفاق أدبية ثانية ، فما أزال أذكر براعته في كتابه : بديع الزمان الهمذاني .

مجلة كلية الآداب والعلوم

تصدرها كلية الآداب والعلوم ببغداد

أصدرت كلية الآداب والعلوم في بغداد العدد الأول من مجلتها وقد صدّر هذا العدد عميد الكلية الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري بمقدمة دلّت على فهم دقيق لمهمة الجامعة في الحياة ، فليس هدف الكليات الاقتصار على نشر الدراسات الجامعية ، وإنما هدفها بعث روح البحث والتتبع وتقوية ملكة النقد ، حتى تنتقل الجامعة من التقليد الى الإنتاج والابداع ، فتجد السبيل الى حلّ مشاكل البيئة التي تعيش فيها ، مشاكل الاجتماع والاقتصاد وغيرهما .

لم تعدْ الجامعة في عصرنا هذا مركز تدريس لتوزيع الشهادات والإجازات في آخر كل سنة ، وإنما هي بمثابة مركز يعين على حرية الفكر واستقلاله ، وعلى توسيع آفاق هذا الفكر ، فالجامعات في أكثر بلاد العالم تهدي المجتمع سواء السبيل في الحرية والاستقلال ، وترشده الى كل ما ينمّي مظاهر الحياة فيه . والجامعة التي ما تزال تحبس مهمتها على التدريس وعلى توزيع الإجازات ، دون أن تعنى بالتدريب على الانتاج والإبداع ، إنما هي جامعة مقصِّرة في غايتها السامية ، فقد آن للجامعات في بلاد العرب أن تفطن الى حقيقة مهمتها ، وأن تعمل على اداء رسالتها ، وإذا كان المال في أكثر هذه الجامعات هو الذي يحول دون الوصول الى هذه الغاية ، فلا عذر للحكومات في التضييق على جامعاتها .

هذا ما أوحته الينا مقدمة الأستاذ العميد ، وإذا أردنا أن نعرف جلالة قدر الموضوعات التي اشتملت عليها مجلة كلية الآداب والعلوم في بغداد لزمنا أن نذكر عناوين هذه الموضوعات ، وهذه هي مباحث العدد الأول من المجلة :

إحساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات : للأستاذ الدكتور جميل سعيد وكيل عميد كلية الآداب والعلوم ورئيس قسم اللغة العربية .

أحكام الرسول في الأراضي المفتوحة : للأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي وكيل رئيس قسم التاريخ .

المعاهد الخيرية النسوية القديمة في العراق : الدكتور مصطفى جواد الأستاذ في قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية .

التصنيع والتقدم الاقتصادي : للدكتور محمد جواد العبوسي أستاذ مساعد في قسم الاقتصاد .

روسيا السوفيتية والشرق الأوسط : للدكتور جعفر حسين خصباك الأستاذ المساعد في قسم التأريخ .

رأي في موضوع علم النحو : الدكتور مهدي المخزومي المدرس في قسم اللغة العربية .

قصة الابتاق : للأستاذ أحمد ناجي القيسي المدرس في قسم اللغة العربية .

نظرة في تاريخ الأدب المسرحي — المسرحية اليونانية : للدكتور علي الزبيدي المدرس في قسم اللغة العربية .

هذا ما تضمنه العدد الأول من مجلة كلية الآداب والعلوم . واذا كان المجال لا يتسع لتلخيص هذه المباحث الجليلة بأجمعها ، فلا أقل من الإشارة الى مبحث واحد منها انتخبته عرضاً وهو : إحساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات .

بيّن الأستاذ الدكتور جميل سعيد وكيل عميد كلية الآداب والعلوم في مقاله هذا أن إحساس الشعراء العرب في موضوعات الطبيعة لا يقل عن إحساس الغربيين ، وانتقل من هذه الفكرة العامة الى التخصيص والتفصيل ، فأشار الى محاولة شعرائنا إعادة أصوات الطبيعة في شعرهم ، كدويّ البحر وخرير الماء وهديل الحمام وغير ذلك وذكر الصلة بين حديث الشاعر عن هذه الأصوات وبين خوالج نفسه على نحو ما فعل ابن الرومي الذي كان يمزج الطبيعة بشبابه وحبيبه ، وما يقال في أصوات الطبيعة يقال في ألوانها .

ولم يغفل الأستاذ عن توضيح ما لبيئة الجغرافية من أثر في شعر الطبيعة عامة ، وفي الحديث عن الأصوات والألوان خاصة ، ويظهر هذا الأثر واضحاً في اللغة ، فان اللغة غنية غنىً عظيماً في كل ما يتصل ببيئة أهلها من حيوان أو نبات أو أشكال جغرافية كالجبال والرمال والأودية وأشباهها ، ثم أفاض الكاتب في الاستشهادات فذكر شعراً كثيراً للشعراء الذين كثرت في شعرهم صور الطبيعة في أصواتها وألوانها .

لا ريب في أن الشعراء العرب قد اتصلوا بالطبيعة من قديم العصور ولم ينفصلوا عنها ، ونستطيع أن نقول إن شعراء الجاهلية قد أعطوا جزيرتهم أكثر مما أعطتهم ، أعطتهم الشيح والقيصوم والسدر والسلم والعرفج والرند والعرار فجعلوا من هذا النبات في شعرهم حدائق غلباً .

والقرآن نفسه لم يكن بعيداً عن حسّ الطبيعة ، أفلا نذكر الآيات الكريمة التي تشير الى انفطار السماء وانشقاقها ، والى انتثار الكواكب وانكدار النجوم وتكوير الشمس وتفجير البحار وتسيير الجبال ونسفها وعسعسة الليل وتنفس الصبح وعصف الريح الصرصر العاتية والى السدر المخضود والطلح المنضود والظل الممدود والماء المسكوب والسحاب المركوم والبحر المسجور .

ولا حاجة بنا الى الإشارة الى بركة البحتري وبحيرة ابن الساعاتي والى عواصف صقلية وسردانية في رحلة ابن جبير ، إلا أنه يمكننا أن نقول ان شعراء الافرنجة وكتابهم اتصلوا بالطبيعة بحواسّهم وأرواحهم فخلقوا لها قلباً يشعر شعورهم ، وعيناً تبكي بكاءهم ، وصدراً يفرح فرحهم ، فشاطروها آلامها وشاطرتهم آلامهم ، وإذا دعا بعض شعرائنا الحمام ليقاسموه الهموم ، أو عاتبوا شجر الخابور لأنه مورق لم يجزع على ابن طريف ، فهذا النوع من الاتصال الروحي بالطبيعة قليل في شعرنا ، لقد كانت الطبيعة في أدبنا لذة الحس ولم تكن لذة الروح فاذا

احتاجت الطبيعة في أدبنا الى شيء فانها تحتاج الى الحياة حتى تصبح مثل الأحياء تعيش عيشتهم وتشعر شعورهم ٠

واذا اغتنمت هذه الفرصة لأستطرد مثل هذا الاستطراد فجدير بي أن أرجع الى مبحث الدكتور جميل سعيد لأقول فيه ان صاحبه الأستاذ قد أدّى رسالته الجامعية أحسن تأدية ٠ لم يكن مقاله تدريساً جامعياً لا غير وإنما خرج فيه عن التقليد الى الإبداع فأتى فيه بكل طريف ٠

ويؤسفني جداً أن يضيق بي المجال للتنويه بمباحث المجلة كلها وبمجهودات أساتذة الكلية الأفاضل ٠ والشيء الذي لا بدّ من الثناء عليه في هذا المقام إنما هو نشر مباحث لطائفة من أساتذة الكلية باللغة الانكليزية ، وليس في هذا الأمر ما يدخل الضيم على القومية العربية ، فقد آن أن يعرف رجال أوروبة وأميركة أساتذتنا ، وأن يطلعوا على نتائج خواطرهم ، لأن جهلهم بمجتمعنا العربي يجعلهم يتصورون هذا المجتمع في أقبح الصور ، فينتفع بهذا التصور الفاسد عدوّ العرب نفسه ، آن لرجال أوروبة وأميركة أن يعرفوا مجتمعنا العربي أصح معرفة حتى ينسخوا من أذهانهم ما علق بها من الأباطيل والأضاليل ٠

شفيق جبري

أيُّ غدٍ ؟

كتاب ألفه الأستاذ قسطنطين زريق ، وطبعته « دار العلم للملايين » في بيروت
فجاء في ١٩٠ صفحة من القطع المتوسط

ومؤلف هذا الكتاب من أعمق رجال العرب تفكيراً ، وأقدرهم على البحث العلمي في شتى العوامل المؤدية الى نهضة قومية صحيحة في بلادنا العربية . فالذي يقرأ من مؤلفاته كتاب « الوعي القومي » ، ثم يقرأ هذا الكتاب ، يجد فيهما تحليلاً دقيقاً لما ينتاب أمتنا من أدواء ، ووصفاً صادقاً لما تحتاج اليه من دواء .

والمؤلف الفاضل قلق لما يرى في مجتمعنا من مشاكل ومن اضطراب في تفكير الأفراد ، وفي أخلاقهم ، وفي الأساليب الملتوية التي يعالجون بها شؤونهم الخاصة ، وشؤون المجتمع العامة سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية أم ثقافية .

ولهذا راح يرسم في كتابه هذا صورة دقيقة حكيمة لما يجب أن يكون عليه الفرد والجماعة في مستقبل أمتنا العربية . فتناول بالبحث المفكر العربي وواجباته ، والمجتمع التقدمي وصفاته ، والتنظيم وعوامله ، ومجتمعنا العربي وحقائقه وعلله وما يصلح له من تربية ، ثم ماهية الثقافة الحديثة وبعدنا عنها وما ينبغي لنا اقتباسه منها ، وأخيراً سبيلنا الى أفضل ثقافة ننشدها لأمتنا العربية .

والمؤلف ، على ما هو واضح في كتابه ، من المؤمنين مثلنا بالقومية العربية ؛ فهو حين يبالغ في كشف القناع عما في مجتمعنا من عيوب وشوائب ، لا يبغي من ذلك إلا الدعوة الى تجنبها ، لكي نستطيع العيش في بلادنا عيشة مستقلة كريمة ، ولكي يكون في وسعنا مقارعة الاستعمار والصهيونية بالوسائل التي تلجأ اليها الأقوام المتحضرة في مكافحة العادين عليها ، وأهم هذه الوسائل سلامة

التفكير ، ودقة التنظيم ، وصحة التثقيف ، والتحلي بقويم الأخلاق وصادق الوطنية . ومن الواضح أنه متى أخذت أمة من الأمم بهذه الوسائل الأساسية حصلت فيها قوة معنوية ومادية تدرأ عنها طمع الطامعين بسيادتها السياسية وبخيراتها الاقتصادية .

الشربالي

علم الأمراض الباطنة

(الجزء السابع) .

أمراض الغدد الصم والتغذية والتسممات

تأليف الدكتور حسني سبح

أستاذ الأمراض الباطنة وسريرياتها في كلية الطب وعضو المجمع العلمي العربي

مطبعة الجامعة السورية ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م

هو الحلقة السابعة والأخيرة من تلك السلسلة القيمة التي اكتملت بها تلك الموسوعة العربية في الأمراض الباطنة التي تعد بحق الأولى في بابها من حيث سهولة اللغة وفصاحتها ومن حيث الإحاطة بأحدث ما كتب في هذا الموضوع ومن حيث تخير المصطلحات الطبية المألوفة القريبة من الفهم والدلالة على المقصود ومن حيث غزارة المادة ووفرة الرسوم والصور وجودة الورق والطبع . فهي عقد فريد ازدانت به لغة الضاد العلمية . سد به زميلنا الأستاذ حسني سبح فراغاً كبيراً يستحق عليه أفضل الثناء .

يحوي هذا الجزء ثلاثة كتب : الأول منها في أمراض الغدد الصم ، ويبحث في كلياتها ثم في علامات اضطرابها ثم في عللها مبتدئاً بالغدة النخامية ثم الدرق

ومجاوراته ثم الكظرين ثم غدد التناسل ثم التيموس والغدة الصنوبرية وينتهي في التناذرات الغدية المشتركة .

ويبحث الكتاب الثاني في أمراض التغذية مبتدئاً بكليات هذا المطلب ثم يبحث في اضطراب تطور الغليكوجين وماءات الكاربون ثم في اضطراب تطور البروتئينات ثم الادهان ثم يبحث في نقص التغذية والعلل الناجمة عن عوز الفيتامينات .

ويبحث الكتاب الثالث في التسممات والعلل الناجمة عن العوامل الكيمياوية . فيدرس السموم الغذائية والحيوانية المنشأ . ثم يبحث في الانسمام بالسموم المعدنية والنباتية والعضوية ثم في الانسمامات المختلفة الأخرى كالانسمام بالغازات والأشعة وبفرط الفيتامين وغيرها .

وفي ختام هذا الجزء فهرس المواد مرتباً على الحروف الهجائية ، ومعجم المصطلحات العربي الافرنسي، ومعجم المصطلحات الافرنسي العربي . وأخيراً جدول التصويب .

وقد جاء هذا الجزء في ٥٦٦ صفحة . متقن الطبع صقيل الورق ينطق بفضل مؤلفه . وبالجهد الكبير الذي بذله لإخراجه والذي نرجو أن يستمر بلا انقطاع لإخراج ملاحق له سنوية تحوي كل ما يدخل على موضوعه من تطور وتجدد كيلا يفقد فائدته ، وكي يحتفظ بجدته ، ويؤتي أكله كل حين .

الدكتور أسعد الحكيم

عمدة التفسير
عن الحافظ ابن كثير
(٧٠٠ – ٧٧٤)
اختصار وتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر

امتاز الحافظ العماد بن كثير – كالإمام محمد بن جرير الطبري – بتفسيره القرآن بالقرآن ، وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وبذكر ما ورد من الأحاديث في معاني الآيات بأسانيدها ، مع العزو إلى مخرجيها أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد ، وأعظم بهذا التفسير الذي يجدد لك فهم القرآن بلسان عربي مبين ، فتعلم معانيه بمفرداته وأساليبه علماً يدعوك الى العمل ، ويدنيك من الصدر الأول ، ويعرفك الأسباب التي وردت الآيات في شأنها ، والمقاصد العليا التي أنزل القرآن من أجلها ، بالإفصاح عن معاني التنزيل ، والبعد عن الإغراب في الإعراب ، وتكثير الوجوه والمحتملات اللفظية ، وعن الاشتغال بعلوم ومباحث أخرى لا يتوقف عليها فهم الآيات الكريمة ، ولا الاهتداء بهدى القرآن ، وقد ترك ابن كثير الشيء الكثير من القصص الاسرائيلية ، ونبه على كذب البعض منها ، ولكنه أورد بعضاً آخر بلا تحقيق ولا تمحيص . وما زال علماء الحديث أمثاله يحذرون في كتبهم مما وضعه الوضاعون ، حتى صارت الإسرائيليات مضرب المثل عندهم في الكذب ، ولعل هذا هو مراد الحديث : وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج .

وقد عني العلامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر الشهير باختصار تفسير الحافظ العماد بن كثير وتحقيقه ، والأصل مطبوع عدة طبعات في مطابع بولاق والمنار وغيرهما ، فرأى الأستاذ أن يعاد طبعه طبعة علمية محققة ، يرجع فيها إلى النسخ

المخطوطة منه ما أمكن ، وإلى دواوين السنة التي ينقل عنها المؤلف ، وإلى كتب رجال الحديث والتراجم ، لتصحيح أسماء الرجال في الأسانيد ، وهم كما قال شيء كثير وعدد ضخم . وقد بدا للأستاذ المختصر أن يعيد طبع الأصل محققاً مدققاً كهذا المختصر ، ولكنه قدمه على الأصل لأنه أيسر وأقرب . وقد تصفحنا هذا المختصر فوجدنا محققه يعود إلى الأصول الخطية لا سيما « مخطوطة الأزهر » التي جعلها العمدة في التصحيح ، ويحافظ على مزايا تفسير ابن كثير من إيراد الشواهد القرآنية التي يؤيد بعضها بعضاً ، ومن إثبات آراء المؤلف في الترجيح ، ومن اعتماد أصح الأحاديث ، وأقواها اسناداً ، وأوضحها لفظاً ، والاكتفاء بذكر الحديث عن الصحابي راويه ، وحذف المكرر من أقوال الصحابة فمن بعدهم من الأئمة ، ونفي كل الأخبار الاسرائيلية وما أشبهها ، والاستغناء عن أكثر ما أطال به المؤلف من الأبحاث الكلامية ، والفروع الفقهية ، والمناقشات اللغوية واللفظية ، و الاقتصار على موضع الشاهد من مطولات الأحاديث مع رسم الآيات المفسرة وفقاً للمصحف العثماني ، وإثبات رقمها عليها ، إلى آخر ما أوضحه في مقدمته .

وكنا نرجو من الأستاذ الصديق الجليل أن يضع لنا في رأس كل صفحة جملة تعبر عما تضمنته تلك الصفحة من تفسير ، جرياً على قاعدة أستاذنا صاحب المنار المنير ، وأن يعتمد في التصحيح على النسخة المخطوطة من هذا التفسير ، المحفوظة في خزانة الكتب بالحرم المكي الشريف ، التي اطلع عليها السيد الإمام صاحب المنار في موسم الحج سنة ١٣٤٤ هـ ، قال رحمه الله في خاتمة الطبع : « وهي من حيث الصحة والتنقيح لا نظير لها في هذا العصر ، فقد كتبت في عصر المؤلف ، بل قبل وفاته » . هذا وقد كتبنا إلى صديقنا الأستاذ المختصر بما لاحظناه ، فأجابنا بأنه يرى أن كتابة المواضيع في رؤوس الصحف غير مجدية ومن النادر أن يقرأها أحد ، (قال) : فلذلك لم أتخذ هذه الخطة في أي كتاب . وبأن نسخة مكة التي اعتمدها الإمام السيد رشيد رضا في التصحيح كأنها ممثلة في

طبعته . (قال) : وقد تبين لي أن نسخة الأزهر أصح منها جداً كما بينت في مقدمتي ، ثم وجه الأستاذ الأنظار إلى أنه قصد بعمله في (عمدة التفسير) أن يكون عوناً سهلاً لطبقة المثقفة المتوسطة لفهم القرآن الكريم على الوجه الصحيح .

ونحن نوجه أنظار هذه الطبقة المثقفة ، بل سائر الطبقات إلى مثل هذا التفسير ، فإن القرآن الحكيم هو الذي هدى سلفنا الصالح إلى الجمع بين مصالح الروح والجسد ، فالمسلمون الأولون بعد أن سمت عقولهم بالتوحيد ، وزكت نفوسهم بضروب الأخلاق والعبادات ، عنوا أشد العناية بالعلوم والفنون النافعة التي عدّها الإسلام من الفروض ، فكانوا بذلك خير أمة أخرجت للناس ، وساسوا الأمم سياسة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ، وقد قال سبحانه : «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه» سورة الجاثية الآية ١٢ ، وهذا التسخير تسخير تمكين وانتفاع ، واكتشاف واختراع ، وقال : «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً» وهذا خطاب عام لأمة القرآن يدعوهم ويوجّه نظرهم إلى ما خلق تعالى في جوف الأرض من كنوز ومعادن ، ويرشدهم إلى الاستفادة منها ، ويثبت أن جميع ما استحدثته أمم الغرب من القوى البرية والبحرية والجوية هو مما أرشد إليه الإسلام ، فردّه رد لنصوص القرآن ، وتعطيل لأحكامه ، وتجريد لهذه الأمة من كل ما يعزّز قوتها ، وينمي ثروتها ، ويحمي حوزتها ، ويدفع عوادي الشر عنها .

و (عمدة التفسير) يفسر الآيات الكريمة بالظاهر المتبادر منها ، ويشرب قلوب الطبقة المثقفة النيرة حب الدين ، ويبعث فيهم روح النشاط والاغتباط به ، ويحملهم على العمل بأحكامه ، والوقوف عند حدود أوامره ونواهيه .

أثاب الله تعالى الأستاذ الكبير «الشاكر» على حسن صنيعه ، وبارك في حياته ، وأدامه لخدمة الكتاب والسنة موئلاً وذخراً .

(القرآن والترجمة)

تأليف الأستاذ عبد الرحيم محمد علي النجفي

هذه رسالة مفيدة في مباحث من القرآن الكريم وترجمته إلى لغات العالم الشرقية والغربية ، قد اشتملت على ثمانين صفحة في هذا الموضوع ، وأهديت إلى العالم المؤرخ الشيخ آغا بزرك الطهراني مؤلف (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) و (طبقات أعلام الشيعة) وقدم لها الأستاذ الشيخ محمد أمين زين الدين النجفي مقدمة وجه النظر فيها إلى إعجاز القرآن في مبانيه ومعانيه ، وأشار فيهـا إلى اختلاف الآراء في ترجمته الحرفية ، وصرح بالاتفاق على ترجمته التفسيرية ، وختمها ببيان موضوع هذه الرسالة .

قلت : من فوائد هذه الرسالة أن القرآن الكريم قد ترجم إلى أكثر من سبعين لغة عالمية شهيرة ، وإن زعيم القاديانية في لاهور نشر ترجمة القرآن وتفاسيره بتلك اللغة على نحو شوه به الحقائق حيث حاول تطبيقها على عقائد أصحابه . وان المترجمين الأجانب منهم من هدفه العام ، هو نشر هذا الركن القويم من أركان الحضارة الإسلامية التي سادت العالم مدة ألف عام ، ومنهم طائفة غرضها من ترجمته الاعتراض على ماورد فيه من حكم وقواعد عامة لنظم الحياة . وإن أول ترجمة صدرت إلى اللاتينية (عام ١١٤٣) ثم ذكر دراسة العربية في أشهر عواصم أوربا ، والحركة الصليبية ، واختلاف علمـاء الأزهر في ترجمته ، وآراء كبار علماء الحياة والدين في القرآن ، وشهاداتهم له ، ومنها شهادة كوك الكاتبة الأميركية ، وقولها : إن هذا الكتاب ليس ملكاً لأمة دون أمة ، فقد نزل للناس كافة ، ثم عد اللغات التي ترجم إليهـا ، وأقدم ترجمة منها ، وما تلاها ، ومنها ما رتب ترتيباً تاريخياً ، وترجمه الى الكجرانية

الحاج غلام علي بن اسماعيل المعاصر ، وذكر أنه شرع في تصنيفه عام (١٣٠٥) وفرغ منه بعد خمسين سنة (١٣٥٥) وهي السنة التي قدمه فيها إلى الطبع ، ثم ترجمات المستشرقين وشروحهم . وجاء في (ج ١) من « خزائن الكتب في الخافقين » لفيليب دي طرازي : « وتليها ترجمات وطبعات غيرها ، أحصينا منها مائة وعشرين ترجمة في خمس وثلاثين لغة شرقية وغربية » ثم وصف المصاحف النفيسة في خزانة الأستاذ فيليب ، ومصاحف في خزانة ابنته بباريس ، قال : « أما دور الكتب الأميركية فهي تفتخر باحتضانها لطائفة كبرى من نسخ القرآن الكريم المخطوطة النفيسة في قدمها ، وشكل خطها ، ونوع ورقها ، وجمال تذهيبها .

وختم الأستاذ المؤلف رسالته بقوله : « لقد قرأت يا عزيزي ما عرضته لك من هذه التراجم الضخمة للقرآن ، وعلمت أن هذا هو حال الغرب وعلمائه بالنسبة له ، فما أحرانا نحن المسلمين بالعناية به ، في إنشاء المتاحف الكبيرة ، والمعارض العالمية الشهيرة ، ـ وقد سبقونا ـ تعرض خطوطه ومخطوطاته وعلومه وفنونه وشروحه على اختلاف أنواعها وعصورها ، وأصول قراءاته وترتيله وترجماته بأجمعها ، والحث على ترجمته إلى اللغات التي لم نعرف عنه لحد الآن شيئاً . » أقول : لي كلمتان في هذا الموضوع أولاهما في التبليغ وثانيهما في الإعجاز ، أما التبليغ فالمعقول فيه أن تبلغ دعوة الإسلام لكل أمة بلغتها ، فاذا أشربتها قلوبهم تعلم عامتهم بالعربية ما تصح به عباداتهم ، وتدرس الخاصة القرآن والعلوم الدينية والفنون العربية والأدبية بلغة العرب . وقد انتشرت العربيه في القرن الأول وما بعده تبعاً للإسلام في قارات الأرض الثلاث (آسية وافريقيا وأوربا) ودخلت أمم كثيرة في العروبة والإسلام فصاروا عرباً ديناً ولغة ، وعبادة ومعاملة ، والقرآن هو الذي جعلهم أمة واحدة كما جاء في الكتاب المبين : « إن أمتكم هذه أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون » . ولو استغنى الأعاجم من المسلمين

عن لغة القرآن بترجمته الى لغاتهم لبطل التعبد بتلاوته ، والأخذ بهدايته ، ولعطلت عبادة الصلاة والحج وغيرهما بلغته ، وماذا يبقى يا ترى ؟

وأما الإعجاز فقد توالت الأزمان والقرآن يتحدى أهلها بالإتيان بقرآن مثله في جملته ، أو في بعض أنواع إعجازه من نظمه وأسلوبه ، وهدايتـه وتأثيره وعلومه ، وما ألفه أمراء البيان ، فهو يوقف على مواضع من حقيقة القرآن ومجازه ، ويجلي للناظر مطالع من إيجازه وإعجازه ، فما على دعاة الإسلام وحماته إلا العمل بما هداهم اليه هذا الوحي الإلهي ليقيموا الحضارة الإنسانية الفضلى على أنقاض المدنية المادية العاتيـة .

والشكر لمؤلف (القرآن والترجمة) الشاب النبيل على عنايته بهذا المبحث الجدّ ، وخدمته لهذا الكتاب العزيز ، « الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد » .

جوهر الدّين ، ومنظومة إلى عموم المسلمين

تأليف عبد الحميد الخطيب

كنا وصفنا بعض الكتب التي ألفها الأستاذ الخطيب في مجلة المجمع العلمي ، وهذه رسالة ألفت في (جوهر الدين) أي مقاصده العليا ، وأعلاها التوحيد الخالص ، الذي كان عليه السلف الصالح . وقد أهدى رسالتـه إلى الشباب الناهض المتعلم ، وإلى الرجل الطيب القلب السليم النية ، وغرضه من إهدائها إلى هذين الصنفين ، أن ينشأ الطلاّب ـ لا سيما الذين يتربّون ويتعلمون في المدارس الإلحادية أو التبشيرية ـ على معرفة الله تعالى ، وعبادته وحده لا شريك له ، ومن ذلك التوكل عليه ، والإنابة اليه ، والاستعانة به ، والدعاء له ، والخوف منه ، والرجاء فيه ، واليك عناوين فصولها بعد خطبة الكتاب : حقيقة العبادة ،

تجنب الشرك ، لا سلطان إلا بالله ، الإقرار بالوحدانية ، ما ينافي التوحيد ، نقلص الإيمان من القلوب ، سوء فهم الشفاعة ، معنى الوسيلة ، الصلة بالله تعالى ، التبرك بالأشجار والتمائم ، الاستسلام للأوهام ، الثقة بالله وحده ، حب الله ورسوله ، حقيقة الإيمان ، أركان الإسلام ، ما يجب معرفته عن الله ، مقاصد الإسلام ، إلى عموم المسلمين .

وقد عزّز هذه الفصول وأيّدها بالاستشهاد بالآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية ، فكانت نوراً يسعى بين يدي القارئ ، يغذي وجدانه ، ويزيد إيمانه ، فينشأ موحداً توحيداً نقيا من الشوائب ، بعيداً عن البدع والزوائد ، لا سيما إذا بَعُد عن كتب الإلحاد التي تفسد عقائد الأمة وأخلاقها ، وتذهب بمقوّماتها ومشخصاتها ، وهما مادة حياتها .

وأما العوامّ الذين وصفهم المؤلف بطيب القلب وسلامة النية ، فيجب أن يبتعدوا عن كتب التخريف والتحريف ، التي تزيد الأمة ضلالاً وخبالا ، وهذا نصح وتذكير من المؤلف للقراء ، فان الكتب الوافدة على البائسين كالسيل الطامي ، تارة يقذف بالدر الذي يجمل قلادة النحر ، وتارة يرمي بالخزف أو الجيف التي تفسد براحتها الصحة العامة وجوّ البلاد الصافي . وأمّا القصيدة فهي مؤلفة مما يقرب من سبعين بيتاً ، وموضوعها إيقاظ المسلمين من غفلتهم ورقادهم ، وأولها : أيها المسلمون طرّا أفيقوا من سبات أودى بكم للدمار

ومنها : أفلا تعملون للخلاص بجدّ من قيود الرضا بالاستعمار

جزى الله الأستاذ المؤلف خير الجزاء ، وزاده إحساناً وتوفيقا .

هذا وقد وقعت أغلاط مطبعية سهلة ، فمنها ص ١٩ ليقربونهم : « ليقربوهم » . ص ٢٠ قل لو كنت أعلم الغيب : « ولو كنت » . ص ٢٨ الاثي : الليثي . ص ٣٥ عالم : عالماً . ص ٣٧ ولنجزيهم : « ولنجزينهم » . ص ٤٠ أمر الله كتابه : في كتابه .

محمد بهجة البيطار

نجوى

ديوان شعر للأستاذ عدنان مردم بك

طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٦ ، في ١٥٥ صفحة

كتبنا كثيراً في دواوين الشعراء المعاصرين ، ورجونا دائماً أن يطبعوا دواوينهم ، ليظهروا على الأدباء بهذه الألوان الجديدة التي يفيض بها شعرهم ، فهي جديرة بالبحث والدرس ، ينظر اليها الناقد المؤرخ على أنها مظهر من مظاهر التطور والتغير ، والتأثر أو التقليد ، والابداع أو الاتباع ، ويحكم على أساليب البيان فيها ليقول في قربها من عمود الشعر العربي الجزل الفصيح أو بعدها عنه .

ولقد طاب رجاؤنا فصدر ديوان جديد لشاعر معاصر ، هو ديوان (نجوى) للشاعر عدنان مردم بك ، نتناوله اليوم بالنقد لنرسم السبل التي سار فيها ، والبيئة التي تأثر بها ، والألوان التي يضمها الديوان ، فهي كثيرة ، منها المرأة ، والأسرة ، والوطن ، والتاريخ ، والطبيعة ، كأنها ألواح مصفوفة يُعيي حصرها في أبواب ، فهي تدخل في باب النسيب والغزل والوصف والرثاء والمديح ، ولكن على أساليب المعاصرين .

فالمرأة فيها على ألوان صارخة من جسدية صاخبة ، تجدها حيناً في الذكرى والحنين والحب والأنين ، تصل بين الشاعر وبينها وشائج كثيرة ، وتجدها أحياناً في حلبة الرقص لا تصلها بالشاعر إلا روابط الفن ، فرسمها في ثلاث رقصات ، وجعلها خلال ذلك كالريشة تترامى في مهب الهواء ، أو المنهوك أقعده الجهد ، أو الغصن عابثته الرياح ، فاذا تدافع الراقصان كانا كموجة تقاذفتها البحار أو كسفينين تختلج ، فيها دلال وفيه شوق ، وبها جميعاً بحة النغم وغصة الهوى ، فكأنهما روحان في جسم تحوطها ذراع .

وهذا الشعر في الرقص يذكرنا بشعر سمعه الفتى في بيت أبيه الشاعر خليل مردم بك قاله في الرقص وذهب في الأسماع وردّدته الأضلاع ، وتقلب على صفحات الكتب والمختارات ، فكان انطلاقة نحو فن جديد في الوصف أخذ به الشاعر الشاب فوفق ، وكم كنا نود أن يملك القراء طبعة لديوان الأب الشاعر ، ليعرفوا أية زهرة غرس هذا البستاني في حديقة شعره ، فجاءت تنم عن عطر كثير وأدب وفير .

وأما الطبيعة فقد دخلها شاعرنا في طائفة الشعراء من دمشق كما دخلها الحمدانيون في حلب قبل عشرة قرون ، فوصفوا ما فيها من طبيعة حية وميتة . ووصفها هؤلاء الدمشقيون فألموا بكل دقيقة من هذا البلد الأخضر في قلب الصحراء ، ترويه العيون والأنهار ، وتجري سواقيه في خيال الشعراء كما تجري خلال البيوت ، فترقص الأنغام والألوان والرعشات في الطبيعة وفي الشعر تتجاوب كالأصداء في واد سحيق ، وكأن شعراءنا حملوا الألواح للرسم لا للشعر ، فوقفوا في محراب الطبيعة يتغنون بآيات الله إعجاباً وحباً .

أجل ، دخل شاعرنا الأستاذ عدنان مردم بك في هذه الطائفة ، وأمسك ألواحه بيد صنّاع متمكنة ، فجعل الرياح تتناوح كأنها ثكلى ، والشقائق تطبق الأجفان وتلوي بالرؤوس ، والصفصاف كأنه في يوم عبوس قد خلع برد العروس ، ولبس مطارف الحزن والأسى . والأرض في صمت المربب تحكي بوحشتها الخليل أمضّه فقد الخليل ، وتساقطت الأوراق وتناثرت بدداً كجناح طير حطّ من لغب أو كفراشة ترامت على قبس ملتهب . وتلاحظ أن الصور حزينة يائسة رومانطيقية ، ولكن الديوان كذلك في أكثر الصفحات ، فهو ما يكاد يضحك حتى يكتئب وما يكاد يرقص للجمال والحب حتى تعروه ذكريات أليمة ، فيها فقد أخيه هيثم ، وبعد ابنه عنه ، فكأن الجانب الممض قد ملك شاعريته وأمسك بلسانه .

ولعلّ شاعرنا تأثر بما في الشرق من ميراث في الأدب حزين ، أو حال في الانتداب الماضي لا يضحك المخلص ولا يسر الوطني ، فذهب في مدرسة المهجر كل مذهب ، وسبح في سماء العاطفة الباكية كما سبح فوزي المعلوف وغيره ، فاستمع اليه يناجي ابنه :

بنيّ وأنت نعم الذخـــر في الدنيا على الدهر
أكان وأنت مني الشطـــر في وجديَ ما يزري
وهل من ريبة إنْ حــنّ شطر القلب للشطر
وما ذنبي إليك وقـد عقدتُ عليك أطماعي

وهذا شعر حزين ، فيه وصف أخ فقيد ، وولد بعيد ، وأب ملتاع ، قد جمله إلى أوصاف ثلاثة أعلام في التاريخ يكسوها الحزن كذلك ، وهؤلاء الثلاثة هم أبو العلاء المعري ، وعيسى بن مريم ، ويوسف العظمة . يرى البؤس سبيله الى حياة هؤلاء ، تلف سيرهم أشواك البشر وشروره ، وتفعم نفوسهم ببطولات تصعد مع الخلود إلى سماء لا تبلغها سماء . فالمعري لم تخدعهُ الحياة ، وإنما أدرك ما للشيطان فيها من أثر ، وما للناس من غباء ، فنظم الآلام أغنية ردّدها في لحن حزين جمعت أجمل الآي وأطيب السور ، ويوسف العظمة بذل نفسه فداء الوطن ، فهوى كالنسر المهيض والفريسة غالها الجزار ، فانطوى على أغر وموطن وفخار . وقضى لينشر الوطن تاريخه المعطار ، وأصبح في شعاب ميسلون ودمشق منارة التضحية والحرية . وأما عيسى بن مريم فقد هدى الناس في دنيا كأنها جهنم شهوة يرسفون فيها بأغلال المطامع ، فأعطى العالم ما أعطى وأغاث الكون من كروبه ، وتجرع السموم في سبيله .

ويطول القول إن عرضنا للغزل والنسيب ، فالمرأة كما قلنا في صور صارخة تفتك وتضلّ ، ولكنها ليست أجمل ما في الديوان ، فالشاعر وصّاف ، حسن

الديباجة سليم الأسلوب ناصع البيان ، رقت معانيه وصحت مبانيه ، فأصبحنا نرجو على يده ويد مدرسته بياناً بعيد إلينا البيان ، وشعراً يرد الينا العصور ، لنترنم بهذا الشعر كما نترنم بذاك الشعر . فالشكر للشاعر على ما أبدع وللناشر على ما صنع ، فقد جريا في حلبة الإتقان كل مجرى فكان لها ما أرادا .

الدكتور سامي الدهان

حول كتاب « نظرية أعمال السيادة »

للدكتور عبد الفتاح ساير داير

هذا الكتاب جدير بأن يتخذ مكانه كمرجع علمي عربي موثوق ، كبير القيمة والشأن ، من أجل تنوير القضاء بما استقر عليه الاجتهاد ، ومن أجل ترسيخ قواعد الحقوق على يد الفقه في موضوع هو أحوج ما يكون إلى ذلك ، موضوع أعمال السيادة .

وأعمال السيادة هي التي نسميها في فقهنا الإداري « المقررات الحكومية » ، وهي أعمال السلطة التنفيذية التي تخرج عن رقابة القضاء ، فهي لا تخضع للإبطال ، ولا يمكن التعويض على المتضررين منها . ومن هنا كان بحثها بالغ الخطورة ، لأن أكثر الفقهاء لا يقبلونها وإن كان القضاء هو نفسه أول من أضفى عليها هذه الحصانة قبل أن تجيئها بالتشريع . ولقد كان من نتيجة التفاعل المستمر بين الفقه والاجتهاد أن تقلصت حدود هذه الأعمال وضاق نطاقها حتى لا تشتمل غير الأعمال ذات الطابع السياسي الدبلوماسي مما يتعلق بشؤون الحكومة مع المجلس النيابي أو مع الدول الأجنبية والمنظمات الدولية . وهنا بالذات تبرز قيمة الكتاب الذي نحن بصدده ، لأن مؤلفه تتبع نظرية أعمال السيادة بادئاً بأصولها مرافقاً تحولها حتى وصلت الى طورها الأخير ، فلم يترك رأياً لفقيه فرنسي أو

مصري ولا حكماً لمحكمة فرنسية أو مصرية عادية أو إدارية ، مما يتناول هذا الموضوع بسبب ، إلاّ أتى عليه في دراسته بالمناقشة والتدقيق والرأي الشخصي بالنتيجة . وذلك ما اضطره الى الرجوع إلى أكثر من مائة مؤلف أو رسالة أو مقال علمي ، وإلى عدد لا ينتهي من قرارات القضاء العادي والإداري في مصر وفرنسا ، حتى أنه أتى على قرارات القضاء المختلط الذي كان قائماً في مصر قبل بضع سنين ؛ فجاء كتابه جامعاً مانعاً ، فيه صدق النقل والرواية وعمق التحليل والنقد ، يعالج الموضوع من ناحيتيه النظرية والعملية معالجة وافية ؛ حتى تبلغ المادة العلمية وحدها في الكتاب حوالي ثمانمائة صفحة (من قياس ١٧ $\frac{١}{٢}$ إلى ٢٥ سم) .

وبعد ؛ فإن « لجنة الحكم » التي ناقشت هذه الرسالة مكونة برئاسة الأستاذ الدكتور توفيق شحاتة ، وعضوية الأستاذ الدكتور وحيد رأفت والعميد الدكتور عثمان خليل ، وهم جميعاً من أشهر أساتذة الحقوق العامة في مصر . ولقد حكمت هذه اللجنة بتقدير درجة « جيد جداً » للرسالة ، واقترحت طبعها على نفقة جامعة القاهرة ؛ وإن شهادة أهل العلم بالمؤلف على هذا الوجه ، ووصول المؤلف من ثم إلى مرتبة التدريس في جامعة عين شمس المصرية ، كل ذلك دليل على القيمة العلمية للكتاب الذي يستحق عليه الدكتور عبد الفتاح ساير داير كل الشكر والتهنئة ؛ فقد أضاف الى المكتبة الحقوقية الإدارية العربية نتاجاً عالياً وثروة غالية .

الدكتور مصطفى البارودي

الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة
(الجزء الثاني — تاريخ مدينة دمشق)

تأليف الصاحب عز الدين بن شداد المتوفى سنة ٦٨٤ هـ . عني بنشره وتحقيقه ووضع فهارسه الأستاذ الدكتور سامي الدهان عضو المجمع العلمي العربي ، طبعه المعهد الافرنسي للدراسات العربية بدمشق ، عدد صفحاته (٤٧٢) صفحة من قطع الوسط ، طبع في بيروت سنة ١٩٥٦

إن قيل المرء مرآة أخلاقه ، وأظهر ما نرى أو نلمس من خلال ما وصل الينا من تآليف ابن شداد وفاؤه لأصحابه وبره بهم وبوطنه . أحاطه الملك الظاهر بيبرس برعايته وشملته عنايته ، فقابل إحسانه بأحسن منه ووفاه حقه وشكر إنعامه وخلد ذكره في كتابه (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر) . وأخلص لوطنه فكتب عنه تاريخه الجليل (الأعلاق الخطيرة) الذي نحن بصدده . وخص دمشق التي نعم في ربوعها مدة عشر سنوات ، بقسط وافر من هذا التاريخ ، لما لقيه من أهلها من حسن وفادة ورعاية ، واعترافهم بعلمه وفضله ، فقدموه وصدروه ، فأبدع فيما كتب وصدق بما رسم .

عرفنا تآليف ابن شداد من النصوص المنقولة عنها ، وأما أصولها فقد فقدت وبقيت مجهولة الى أن سخر لها من يبحث عنها في مجاهل دور الكتب الغربية فعثر في بعضها على أجزاء مشتتة من هذا التاريخ ، فجمع شملها وأخرجها تاريخاً كاملاً كما وضعه مؤلفه ، بتحقيق دقيق وطبع أنيق كما هي عادة هذا البحاثة في كل ما حقق ونشر . ومن حسن الصدف أن يكون هذا البحاثة هو زميلنا الدكتور سامي الدهان الذي هو أيضاً كابن شداد مواطن حلبي ونزيل دمشق . وكان قد مضى على إقامته فيها عشر سنوات لما نشر هذا القسم من تاريخ دمشق فتمم بعمله رسالة ابن شداد وأدرك بغيته ، وشاركه الإحسان مما أوجب علينا شكره والثناء العاطر على جهده .

تلهف كل من اشتغل في تاريخ بلاد الشام على فقدان تآليف ابن شداد ، وتمنى لو اطلع عليها وأفاد منها وخاصة منها (الأعلاق الخطيرة) لكثرة ما اعتمده المؤرخون ونقلوا عنه . نقل النعيمي في كتابه (الدارس في تاريخ المدارس) كل ما كتبه ابن شداد حرفياً عن مدارس دمشق ومساجدها . ولما اطلعنا على هذا القسم منه وجدناه بحق من أجل تراثنا وأنفع كتبنا ، فهو حلقة الاتصال بين تاريخ الحافظ ابن عساكر وتاريخ النعيمي ، جمع فيه خطط دمشق وكل ما كتبه عنها السلف ، وأضاف اليها وزاد عليها فصولاً لم يفطنوا إليها . فجاء الكتاب شاملاً حافلاً ، ومن أوسع ما كتب العرب في هذا الموضوع ، جمع فيه المؤلف ثروة تاريخية لا تجدها عند سواه ، لأن ابن شداد علم ما لم يعلمه غيره من المؤرخين لاتصاله الوثيق بالملوك والأمراء ورجال الدولة ومشاركته الحكم واطلاعه على خفايا الأمور وأسرارها . فجمع بين السياسة والقلم ، وقلما يتأتى مثل ذلك لغيره من العلماء .

وقد ظهر لي أثناء مطالعتي هذا التاريخ وبالمقارنة بينه وبين ما نقل عنه النعيمي في الدارس في تاريخ المدارس بعض الملاحظات من الفائدة الإشارة اليها ، منها ما جاء في ص (١٧٨) : « وكان ازجه لاطياً فاضربها وغلا أزجه وكلسه » صوابه : « فأخربها وعلا أزجه وكلسه) . وفي ص (١٦١) : « مسجد السبعة » صوابه « الشبعة » وهي قرية معروفة في أول المرج . وجاء في ص (١٩٦) : حاشية (٤) : أن رباط وجيه الدين بن سويد قد سقط ذكره في كتاب الدارس مع أن النعيمي قد ذكره بوصف واسع في ٢ : ١٩٣ رقم ١٨٧ باسم الرباط التكريتي . ويوجد في ص (٢٠٥) : اختلاف في سلسلة مُدرسي المدرسة الخاتونية عما نقله النعيمي عن ابن شداد كان يحسن الإشارة اليه . ويصحح ما جاء في ص ٢٢٠/١٦ : كما يأتي : (... وبقي فيها مستمراً الى أن توفي ثم وليها ... » . ويضاف الى ص ٢٢٧/٧ الجملة الآتية : « ثم من بعده

جمال الدين يوسف الى أن توفي ...» . ويضاف أيضاً الى ص: ٢٥٨ / ١١ العبارة التالية : «فأول من ذكر بها الدرس الشيخ ...» .

نرجو لهذا السفر النفيس انتشاراً واسعاً ونشكر للزميل المحقق الدكتور الدهان جهده وعنايته .

تاريخ العرب قبل الإسلام ـ الجزء الرابع (القسم السياسي)

تأليف الدكتور جواد علي

من مطبوعات المجمع العلمي العراقي . في (٤١٨) صفحة من قطع الوسط

هذا الجزء كأجزائه السابقة غني بمادته العلمية وانتظام سبكه نتيجة استقراء طويل وبحث عميق . وقد وفق المؤلف بعد جهد إلى أن يستخلص من المصادر المشتتة المشوشة عناصر منسقة ومتحدة كوّن منها بعد أن جردها من شوائب الأوهام وحدة تاريخية بالمعنى الصحيح انتزع بها إعجاب العلماء والباحثين .

استأنف المؤلف في هذا الجزء دراسته عن تاريخ العرب السياسي قبل الإسلام . وخصه بالدويلات العربية كمملكة الحيرة في العراق والغساسنة في بلاد الشام ، والإمارات العربية الغربية وأنظمتها السياسية ، وأفرد بحثاً لأنساب أشهر القبائل العربية والعدنانية . وتناول بحثه أيام العرب في جاهليتهم وما يمكن استخراجه منها للأبحاث التاريخية . واختتم فصوله باستعراض حالة العرب السياسية في القرن السادس للميلاد بوجه عام ، وبيّن ما كانت عليه حالة العالم المتصل بالبلاد العربية وكيف دبت الشيخوخة بالأمبراطوريتين العظيمتين الساسانية والبيزنطية وحلت بهما بوادر الانحلال مما مهد للإسلام الإجهاز عليهما وحلوله مكانهما .

نشكر المؤلف على هذه الدرة الثمينة التي أتحف بها الثقافة العربية وأعانه الله على إنجاز تاريخه هذا الذي سيبقى دعامة ونقطة انطلاق لكل باحث .

تاريخ العرب قبل الإسلام ــ الجزء الخامس (القسم الديني)

تأليف الدكتور جواد علي

يقع في (٤٣٦) صفحة من قطع الوسط ، نشره المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٥

بعد أن أنهى المؤلف في الجزء السابق القسم السياسي من تاريخ العرب قبل الإسلام باشر في هذا الجزء البحث في حياة العرب الدينية قبل الإسلام ، وهذه ناحية تاريخية هامة يكتنفها ـ على قلة مصادرها ـ الغموض والتشويش كما هو حال كتاب الأصنام لابن الكلبي وغيره ممن عالجوا الموضوع ، ويعوز أخبارها الإيضاح والتنسيق ، ولا يتيسر كشف ما غمض منها إلا لمن خصه الله بعلم واسع ورأي ثاقب يفرق بين الغث والسمين ، وينفذ الى الحقيقة أو يلامسها ، وقد توفر كل ذلك للدكتور البحاثة مؤلف هذا الكتاب الذي أتحفنا بسفر شامل ألم بالموضوع من جميع نواحيه . عالج أبحاثه معالجة العالم لم يجزم برأي أو اجتهاد بل ترك في كثير من المواضع الباب مفتوحاً لمن يرغب أن يلجه ، ولكل مجتهد نصيب .

لا بد لي في هذه المناسبة من بيان بعض الملاحظات البسيطة التي بدت لي أثناء المطالعة ، منها ما جاء في ص (٤٨) : فسر تامار بتدمر ، مع أن المتفق عليه الآن أن تدمر هي غير تامار ، الأولى تقع في بادية الشام ، والثانية في البلقاء . وفي ص (٤ ق) : ضف جدة وصوابها ضف الدجلة . وفي ص (١١٤) : الشارق هي هنا اسم فاعل لا صفة وتطلق على الشمس حين تشرق . وفي ص (١٥٣) : بعل شمين رب السماء وصوابها رب السماوات بالجمع . وفي ص (١٥٥) : بل أي بعل ، مع انهما إلهان مختلفان لا إله واحد . ولا نشارك المؤلف قوله في ص (١٦٣) : انه ليس لمعابد الشام وفلسطين هندسة

معينة خاصة ، مع أن المعابد السورية لها طابعها الخاص تتميز به رغم تأثرها بالهندسة اليونانية والرومانية . وفي ص (٢٨٥) : اللون الأبيض هو شعار الحزن في الحجاز والشام حتى الآن ، مع أن الحقيقة شعار الحزن في الشام هو السواد كما في العراق .

ونكرر شكرنا للدكتور المؤلف نفع الله به أمته وزاد في حسناته .

تاريخ المستبصر

في صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز لابن المجاور الشيباني الدمشقي

اعتنى بتصحيحه وضبطه ونشره الاستاذ أوسكر لوفغرين (Oscar Löfgren)
وهو في جزئين من القطع المتوسط ، طبعا في مدينة ليدن في سنتي
١٩٥١ و ١٩٥٤

عُثر بين المخطوطات العربية التي جمعها كلود شيفر (Cl. Scheffer) المحفوظة في المكتبة الوطنية في باريز على نسخة من هذا التاريخ وصفها بلوشه (Blochet) في فهرسه بعنوان : (تاريخ لطيف يشتمل على ذكر أكبر بلاد المعمورة تأليف جمال الدين أبو الفضل يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي) وعُثر على نسخة ثانية أحدث عهداً من الأولى في المتحف البريطاني ووصفت في الفهرس باسم (تاريخ المستنصر ، تاريخ لطيف يشتمل على أكبر البلاد المعمورة تأليف الشيخ المسند المحدث المؤرخ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب .... الخ) ، وعرفه بمثل ذلك سبرنجر (Sprenger) ومثله ديرنبورغ (Derembourg) ثم صحح اسم الكتاب ميلز (Meles) في بعض مذكراته وعرفه بتاريخ (المستبصر) لا (المستنصر) كما توهمه غيره ، وأقره على تصحيحه ج . فيران (G. Ferrand) وقد أيد ذلك ما جاء في العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية لأبي الحسن الخزرجي فيما نقله عن تاريخ المستبصر لابن المجاور .

وقد اهتم بهذا المخطوط منذ العثور عليه عدد من المستشرقين وأعلنوا عنه بأبحاث طويلة ونقلوا الى لغاتهم فصولاً منه . وكتب في عام ١٩١٩ المرحوم فران بحثاً وافياً عنه في المجلة الآسيوية الافرنسية بين فيه قيمة هذا المخطوط العلمية وفوائده من الناحيتين الجغرافية والعمرانية .

وقد عرَّف المؤلف بموضوع كتابه بقوله : « إن مكة زادها الله شرفاً أم القرى وسرة الأرض المعمورة ، وأحب بلاد الله الى الله ورسوله في السنن المشهورة ، ثم إن أيمن ما حولها من البلدان وأبركها مملكة اليمن المخصوص بالبركات الثلاث النبوية في جواهر السنن ، منبع الحكمة ومعدن الفقه والإيمان من سالف الزمن . فخصصت هذين القطرين في هذا الكتاب بذكر ما يتعلق بهما في هذا الفن من بيان البقاع والبلاد والمدن والجبال والبحار وشرح المنازل والمغاني ومقادير المسافات في المفاوز والمفاز ، ثم تصوير كل بقعة منه حتى كأنك تراها رأي العين وتوقف بها على أرجائها فيغنيك ذلك عن الأين في البين . ولا يعدم كل بقعة من نادرة جرت فيها من الأخبار وشعر نظم في سلكها قديماً من الأشعار . » وهذا الوصف هو أصدق تعريف بموضوع الكتاب وما تضمنته صحائفه .

إن نسبة هذا الكتاب لابن المجاور الشيباني الدمشقي المتوفى سنة ٦٩١ هـ هي برأيي نسبة خاطئة ، وأعجب كيف لم ينتبه اليها ناشر هذا التاريخ أو غيره ممن تقدموه في وضعه وتدقيقه ومنهم علماء أعلام مثل (فران) و (بروكلمان) مع أن من يمعن النظر في المتن يظهر له خطأ هذه النسبة لأسباب عديدة منها :

١ — خلو الكتاب من ذكر القطر الشامي مع أن المؤلف أكثر من ذكر بغداد وخوارزم وخراسان والري وكشك والهند والسند وغيرها من بلاد المشرق مما يستدل منه على مبلغ علاقة المؤلف بهذه البلاد ومعرفته لها دون بلاد الشام ويؤيد ذلك قوله في ص ٤ : (حدثني هندي بالهند) ، وفي ص ٦٤ : (حدثني محمد ابن رزق الله قال لي : هل ترون في خراسان كوكب سهيل ؟ قلت : لا والله) .

وفي قوله ص ١٨٩ عن النسيج التوجي : (ولبس جميع نساء العرب وجميع التركان والكرد واليازج ونساء أهل سيستان الى الآن منه) .

٢ — ترديد المؤلف كثيراً من الأشعار الفارسية وبعضها من نظمه وذكره أيضاً مصطلحات فارسية كقوله في الكلام عن الأديم المدبوغ ص ١٣ : (ويسميه العجم أديم خوش وفي كشك من أعمال الهند كذلك) ، وقال عن الحرباء ص ٢٣٤ : (ويسميه أهل خراسان آفتاب پرست ويسمى في زاولستان سكند) ، وقال أيضاً في ص ٢٣٥ : (ويسميه أهل نهاوند ركتوله) .

٣ — ذكر في ص ٩٧ : (قال لي أخي أحمد بن محمد بن مسعود) وذكر في ص ٢٥٢ : (كتب والدي محمد بن مسعود بن علي بن احمد بن المجاور البغدادي النيسابوري لجعفر بن عبد الملك بن عبد الله بن يونس الخزرجي الجرجاني يهدده ويهنيه) .

لم يبق بعد الشواهد التي أوردناها شك بأن ابن المجاور المؤلف هو غير سميه المعاصر له ابن المجاور الشيباني الدمشقي الذي نسب اليه هذا التاريخ ويمكننا أن نهتدي الى اسم المؤلف بتعريفه : (بابن المجاور البغدادي النيسابوري) ونلحقه بنسب والده محمد بن مسعود بن علي ... تمييزاً له عن ابن المجاور الشيباني الدمشقي .

مع الاعتراف بصعوبة تحقيق هذا المخطوط لفقدان عناصر المقابلة للاستعانة بها والاهتداء إلى أوجه الصواب لبعض الأعلام والألفاظ فقد كان بالإمكان تلافي أكثر هذه الأخطاء لو تعهدته يد خبيرة بشؤون الجزيرة العربية وأكثر اطلاعاً على ماضيها وحاضرها .

لا تغني هذه الطبعة رغم جهود الناشر المشكورة عن إعادة طبعه مرة ثانية بعناية وتدقيق يؤمنان الفائدة التامة من نشر هذا التاريخ القيم .

ومما يؤخذ على الناشر أهماله تنظيم فهرس للأعلام والأماكن وغيرهما من مستلزمات النشر في عصرنا الحديث .

M. J. J. Rager — Les musulmans algériens en France
et dans les Pays Islamiques — Paris 1950.

المسلمون الجزائريون في فرانسة والديار الإسلامية

تأليف جان جاك راجه

نشر كلية الآداب في الجزائر . وهو في (٣٥٣) صفحة قطع الوسط
طبع في باريز سنة ١٩٥٠

عالج المؤلف في هذا الكتاب ناحية هامة من حياة مسلمي الجزائر وهجرتهم الى فرنسة والديار الإسلامية ، وبحث العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية التي حملتهم على هذه الهجرة الواسعة . دعم المؤلف دراسته باحصاءات صحيحة استقاها من مراجعها الرسمية زادت في فائدة الكتاب وقيمته العلمية .

نسب المؤلف الهجرة الى الديار الإسلامية في القرن التاسع عشر أي بعد الاحتلال الافرنسي إلى عوامل دينية وأنفة المسلمين من الخضوع الى سلطان دولة غير مسلمة ، فاقتصرت الهجرة الى تونس ومراكش ومصر وولايات الدولة العثمانية .

وبعد أن تم احتلال القطر الجزائري وتمركز المستعمر فيه حالت السلطات الافرنسية دون هجرة أهاليه الى خارج البلاد لتوفر للمستعمرين اليد العاملة التي تحتاجها مشاريعهم الزراعية والصناعية ، فعمدت لذلك إلى إفقار السكان باغتصاب أراضيهم وإشاعة الجهل بينهم لترغمهم على طلب الرزق والعمل في مزارع المستعمرين الشاسعة ومعاملهم الواسعة . ولكن تكاثر السكان واستعمال الآلات الزراعية خلق أزمة عمل وانتشرت البطالة في طول البلاد وعرضها مما حمل القادرين على العمل على أن يبحثوا عن مورد جديد خارج البلاد يعوض عليهم ما فقدوه في بلادهم فتسربوا الى فرنسة التي كانت تشكو قلة اليد العاملة وغلاء أجورها ، فرحبت المصانع الافرنسيه بهذه الهجرة وشجعتها حتى بلغ ، حسب الإحصاء الأخير ، عدد المهاجرين الجزائريين الى فرنسة في عام ١٩٤٨ (٢٣٠٠٠٠) عامل .

إن المنصف الذي يطالع هذا الكتاب يتجلى له من خلال الاحصاءات البؤس المخيم على الشعب الجزائري ، هذا البؤس الذي تعمده المستعمر وهيأ أسبابه وتفنن بأساليبه ، لا يسعه إلا أن يرى في ثورة الشعب الجزائري الباسل القائمة على جلاديه جواباً طبيعياً على ظلم الاستعمار وتعسفه ، ودفاعاً مشروعاً عن كيانه ودوام بقائه .

وفي الكتاب وثائق ومعلومات قيمة لدراسة تاريخ الجزائر الحديث فيها عون للباحث وفائدة للقارئ يشكر عليها المؤلف .

بطولات من تاريخنا

تأليف : محمد سليم رشدان

طبع في بيروت سنة ١٩٥٦ ، لشرته دار الحكمة وهو في (١٩٥) صفحة من القطع الصغير

جمع المؤلف من قصص بطولات العرب كل طريف ، ودون من مآثرهم الخالدة كل تليد ، وصوّر مواقفهم الرائعة بأسلوب لطيف وأسبغ عليها ظلالاً من الخيال أبرز معها ما يسترعي الانتباه ويذكي الحماسة في النفوس . ويهدف المؤلف من هذا الكتاب — كما كان هدفه في كتابه في ظلال النبوة — إلى أن يظهر لمن تنكروا لتاريخهم مآثر العرب ويعيد لذاكرتهم مواقف السلف وما حملت من دروس وعبر لعل الذكرى تنفعهم . وقد بلغ الكاتب بجهده غايته إذ جمع في كتابه بين المتعة والعظة ، وبين الأدب الرفيع والتوجيه القومي الصحيح فتنفذ بها الى الأعماق وزود بأطيب الزاد من بأذنه صمم .

تلقي عناوين فصول الكتاب : طلائع المجد ، ورجل يطلب الشهادة ، والحاكم العادل ، وفاتحون رحماء ، ولا يبيع دينه بدنياه ، وقدوة لكل زعيم ، وأمير لا يعين على معصية ، نوراً على موضوع الكتاب وهدف مؤلفه وعقيدته .

لا يخلو الكتاب من أخطاء مطبعية أو زلة قلية يدركها القارئ . نشكر للمؤلف جهده وسمو غايته .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

المولد والعامي في علوم الزراعة والمواليد (١)

يطيب لي أن أحمل من دمشق الى القاهرة تحية السوري الى شقيقة المصري، بل تحية العربي الى أخيه العربي . أعزّ الله لغة القرآن بجهد أدباء مصر وعلمائها الأعلام ، وأعزّ أرض الكنانة بل الوطن العربي كله بجهد المخلصين البررة من أبناء مصر العزيزة : رئيساً وحكومةً وشعباً .

وبعد لقد كثر الكلام في القديم والحديث على ما سموه ألفاظاً مولدة وألفاظاً عامية ، وعلى ما يجوز وما لا يجوز استعماله منها .

ومن المتعارف أن ما يسمى كلام المولدين هو الألفاظ التي لم يضعها أو لم يصطلح عليها عرب الجاهلية وصدر الإسلام ، أي أنها تلك التي استعملت بعد أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار ، وبعد أواسط القرن الرابع في جزيرة العرب ، وهي آلاف مؤلفة من الكلمات ، لم تذكر المعجمات أكثرها ، أو ذكرت بعضها ولكنها خصته بقولها هذا كلام مولد أو كلام عامي أو بقولها هذه لغة مصرية أو شامية أو مثل ذلك .

وقد كان هذا المجمع الموقر اتخذ قراراً قال فيه : المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب وهو قسمان : قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك ، وحكمه أنه عربي سائغ .

---

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي نائب رئيس المجمع العلمي العربي في حفلة افتتاح الدورة الثالثة والعشرين لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

وقسم خرجوا فيه على أقيسة كلام العرب ، إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب ، وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره «قرار التعريب» ؛ وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح ، وإما بوضع اللفظ ارتجالاً . والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام . انتهى .

ويرى الزملاء الأعلام أن المهم في هذا الموضوع إنما هو تمييز ألفاظ القسم الأول التي أجاز المجمع استعمالها ، من ألفاظ القسم الثاني التي لم يجز استعمالها في فصيح الكلام . فالمتشددون من كتاب العربية في القديم والحديث يتحاشون استعمال جميع الكلمات المولدة والعامية ، إيثاراً للسلامة ، وذهاباً الى أن فصحاء العرب لم ينطقوا بها ، وبذلك تخسر لغتنا الضادية ثروة من الألفاظ الحسنة . أما المتساهلون فقد يستعملون من المولد ألفاظاً سائغة ، وقد يستعملون أيضاً ألفاظاً لا وجه لها البتة ، ويكون في تساهليم هذا مجال واسع للأخذ والرد .

وها كم بعض الأمثلة على ذلك :

فكلمة الغراسة أي صناعة غرس الشجر لم ترد في المعجمات في مادة غَرَسَ . بل وردت عفواً في التاج واللسان في الكلام على مادة : خَرَجَ ، واستُعملت في الكتب الزراعية القديمة . وهي مصدر على وزن فعالة صيغت قياساً من الفعل الثلاثي غَرَسَ . وليس فيها تحريف في اللفظ ولا في الدلالة ، فهي إذن من الألفاظ التي سوغ المجمع استعمالها في القسم الأول من كلامه على المولد . وعلى الرغم من ذلك كنت قرأت لأحد الكتاب مقالاً ينكر فيه استعمال مصدر الغراسة لأنه لم يُذكر في المعجمات ، حتى لكأن هذه المعجمات قد اشتملت على جميع ما في لساننا من كلم .

ومن المصادر التي يستعملها الفلاحون الشاميون بمعنى القطع والتقليم والتقضيب مصدر الزِّبارة ، فهم يستعملونه على الأخص في تقليم الكروم فيقولون :

نحن ذاهبون إلى الزيارة وقد زيرتُ كرمي . وعدم ورود هذا الفعل في المعجمات ليس دليلاً على وجوب اطراحه ما دام جامعًا لثلاث صفات : صحة القيـاس ، وشيوعه في قطر عربي ، وروده في كتب قديمة يُعتد بها كمفردات ابن البيطار « مادة قفر اليهود » ، وكتاب الفلاحة اليونانية لقسطا بن لوقا ، وكتاب نفح الطيب « كلام الغزال ج ٧ ص ٣٧٣ » وغيرها .

وها كم كلمة باقة فأنتم تعلمون أنها في كتب اللغة للبقل ، وأن الطاقة للزهر . ولكنني وجدت الباقة مضافةً الى الزهر في كثير من الكتب القديمة ولا سيما في الأغاني وفي نهاية الأرب . وكلمة (Bouquet) الفرنسية لها مدلول الطاقة والباقة جميعًا . والتمييز في لساننا حسن ، ولكن هل من الضروري يا ترى أن نتشدد في اتباع نص المعجمات على الرغم من شيوع الباقة لحزمة الزهر ، أم من الأصلح تضمينها أيضًا هذا المعنى ؟

وهناك أسماء أعيان كثيرة تنطق بها العامة ، ولا ذكر لها في المعجمات ولكنها ذكرت في كتب الزراعة والنبات والمفردات الطبية القديمة . فمعظم هذه الأسماء جدير بأن يقره المجمع ولا سيما عندما يكون ساريًا على الألسنة ، ففي أحراج سورية ولبنان مثلاً شجر اسمه الشَّوْح ، واسمه العلمي تنّوب قيليقية ؛ وكلمة شوح هذه شائعة في قطرنا ، ولا وجود لها في معاجمنا ، ولكنها موجودة في مخطوطات يرجع عهدها الى أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي .

وفي أحراجنا أيضًا نوع من البلوط اسمه المَلّول نراه الى جانب نوع ثان اسمه السِّنْديان ؛ فاذا رجعنا الى القاموس المحيط نجد فيه ذكرًا للسنديان ولا نجد ذكرًا للملول . فهل تفسير ذلك عند المتشددين أنه يجوز لنا استعمال الاسم الأول لأن الفيروزابادي عرفه أو نقله عن الفارسية ، ولا يجوز استعمال الاسم الثاني ، على الرغم من اشتهاره ، لأنه معدود عندهم من كلام العامة ؟

وثمة أسماء أعيان عديدة تبدل اليوم مدلولها . ولا بد لنا من تضمينها

المعاني الجديدة ، مثالها كلمة « الفل » فهي تطلق في المعجمات ، وفي كتب المفردات القديمة ، على نبات طبي لا صلة له بالنبات المشهور الذي يسمى علمياً باسم الياسمين الزنبقي ، وهو تلك الأزهار البيض التي يجعلها زهّارو القاهرة عقوداً جميلة تستهوي الحسان ، مثلما تستهوينا مناداة الزهربين لها بقولهم « فل يا فل » . فالدلالة الحديثة لهذه الكلمة لم يذكرها إلا الزبيدي في مستدرك التاج والخفاجي في شفاء الغليل . فهلا يكون من واجبنا تضمين كلمة الفل هذا المعنى المشهور ، وأن ندع أطباءنا الأعلام يفتشون عن عقارهم القديم في مظانه ؟

ومثل الفل الفلفل في مصر والفليفلة في الشام والقيقب والازادرخت والزيزفون والسلجم والشيلم والكشمش وغيرها فكلها أسماء تبدلت مدلولاتها في أيامنا هذه عن مدلولاتها في المعجمات .

ومن أسماء النباتات الشائعة التي لم تذكرها المعجمات ولكنها وردت في كتب قديمة أو حديثة البامية المشهورة ، والنيل وهو نباتياً نوع من جنس الخطمي ، والفتنة تطلق على نوع من السنط ، والدفران وهي كلمة سريانية تطلق على عرعر الشام ، والعذر وهي شامية يطلقونها على نوع من البلوط مشهور في أحراج اللاذقية وجبل العلويين .

أما النباتات والحيوانات المشهورة التي مهدها أمريكة أي لا ذكر لها في معاجمنا فعددها كبير : كالتبغ والبطاطس والبطاطة الحلوة والبنادورة « القوطة والطماطم » والذرة الصفراء « الذرة الشامية » والونيلية والكاكاو والجوافة والديك الرومي « أو الحبشي أو الهندي » واللامة الخ . فكلها تحتاج الى تثبيت في معاجمنا الحديثة .

وأما نباتات العالم القديم المشهورة التي جهلها أجدادنا ولم يذكروها في معجماتهم ولا في كتبهم العلمية فعددها أكبر من النباتات التي مهدها أمريكة ومنها المندرين وليمون الجنة « جريب فروت » والشاي والكاكي والقشدة والفول السوداني (ويسمى فستق العبيد في الشام) والأوكاليتوس والكينا وتوت الأرض

(فراولة) وزعرور اليابان (بشملة في مصر وابكي دنيا في الشام) الخ الخ ٠٠

والشادوف في الزراعة أداة للسقي تستعمل في مصر منذ أيام الفراعنة الأول . وقد نُقلت كلمة الشادوف هذه الى الفرنسية ، وأثبتت في معجماتها ، على حين أن معجماتنا خالية منها .

وكذلك الساقية تطلق في مصر على ضرب من الدواليب يُستعمل في رفع الماء . فقد اقتبس الفرنسيون هذا الاسم وضموه الى لسانهم ، وأثبتوه في معجماتهم ، على حين أننا نعده بهذا المعنى من ألفاظ العامة .

واذا انتقلنا الى ألفاظ المعاني المشهورة نجد منها لدى العامة عدداً لا يستهان به . وليس كل هذه الألفاظ مرذولاً يجب تجنبه ؛ ولو كان الأمر كذلك لما عاش بعضها قروناً ، ولما ورد ذكرها في كتب قديمة أصحابها معروفون بسلامة لغتهم . فابن العديم مثلاً استعمل في تاريخ حلب كلمة النَّصْبة بمعنى الغَرْسة ، والقَسْطل بمعنى الأنبوب المعدني ، وكلاهما مشهور بمعناه في أيامنا هذه . واستعمل عبد اللطيف البغدادي في كتاب الإفادة والاعتبار كلمة فَسْخ ، وابن العوام الإشبيلي كلمة مَلْخ ، وجمعاهما على فُسوخ ومُلوخ ، وأطلقاهما على المفسوخات والمملوخات أي الأغصان الخشبية التي برزت لها جذور ، فهي تُفصل عن نباتاتها وتُزرع ، كمفسوخات الحرشف « الخرشوف » وكثير من نباتات التزيين . والفلاحون يسمون واحدتها فَسْخة ومَلْخة .

ومن الألفاظ المشهورة في مصر والشام الشَّتْل والشتلة تُطلقان فيهما على الغَرْس والغَرْسة ، ولا سيما على ما يُزرع منها في الأصص أو في المستنبتات ، ثم يُنقل الى مستقره في البستان أو في الحديقة أو المبقلة . وقد اشتقوا من فعل شَتَلَ اسم مكان هو المَشْتَل يطلقونه على المنبت والمستنبت فالشتل سريانية عندي أدلة على أنها قديمة في مصر ولا سيما في الشام .

هذه كلمات جئت بها على سبيل التمثيل وعندي مثلها مئات . ومن الواضح أنها تختلف عن الكلمات العامية الأعجمية أو المحرفة في لفظها أو في دلالتها ، وهي التي لا يمكن فيها التخريج على وجه صحيح كقول القدماء سنجقدار وطبردار وشاهنشاه ، وقول المعاصرين باشمهندس وحكيمباشي وياور وأجزاجي ويوزباشي وجفتلك وأشباه هذه الألفاظ التي يمكن إبدال كلمات عربية منها بلا مشقة .

والزملاء الأفاضل أعرف الناس بأن الحاجة ماسة الى نخل الألفاظ المولدة والعامية « ولا سيما تلك التي جمعها دوزي في معجمه » والى عرض نخيلها على المجمع الموقر ، ليقر الصالح من تلك الألفاظ فلا يجد الكتاب حرجاً في استعمالها سواء أكانوا من المتشددين أم كانوا من المتساهلين .

وهذا العمل شاق . ولكنه لا يستعصي على جهابذة العلم واللغة في أرض الكنانة التي طالما أنبتت علماء أثباتاً عزت بهم لغة القرآن .

الشهابي

تعديل النظام الداخلي للمجمع العلمي العربي

كان المجمع العلمي العربي قد نظر، في إحدى جلسات السنة الماضية، في نظامه الداخلي، واقترح تعديل بعض مواده . فوافق مجلس الوزراء السوري على ذلك، وصدر المرسوم ٤٧٢ المؤرخ في ١٦ من شباط ١٩٥٧ باقرار ما اقترحه المجمع . وفيما يلي نص هذا التعديل :

١ — تعدل المادة الرابعة من المرسوم رقم (٢٣٥٠) تاريخ ١/١١/١٩٤٨ وتصبح على الشكل التالي :

إذا قرر المجمع العلمي العربي ملء المحل الشاغر طلب الرئيس في جلسة عادية الى الأعضاء العاملين أن يرشح من يشاء منهم أحد العلماء الذين تتوفر فيهم الشروط المطلوبة، ويكون الترشيح ببيان كتابي بمنزلة المرشح العلمية وصفاته الأدبية يرسله العضو الى رئاسة المجمع العلمي خلال شهر واحد اعتباراً من تاريخ طلب الترشيح . ولا يقبل الترشيح إلا إذا زكى المرشحَ عضوان عاملان . ولا يجوز أن يرشح أو يزكي العضوُ العامل أكثر من مرشح واحد لملء شاغر واحد وليس له أن يجمع بين التزكية والترشيح .

٢ — يضاف الى المادة السادسة من المرسوم المذكور الفقرة التالية :

يدون أمين السر العام ضبط هذا الاجتماع المتعلق بانتخاب أحد المرشحين عضواً عاملاً في سجل خاص موقت الى أن يستطلع الرئيس رأي المرشح المنتخب، فاذا وافق صراحة دوّن الضبط نهائياً في سجل ضبوط الجلسات .

٣ — يضاف الى المادة (٣٠) الفقرة التالية :

وعضوا اللجنة الإدارية اللذان تنتهي مدة تعيينهما يثابران على القيام بأعمالها الى أن يصدر القرار الوزاري القاضي بتعيين خلف لهما .

اجتماع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

كنا وقفنا الجزء الأخير من هذه المجلة ، الصادر في ١ كانون الثاني ١٩٥٧ ، على مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية الذي انعقد في دمشق ، ونشرنا فيه ما ألقاه أعضاء المؤتمر من أبحاث ومقترحات ، وما أقر بعد الدراسة من توصيات .

وكان من بين توصيات المؤتمر تأسيس اتحاد للمجامع اللغوية العلمية العربية ، ينظم الاتصال بينها وينسق أعمالها ...

وقد أقر مجلس جامعة الدول العربية هذه التوصيات ، وعهد إلى الإدارة الثقافية في التمهيد لعقد الاجتماع الأول لهذا الاتحاد ، وكان من ذلك أن تقرر عقده في القاهرة ، يوم السبت ٢٣ آذار ١٩٥٧ والأيام التي تليه . أما موضوع البحث فيه فهو دراسة مشروع قانون لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، كانت الإدارة الثقافية قد أعدته وبعثت به الى أعضاء الاتحاد للنظر فيه .

وكان المجمع العلمي العربي قد عقد جلسة خاصة بدراسة هذا المشروع ، ورغب إلى وفده الى اجتماع الاتحاد الأول بسط ما يراه المجمع في بعض مواد المشروع . وقد شخص إلى القاهرة الأساتذة : الأمير مصطفى الشهابي والسيد شفيق جبري والدكتور جميل صليبا لتمثيل المجمع العلمي العربي في هذا الاجتماع الأول لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .

ونثبت فيما يلي المشروع المعروض الآن على البحث :

مشروع قانون اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

الفصل الأول : تكوين الاتحاد وأغراضه

المادة الأولى — اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية هيئة لغوية علمية مركزية مقرها .... ، يتكون من المجامع اللغوية العلمية في كل بلد عربي ، ومن الشعب التي تتكون في كل قطر عربي ليس فيه مجمع . وغاية الاتحاد تنظيم الاتصال بين المجامع العربية وشعب الاتحاد وتنسيق جهودها ورسم مناهج العمل لتحقيق نهضة لغوية شاملة تمكن الأمة العربية من مسايرة ركب الحضارة الانسانية العالمية في تطورها في مختلف جوانب الحياة ، لكي تستعيد اللغة العربية سيرتها الأولى التي وسعت الشرائع والعلوم والحضارات القديمة ، وتجارى في العصر الحاضر مع اللغات العالمية المماثلة .

المادة الثانية — يدير الاتحاد مجلس مؤلف من ثلاثة أعضاء عن كل مجمع تختارهم المجامع لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد ، وعضو مراقب عن كل شعبة في دول الجامعة العربية التي لم ينشأ فيها مجمع بعد تختاره الشعبة للمدة نفسها ، وعضو مراقب عن الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية تختاره لكل اجتماع ، ويتمتع الأعضاء والمراقبون بما يتمتع به أعضاء الاتحاد ، ومجلس الاتحاد هو السلطة العليا فيه .

المادة الثالثة — تكون اجتماعات مجلس الاتحاد قانونية بحضور أكثر من نصف الأعضاء ، وتؤخذ القرارات بأغلبية الحاضرين من الأعضاء ، وفي حالة تساوي الأصوات يرجح جانب الرئيس .

المادة الرابعة — ينتخب مجلس الاتحاد من بين أعضائه رئيساً ، ونائباً له من كل مجمع ، عدا المجمع الذي ينتخب منه الرئيس ، وأميناً عاماً وأميناً للصندوق .

ويكون انتخابهم لمدة ثلاث سنوات قابلة للتجديد . ويراعى أن يكون الأمين العام وأمين الصندوق مقيمين في مقر الاتحاد .

المادة الخامسة — يقوم الأمين العام بتصريف الأمور الإدارية وتنفيذ قرارات المجلس .

المادة السادسة — يجتمع مجلس الاتحاد مرة كل سنة على الأقل ، ويحدد مكان الاجتماع وزمانه بقرار من المجلس . وكذلك يجتمع المجلس كلما طلب الاجتماع مجمعان أو أكثر .

المادة السابعة — يضع مجلس الاتحاد لائحة داخلية تنظم أعماله .

الفصل الثاني : اختصاصات مجلس الاتحاد

المادة الثامنة — العمل على تنفيذ أغراض الاتحاد وتحقيق أهدافه .

المادة التاسعة — دراسة الميزانية السنوية وإقرارها .

المادة العاشرة — عقد مؤتمر المجامع اللغوية العلمية العربية بصورة دورية مرة كل ثلاث سنوات ، وتقرير الاجتماعات والمؤتمرات الأخرى التي يعقدها ويدعو اليها أو يشترك فيها الاتحاد .

المادة الحادية عشرة — تحديد الموضوعات التي تعرض في تلك الاجتماعات أو المؤتمرات وتنظيم اعداد الدراسات المتعلقة بها .

المادة الثانية عشرة — الاتصال بالمجامع اللغوية العلمية لتنسيق جهودها ، وتتبع نشاطها ، وتوجيه هذا النشاط بما يتفق وأهداف الاتحاد .

المادة الثالثة عشرة — الاتصال بوزارات المعارف والتربية والتعليم في الأقطار العربية وبالإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية والاتحاد العلمي العربي ، وبالهيئات والجمعيات اللغوية والعلمية لتبادل الأبحاث والدراسات والأشخاص وتنسيق الأعمال وتنظيم الصلات .

المادة الرابعة عشرة — دراسة المقترحات التي ترد من الشعب أو الهيئات العلمية أو الأفراد والعمل على تنفيذ ما يقر منهـا .

المادة الخامسة عشرة — دراسة توصيات مؤتمرات المجامع اللغوية العلمية العربية ومتابعة تنفيذ ما يتقرر منها نهائياً .

الفصل الثالث : تكوين الشعبة واختصاصاتها

المادة السادسة عشرة — تتكون الشعبة في كل قطر عربي من :

١ — المجمع اللغوي العلمي في الأقطار التي فيها مجامع .

٢ — هيئة تختار أعضاءها وزارات المعارف والتربية والتعليم في الأقطار التي لم تنشأ فيها مجامع بعـد ـ ويراعى في اختيارهم أن يكونوا من العلماء المبرزين وذوي اختصاص في الموضوعات التي تعنى بها المجامع ، مثل : اللغة والمصطلحات والتآليف والترجمة والتحقيق والنشر الخ .. بحيث تكون هذه الشعبة نواة لمجمع ينشأ في القطر حين تسمح إمكانياته بذلك .

المادة السابعة عشرة — يدير الشعبة مكتب مكون من ثلاثة أعضاء على الأقل تنتخبهم الشعبة وهم : رئيس وأمين عام وأمين صندوق .

المادة الثامنة عشرة — تقوم الشعبة بتنفيذ أغراض الاتحاد وتسعى الى تحقيق أهدافه وذلك بالطرق الآتية .

١ — الاتصال بالجهات الرسمية والأهلية المختصة لتنفيذ مقررات الاتحاد .

٢ — تنظيم اجتماعات ومحاضرات وندوات وحلقات دراسية وإصدار نشرات ومطبوعات علمية .

٣ — تقديم اقتراحات للاتحاد ، سواء أكانت من أعضاء الشعبة أم من الهيئات والأفراد بعد دراستها .

٤ — تقديم تقرير سنوي عن أعمال الشعبة الى مجلس الاتحاد .

الفصل الرابع : مالية الاتحاد والشعب

المادة التاسعة عشرة — تتكون مالية الاتحاد من الموارد التالية :

١ — الإعانة المالية السنوية التي تقدمها الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

٢ — الإعانات المالية التي تقدمها الحكومات .

٣ — مساهمة الشعب .

٤ — الهبات المسموح بها التي تقدمها الهيئات والأفراد ويوافق على قبولها مجلس الاتحاد .

٥ — ما يدخل صندوق الاتحاد من اشتراكات وإيرادات كإيرادات المجلة التي قد ينشئها الاتحاد .

المادة العشرون — تتكون مالية الشعب من الموارد الآتية :

١ — الاشتراكات .

٢ — المنح الحكومية .

٣ — الهبات المسموح بها التي تقدمها الهيئات والأفراد ويوافق على قبولها مكتب الشعبة .

٤ — الموارد الأخرى .

الفصل الخامس : تعديل قانون الاتحاد

المادة الحادية والعشرون — يجوز لمجلس الاتحاد أن يعدل هذا القانون بموافقة ثلثي أعضائه ، على أن يدرج مشروع التعديل في الدعوة الموجهة الى الاجتماع .

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثاني والثلاثين

صفحة		
٢٤١	حول الفصحى والعامية	للأستاذ ساطع الحصري
٢٦٧	الاصطلاحات الفلسفية (٥)	للدكتور جميل صليبا
٢٨٣	مراجعة كتاب فيه اختصار الجبر والمقابلة	للأستاذ قدري حافظ طوقان
٢٨٩	تحقيقات حول نقد الغزالي (١)	للدكتور حكمة هاشم
٣٠٣	حملة نابليون على مصر (وثيقة)	للأمير جعفر الحسني
٣٠٨	الترمذي صاحب الجامع في السنن	للأستاذ محمد يوسف البنوري
٣٢٧	أعراس الشام في أواخر القرن التاسع	للأستاذ عبد الهادي هاشم
٣٣٨	أبو الفتح بن جني (٩)	للدكتور محمد أسعد طلس

التعريف والنقد

صفحة		
٣٥٣	كتاب نقد الشعر لقدامة بن جعفر	للأستاذ شفيق جبري
٣٥٥	الكميت بن زيد الأسدي	للأستاذ شفيق جبري
٣٥٨	أحاديث القرية	للأستاذ شفيق جبري
٣٦٠	مجلة كلية الآداب والعلوم ببغداد	للأستاذ شفيق جبري
٣٦٤	أيُّ غدٍ ؟	للأمير مصطفى الشهابي
٣٦٥	علم الأمراض الباطنة (الجزء السابع)	للدكتور أسعد الحكيم
٣٦٧	عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٧٠	القرآن والترجمة	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٧٢	جوهر الدين، ومنظومة إلى عموم المسلمين	للأستاذ محمد بهجة البيطار
٣٧٤	نجوى (ديوان شعر للأستاذ عدنان مردم بك)	للدكتور سامي الدهان
٣٧٧	حول كتاب « نظرية أعمال السيادة »	للدكتور مصطفى البارودي
٣٧٩	الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة	للأمير جعفر الحسني
٣٨١	تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الرابع)	للأمير جعفر الحسني
٣٨٢	تاريخ العرب قبل الإسلام (الجزء الخامس)	للأمير جعفر الحسني
٣٨٣	تاريخ المتنبعر	للأمير جعفر الحسني
٣٨٦	المسلمون الجزائريون في فرانسة والديار الإسلامية	للأمير جعفر الحسني
٣٨٧	بطولات من تاريخنا	للأمير جعفر الحسني

آراء وأنباء

صفحة		
٣٨٨	المولد والنامي في علوم الزراعة والمواليد	للأمير مصطفى الشهابي
٣٩٤	تعديل النظام الداخلي للمجمع العلمي العربي	
٣٩٥	اجتماع اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية	

Bibliotheca Alexandrina
0652719